

﴿الجزء الثاني﴾

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخازن
تغمده الله برحمته
آمين

وقد حل لي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل
تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سبحانه الرحمة والرضوان

﴿وقال في كشف الظنون﴾

(لباب التأويل في معاني التنزيل) في ثلاث مجلدات للشيخ علاء الدين علي بن محمد بن
ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان
سنة ٧٢٥ هـ أوله الحمد لله الذي خلق الاشياء ففسرها الخ ذكر فيه ان معالم التنزيل للبعث
موصوف بالاوصاف الحمودة لكنه طويل فانتبه وضم اليه فوائد لخصها من كتب التفسير
بمخزفي الاسانيد وجعل علامة للصحيحين وذكر اسامي غيرهما وعرض فيه بشرح غريب
الحديث وما يتعلق به

﴿وقال في حرف الميم﴾

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى
سنة ٧٠١ هـ وقيل عشرة وسبع مائة أوله الحمد لله المنفرد بآياته عن اشارة الاوهام الخ وهو كتاب
وسط في التأويلات جامع لوجوه الاعراب والقراءات متضمن لدقائق علم البديع والاشارات
موضح باقوال اهل السنة والجماعة خال عن ابا طيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل
ولابالقصير المختل اه ﴿قلت﴾ الذي وقع بايدينا من نسخ المدارك المنزه بدل قوله المنفرد فعل ذلك
من اختلاف النسخ اه

ميمعه بمكتبة حضرة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه



سورة الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام

فصل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقادة
 وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة لملائكة وحولها سبعون
 ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت املا وكتبوها من ليلتهم غير
 ست آيات منها فاقام مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا انبل ما حرم ربكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى
 وما قدر والله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وقال أوحى الي ولم يوح اليه
 نبي الى آخر الايتين وذكر مقاتل نحوه هذا وادأيتين وهما قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
 منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه بما يعرفون آتيناهم الآية وروى
 عن ابن عباس أيضا وقادة أنهم ما قالوا هي مكية الا آيتين نزلتا بالمدنية قوله وما قدر والله حق قدره وقوله
 وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك
 قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان
 ربي العظيم وخرسا جدا قال البغوي وروى عنه هـ مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى الله عليه أولئك السبعون
 ألف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم
 قوله عز وجل (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر
 آية في التوراة قوله تعالى قل الحمد لله الذي لم يخذلنا الآية وفي رواية عنه ان آخر آية في التوراة آخر سورة
 هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى
 وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعلم لعباده كيف يحمدهونه أي قولوا الحمد لله
 وقال أهل المعاني لفظه خبر ومعناه الأمر أي احمدا لله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر لانه أبلغ
 في البيان من حيث انه جمع الأمرين ولو قيل احمدا والله لم يجمع الأمرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم
 معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض أي احمدا لله الذي خلق
 السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهم ما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها

سورة الانعام مكية

وهي مائة وخمس وستون آية
 كوفي أربع وستون بصرى
 (بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله) تعليم اللفظ والمعنى
 مع تعريض الاستغناء أي
 الحمد له وان لم تحمدوه (الذي
 خلق السموات والارض)
 جمع السموات لانها طباق
 بعضها فوق بعض والارض
 وان كانت سبعة عند الجمهور
 فليس بعضها فوق بعض
 بل بعضها موال لبعض
 جعل ليعتدى الى مفعول
 واحد اذا كان بمعنى أحدث
 وأنشأ كقوله

(وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين ان كان معنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا باؤفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة وأفرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شئ تختلف باختلاف ذلك الشئ نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة لموضع الظلم يخالف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات ٣ لقوله عليه السلام خلق الله خلقه

في ظلمة ثم رشح عليهم من نوره فن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا) بعده هذا البيان (برهم-م يعدلون) يساوون به الا وان تقول عدلت هذا بذأى ساوئته به والباء في برهم-م صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين كفروا برهم-م يعدلون عنه أى يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون أى عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته (هو الذى خلقكم من طين) من لا ابتداء الغاية أى ابتداء خلق أصلكم بمعنى آدم منه (ثم قضى أجلا) أى حكم أجلا الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة أو الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثانى ما بين

العباد والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) الجعل ههنا بمعنى ان خلق أى وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعنى بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعنى بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خالق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ذكره البغوي بغيره (ثم الذين كفروا برهم يعدلون) يعنى والذين كفروا بعده هذا البيان برهم يشركون وأصل العدل مساواة الشئ بالشئ والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عدلا من خلقه فيعبدون الحجاره مع اقرارهم بان الله خالق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله برهم معنى عن أى عن برهم يعدلون ويصرفون من العدول عن الشئ وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا برهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمته وأحسنيت اليك وأنت تنكرنى وتجمعد احسانى اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى (هو الذى خلقكم من طين) يعنى انه تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذرئته بذلك لانه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر ان يشركون بالبعث وقالوا من يحيى العظام وهى رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة من تراب فقالت الارض انى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من وجه الارض غلظ الجراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم ثم عجنها بالماء العذب والمخ والمرو فلذلك اختلفت أحوالهم ثم قال الله الملك الموت رحيم جبريل وميكائيل الارض ولم ترجعها لاجرم أجمع لرواح من أخلق من هذا الطين بيده عن أبى موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاجر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه أبو داود والترمذى وأما قوله تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلف العلماء فى معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى نحوه ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل براتقيا وصولا لرحم زيد له من أجل البعث الى أجل العمروان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمرو زيد فى أجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول أجل الدنيا والاجل الثانى أجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقتدر فأجل كل انسان مقتدر معلوم عنده لا يزيد ولا ينقص والاجل الثانى هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقتدر عنده لا يعلمه الا الله تعالى وقال ابن عباس فى رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعنى النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعنى قدر مدة لا عمركم تنتهون بها وهو أجل مسمى عنده يعنى ان ذلك الاجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعنى فى اللوح المحفوظ الذى لا يطلع عليه غيره (ثم أنتم تموتون) يعنى ثم أنتم تشعكون فى البعث قوله عز وجل

الموت والبعث وهو البرزخ والاول النوم والثانى الموت أو الثانى هو الاول وتقديره وهو أجل مسمى أى معلوم وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة (ثم أنتم تموتون) تشعكون من المربة أو يجادلون من المراء ومعنى ثم استبعاد أن يموتوا فيه بعد ما ثبت انه محيىهم ومحييتهم وبعثهم

(وهو الله) مبتدأ وخبر (في السموات وفي الأرض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها كقوله وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو المعروف بالالهية فيه - ما وهو الذي يقال له الله فيها والاول تفريع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سرهم وجههم) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ ٤ أي وهو يعلم سرهم وجههم (ويعلم ماتكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ومن

في (وماتأنيهم من آية) للاستغراق وفي (من آيات ربهم) للتبعية أي وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا (بالحق لما جاءهم) أي بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن الذي تحدوا به ففجروا عنه (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزئون) أي أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن أي اخباره وأحواله يعني سيعلمون بأي شيء استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته (ألم يروا) يعني المكذبين (ثم أهلكنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مكناهم) في موضع جرف سنة لقرن وجمع على المعنى (في الأرض ما لم تكن لكم) التمكين في البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نخوماً أعطينا

(وهو الله في السموات وفي الأرض) يعني وهو إله السموات وإله الأرض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الأرض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات (يعلم سرهم وجههم) في الأرض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم سرهم وجههم في السموات وفي الأرض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض لا شريك له فيها والمراد بالسر ما يخفيه الإنسان في ضميره فهو من أعمال القلوب والجهر ما يظهره الإنسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفي عليه خافية في السموات ولا في الأرض (ويعلم ماتكسبون) يعني من خير أو شر بقي في الآية سؤال وهو ان الكسب أمان أن يكون من أعمال القلوب وهو السري بالسر أو من أعمال الجوارح وهو السمي بالجهر فالأفعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ماتكسبون يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فامعنى ذلك وأجيب عنه بأنه يجب حمل قوله ويعلم ماتكسبون على ما يستحقه الإنسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ولا يجوز جملة على نفس الكسب والالزم عطف الشيء على نفسه ذكره الامام فخر الدين (وماتأنيهم) يعني أهل مكة (من آية من آيات ربهم) يعني من المجهزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن (الا كانوا معرضين) يعني الا كانوا تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا بالحق) يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المجهزات (لما جاءهم) يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزئون) يعني فسوف يأتيهم اخبار استهزئتهم اذ عذبوا في الآخرة قوله تعالى (ألم يروا) انطاب لكفار مكة يعني ألم يروا هؤلاء المكذبون بآياتي (ثم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس وأهل كل زمان قرن سمو بذلك لاقتراهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنًا لانه زمان برمان وأمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازني انك تعيش قرناً فعاشر مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهل الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابي وتابعيهم وتابعي التابعين (مكناهم في الأرض ما لم تكن لكم) يعني أعطيناهم ما لم نعطيكم بأهل مكة وقيل أمددناهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) مفعول من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعاً في أوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر تسمى بذلك لنزوله منها (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) يعني وبجرفنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين (فأهلكناهم بذنوبهم) يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) يعني وخلقنا من بعدهم هلاك أولئك أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة اتباع أهلكتهم ما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عدداً وعدداً وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من قوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل (ولو زلزلنا عليك كتابنا في قرطاس) الآية قال السككي ومقاتل نزلت في انضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله

عاد وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) المطر ومعه (عليهم مدراراً) كثير وهو حال من السماء (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الأنهار والثمار وسقى الغيث المذلل (فأهلكناهم بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيئاً (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) بدلاً منهم (ولو زلزلنا عليك كتاباً) مكتوباً (في قرطاس) في ورق

(فلمسوه بأيديهم) هولاء تأكيده ثلاثا بقوله واسكرت أبصارنا ومن الخجج عليهم الغمى (لقال الذين كفروا ان هذا الاصحاح من بين) تغتوا وعناد
للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا هلا (أنزل عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم لم (ملك) يكلمنا انه نبي فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر)
لقضى أمره هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يجهلون بعد نزوله طرفه عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول
ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامر من قضاء الامر وعدم الانتظار جعل عدم الانتظار أشد من قضاء الامر لان متفاجأة
الشدة أشد من تنفس
الشدة (ولو جعلناه ملكا)
ولو جعلناه الرسول ملكا كما
اقترحوا لانهم كانوا يقولون
تارة لولا أنزل على محمد ملك
وتارة يقولون ما هذا الا
القمر وانه لا ينفع معهم شيء
يعنى على محمد (ملك) يعنى نراه عيانا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) يعنى لفرغ الامر ولو جب العذاب وهذه
سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) يعنى
انهم لا يجهلون ولا يؤخرون طرفه عين بل يجهل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعنى ولو أرسلنا
اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى الملائكة في صورهم التي
خافوا عليها ولو نظروا الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس
كاجابريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكجاء الملك الى داود عليه السلام في
صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهم السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل
في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشى عليه وقوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر
على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى
الآية وخلطنا عليهم ما يخاطبون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أم ملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية
اننا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتنووا بالمشكلة بها لئلا يترضى برسالة البشر ولو فعل الله عز
وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبس وانما كان تلبسا لانهم يظنون انه ملك وليس بملك أو يظنون
انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبسا لانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انما هو بشر مثلكم ولورأوا الملك رجلا لضعفهم من اللبس مثل ما لحق بضعفائهم فيكون اللبس نقمة
من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من الخلط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل (ولقد
استهزئ برسل من قبلك) يعنى كما استهزؤا بلك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليمة له
عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (خاف)
أى فتزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخرنا منهم ما كانوا يستهزؤن) والمعنى فتزل العذاب بهم ووجب
عليهم من النعمة والعذاب جزءا استهزؤهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان
قبلهم بأنبيائهم فيتنزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سيروا في الارض) أى قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في
الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظرفكرة
وعبرة وهو بالصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم الى
آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى كيف كان
جزاء المكذبين وكيف أورتهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل

ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسول الله فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس يعنى من عندي يعنى مكتوبا في قرطاس وهو الكاغذ والعجينة التي يكتب فيها
(فلمسوه بأيديهم) يعنى فعابوه ومسوه بأيديهم واغاذ كرا اللبس ولم يذكر المعايينة لانه أبغى في ايقاع العلم
بالشيء من الرؤية لان المراتب قديدها الخيلات كالسحر ونحوه بخلاف المسوس (لقال الذين كفروا
ان هذا الاصحاح من بين) يعنى لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألوا لما آمنوا به ولقالوا هذا اصحاح من بين
القمر وانه لا ينفع معهم شيء المسبق فيهم من على بهم (وقالوا) يعنى مشركى مكة (لولا) يعنى هلا (أنزل عليه)
يعنى على محمد (ملك) يعنى نراه عيانا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) يعنى لفرغ الامر ولو جب العذاب وهذه
سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) يعنى
انهم لا يجهلون ولا يؤخرون طرفه عين بل يجهل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعنى ولو أرسلنا
اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى الملائكة في صورهم التي
خافوا عليها ولو نظروا الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس
كاجابريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكجاء الملك الى داود عليه السلام في
صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهم السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل
في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشى عليه وقوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر
على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى
الآية وخلطنا عليهم ما يخاطبون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أم ملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية
اننا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتنووا بالمشكلة بها لئلا يترضى برسالة البشر ولو فعل الله عز
وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبس وانما كان تلبسا لانهم يظنون انه ملك وليس بملك أو يظنون
انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبسا لانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انما هو بشر مثلكم ولورأوا الملك رجلا لضعفهم من اللبس مثل ما لحق بضعفائهم فيكون اللبس نقمة
من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من الخلط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل (ولقد
استهزئ برسل من قبلك) يعنى كما استهزؤا بلك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليمة له
عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (خاف)
أى فتزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخرنا منهم ما كانوا يستهزؤن) والمعنى فتزل العذاب بهم ووجب
عليهم من النعمة والعذاب جزءا استهزؤهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان
قبلهم بأنبيائهم فيتنزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سيروا في الارض) أى قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في
الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظرفكرة
وعبرة وهو بالصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم الى
آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى كيف كان
جزاء المكذبين وكيف أورتهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل

حيث أهل كوا من أجل استهزائهم ومنهم متعلق بسخر واكفوله فيسخر من منهم والضمير للرسل والدال مكسورة عند أبي عمرو وعاصم
لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء (قل سيروا في الارض) ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم
انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم
انظروا بالباحة السير في الارض للتجارة وغيرها واجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بشم لتباعد ما بين الواجب والمباح

(قل إن مافي السموات والارض) من استغفهم وما يعني الذي في موضع الرفع على الابتداء وان خبره (قل لله) تقرر لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيقوا منه شيئاً إلى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به أنه وعد ذلك وعداؤكم كذا وهو منجز لا محالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم

(قل إن مافي السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين برهم لمن ملك مافي السموات والارض فان أجاوبك والأفأ خبرهم ان ذلك لله الذي قهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لا لاصنام التي تعبدونها أنتم فانهم اموات لا تملك شيئاً ولا تملك لنفسه هاضراً ولا نفعاً وانما أمره بالجواب عقب السؤال ليعلم ان يكون أبلغ في التأكيده وأكثري في الحجته ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرّفه في سائر مخلوقاته أردفه بكل رحمة واحسانه اليهم فقال تعالى (كتب على نفسه الرحمة) يعني انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بأن رحيم بعباده وأنه لا يجهل بالعقوبة بل يقبل التوبة والالانابه ممن تاب وأناب (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي البخاري ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاده البخاري على العرش ثم اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى رفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه زاد البخاري في روايته ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يمس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ومسلم ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والحوام فبها يتعاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (م) عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض رحمة فبها تعطف الوددة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (ق) عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبغي اذا وجدت صبيها في السبي أخذته فألصقته بيظنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله هي تقدر أن لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله تعالى (ليجمعنكم) اللام في قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم (اليوم القيامة) يعني في يوم القيامة وقيل معناه في قبوركم الي يوم القيامة (لأرباب فيه) أي لا شك فيه انه آت (الذين خسروا أنفسهم) يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم باتخاذهم الاصنام ففرضوا أنفسهم لحظ الله وأليم عقابه فكانوا كمن خسروا شيئاً وأصل الخسر الغبن يقال خسرت الرجل اذا غبت في بيعه (فهم لا يؤمنون) يعني لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذي حلهم على الامتناع من الايمان قوله تعالى (وله ما سكن في الليل والنهار) يعني وله ما استقر وقيل ما سكن وما تحرك فاكتفى بذلك كراهة واحدة عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره (وهو السميع) لا قوا لهم وأصواتهم (العليم) بسر أئهم وأحوالهم قوله عز وجل (قل أغير الله اتخذوليا) قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين آباءه أنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد أغير الله اتخذوليا يعني بأومعبودا وناصر او معينا وهو استغفهم ومعناه الانكار أي لا اتخذ غير الله وليا (فاطر

أوعدهم على اغفالهم النظر وانرا كهم به من لا يقدر على خلق شيء يقول (ليجمعنكم الي يوم القيامة) فيجازيكم على ائسراكم (لأرباب فيه) في اليوم أو في الجمع (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أي أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر (فهم لا يؤمنون) وقال الاخفش الذين بدل منكم في ليجمعنكم أي ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الاول لان سيمويه قال لا يجوز مررت في المسكين ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الباء أو الكاف لان مافي غاية الوضوح فلا يحتاجان الى البدل والتفسير (وله) عطف على لله (ما سكن في الليل والنهار) من السكن حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر كقوله تقسم الحزأى الحزأ البرد وذكر السكون لانه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا

انه خالق الكل ومدبره (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه السموات الماوان (قل أغير الله اتخذوليا) ناصر او معبود او هو مفعول ثان لا اتخذوا الا قول غير وانما أدخل همزة الاستفهام على مفعول لا اتخذوا لانه الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم (فاطر

السموات والارض) بالجرصة لله أي مختزعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر v حتى اختصم الى اعرايين في بنى

فقال أحدهما أنا فطرتهما أي
ابتدأتهما (وهو يطمع ولا يطمع)
وهو يرزق ولا يرزق أي
المنافع كلها من عنده ولا يجوز
عليه الانتفاع (قل اني أمرت
أن أكون أول من أسلم)
لان النبي سابق أمتيه في
الاسلام كقوله وبذلك أمرت
وأنا أول المسلمين (ولا تكون
من المشركين) وقيل لي
لا تكون من المشركين ولو
عطف على ما قبله لفظ القيل
وأن لا أكون والمعنى أمرت
بالاسلام ونهيت عن الشرك
(قل اني أخاف ان عصيب
ربي عذاب يوم عظيم) أي
اني أخاف عذاب يوم عظيم
وهو القيامة ان عصيت ربي
فالشرط معترض بين الفاعل
والمفعول به محذوف الجواب
(من يصرف عنه) العذاب
(يوسف قد قدره) الله الرحمة
العظمى وهي النجاة من
يصرف حزة وعلى وأبو بكر
أي من يصرف الله عنه
العذاب (وذلك الفوز المبين)
النجاة الطاهرة (وان عيسك
الله بضر) من مرض أو فقر
أو غير ذلك من بلايا (فلا
كاشف له الا هو) فلا قادر
على كشفه الا هو (وان
عيسك بخير) من غنى أو صحة
(فهو على كل شيء قدير) فهو
قادر على ادامته وما زالت
(وهو القاهر) مبتدأ وخبر
أي الغالب المقتدر (فوق
عباده) خبر بعد خبر أي عال

السموات والارض) أي خالق السموات والارض ومبدعها وموسعها (وهو يطمع ولا يطمع) يعني وهو
يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته أن
يطعم الخلق لا يحتاجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق ومن كان
كذلك وجب أن يتخذ بالانصار ووليا ومعبودا (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه
الامة والاسلام يعني الاستسلام يعني أمرت أن أسلم لامر الله وأتقاه الى طاعته (ولا تكون من
المشركين) يعني وقيل لي يا محمد لا تكون من المشركين (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعني
قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري ان ربي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن
عبادة ثنى سواه واني أخاف ان عصيت ربي فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من
يصرف عنه) يعني العذاب (يومئذ) يعني يوم القيامة (فقد رجه) يعني بان أنجاه من العذاب ومن أنجاه من
العذاب فقد رجه وأناله الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب
فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه (وذلك الفوز المبين) يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة
هو النجاة والانساح المبين قوله تعالى (وان عيسك الله بضر) يعني بشدة وبأية والضر اسم جامع لما ينال
الانسان من ألم ومكره وغير ذلك مما هو في معناه (فلا كاشف له الا هو) يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز
وجل (وان عيسك بخير) يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور
ونحو ذلك (فهو على كل شيء قدير) يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على أن عيسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر
على ايصال الخير إليك وانه لا يدفع ذلك الا هو فأتخذه وليا وانصارا ومعينا وهاذا الخطاب وان كان للنبي
صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد والمعنى وان عيسك الله بضر أيها الانسان فلا تكشف لك الضر
الا هو وان عيسك بخير أيها الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس قال
كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله
يحفظك اذ سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ
لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليكم
رفعت الاقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه
وان استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم
ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وان يغلب العسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء
نحو هذا ومثله بطوله في مسند أحمد بن حنبل قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو الغالب
لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته والقاهر والقاهر معناه الذي يدير خلقه بما يريد فيقع في ذلك
ما يشق عليهم وينقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رده وتغييره
والخروج من تحت قهره وتقديره وهما معنى القاهر في صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذي لا يهزمه
شيء أرادته ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من
الاقدار والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفع عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعلا عليه
بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعب خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه
تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب
عباده المذل لهم العالي عليهم بتدليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة
الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل (وهو الحكيم) يعني في أمره وتغييره عباده (الخبير) يعني باعمالهم
وما يصلحهم قوله عز وجل (قل أي شيء أكبر شهادة) قال الكاظمي أي أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد ينع غيره عن بلوغه (وهو الحكيم) في تنفيذ مراده (الخبير) بأهل القهر من عباده (قل أي شيء أكبر
شهادة) أي شئ مبتدأ أو أكبر خبره وشهادة تمييز وأي كلمة يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت اسما تنفهما كان جوابا مسمى باسم

على الله تعالى وهذا الان
الشيء اسم للوجود لا يطلق
على المعدوم والله تعالى
هو وجود فيكون شيئاً ولذا
تقول الله تعالى شيء لا
كلا شيء ثم ابتداء (شهادتي
وبينكم) أي هو شهيد بيني
وبينكم ويجوز أن يكون
الجواب الله شهيد بيني
وبينكم لأنه إذا كان الله شهيداً
بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة
شهادته (وأوحى إلى هذا
القرآن لا نذركم به ومن بلغ)
أي ومن بلغه القرآن إلى قيام
الساعة في الحديث من بلغه
القرآن فكأنما رأى محمداً
صلى الله عليه وسلم ومن في
محل النصب بالعطف على
كم والمراد به أهل مكة والعائد
إليه محذوف أي ومن بلغه
وقال بلغ ضمير القرآن
(أنتم) لتشهدون أن مع الله
آلهة أخرى استهزاء منكراً
وتبكيتم (قل لا شهد بما
تشهدون وكرر (قل)
توكيداً (إنما هو الواحد)
ما كافي لأن العمل وهو
مبدأ وأله خبره وواحد
صفة أو بمعنى الذي في محل
النصب بان وهو مبدأ وأله
خبره والجملة صلة الذي
وواحد خبر إن وهذا الوجه
أوقع (وأنى يرى) مما
تشركون) به (الذين آتيناهم
الكتاب) يعني اليهود
والنصارى والكتاب التوراة

فقالوا يا محمد أرنا من يشهد أنك رسول الله فأنالنا نرى أحداً يصعدك ولقد سألتنا عنك اليهود والنصارى
فزعوا أن ليس لك عندهم ذكر فأرسل الله عز وجل قلبه يعني يا محمد دلطوا المشركين الذين يكذبونك
ويجحدون نبوتك من قومك أي شيء أكبر شهادة يعني أعظم شهادة فإنهم أجابوك وال (قل) أنت
يا محمد (الله شهيد بيني وبينكم) قال مجاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل قريشاً أي شيء أكبر
شهادة ثم أمره أن يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهدني بالحق وعليكم بالمأطل الذي تقولونه
والحاصل أنهم طلبوا شاهد مقبول القول يشهد له بالنبوة فيبين الله تعالى به هذه الآية أن أكبر الأشياء
شهادة هو الله تعالى ثم بين أنه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله (وأوحى إلى هذا القرآن لا نذركم به) يعني أن
الله عز وجل يشهدني بالنبوة لأنه أوحى إلى هذا القرآن وهو مجزء لانتم أنتم الفصحاء البلغاء وأصحاب
اللسان وقد عجزتم عن معارضة فكان مجزء وإذا كان مجزء كان نزوله على شهادة من الله بأمره رسول الله وهو
المراد بقوله لا نذركم به يعني أوحى إلى هذا القرآن لا تخوفكم به وأحذركم مخالفة أمر الله عز وجل (ومن
بلغ) يعني وأنذر من بلغه القرآن ممن يأتي به إلى يوم القيامة من العرب والجمهم وغيرهم من سائر الأمم
فكل من بلغ إليه القرآن وسمعه فآلني صلى الله عليه وسلم نذيره قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن
فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً
فأية نبأ أمعه من النار ثم شرح ما يتعلق بهذا الحديث في تفسيره الأمر بإبلاغ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
إلى من بعده من قرآن وسنة وقوله وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج المخرج الضيق والآنم ومعنى الحديث أنه
مهما قلتم عن بني إسرائيل فانهم كانوا في حال أكثر مما قلتم وأوسع وليس هذا فيه إباحة الكذب والأخبار عن
بني إسرائيل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على بعض البلاغ وإن لم يتحقق ذلك بنقل لأنه أمر قد
تعدى لربعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ
سمع مناشئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى
من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم
أخرجه أبو داود وموقوفاً وقوله تعالى (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) يعني قل يا محمد دلطوا
المشركين الذين يجحدون نبوتك واتخذوا آلهة غيري أنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى
يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها وأما قال أخرى لان الجمع يلحقه التأنيث كما قال تعالى والله الاسماء الحسنى
فأبال القرون الأولى ولم يقل الأولى ولا الأولى (قل لا أشهد) يعني قل يا محمد دلطوا المشركين لا أشهد بما
تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أجد ذلك وأنكره (قل إنما هو إله واحد) يعني قل لهم إنما الله إله واحد
ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد (وأنى يرى) مما تشركون) يعني وأنى يرى من كل شيء تعبدونه سوى
الله وفي هذه الآية دليل على إثبات التوحيد لله عز وجل وإبطال كل معبود سواه لان كلمة إنما تنفي الحصر
ولفظ الواحد صريح في التوحيد وفي الشريك فثبت بذلك إيجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبرؤ من
كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتي بالشهادتين ويبرأ من كل دين خالف
الاسلام لقوله تعالى وأنى يرى مما تشركون قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
آبائهم) المراد بالذين آتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم وذلك أن كنار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أناساً عنك اليهود والنصارى فزعوا أنه ليس لك
عندهم ذكر وأنكر وأمر فته بين الله عز وجل أن شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الآية أنهم

(الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب المجاحدين (فهم لا يؤمنون) به (ومن أظلم) استفهام يتضمن معنى النفي أي لا أحد أظلم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير موضعه وأشنعته اتخاذ الخلق معبودا (من افترى) اختلق (على الله كذبا) فيصفه بما لا يليق به (أو كذب بآياته) بالقرآن والمجربات (أنه) أن الأمر والشأن (لا يفلح الظالمون) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحق حيث قالوا الملائكة بنات الله وهو القرآن والمجربات سمرا (ويوم نحشروهم) هو ٩ مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشروهم

(جميعا) حال من ضمير المفعول (ثم نقول للذين أشركوا) مع الله غيره توبيخا وبالباية فيها يعقوب (أين شركاؤكم) آلهتهم التي جعلتموها شركاء الله (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان (ثم لم تكن) وبالباية حجة وعلى (فتنتهم) كفرهم (الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقتلوا عليه إلا الجحود والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من الدين به أو ثم لم يكن جوابهم الآن قالوا قسمي فتنة لأنه كذب ورفق الفتنة مكي وشامى وحقق فن قرأتكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أي لم تكن فتنتهم الأقولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الاسم يكن أي لم يكن فتنتهم الأقولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة جعل على المقالة ربنا حجة وعلى النداء أي ياربنا وغيرهما بالجر على اللفظ من اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) يقولهم ما كنا مشركين قال

يعرفونه وأنهم كذبوا في قولهم أنهم لا يعرفونه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله ابن سلام قال له عمر بن الخطاب أن الله عز وجل أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بكفة الذين آمنوا بهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأننا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذاك قال أشهد أنه رسول الله - حقوا لا أدري ما يصنع النساء وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) يعني أنكروا أنفسهم وغبنوها وأوبقوها في نار جهنم بإنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما أنه صفة للذين الأول ويكفون المقصود من ذلك وعيد للمعاندن الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويحسدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعني به والقول الثاني أنه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالأول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكرنا في معنى الخسار وجهين أحدهما أنه الملاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وإنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني أنه جعل لكل واحد من بني آدم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم أن له شريكا من خلقه والهايم يمد من دونه كما قال المشركون من عبدة الأصنام وأدعى أن له صاحبة وولدا كما قالت النصراني (أو كذب بآياته) يعني كذب بحجته وأعلام أدلته التي أعطاهم الله كما كذبت اليهود بمجربات الأنبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم (أنه لا يفلح الظالمون) يعني أنه لا ينجح القائمون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل (ويوم نحشروهم جميعا) أي اذكر يوم نحشروهم العابدين والعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعني أنها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل (ثم لم تكن فتنتهم) يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤلهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم قبل لهم فتنة قال الزاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك أن الرجل يفتن محبوب ثم تصيبه فيه محنة فيمتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته إلا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا عجمية الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للأصنام الآن تبرؤا منها وهو قوله تعالى (الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك إذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لأهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا نجو مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل إلى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على أنفسهم يعني اعتدوا بهم بالباطل وتبرؤهم من الأصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعني زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يذنبون وهو قولهم أن الأصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى (ومنهم من يستمع إليك) الآية قال الكلبي اجتمع أبو سفيان وخزيم بن

٢ خازن في مجاهد إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا نجو مع أهل التوحيد فإذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) إلهيته وشفاعته (ومنهم من يستمع إليك) حين تتلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدري ما يقول محمد إلا أنه يحترق لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان

ان لا يراه حقا فقال أبو جهل كلا فتركت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أعظية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) ١٠

ثقل يمنع من السمع ووجد الوقول أنه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا في الأصل

على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقولون الذين كفروا) حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملته قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون اذا جاؤك في موضع الجزاء يعني حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا نفس بـ له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك وينكرونك وفسر مجادلهم بأنهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الاساطير اسطورة (وهم) أي المشركون (ينفون عنه) ينفون الناس عن القرآن أو عن الرسول واتباعه والايان به (وينفون عنه) يبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم وما يشعرون) أي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وفيه دل على به أبو طالب لانه كان ينهى قريش عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينهى عنه

حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي اسناخلف والحارث بن عاصر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قبيصة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول الا اني أراه يحترك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان اني لا أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقترب شي من هذا وفي رواية لموت أهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يعني أعظية جمع كنان (أن يفقهوه) يعني لا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) يعني وجعلنا في آذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايان فتقبله ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقرروا بها الدالة على صدقك (حتى اذا جاؤك يجادلونك) يعني انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن انما جاؤا ليجادلوك ويخاصموك لا يؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا أساطير الاولين) يعني أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وما سطر ورايعي وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطورة وقيل واحد هاسطرو وأسطار جمع وأسطير جمع الجمع فعلى هذا القول قائل لم يعبوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله أحيب عنه بأنهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين يعني أنه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو أخبار مجتزئة كما تروى أخبار الاولين وقيل في معنى أساطير الاولين انما الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشككة يقول قائلهم أخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثالا لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التي لا أصل لها قوله عز وجل (وهم ينفون عنه) يعني ينفون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينفون عنه) يعني ويتبعدون عنه بأنفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يعنون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينفونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في أنى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم لم كان ينهى المشركين عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينهى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روى أنها اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذ شابا من أصحابنا وجهوا دفع اليك محمد فقال ما أنصفتموني أدفع اليكم ابني محمد التقتلوه وأرأى لكم انكم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم دعا أبا طالب الى الايمان فقال لولا تعبرني قريش لا قررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حبيت وقال في ذلك آياتنا

والله ان يصلوا اليك يجمعهم * حتى أوسد في التراب ديننا

فاصدع بأمرك ما عليك غصاصة * وابشر بذلك وقتر منه عيوننا

ودعوتني وعرفت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أميننا

وعرضت ديننا فدللت بانه * من خير أديان البرية ديننا

لولا الملامة أو حذر مسببة * لوجدتني مع محابذك ميينا

وقوله تعالى (وان يهلكون الا أنفسهم) يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعالهم الا عليهم (وما يشعرون) يعني بذلك قوله تعالى (ولوترى اذ وقفوا على النار) يعني في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان أي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولوترى الكفار الذين ينفون عنك وينفون عنك يا محمد في تلك الحالة لا رأيت أمرا يحياهم وموقفا ظاهريا (فقالوا) يعني الكفار (بالياتناثرة)

فلا يؤمن به والاول أشبه (ولوترى) حذف جوابه أي ولوترى لشاهدت أمرا عظيما (اذ وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها وأوجبوا على الصراط فوق النار (فقالوا بالياتناثرة) الى الذي ياتهم الرادى الى النيا يؤمنوا وتمتعهم ثم ابتدوا بقوله

(ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كما أنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حمزة وعلى وحده عن
على جواب النبي بالواو وباضمار أن ومعناه ان ردنا لم نكذب ونكذب من المؤمنين وافقهم في ونكون شامى (بل) لا ضرب اب عن الوفاء
بما تذكروا (بدلهم) ظهر لهم (ما كانوا يخفون) من الناس (من قبل) في الدنيا من قبايحهم وقصائعهم في صفتهم وقيل هو في المنافقين وانه
يظهر نفاقهم الذي كانوا يستره وفي أهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة ١١ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ولورثوا) الى الدنيا بعد
وقوفهم على النار (لعادوا
لناسه واعنه) من الكفر
(وانهم لم يكذبون) فيما
وعدوا من أنفسهم لا
يوفون به (وقالوا) عطف على
لعادوا أى ولورثوا الكفروا
ولقالوا (ان هي الاحيائنا
الدنيا) كما كانوا يقولون
قبل معاينة القيامة أو على
قوله وانهم لم يكذبون أى
وانهم لم يقوم كاذبون في كل
شيء وهم الذين قالوا ان هي
الاحيائنا الدنيا وهي كناية
عن الحياة أو هو ضمير القصة
(وما نحن بمبعوثين ولورثي
اذوقوا على ربهم) مجاز
عن الحبس للتوبيخ والسؤال
كما يوقف العبد الجاني بين
يدي سيده ليعاتبه أو وقفوا
على جزاء ربهم (قال)
جواب لسؤال مقدر كأنه
قيل ماذا قال لهم ربهم اذ
وقفوا عليه فقهيل قال
(أليس هذا) أى البعث
(بالحق) بالاكثان الموجود
وهذا تعبير لهم على التكذيب
للبعث وقولهم لما كانوا
يسمعون من حديث البعث
ما هو بحق (قالوا بلى وربنا)
أقرؤا وكذا الاقرار بالبين

يعني الى الدنيا (ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) غموا أن يردوا الى الدنيا مرة أخرى حتى يؤمنوا
ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل) يعني ليس
الامر كما قالوا الورثوا الى الدنيا لا غموا بل ظهر لهم ما كانوا يسترون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل
ظهر لهم ما كانوا يخفون من قلوبهم والله ربنا كما نكذبهم ما أخفوا شركهم وكتموا فظهره الله عليهم حين
شهدت عليهم جوارحهم عما كتموا وستر ما من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون
الآية في المنافقين (ولورثوا لعداؤهم والمنافقين) يعني في قولهم لم يردنا الى الدنيا لم نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هي الاحيائنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا خبر عن حال
منكرى البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأنها لها وما أعد الله
في الآخرة من الثواب للمؤمنين والمطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والمعاصين قالوا يعني الكفار ان هي
أى ما هي الاحيائنا الدنيا أى ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد
الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لورثوا الى الدنيا لقالوا ان
هي الاحيائنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل (ولورثي اذوقوا على ربهم) يعني على حكم ربهم وقضائه
ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أى يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث
والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا نبث ولا نشور حقا (قالوا بلى وربنا)
يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فأجابوا وقالوا بلى والله الحق وقيل تقول لهم خزنة النار بأمر الله أليس
هذا بالحق يعني البعث حقا فأجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف في موقف ينكرون
ويقولون والله ربنا كما نكذبهم ما أخفوا شركهم وكتموا فظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم
عما كتموا وستر ما من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المنافقين
أى يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بأمر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون
ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس (بما كنتم تكفرون) يعني هذا العذاب بسبب كفرهم
وبخودكم البعث بعد الموت قوله تعالى (قد خسروا الذين كذبوا بآيات الله) يعني خسروا أنفسهم بسبب
تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم
وحصول العذاب الاليم في دار العقاب (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة) يعني جاءتهم الساعة بغتة وتسمى
القيامة ساعة لانها تتفجأ الناس في ساعة لا يعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة
الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة أو أقل من ذلك (قالوا) يعني منكرى البعث
وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد (يا حسرتنا) يعني ينادي امتنا والحسرة التلهف على
الشيء الفائت وذكري على وجه النداء للبالغته والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة (على
ما فرطنا) يعني قصرنا (فيها) يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على
الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري لها والالف في قوله فيها تعود الى
الصفة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسروا الذين كذبوا بآيات الله عليهم من ذكرها اذ كان معلوما أن الخسران
لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بآيات الله ببيعهم الايمان الذي

(قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفرهم (قد خسروا الذين كذبوا بآيات الله) يباوغي الآخرة وما يتصل بها وهو محجى على
طاهره لان منكر البعث منكر للرؤية (حتى) غاية التكذيب لان خسرتهم لا غاية له (اذا جاءتهم الساعة) أى القيامة لان مدة
تأخرها مع تأبد ما بعده ساعة واحدة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال يعني باغتة وأعلى المصدر كأنه قيل بقتهم الساعة بغتة وهي ورود
الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته (قالوا يا حسرتنا) نداء تفجع معناه يا حسرة احضري فهذا أو انك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) في الحياة
الدنيا وفي الساعة أى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها

(وهم يحملون أوزارهم)
 آثمهم (على ظهورهم)
 خص الظهور لأن المعهود حمل
 الأثقال على الظهور كما عهد
 الكسب بالأيدي وهو
 مجاز عن لزوم على وجه
 لا يفارقهم وقيل إن الكافر
 إذا خرج من قبره استقبله
 أفعى شئ صورة وأخبثه ريحا
 فيقول أنا عملك السيئ فطالما
 ركبتي في الدنيا وأنا أركبك
 اليوم (ألا ساء ما يزرون) ينس
 شيئا يحملونه وأفاد الأتظيم
 ما يذكر بعده (وما الحياة
 الدنيا إلا لعب ولهو) جواب
 لقولهم إن هي إلا حياتنا
 الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما
 لا ينفع واللهم الميل عن الجد
 إلى الهزل قيل ما أهل الحياة
 الدنيا إلا أهل لعب ولهو
 وقيل ما أعمال الحياة الدنيا
 إلا لعب ولهو لأنها لا تعقب
 منفعة كما تعقب أعمال
 الآخرة المنافع العظيمة
 (ولدار) مبتدأ (الآخرة)
 صفته ودار الآخرة بالاضافة
 شامخ أي ودار الساعة
 الآخرة لأن الشئ لا يضاف
 إلى صفته وخبر المبتدأ على
 القراءتين (خير للذين يتقون)
 وفيه دليل على أن ماسوي
 أعمال المتقين لعب ولهو
 (أفلا يعقلون) بالتاء مدني
 وحفص ولما قال أبو جهل
 ما تكذبك يا محمد أنك عندنا
 لمصدق وإنما تكذب ما جئتنا
 به نزل (قد علم أنه) الهاء
 ضمير الشأن (ليحزنك الذي

يقولون

يستوجبون به رضوان الله وحنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك
 حتى تقوم الساعة فإذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا الحلقهم من الخسران في بيعهم قالوا حيث نأبأ أحسننا على
 ما قرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حشر تنسا
 قال يرى أهل النار منازلهم في الجنة فيقولون يا حشر تنسا وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم) يعني أنقالهم
 (على ظهورهم) والاوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته إذا حملته وانما قيل
 للذنوب أوزار لأنها تنقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن
 شئ صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فأركبني فقد طالما ركبك في
 الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا يعني ركبانا وأما الكافر فيستقبله أفعى شئ صورة وأنه
 ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتي في الدنيا فأنا اليوم أركبك فذلك
 معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمر بن هاني يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل
 فيبيع كل ما رأى هول صورته وقيحه زاده خوفا فيقول له بنس الجليس أنت فيقول أنا عملك طالما ركبني
 فلا أركبك اليوم حتى أخريك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى
 فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يد كرفي الوزن فقد يد كرفي
 الحال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى أنهم هم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم هم مقاساة
 تثقل ذلك عليهم هم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من
 شدة العذاب وقيل في معنى الآية أن أوزارهم لا تزيأهم كما تقول شخصه نصب عيني أي ذكره ملازم لي (ألا
 ساء ما يزرون) يعني ينس الشيئا يحملونه وقال ابن عباس بنس الحمل حملوا قوله عز وجل (وما الحياة
 الدنيا إلا لعب ولهو) أي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم إن هي إلا حياتنا
 الدنيا وما نحن بعبودين فقال الله رداعلمهم ومكذبهم وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة
 حياة المؤمن أو الكافر قولان أحدهما أن المراد به الحياة الكافرة لأن المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا إلا خيرا
 لأنه يخصه من أيام حياته من الأعمال الصالحة والطاعة ما يكون سببا لحصول السعادة في الآخرة وأما
 الكافر فإن كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والنفاق والقول الثاني أن
 هذا عام في حياة المؤمن والكافر لأن الإنسان يلتذ باللعب والهوى ثم عند انقضائه تخصص له الحياة
 والندامة لأن الذي كان فيه من اللعب والهوى سر يع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير أن المراد بهذه الحياة
 حياة المؤمن والكافر وأنه عام فيهما وإنما شابه الحياة الدنيا باللعب والهوى لسرعة زوالها وقصر عمرها
 كالشيء الذي يلعب به وقيل معناه أن أمر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فأما فعل الخير والعمل الصالح فهو
 من فعل الآخرة وإن كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لأنه لا يجدي
 شيئا ولا شغلهم عما أمروا به نسبوا إلى اللعب والهوى وقوله تعالى (ولدار الآخرة) يعني الجنة واللام فيه
 لام القسم تقديره والله لدار الآخرة (خير) يعني من الدنيا أو أفضل لأن الدنيا سرية الزوال والانقطاع
 (للذين يتقون) يعني الشرك وقيل يتقون اللعب والهوى (أفلا يعقلون) إن الآخرة خير من الدنيا فيعلمون
 لها قوله تعالى (قد علم أنه ليحزنك الذي يقولون) يعني قد علم يا محمد أنه ليحزنك الذي يقولون المشركون لك قال
 السدي التقي الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لا يجهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد
 أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل بل والله إن محمد الصادق وما كذب
 محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصى بالهواء والسقاية والحاجة والندوة والنبوة فذا يكون لسائر قريش فأنزل
 الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتمك ولا نكذبك ولا كنا نكذب
 الذي جئت به فأنزل الله هذه الآية عن علي بن أبي طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنا لا نكذبك
 ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله فيهم فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله فيحسدون أخرجه

فانهم لا يكذبونك) لا ينسبونك الى الكذب وبالتخفيف نافع وعلى من اكد به اذا وجد كاذبا (ولكن الظالمين بايات الله يجمعون) من اقامة
الظاهر مقام المضمروف فيه دلالة على انهم ظلموا في جودهم والباطل يعلق بجمعهم او بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى ان تكذيبك امر
راجع الى الله لان رسوله المصدق بالمحزرات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله ١٣ لان تكذيب الرسل تكذيب المرسل

(ولقد كذبت رسل من قبلك)

تسليمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على ان
قوله فانهم لا يكذبونك ليس
بنفي لتكذيبه وانما هو من
قولك لغلام اذا أهانه
بعض الناس انهم لم يهينوك
وانما أهانوني (فصبروا)
والصبر حبس النفس على
المكروه (على ما كذبوا
وأوذوا) على تكذيبهم واذا
حتى آتاهم نصرنا ولا مبتدل
لكلمات الله) لمواعيده من
قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون
اننا لننصر رسلنا (ولقد جاءك
من نبا المرسلين) بعض انبيائهم
وقصصهم وما كابدوا من
مصاير المشركين وأجاز
الاخفش أن تكون من
زائدة والفعل نبا المرسلين
وسميويه لا يجوز زيادتها في
الواجب كان يكبر على النبي
صلى الله عليه وسلم كفر قومه
واعراضهم ويجب محي
الآيات ليسلموا فتزل (وان
كان كبر عليك) عظم وشق
(اعراضهم) عن الاسلام
(فان استطعت أن تتبني نفقا)
منفذاً تنفذ به الى ماتحت
الارض حتى تطلع لهم آية
يؤمنون بها (في الارض)
صفة لنفقا (أو سلما في

الترمذي من طريقين وقال في أحدهما وهـ ذأصح في هـ هذه الآية تسليمه للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية
عما يواجه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وان ليس بكذاب وانما جعلهم على تكذيبه في الظاهر الحسد
والظلم (فانهم لا يكذبونك) يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق (ولكن الظالمين) يعني
الكافرين (بايات الله يجمعون) يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القرآن بعدم معرفة صدق الذي أنزل عليه
لعمادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غـ يرهم ويحدوا بها واسية فتنها أنفسهم ظلموا وعلموا وقيل ظاهر الآية
يدل على انهم لم يكذبوا محمد صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا آيات الله وهي القرآن الدال على صدقه فعلى هذا
يكون المعنى فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا وصحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل
(ولقد كذبت رسل من قبلك) يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذب قومك (فصبروا على ما كذبوا
وأوذوا) يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على آذاهم فاصبر أنت يا محمد
على تكذيب قومك وآذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسليمه للنبي صلى الله عليه وسلم
وازالة خزنه على تكذيب قومه له وآذاهم اياه (حتى آتاهم نصرنا) يعني باهلاك من كذبهم (ولا مبتدل
لكلمات الله) يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب اننا لنأمر رسلنا
ولا خلاف فيما أوعدنا الله وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبا المرسلين) يعني ولقد أنزلت عليك في القرآن من
أخبار المرسلين ما فيه تسليمه لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول أصابنا من سطر
وقال غيره بل هي للتبعية لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء وأخبارهم
كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم)
ذكر ابن الجوزي في سبب نزوله هذه الآية ان الحارث بن عاصم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
قريش فقال ائتما بآية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آمنا بك فتنزل هـ هذه الآية رواه
أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن
تصديقك والايان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصر على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا
سألوه آية أحب أن يريهم الله ذلك ثم عافى ايمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت أن تتبني) يعني تطلب
وتخذ (نفقا في الارض) يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر (أو سلما
في السماء) يعني أو تتخذ مصعدا الى السماء والسمم المصعد وهو مشتق من السلامة فتأتيهم بآية يعني
بالآية التي سألوا عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان
تذهب في الارض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب
الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا أن يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم
ولا يتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أخبر
الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله
تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى (فلا تكونن من الجاهلين) يعني بأن لو شاء الله لجمعهم على
الهدى وانه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشهد تحريك على تكذيبهم اياك ولا تجزع من
اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغاظه الخطاب بتبعيد اله

السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك
والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطيع أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتي بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى) لجمعهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور
رحمه الله (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله

(انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقوله سم (والموقى) مبتدأ أي الكفار (بمعهم سم الله ثم اليه
يرجعون) فيخشد يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وقالوا لولا نزل عليه) هلا أنزل عليه (آية من ربه) كما تقدم من جعل الصفا ذهابا وتوسيع أرض
مكة وتغيير الأنهار خلا لها (قل ان الله ١٤ قادر على أن ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على أن ينزل تلك

عن هذه الحالة قوله عز وجل (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني المؤمنين الذين فتح الله أسماع قلوبهم فهم
يسمعون الحق ويستجيبون له ويؤمنونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموقى) يعني
الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون (بمعهم الله) يعني يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) فيجزبهم بأعمالهم
(وقالوا) يعني رؤساء كفار قريش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك يشهد محمد بالنبوة وقيل
الآية المجزة بالهجرة كمثل مجزات الانبياء (قل) يعني قل لهم يا محمد (ان الله قادر على أن ينزل آية) يعني انه
تعالى قادر على إيجاد ما طلبوه وانزال ما اقتروه من الآيات والمجزات الباهرات (ولكن أكثرهم لا يعلمون)
يعني ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الآيات
وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها قوله تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا
أمام أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض
أو يطير في الهواء حتى ألحقوا حيوان الماء بالطيران الحيتان تسبح في الماء كما كان الطير يسبح في الهواء وانما
خص ما في الارض بالذكور دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا لانه لا احتياج بالمشاهدة أظهر وأولى
بما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الأم أمثالكم
قال مجاهد أي أصفاف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب
أمة والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على أن كل
جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن السكاب أمة
من الأمم لأمرت بقتلها فاقبلوا منها كل أسود بهم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبتت
بالآية والحديث أن الدواب والطير أم أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما نظهر لنا فوجه
هذه المماثلة * قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه
وتصلي له كما أنكم تعرفون الله وتوحده وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كأنكم مخلوقون لله عز
وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما أن جنس الانسان يألف بعضهم بعضا ويفهم
بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكرو والانثى وقيل أمثالكم في
الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى (ما فرطنا في
الكتاب من شيء) يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن
يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الدواب والطير قال ابن عباس
حشرهم موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة اليها ثم والدواب والطير وكل شيء فيأخذ
للجماء من القرناء ثم يقول كوفي ترابا (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق
الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء قوله عز وجل (والذين كذبوا بآياتنا) يعني
بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده (صم) يعني عن سماع الحق
(وبكم) يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار
بالموقى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم (في الظلمات) يعني في ظلمات الكفر حائرين مترددين فيها لا يتبدون
سبيلا (من يشأ الله يضله) يعني عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعني ومن يشأ يجعله الله
على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضلها وحسانه
للايمان به ومن أحب ضلاله تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يستعمل عما يفعل

الآية أولا يعلمون ما عليهم
في الآيات من البلاء لو أنزلت
(وما من دابة) هي اسم لما
يدب وتقع على المذكور والمؤنث
(في الارض) في موضع حر
صفة لدابة (ولا طائر يطير
بجناحيه) قيد الطيران
بالجناحين لنفي المجاز لان
غير الطائر قد يقال فيه طار
إذا أسرع (الأم أمثالكم)
في الخلق والموت والبعث
والاحتياج الى مدبر يدبر
أمرها (ما فرطنا) ما تركنا
(في الكتاب) في اللوح
المحفوظ (من شيء) من ذلك
لم نكتبه ولم نثبت ما وجب
ان يثبت أو الكتاب القرآن
وقوله من شيء أي من شيء
يحتاجون اليه فهو مشتمل
على ما تعبدنا به عبارة وإشارة
ودلالة وإقتضاء (ثم الى ربهم
يحشرون) يعني الامم كلها
من الدواب والطيور فينصف
بعضها من بعض كما روى
انه يأخذ للجماء من القرناء
ثم يقسول كوفي ترابا وانما
قال الأمم مع افراد الدابة
والطائر يعني الاستغراق
فهما وماذا كرم من خلائقه
وأثار قدرته ما يشهد
لربوبيته وينادي على
عظمته قال (والذين كذبوا
بآياتنا صم) لا يسمعون
كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون

بالحق خابطون (في الظلمات) أي ظلمة الجهل والخيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه صم وبكم
خبير الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بأنه فعال لما يريد (من يشأ الله يضله) أي من يشأ الله ضلاله يضله
(ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة لخلق الافعال واردة المعاصي ونفي الاصلح

(قل أرأيتمكم) وبتليين الهمة مفرقة مدني وبتركه على ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخذوا بروي عما عندكم والضمير الثاني لا يحمل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتمكم (ان انماكم عذاب الله وأنتكم الساعة) من تدعون ثم يكتم بقوله (أغير الله تدعون) أي اتخصون الهتمكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضرر أم تدعون الله دونها ١٥ (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام

آلهة فادعوا التخالصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم (وتتسبون ما تشركون) وتتركون آلهتكم أولاً تذكرون آلهتكم في ذلك الوقت لان أهانتهم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضردون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أرأيتمكم أغير الله تدعون ان أنماكم عذاب الله (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) رسلاً فلم يفعلوا محذوف فكذبوهم (فأخذناهم بالأساء والضراء) بالأساء والضراء (والأول الضمير والجوع والثاني المرض ونقصان النفس والاموال) (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد (فلولا) اذ جاءهم بأسنا تضرعوا أي هم لا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفى التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنهم جابوا لولا ليعيد انه لم يكن لهم عذر في ترك

وهم يستلون قوله تعالى (قل أرأيتمكم) يعني قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام أخبروني تقول العرب أرأيته بمعنى أخبرني بحال وأصله أرأيتم والكاف فيه لثماً كيد (ان أنماكم عذاب الله) يعني قبل الموت مثل منازل بالام الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (وأنتكم الساعة) يعني القيامة (أغير الله تدعون) يعني في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعنى الآية أن الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقبل لهم ثم أرجعوا الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف منازلهم (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) يعني فيكشف الضر الذي من أجله دعوتوه وافتقدا لاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى (وتتسبون ما تشركون) يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونهم العليم انهم لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسها وهذا معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض النامى لها قوله تعالى (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) في الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك يا محمد رسلاً لخالقهم وهم وكفر واحسن هذا الحذف ليكون معلوما عند السامع (فأخذناهم بالأساء) يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل بالأساء شدة الجوع (والضراء) يعني الامراض والوجاع والزمانة (لعلهم يتضرعون) يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراطة وهي الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلاً الى أقوام بلغوا في القسوة الى أن أخذوا بالأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فبقية تسليمة للنبى صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعني فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرعوا ولم تتخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلكم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فأصرروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل (فلما نسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى التارك لان التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي (فتخضعوا لهم أبواب كل شيء) يعني بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش وممكن الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاحياء وذلك استدراج منهم لهم وقيل فتخضعوا لهم أبواب كل شيء من الخير كان مغلقاً عنهم (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) يعني فرحوا بما أوتوا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان يزلهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطركا فرح قارون بما أوتي من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعني جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال أهل المعاني اغما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لحسرتهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فأخذناهم في آمن ما كانوا أعجب ما كانت الدنيا اليهم (فأذا هم مبلسون) أي آيسون من كل خير وقال الفراء الملبس البائس المنقطع رجاءه ولذلك يقال ان يسكت عند انقطاع حبه ولا يكون له جواب قد آيس وقال الزجاج

التضرع الاعناد (ولكن قست قلوبهم) فلم يتزجروا بما ابتلوا به (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وصاروا مهملين بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم يرجعهم (فتخضعوا لهم أبواب كل شيء) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتخشاها (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة) فآيسون متحسرون وأصل الاطراق خزن لما أصابه أو ندما على ما فاتته واذا الإفاجأة

(فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من أجل النعم وأجل القسم وأحمدوا الله على اهلاك من لم يحمده الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن أصمكم وأعماكم ١٦ (وختم على قلوبكم) فسلم العقول والتمييز (من الغير الله بأيتكم به) بما أخذ وختم عليه من رفع

بالإبتداء والخبيرة وغير
 صفة لاله وكذا يا أيكم والجملة
 في موضع مفعولى أرايتم
 وجواب الشرط محذوف
 (انظر كيف نصرّف) لهم
 (الآيات) نكررها (ثم هم
 يصعدون) يعرضون عن
 الآيات بعد مظهرها
 والصدوف الاعراض عن
 الشيء (قيل أرايتكم ان
 آناكم عذاب الله بغتة)
 بأن لم تظهر أماراته (أو
 جهرة) بأن ظهرت أماراته
 وعن الحسن لئلا أنهارا
 (هـ) هل يهلك الا القوم
 الظالمون) ما يهلك هلاك
 تعذيب وسخط الا الذين
 ظلموا أنفسهم بكفرهم
 بربهم (وما نرسل المرسلين
 الا مبشرين ومنذرين)
 بالجنان والنيران للمؤمنين
 والكفار وان ترسلهم
 ليقترح عليهم الآيات بعد
 وضوح أمرهم بالبراهين
 القاطعة والدالة الساطعة
 (فن آمن وأصلح) أى داوم
 على إيمانه (فلا خوف عليهم
 ولا هم يحزنون) فلا خوف
 يعقوب (والذين كذبوا
 بآياتنا عسهم العذاب) جعل
 العذاب ماسكا عنه حتى يفعل
 بهم ما يريد من الآلام (عما
 كانوا يفتسقون) بسبب
 فسقهم وخروجه عن

المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبه بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذار آت الله تعالى يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فاما ذلك استدرج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله تعالى (فقطع دار القوم الذين ظلموا) أى آخرهم الذى يذبرهم يقال ذبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استوفوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) قال الزجاج حمد الله نفسه على أن طع دابرهم واستأصل شأفتهم ومعنى هذا أن قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبوهم فذكروا الحمد لتعليم الرسل ولأن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم اذا هلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله وأهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك أعدائهم واستئصالهم بالعذاب قوله تعالى (قل أرأيتم) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (ان أخذ الله سمعكم) يعنى الذى تسمعون به فأصمكم حتى لا تسمعوا شيئا (وأبصاركم) يعنى وأخذ أبصاركم التى تبصرون بها فأعماكم حتى لا تبصروا شيئا أصلا (وختم على قلوبكم) يعنى حتى لا تفقهوا شيئا أصلا ولا تعرفوا شيئا تعرفون من أمور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف أعضاء الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحه فى الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على ايجاد هذه الاعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التى تعبدونها وهو قوله تعالى (من إلا غير الله يأتيكم به) يعنى يأتيكم بما أخذ الله منكم لان الضمير فى به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذى ذكره أولا ويندرج تحته غيره (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره أى انظر يا محمد (كيف نصرّف الايات) يعنى كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوّة (ثم هم يصدفون) يعنى يعرضون عنها مكذبين لها (قل أرأيتم ان اتاكم عذاب الله بغتة) يعنى فجأة (أوجهره) يعنى معايشة ترويه عند نزوله وقال ابن عباس ليلأونها را (هل يهلك الا القوم الظالمون) يعنى المشركين لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك قوله عز وجل (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) يعنى لمن آمن بالثواب (ومنذرين) يعنى لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم ان يأثروا الناس بما يقترحون عليهم من الايات انما أرسلوا بالبشارة والندارة (فن آمن وأصلح) يعنى آمن بهم وأصلح العمل لله (فلا خوف عليهم) يعنى حين يخاف أهل النار (ولا هم يحزنون) أى اذا حزن غيرهم (والذين كذبوا بآياتنا عيسهم العذاب) يعنى يصيبهم العذاب (عما كانوا يفسقون) يعنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى (قل لا أقول لكم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أقول لكم (عندى خزائن الله) نزلت حين افترحوا عليه الايات فأمره الله تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا أقول لكم عندى خزائن الله جمع خزائنه وهى اسم للمكان الذى يحزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندى خزائن رزق الله فأعطيك منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون لئنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه أن يوسع علينا عيشنا ويغنى فقرنا فأخبر ان ذلك بيد الله لا بيدى (ولا أعلم الغيب) يعنى فأخبركم بما مضى وما سيقع فى المستقبل وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فأجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون (ولا أقول لكم انى ملك) وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج النساء

طاعة الله تعالى بالكفر (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحمل (ولأعلم الغيب) فأجابهم
النصب عطف على محل عندى خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولأقول لكم انى ملك) أى
لا أدعى ما يستبعد فى العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى المالكية وانما ادعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة

(ان اتبع الامايوحى الى) أى ما أخبركم الانجاء نزل الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل الضال والمهتدى أولن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع أولن يبدى المستقيم وهو النبوة والحال وهو الالهية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ١٧ ضالين أشباه العميان أو فاعلموا أننى

ما أدعيت مالا يليق بالبشر
أو فاعلموا ان اتبع ما يوحى
الى بما لا بدى منه (وأذربه)
بما يوحى (الذين يخافون
أن يحشروا الى ربهم) هم
المسلمون المقربون بالبعث
الأنهم مفرطون فى العمل
فينذروهم بما أوحى اليه أو
أهل الكتاب لأنهم مقربون
بالبعث (ليس لهم من دونه
ولى ولا شفيع) فى موضع
الحال من يحشروا أى
يخافون أن يحشروا غير
منصورين ولا مشغوع عالمهم
(لعلهم يتقون) يدخلون
فى زمرة أهل التقوى ولما
أمر النبى عليه السلام بانذار
غير المتقين ليتقوا أمر بعد
ذلك بتقريب المتقين ونهى
عن طردهم بقوله (ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى) وأتى عليهم بأنهم
يواصلون دعائهم أى
عبادته ويواصلون عليها
والمراد بذكر الغداة والعشى
الدوام أو معناه يصلون صلاة
الصبح والعصر أو الصلوات
الخمس بالغداة شامى ووسمهم
بالاخلاص فى عبادتهم بقوله
(يريدون وجهه) فالوجه
يعبر به عن ذات الشئ
وحقيقته نزات فى الفقراء
بلال وصهيب وعمار
وأضرابهم حين قال رؤساء
المشركين لو طردت هؤلاء
السقاط لجالسناك فقال

فأجابهم بقوله ولا أقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على مالا يقدر عليه البشر ويشاهد مالا يشاهدون فلست
أقول شيئا من ذلك ولا أدعيه فتدكرون قولى وتجحدون أمرى وأغاضني عن نفسه الشريفة هـ هذه الاشياء
تواضع الله تعالى واعترافه بالعبودية وان لا يقترحو عليه الآيات العظام (ان اتبع الامايوحى الى) يعنى
ما أخبركم الامايوحى من الله أنزله على ومعنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم أعلمهم انه لا يملك خزائن الله التى
منها يرزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطوع على مالا يطوع عليه
البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب يوحى الله اليه وظواهر الآية يدل على
ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع أو امره ونواهيها انما كانت يوحى
من الله اليه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) يعنى المؤمن والكافر والضال والمهتدى والعالم والجاهل
(أفلا تتفكرون) يعنى أنهم لا يستويان قوله عز وجل (وأذربه) يعنى وخوف بالقرآن والانداء اعلام
مع تخويف (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لأنهم يخافون يوم القيامة
وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابى وانما
خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة
عليهم أو كد من غيرهم لاعترافهم بحجة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحته ولذلك
قال يخافون أن يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف
بالحشر وكل كافر من ذكره لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولان
دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعنى من دون الله (ولى) أى قريب
ينفعهم (ولا شفيع) يعنى يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا
اشكال فيه لقوله تعالى مالا لظالمين من جيم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم
ان المراد بهم المؤمنون ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحیح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للذين من
أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة
لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صحى قوله
ليس لهم من دونه وولى ولا شفيع يعنى حتى يأذن الله لهم فى الشفاعة فاذا أذن فيها كان للمؤمنين ولى وشفيع
(لعلهم يتقون) يعنى ما نهيتهم عنه قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه)
قال سلمان وخباب بن الارت فيما نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري
وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب بن نضر من
ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقر وهم فأقوه فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المجلس ونفيت عنا
هؤلاء أو أرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لهما راحة ليس عليهم غيرهما لاسناك وأخذنا عنك
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فاننا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب
فضلنا فان وفود العرب تأتيتك فنسـ تحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فادانحن جئناك فأقهم عنا فاذا
نحن فرغنا فأقهم ان شئت قال نعم قالوا فكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليعتب
قال ونحن قعود فى ناحية اذنزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى
قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعا فأتيناه وهو
يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكانت معه فاذا أراد ان يقوم قام وتر كفا نزل الله تبارك
وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعد
معنا بعد ذلك وندومنه حتى كانت ركبتا من ركبتيه فاذا بانغ الساعة التى يريد أن يقوم فيها فقاموا تركناه حتى

٣ خازن فى عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضى الله عنه
ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء ومناقبهم

يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمميتي معكم المحيا ومعكم الممات
وروى عن سعيدين أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله
عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست
أسمهم ما وقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فخذت نفسه فانزل الله عز وجل ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني أشرف
قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعل المجلس واحد أو قبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل
الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد يعني ابن مسعود لباعناك فانزل الله تعالى
هذه الآية وقال ابن مسعود مترملا من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال
وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت هؤلاء بأبدل من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم
من بيننا نحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم فلعنك الله ان طردتهم أن تنبئك فترأت هذه الآية وقال عكرمة جاء
عنته بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشرف بني عبد مناف من أهل الكفر
إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمد اطرد عنه موالينا وحلفاءنا
فانهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعناياه وتصديقنا له فأبى أبو طالب
النبي صلى الله عليه وسلم فخذته بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون
والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأندره الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم إلى قوله أليس
الله بأعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الأولى التي عن سلمان
وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو أن أسلام سلمان كان بالمدينة وكان أسلام المولفة قلوبهم بعد
الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد
ابن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء
المسلمين والله أعلم وأمامني الآية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى
الله عليه وسلم يعني ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقيرهم ثم وصفهم
فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني
صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على
شرفهم ولأنهم مواظبون عليهم ما بقيت الصلوات ولأن الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فغير
بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيدين المسيب فلما سلم الإمام ابتدر الناس
الفاصل فقال سعيدين المسيب ما أمرع الناس إلى هذا المجلس فقال مجاهد يبتأولون قوله تعالى يدعون
ربهم بالغداة والعشي قال أوفي هذا النماز في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناسا من
الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشرف الناس نؤمن لك واذا صلينا فاخر هؤلاء الذين
معك فليصلوا خلفنا وقل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى أنهم كانوا يدعون ربهم ويدعون طرقي
النهار يريدون وجهه يعني يطالبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس
يطالبون ثواب الله تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) يعني لا تكلف
أمرهم ولا يكافون أمرك وقيل ما عليك حساب رزقهم فقلهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزق
لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعني بطردهم عنك وعن
مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون من الظالمين
جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يهمل بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشرف عاتبه
الله على ذلك ونهاهم عن طردهم وذلك يقدر في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن

(ما عليك من حسابهم من شيء) كقوله ان حسابهم
الاعلى ربي (وما من حسابك
عليهم من شيء) وذلك انهم
طعنوا في دينهم واخلاصهم
فقال حسابهم عليهم لازم
لهم لا يتعداهم اليك كان
حسابك عليك لا يتعداك
اليهم (فتطردهم) جواب
النفي وهو ما عليك من
حسابهم (فتكون من
الظالمين) جواب النهي
وهو ولا تطرد ويجوز ان
يكون عطف على فتطردهم
على وجه التسمي لان كونه
ظالما مسبب عن طردهم

(وكذلك فتنابعضهم بعض)

ومثل ذلك الفتن العظيم
ابتلينا الاغنياء بالفقر
(ليقولوا) أي الاغنياء
(أهؤلاء من الله عليهم من
بيننا) أي أنعم الله عليهم
بالإيمان ونحن المقتدمون
والرؤساء وهم الفقراء انكارا
لان يكون أمثالهم على الحق
ويعنوا عليهم من بينهم بالخير
ونحوه لو كان خيرا ماسبقونا
اليه (أليس الله بأعلم
بالشاكركين) بمن يشكر نعمته
(واذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم) اما
ان يكون أمرا بتبليغ سلام
الله اليهم واما ان يكون أمرا
بان يبذلهم بالسلام اكراما
لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله
(كتب ربكم على نفسه الرحمة)
من جملة ما يقول لهم ليشرحهم
بسمه رحمة الله وقوله التوبة
منهم ومعناه وعدكم بالرحمة
وعدامو كذا (انه) الضمير
للشأن (من عمل منكم سوءا)
ذنبا (بجهالة) في موضع الحال
أي عمله وهو جاهل بما يتعلق
به من المصرة أو جعل جاهلا
لا يثارة المعصية على الطاعة
(ثم تاب من بعده) من بعد
السوء والعمل (وأصلح)
وأخلص توبته (فانه غفور
رحيم) أنه فانه شامى وعاصم
الاول بدل الرحمة والثاني خبر
مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه
غفور رحيم أنه فانه مدني
الاول بدل الرحمة والثاني
مبتدأ أنه فانه غيرهم على
الاستئناف كأن الرحمة
استفسرت فقيل انه من عمل
منكم (وكذلك تفصل الآيات
ولتستبين) وبالباء جزاء على
وأبو بكر (سبيل المجرمين)

هذا الاحتياج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستحقاق بهم والاستكفاف
من فقرهم وانما كان هذا لهم لمصلحة وهي التاطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح
هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فأعلمه الله تعالى أن ادنا هؤلاء الفقراء أولى من لهم بطردهم فقرهم منه
وأدناهم وأما قوله فتنابعضهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فيكون المعنى
ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تنهم بطردهم عند فتضع الشيء في غير موضعه
فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم قوله عز وجل (وكذلك فتنابعضهم
ببعض) يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقر والفقر بالغنى والشرى بالوضيع والوضيع بالشرى فكل أحد
مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء بحسد هم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام
وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم وأما فتنة الفقراء بالاغنياء
فلما برز من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم (ليقولوا) يعني الاغنياء والشرفاء والرؤساء
(أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعني من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم
وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله (أليس الله بأعلم بالشاكركين) يعني انه تعالى أعلم بخلقه
وباحوالهم وأعلم بالشاكركين من الكافرين قوله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم)
قال عكرمة تزلت في الذين نهى الله عنهم عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذ ارآهم بدأهم بالسلام
وقال عطاء تزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن أبي عبيدة ومصعب بن عمير وجزء وجعفر
وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبي الارقم وأبي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها
في كل مؤمن وقيل لمساواة عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما أردت
الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعني فرض ربكم ورضي ربكم
(على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف في عباده كيف يشاء وأراد فاقب على
نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (انه من عمل منكم سوءا بجهالة)
قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار
ما استحقه من العقاب وما فاتته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفساد القبيح مذمومة
الا انه أثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن أثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل
الجهل نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده) يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه
(وأصلح) يعني أصلح العمل في المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله (فانه غفور) يعني لمن تاب من
ذنوبه (رحيم) بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على أبي العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل
سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن أبي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء
المهاجرين وان بعضهم يستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام
علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكنت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله
كان قارئ لنا يقرأ علينا كنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل
من أمته من أمرت أن أصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم
قال بيده هكذا فتحلقوا برز وجوههم قال فإرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيري
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون
الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود وقوله عز وجل (وكذلك تفصل
الآيات) يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلالة على صحة التوحيد وباطل ما هم عليه من الشرك
كذلك غير وبنين لك أدلة حجتنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين) قري بالتاء على
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك (سبيل المجرمين) يعني طريق

بالنصب مدني غيرة بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكر وتوثب ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين تفصيل آيات القرآن وتلخيصها في صفة أحوال المجرمين من
هو مطبوع على قلبه ومن يرجي اسلامه وتسمي توضح سبيلهم فتعامل كل منهم بما يجب أن يعامل به فوصلنا ذلك التفصيل (قل اني نهيتم
أن أعبد الذين تدعون من دون الله) ٢٠ أي صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله (قل لا أتبع

أهواءكم) أي لا أجرى في
طريقكم التي سلكتموها
في دينكم من اتباع الهوى
دون اتباع الدليل وهو بيان
للسبب الذي منه وقعوا في
الضلال (قد ضللت اذا) أي
ان اتبع أهواءكم فأنا ضال
(وما أنا من المهتدين) وما أنا
من المهتدين في شيء يعني
أنكم كذلك ولما نفي ان
يكون الهوى متبعاً عليه على
ما يجب اتباعه بقوله (قل
اني على بينة من ربي) أي
اني من معرفتي ربي وأنه
لا معبود سواه على حجة
واضحة (وكذبتم به) حيث
أشركتم به غيره وقيل على
بينة من ربي على حجة من
جهته ربي وهو القرآن
وكذبتم به بالبينة وذكر
الضمير على تأويل البرهان
أو البيان أو القرآن ثم عقبه
بمبادل على أنهم أحقاً بآيات
يعاقبوا بالعذاب فقال
(ما عندي ما تستعجلون
به) يعني العذاب الذي
استعجلوه في قولهم فأما
علينا نجارة من السماء (ان
الحكم الا لله) في تأخير عذابكم
(يقص الحق) مجازي
وعاصم أي يتبع الحق

هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ويطهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار
قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (اني نهيتم أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني نهيت أن
أعبد الاصنام التي تعبدونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجادات أخس
من أن تعبدوا وتدعي وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى (قل لا أتبع أهواءكم) يعني في
عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت اذا) يعني انزعجت عنها (وما أنا من المهتدين) يعني لو عبدتها (قل) يعني
قل يا محمد لهؤلاء المشركين (اني على بينة من ربي) قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة
التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة في عبادة ربي (وكذبتم به) يعني وكذبتم بالبيان
الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمجرات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة
التوحيد وفساد الشرك (ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم
بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استعجالاً وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما نعدنا يعني من نزول العذاب
فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه
الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقيل كانوا يستعجلون بالآيات التي طلبوها واقتروها فإعلم
الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا لله) يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب
للعاصي أي ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شاء
(يقص الحق) قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقص بالصاد المعجمة
من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين
الحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضائه جور ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو أن عندى ما تستعجلون
به) يعني من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشئ قبل وقته فلذلك كانت الجملة مذمومة والاسراع
تقديم الشئ في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب
لو أن عندى ما تستعجلون به لم أمهلكم ساعة ولا يكن الله حلماً ذوّناً لا يجهل بالعقوبة وقوله تعالى (لقضى
الامر بيني وبينكم) يعني لا انفصل بيني وبينكم ولا تأتم ما تستعجلون به من العذاب (والله أعلم بالظالمين)
يعني انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمّن بعض من كان
يستعجل بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين وبأحوالهم قوله عز وجل (وعنده مفاتيح الغيب)
المفتاح الذي يفتح به الغلق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتاح بكسر الميم وجمعه مفاتيح والمفتاح يفتح الميم الخزانة
وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتاح وجمعه مفاتيح فقوله وعنده مفاتيح الغيب يحتمل أن يكون
المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح
على طريق الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق فمن علم
كيف يفتحها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالماً بجميع المعالومات
ما غاب منها او لم يغيب عن هذا المعنى هذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده خزائن الغيب
والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف أقوال المفسرين في قوله وعنده مفاتيح الغيب

والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقي بقص الحق في كل ما يقضى من التأخير والتجهيل فالحق أي

القضاء الحق صفة تصدر يقضى وقوله (وهو خير الفاصلين) أي الفاضل بالقضاء الحق اذ الفصل هو القضاء وسقوط الماء من الخط لا اتباع

اللفظ لا لتقاء الساكنين (قل لو أن عندى) أي في قدرتي وامكاني (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بيني وبينكم) لاهلككم

عاجلاً غضباً ربي (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم انه أودع (وعنده مفاتيح الغيب

لا يعلمها الا هو) المفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال
جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح يتوصل بها الى ما في الخزائن المستودعة منها بالاغلاق والأقفال ومن علم مفاتيحها
وكيفية فتحها توصل اليها فأراد أنه هو المتوصل الى الغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره ٢١ كن عنده مفاتيح أقفال المخازن ويدلم فتحها
فهو المتوصل الى ما في المخازن

(لا يعلمها الا هو) فقل مفاتيح الغيب خمس وهي ما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم أحد ما يكون في
الارحام الا الله ولا تعلم نفس ما ذاتك سب غدا ولا تدرى نفس بأي أرض تموت ولا يدرى أحد متى يحيى
المطر وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تنغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد
الا الله ولا تدرى نفس بأي أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك
ومقاتل مفاتيح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب
وقيل هو انتقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد
ان يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أو في نبئكم صلى الله عليه
وسلم كل شيء الا مفاتيح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق
(ويدلم ما في البر والبحر) قال مجاهد البر المغاوير والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو
يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض امبر واما بحر وفي كل واحد منهما
من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وماتسقط من ورقة لا يعلمها)
يريد اسقاطه وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهر
البطن الى أن تسقط على الارض (ولا حبة في ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف بكونه في بطن
الارض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولا رطب ولا يابس) قال ابن
عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس
الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء امارطبة واما يابسة فان قلت في ان جميع هذه الاشياء
داخله تحت قوله وعنده مفاتيح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكور وما فائدة ذلك قلت في لما قال الله تعالى
وعنده مفاتيح الغيب على سبيل الاجال ذكر من بعد ذلك الاجال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء
المحسوسة ليدل بها على غيرهما فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى
والمغاوير والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان واصناف الخلق مما يحجز الوصف عن ادراكها ثم
ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة براها كل أحد لكن
لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد
ذلك مثلا ليجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه
وتعالى فصارت هذه الامثال منهية على عظمة عظيمة وقدره عالية وعلم واسع فسبحان العالم الخبير قوله تعالى
(الافى كتاب مبين) فيه قولان أحدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يتبدل والثاني ان المراد
بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض
وفائدة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم
عباده أنه لا يقوته شيء مما يصنعونه لان من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب
وعقاب أسرع قوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يعني يقبض أرواحكم اذا غمتم بالليل (ويدلم ما جرحتم)
ما كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي يوقظكم فيه أي في النهار (ليقضى أجل مسمى) يعني أجل الحياة الى
الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) في الآخرة (ثم ينبئكم) أي يخبركم (بما كنتم تعملون)

مأعده (ليقضى أجل مسمى) لتوفي الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) في ليديكم
ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فأما الروح التي تحياها
النفس فانما لا تقبض الا عند انتقضاء الاجل والمراد بالروح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشى
والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أي يوقظكم ويرد اليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لانه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس

ثم رزها اليها في كذا يحيى النفس بعد موتها ٢٢ (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم السكرام

الكتابون ليكون ذلك اجر
للعباد عن ارتكاب الفساد
اذ تفكروا وان يحاثفهم تقرأ
على رؤس الاشهاد (حتى
اذ اجاء أحدكم الموت) حتى
ان غاية حفظ الاعمال أى وذلك
دأب الملائكة مع المكاف
مدة الحياة الى ان يأتيه
المات (توفته رسلنا) أى
استوفت روحه وهم ملك
الموت وأعوانه توفيه
واستوفيه بالامالة جزرة رسلنا
أبو عمرو (وهم لا يفرطون)
لا يتوانون ولا يؤخرون
(ثم رزوا الى الله) الى حكمه
وجزائه أى رزى الموت وفون برد
الملائكة (مولاهم) مالهم
الذى يلي عليهم أمورهم
(الحق) العدل الذى لا يحكم
الا بالحق وهما صفتان لله
(ألا له الحكم) يومئذ لا حكم
فيه لغيره (وهو أسرع
الحاسبين) لا يشغله حساب
عن حساب يحاسب جميع
الخلق فى مقدار حلب شاة
وقيل الرزى من رباله خير
من البقاء مع من أذاك (قر
من ينجيك) ينجيك عباس
(من ظلمات البر والبحر)
مجاز عن مخاوفهم أو هو الهما
أو ظلمات البر والصواعق
والبحر الامواج وكلها فى
الغم والليل (تدعونه) حال
من ضمير المفعول فى ينجيك
(تضرعاً) معنيين الضراعة
وهو مصدق فى موضع
الحال وكذا (وخفية) أى

قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) يعنى وهو العالى عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئاً وغلبه فهو مستعل
عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعنى انه أقدر منه وأغلبه هـ ذام ذهب أهل
التأويل فى معنى لفظة فوق فى قوله وهو القاهر فوق عباده وأمام ذهب السلف فيها فامرأها كما جاءت
من غير تكليف ولا تأويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذل له والله تعالى هو القاهر
خلقه وقهر كل شئ بضدته فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعداء والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى
(ويرسل عليكم حفظة) يعنى أن من جملة قهره لمباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين
يحفظون أعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل
انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكاً عن شماله فاذا عمل حسنة كتبه صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبه عليه صاحب الشمال وفائدة
جعل الملائكة موكلين بالانسان أنه اذا علم أن له حافظاً من الملائكة موكلاً به يحفظ عليه أقواله وأفعاله فى
صحائف تنشره وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجراً له عن فعل القبيح وترك المعاصي
وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظون أجسادهم قال قتادة
حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه وأجله وعمله (حتى اذ اجاء أحدكم الموت توفته رسلنا) يعنى أعوان ملك
الموت الموكلين بقبض أرواح البشر فان قلت قال الله تعالى فى آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فى آية
أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع
بين هذه الآيات أن المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه
ولملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بترفع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلقوم تولى
قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر
بلفظ الجمع تعظيماً له وقال مجاهد جعلت الارض ملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له
أعوان يتزعجون النفس ثم يقبضها منهم وقال أيضاً ما من أهل بيت شمر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم
كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله (وهم لا يفرطون) يعنى الرسل
لا يقصرون فيما أمروا به ولا يضيعونه قوله عز وجل (ثم رزوا الى الله مولاهم الحق) يعنى ثم رزوا الى الله بالعباد بالموت
الى الله فى الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا فى الدنيا تحت أيدى موال بالباطل والله مولاهم
وسيدهم ومالكهم بالحق (ألا له الحكم) يعنى لا حكم الا له (وهو أسرع الحاسبين) يعنى انه تعالى أسرع من
حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد فيه فحاسب ذاته بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله
تعالى (قل من ينجيك من ظلمات البر والبحر) يعنى يا محمد قل ل هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون
الله من ذا الذى ينجيك من ظلمات البر والارض فيه وتحريرتم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذى ينجيك من
ظلمات البحر اذ اركبتم فيه فأخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز
عمافيهما من الشدائد والاهوال وقيل الحمل على الحقيقة أولى فظلمات البر هى ما اجتمع فيه من ظلمة الليل
وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمات
البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك
أيضاً الخوف الشديد من الوقوع فى الهلاك فالملقصد ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف
الشديد لا يرجع الانسان فيها الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدائد
وهو المراد من قوله (تدعونه تضرعاً وخفية) يعنى فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعاء تضرعاً عامينكم اليه
واسئلاً كأنه جهر او خفية بمعنى سرّاً حالاً وحالاً (لئن أنجيتمنا من هذه) يعنى قائلين فى حال الدعاء والتضرع
لئن أنجيتمنا من هذه الظلمات وخلصتمنا من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) يعنى لك على هذه النعمة

والشكر

مسرين فى أنفسكم خفية حيث كان أبو بكر وهما الغتان (لئن أنجانا) عاصم وبالامالة جزرة وعلى الباقر
أنجيتمنا والمعنى يقولون لئنخلصنا (من هذه) الظلمات (لنكونن من الشاكرين) لله تعالى

والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها (أنعم بها) (قل الله ينحيكم منها) يعني من الظلمات والشهائد التي أنتم فيها (ومن كل كرب) يعني وهو الذي ينحيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس (ثم أنتم تشركون) يريد أنهم يقولون بأن الذي أنجاهم من هذه الشدائد هو الله تعالى ثم أنهم بعد ذلك لا قرار بشركون معه إلا صنم التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أي قل يا محمد لا تقومك أن الله هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (أومن تحت أرجلكم) يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني أمة السوء والسلاطين الظلمة أومن تحت أرجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم أومن تحت أرجلكم يعني السفلة (أويلبسكم شيعة) الشيعة جمع شيعته وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعته وأشباع وأصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الإنسان قال الزجاج في قوله أويلبسكم شيعة يعني يخطأ أمركم يخطأ اضطراب لا يخطأ اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقابل بعضهم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضهم بأس بعض) قال ابن عباس قوله أويلبسكم شيعة يعني الأهواء المختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض يعني أنه يقتل بعضهم ببعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه الآية فقال قوم عني بها المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم زلت هذه الآية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال هن أربع وكاهن عذاب فجاءت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعة أذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بدوا فاعتان يعني الخسف والمسخ وعن أبي بن كعب نحوه هن أربع خلال وكاهن واقع قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعة أذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم أومن تحت أرجلكم لامة محمد فاعفاهم منه أويلبسكم شيعة ما كان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضهم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما زلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أعوذ بوجهك أومن تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أويلبسكم شيعة أذيق بعضهم بأس بعض قال هذا أهون وهذا أيسر (م) عن سعد بن أبي وقاص أنه أقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالمة حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا رب طويلا ثم انصرف المينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم قتلة فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالمها فأتوا بالرسول الله صليت صلاة لم تكن تصلها قال أجل انما صلاة رغبة ورهبة اني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يساط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انظر كيف نصرص الأيات) أي انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحقنا لهؤلاء المكذبين (لعلهم يفقهون) يعني يفهمون ويعتبرون فتنجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى (وكذب به قومك) يعني بالقرآن (وهو الحق) يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب (وهو الحق) يعني أنه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى نصريف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونه من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم وأعرضكم عن قبول الحق بل انما أنا منذر والله هو المجازي لكم على أعمالكم وقيل معناه اني انما أددعوك أنا منذر

(قل الله ينحيكم) بالتشديد كوفي (منها) من الظلمات (ومن كل كرب) وغم وخزن (ثم أنتم تشركون) ولا تشركون (قل هو القادر) هو الذي عرفتموه قادرا أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (أومن تحت أرجلكم) كما غرق فرعون وخسف بقارون أومن قبل سلاطينكم وسفلةكم أو هو حبس المطر والنبات (أويلبسكم شيعة) أو يخطبكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منهم مشايعة لأمام ومعنى خلطهم ان ينسب القتل بينهم فيختلطوا ويشتمكوا في ملاحم القتال (ويذيق بعضهم بأس بعض) يقتل بعضهم بعضا والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أومن تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فتنة وأخبرني جبريل أن قضاء أمتي بالسيف (انظر كيف نصرص الأيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون) وكذب به بالقرآن أو بالعذاب (قومك) قريش (وهو الحق) أي الصدق أولا بدأ ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى أمركم انما أنا منذر

تهديد (واذ آيات الذين
 يخوضون في آياتنا) أى
 القرآن يعنى يخوضون فى
 الاستهزاء بها والطعن فيها
 وكانت قريش فى أنديتهم
 يفعلون ذلك (فأعرض عنهم)
 ولا تجالسهم وقم عنهم (حتى
 يخوضوا فى حديث غيره)
 غير القرآن مما يحل فيئذ
 يجوز أن تجالسهم (وأما
 ينسينك الشيطان) ما نهيت
 عنه ينسينك شأى نسى
 وأنسى واحد فلا تقع بعد
 الذكري بعد أن تذكر (مع
 القوم الظالمين وما على الذين
 يتقون من حسابهم) من
 حساب هؤلاء الذين
 يخوضون فى القرآن تكذبا
 واستهزاء (من شئ) أى وما
 يلزم المتقين الذين يجالسونهم
 شئ مما يحاسبون عليه من
 ذنوبهم (ولكن) عليهم أن
 يذكرهم (ذكرى) إذا
 سمعوههم يخوضون بالقيام
 عنهم وإظهار الكراهة لهم
 وموعظتهم ومحل ذكرى
 نصب أى ولكن يذكرهم
 ذكرى أى تذكر أرفع
 والتقدير ولكن عليهم ذكرى
 ذكرى مبتدأ والخبر محذوف
 (لعلهم يتقون) لعلهم
 يجتنبون الخوض حياء أو
 كراهة لمساتهم (وذرا الذين
 اتخذوا دينهم) الذى كفوه
 ودعوا إليه وهودين الاسلام
 (لعبا وهوا) سخر رواه
 واستهزأ ومعنى ذرهم

الى الله والى الايمان به ولم أمر بمجرىكم فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل فى معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعنى حفيظا لما أطابكم بالظواهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة (لكل بناء مستقر) أى لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينتهى اليه اما فى الدنيا واما فى الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خاف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب فى الدنيا وقع يوم بدر (وسوف تعلمون) يعنى صحة هذا الخبر اما فى الدنيا واما فى الآخرة قوله تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) الخطاب فى واذا رأيت لى صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون فى آياتنا يعنى القرآن الذى أنزلناه اليك والخوض فى اللغة هو الشروع فى الماء والعبور فيه ويستعار للاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخاضوا فى الحديث وتفاضوا فيه لكن أكثر ما يستعمل الخوض فى الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب فى واذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رأيت أيها الانسان الذين يخوضون فى آياتنا وذلك أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى الاستهزاء بالقرآن وعين أنزله وعين أنزل عليه فنهاهم الله أن يفعلوا معهم فى وقت الاستهزاء بقوله (فاعرض عنهم) يعنى فاتركهم ولا تجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) يعنى حتى يكون خوضهم فى غير القرآن والاستهزاء به (واما ينسبك الشيطان) يعنى فقعدت معهم (فلا تقعد بعد الذكرى) يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم الظالمين) يعنى المشركين قوله تعالى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) قال ابن عباس انزلت هذه الآية واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا وفى رواية قال المسلمون اننا نحاف الاثم حين نتركهم ولا نهائم فأنزل الله هذه الآية وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثامهم (ولكن ذكرى) يعنى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم أن تذكروهم (لعلهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء

وقوله تعالى وقد نزل علينا في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجهور الى أنها محكمة لا نسخ فيها لانهم اخبروا الخبر لا يدخله النسخ لانهم اتفادلت على ان كل انسان اغنايخص بحسب نفسه لا بحسب غيرهِ وقيل انما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل (وذر الذين اتخذوا دينهم لعباءة هووا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم الذي أمروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام له باو هووا وذلك حيث هزوا به واستهزأ به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعباءة هووا وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن لعبوا وهو عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعباءة هووا ويلهون فيه الا المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبير او فعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني انهم اتخذوا دينهم لعباءة هووا الاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعباءة هووا ومعنى الآية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعباءة هووا اتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديف فهو كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله (وذكر به) يعني وذكر بالقرآن وعظه هؤلاء المشركين (أن تبسل نفسك بما كسبت) أي ثلثا تبسل

أعرض عنهم ولا تبالي بتركهم واستترائهم والله ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب (وغترتهم الحياة الدنيا وذكربه) نفس وعظ بالقرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم إلى الهاوية والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الأيسال المنفع

(ليس لهم من دون الله ولي) ينصرها بالقوة (ولا شفيع) يدفع عنها المسئلة ولا وقف على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر القرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) نصب على المصدر وان تعدل كل فداء والعدل القدية لان الفادي يعدل المقدي بمثله وفاعل (لا يؤخذ منها) لاضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وامافي قوله ولا يؤخذ منها عدل فجعل المقدي به فصيح اسناده اليه (اولئك) اشارة الى المتخذين من دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ والخبر (الذين أبسلوا بما كسبوا) وقوله (لهم شراب من حميم) أي ماء صخين حار خبر ثان لا أولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت ٢٥ لهم شراب من حميم أو مستأنفة

(وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) يكفرون بكنفهم (ولابى بكر يقل لا بئس عبيد الرحمن وكان يدعو آباءه الى عبادة الاوثان) (أن دعوا) أن عبد (من دون الله) الضار النافع (مالا ينفعنا) مالا يقدر على نفعنا ان دعوانه (ولا يضرتنا) ان تركناه (ونرد) وأورد (على أعقابنا) راجعين الى الشرك (بعد اذ هدانا الله للاسلام) وأتقنا من عبادة الاصنام كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف في محمل النصب على الحال من الضمير في رد على أعقابنا أى أنتكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى في الارض اذ اذهب فيها كل معناه طلبت هوىه (في الارض) في المهمة (حيران) حال من مفعول استهوته أى تأمل اضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) لهذا المستهوى (أحباب) روفة (يدعونه الى الهدى)

نفس وأصل البسل في اللغة التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل أى حرام ممنوع فعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الاثم وقال ابن عباس تبسل تبسل تبلك وقال قتادة تحبس يعنى في جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تقض والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع لى لان تلك نفس وترتهن في جهنم بسبب الجنابات التى اكتسب في الدنيا وتحرم الثواب في الآخرة (ليس لها) يعنى لتلك النفس التى هلكت (من دون الله ولي) أى قريب يلى أمرها (ولا شفيع) يعنى يشفع لها في الآخرة (وان تعدل كل عدل) يعنى وان تقتدى بكل فداء والعدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك القدية (أولئك الذين) اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وعزتهم الحياة الدنيا (أبسلوا بما كسبوا) يعنى أسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا (لهم شراب من حميم) وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ذلك لهم بسبب كفرهم (قل أأنذروا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرتنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائك أأنذروا يعنى أنعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها (ونرد على أعقابنا) يعنى ونرد الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) يعنى الى دين الاسلام والتوحيد (كالذى استهوته الشياطين في الارض) يعنى كالذى ذهبت به الشياطين فألقت به هوىه من الارض وأصله من الهوى وهو النزول من أعلى الى أسفل (حيران) يقال حار فلان في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا المخرج منه (له أحباب يدعونه الى الهدى) يعنى لهذا المتخير الذى استهوته الشياطين أحباب على الطريق المستقيم (اثنتا) يعنى يقولون له اثنتا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلها كما تمل رجل في روفة ضربه الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أحبابه وروفة يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقى حيران لا يدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب أحبابه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى ان طريق الله الذى أوضحه لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام فنهى عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره (وأمرنا لنسلم) أى وأمرنا أن نسلم ونخلص العبادة (لرب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره (وان أقيموا الصلاة واتقوه) يعنى وأمرنا بأقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه (وهو الذى اليه تحشرون) يعنى في يوم القيامة فيجزىكم بأعمالكم (قل له عز وجل) (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) يعنى اظهار الحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكامل قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يتخلق بمخلوق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم

٤ خازن فى الى أن يهدوه الطريق سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (اثنتا) وقد أعترف المهمة تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتهم وهذا مبني على ما يقال ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه فشببه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراء ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على انه ما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لنسلم لرب العالمين) وأن أقيموا الصلاة (والنقدير) وأمرنا لا نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولا قامة الصلاة (واتقوه) وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو حقاً (ويوم يقول كن فيكون) على انه لم يدون الجواب

يقول للخلق موثاقيموتون وقوموا للحساب فيقومون أحياء (قوله الحق) يعني ان قول الله تبارك وتعالى
 للشيء اذا اراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر عن ملكه
 يومئذ وان كان الملك سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك
 وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في
 الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلما ان الذي كانوا يدعونه
 من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكورة في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو
 لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص قال جاء عرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذي
 عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى
 جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف
 نقول قال قولوا احسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذي وقال أبو
 عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها أحياءها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح
 لما تقدم في الحديث لقوله تعالى في آية أخرى ثم نفخ فيه أخرى ولا جماع أهل السنة أن المراد بالصور هو
 القرن الذي ينفخ فيه أسرافيل فتحتين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى (عالم الغيب
 والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم) يعني في
 جميع أفعاله وتدبير خلقه (الخبير) يعني بكل ما يفعلونه من خير أو شر قوله تعالى (واذ قال إبراهيم لأبيه
 أزر) اختلف العلماء في لفظ أزر فقال محمد بن اسحق والكلبي والضحاك أزر اسم أبي إبراهيم وهو تارح ضابطه
 بعضهم بالخاء المهملة وبعضهم بالحاء المعجمة فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان أزر وتارح مثل يعقوب
 واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي أزر وتارح لقب له وبالعكس والله سماء أزر
 وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان أزر أبو إبراهيم من كوثي وهي قرية من
 سواد الكوفة وقال سليمان التيمي أزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو
 بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن ألفاظا قديمة فارسية وقيل هو المخطئ فكان إبراهيم
 عابه وذمه بسبب كفره وزيفه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد أزر اسم صنم كان والد إبراهيم بعبد
 وانما سماء به هذا الاسم لان من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماله فهو كقوله يوم
 ندعوا كل أناس بأمامهم وقيل معناه وأذ قال إبراهيم لأبيه يا عابد أزر فخفف المضاف وأقيم المضاف إليه
 مقامه والصحيح هو الاول ان أزر اسم لأبي إبراهيم لان الله تعالى سماء به وما نقل عن النسابين والمؤرخين
 ان اسمه تارح ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم
 وقد أخرج البخاري في أفراد من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يليق إبراهيم عليه السلام
 أباء أزر يوم القيامة وعلى وجه أزر فترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم أزر أيضا ولم يقل
 أباه تارح فثبت بهذا ان اسمه الأصلي أزر لا تارح والله أعلم وقوله تعالى (أنتخذ أصناما آلهة) معناه اذ
 كرم لقومك يا محمد قول إبراهيم لأبيه أزر أنتخذ أصناما آلهة تعبد هاهنا دون الله الذي خلقك ورزقك والأصنام
 جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن
 أيضا (اني أراك وقومك في ضلال مبين) يعني يقول إبراهيم لأبيه أزر اني أراك وقومك الذين يعبدون
 الأصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بمن أبصر ذلك فانه لا يشك ان
 هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي العرب بأحوال إبراهيم ومحاكمة لأبيه
 وقومه لانهم كانوا يعظمون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة إبراهيم عليه
 السلام مع أبيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين قوله عز وجل (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت

(قوله الحق) مبتدأ ويوم
 يقول خبره مقدما عليه كما
 تقول يوم الجمعة قولك الصدق
 أي قولك الصدق كائن يوم
 الجمعة واليوم بمعنى الحين
 والمعنى انه خلق السموات
 والارض بالحق والحكمة
 وحين يقول لشيء من الأشياء
 كن فيكون ذلك الشيء قوله
 الحق والحكمة أي لا يكون
 شيء من السموات والارض
 وسائر المكونات الا عن حكمة
 ووصواب (وله الملك) مبتدأ
 وخبر (يوم ينفخ) ظرف
 لقوله وله الملك (في الصور)
 هو القرن بلغة اليمن أو جمع
 صورة (عالم الغيب) هو
 عالم الغيب (والشهادة)
 أي السر والعلانية (وهو
 الحكيم) في الافناء والاحياء
 (الخبير) بالحساب والجزاء
 (واذ قال إبراهيم لأبيه أزر)
 هو اسم أبيه أو لقبه لانه
 خلاف بين النسابين ان اسم
 أبيه تارح وهو عطف بيان
 لأبيه وزنه فاعل (أنتخذ
 أصناما آلهة) استنهام توبيخ
 أي أنتخذها آلهة وهي
 لا تستحق الالهية (اني أراك)
 وقومك في ضلال مبين
 وكذلك أي وكما أرىناه فيج
 الشرك (نرى إبراهيم ملكوت

السموات والارض) أى نرى

بصيرته لطائف خلق السموات والارض ونرى حكمة حال ماضية والملوكوت أبلغ من الملك لان الواو والتاء تزدان للبالغه قال مجاهد فرجت له السموات السبع فظهر الى ما فيه حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى ما فيه (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك أوليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما يقن بيماننا (فلما جئ عليه الليل) أى أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لانيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أى الزهرة أو المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن يبينهم على الخطا في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيئا منها ليس بالله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومحدثها برطو لها وأقوالها وانتقالها ومسببها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه (قال هذا ربي) أى قال لهم هذا ربي في زعمكم أو المراد هذا استهزاء بهم وإنكار اعلمهم والعرب تكثف عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خشمه مع علمه أنه

السموات والارض) معناه وكما أرى ابراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نرى ملكوت السموات والارض فلماذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلغظ المستقبل في قوله وكذلك نرى ابراهيم لانه تعالى كان أراه بعين البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق فخالقهم فخره الله بأن أراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملوكوت الملك زيدت فيه التاء للبالغه كازهوت والرهوت والرجوت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعنى خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعنى آيات السموات والارض وذلك انه أقيم على صحرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى وما في السموات من الجحائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه أجرة في الدنيا يعنى أرى بناء مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فيها من الجحائب قال البغوي وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن على قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم أنت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادى فأعانا أنا من عبدى على ثلاث خلال اما أن يتوب الى فأتوب عليه واما أن أخرج منه نسمة تعبدنى واما أن يبعث الى فإن شئت عفوت وإن شئت عاقبت وفي رواية وإن تولى فإن جهنم من ورأته قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى ما في بطنها والقول الثاني ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الآن يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا للحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلالة الامر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق فلما جعل يلحن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فزده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا القول وكذلك أرى بناء ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا وقوله تعالى (فلما جئ عليه الليل) يقال جئ الليل وأجئ اذا أظلم وغشى كل شيء وأجئ الليل وجئ عليه اذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذا ربي)

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن غرود بن كنعان الملك وكان غرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام بغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي رأى غرود في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق له ماضو ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وأهل دينك على يديه فأمر بذبج كل غلام يولد في تلك السنة في ناحيته وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا احضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهم فافرجع أزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق يبعث غرود الى كل امرأة حبلى بقرية فخبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحملها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحمل في بطنها وقال السدي فخرج غرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء فتخوفوا من ذلك المولد فكتب بذلك

ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحد من قومه الا آزر فبعث اليه فأخضره عنده وقال له
 ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها لم أبعثك فيها الا لثقتي بك فأقسمت عليك أن لا تدن من أهلك فقال
 آزر أنا أشع على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على أهلي
 فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليهم بما سالت حتى واقعهما فحملت من ساعتهما ابراهيم قال ابن
 عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لغمروا الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه الليلة فأمر غمروا
 بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ابراهيم وأخذها الخاض خرجت هاربة بتخافه أن يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا
 فوضعت في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعت في حلفاء ثم رجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وان الولد في
 موضع كذا فانطلق اليه أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر فواراه فيه وسد باب به بصخرة تخافه
 السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى
 مغارة كانت قريباً منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سددت عليه باب المغارة ثم
 رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يصعصع ابراهيم قال أبو روق قالت أم ابراهيم
 لا نظرن الى أصابعه فوجدته عص من أصبع ماء ومن أصبع لبن ومن أصبع سمن ومن أصبع عسل ومن
 أصبع قنبر وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما مات فصدفها
 وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى
 قال أخرجيني فاخرجه عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني
 وسقاني لرب الذي مالى إله غيره ونظري في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما
 أقبل قال لأحب الأقارب فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي وأتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت
 الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه
 الا أنه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحاً شديداً
 وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو
 في السرب قال لأبيه من ربي قالت أنا قال فن ربي قالت أبوك قال فن ربي أبي قالت أسكت ثم رجعت الى
 زوجها فقالت أرايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأنابه أبوه
 آزر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال أمك قال فن ربي أبي قال أنا قال فن ربي قال غمروا قال فن ربي غمروا
 فلطمه لطمه وقال أسكت فلما جئ عليه الليل دنا من باب السرب فنظر في خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا
 ربي ويقال انه قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى ابل وانجيل
 والغنم فسأل أباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما هذه بدم أن يكون لها إله وهو ربها وخالقها
 ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فقرأ طلوع القمر فرأى
 الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جئ عليه الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذا ربي ثم
 اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين أحدهما انه
 كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحج عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا
 الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في
 حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من الجباب ونظر الى الارض وما فيها من الجباب وكان قد خصه الله
 بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو إله الخلق ثم نظر
 في حال تفكيره فرأى الكوكب وقد أزهق فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل
 استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب هذا القول على صحة بقوله لئن لم يهدني ربي
 لا أكون من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام
 الحج وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز أن

مبطل فيحكي قوله كما هو
 غير متعصب بالذهب لانه
 ادعى الى الحق وأنجى
 من الشعب ثم يكر عليه
 بعد حكاية فيه طله بالحنة

يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات لا وهو بالله عارف وله موحدوله من كل منقصة منزّه
ومن كل معبود سواه يرى وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه
ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من
ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين ان هذه
الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا
القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج
قومه بهذا القول ويعترفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها
فأراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخلى على النجوم
بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الالهية ومثل هذا كمثل الحوارى الذى
ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصرون عن رأيه في كثير من
أمرهم الى أن دههم عدولا قبل لهم به فشاوروه في أمر هذا العبد فقال رأى عندي أن ندعو هذا الصنم
حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا
يدفع دعاهم الحوارى وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله لمخلصين
فصرخ عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل
الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره أهذا ربي الذى ترعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير
في كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعني أفهم الخالدون والمعنى أي يكون هذا ربي لا يدل
النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومهم يقول هذا
ربي يزعمكم فلما غاب قال لو كان إلها كما ترعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك أنت العزيز الكريم يعني عند
نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى إلهك الذى ظلمت عليه عاكفا يريد إلهك
يزعمك الوجه الرابع ان في هذه الآية اضممار تقديره يقولون هذا ربي وضممار القول كثير في كلام العرب
ومنه قوله تعالى واذا رفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعه لربنا تقبل منا أي يقولان ربنا تقبل منا الوجه
الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم
قال بعده فلما جئ عليه الليل والفناء تقتضى التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان أراه الله
ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد
الكواكب ويتخذها ربا فأما الجواب عن قوله لئن لم يهتدي ربي لأكون من القوم الضالين فان الانبياء
عليهم السلام لم يزلوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبنى أن تعبد الاصنام وأما قوله تعالى (فلما
أفل) يعني غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعني ابراهيم (لا أحب الا فلين) يعني لا أحب ربا يغيب ويطلع
لان أمارات الحدوث فيه ظاهرة قوله تعالى (فلما رأى القمر بازغا) يعني طالعا منتشرا ضوءا (قال هذا ربي)
معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب (فلما أفل) يعني غاب (قال لئن لم يهتدي ربي لأكون من القوم
الضالين) يعني ان لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزلوا على الهداية من
أول القطرة وفي الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لان ابراهيم أضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى
الشمس بازغة) يعني طالعة (قال هذا ربي) يعني هذا الطالع وأنه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس
أضوا من الكوكب والقمر وقيل إنما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنيث الشمس غير حقيقي فلها أنى بلفظ
التذكير (هذا أكبر) يعني من الكوكب والقمر (فلما أفلت) يعني فلما غابت الشمس (قال يا قوم انى يرى
مما تشركون) يعني انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي أن هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح
لربوبية تبرأ منها وأظهر لقومه انه يرى مما يشركون ولما أظهر خلاف قومهم وتبرأ من شركهم أظهر ما هو
عليه من الدين الحق فقال (انى وجهت وجهي) يعني انى صرفت وجه عبادتي وقصرت توحيدى (لدى فطر

(فلما أفل) غاب (قال لا أحب
الافلين) أى لا أحب عبادة
الارباب المتغيرين عن حال
الى حال لان ذلك من صفات
الاجسام (فلما رأى القمر
بازغا) مبتدئا في الطلوع
(قال هذا ربي فلما أفل قال
لئن لم يهتدي ربي لأكون
من القوم الضالين) نيه
قومه على ان من اتخذ القمر
إلهافهو ضال وإنما احتج
عليهم بالافول دون البروز
وكلما انتقال من حال الى
حال لان الاحتجاج به أظهر
لانه انتقال مع خفاء واحتجاج
(فلما رأى الشمس بازغة قال
هذا ربي) وانما ذكره لانه
أراد الطالع أولانه جعل
المبتدأ مثل الخبر لانهم ماثي
واحد معنى وفيه صيانة الرب
عن شبهة التأنيث ولهذا
قالوا في صفات الله تعالى
علام ولم يقولوا علامة وان
كان الثاني أبلغ تغاديا من
علامة التأنيث (هذا أكبر)
من باب استعمال النصفة
أيضا مع خصومه (فلما
أفلت قال يا قوم انى يرى
تشركون) من الاجرام التى
تجعلونها شركاءنا القدها
وقيل هذا كان نظره
واستدلاله في نفسه فكاه
الله تعالى والاول أظهر
لقوله يا قوم انى يرى مما
تشركون (انى وجهت

بالله شيئاً من خاقه (وجاهه قومه) ٣٠ في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه (قال أتجأوني في الله) في توحيد الله أتجأوني في الله وأين
ذكوان (وقد هذان) الى

السموات والارض) يعني الذي خلقهما وابتدعهما (حنيفاً) يعني ما لا عن عبادة كل شيء سوى الله تعالى
وأصل الحنيف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل
الكعبة في صلاته (وما أنا من المشركين) تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل (وجاهه قومه)
يعني وخاصة قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التي كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله
عز وجل خاصة قومه وجادلوه في ذلك فقال أتجأوني في الله يعني أتجأونني في توحيد الله وقديدي الله وقديدي
وقد تبين لي طريق الهداية الى توحيد الله ومعرفته وقال البغوي لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب
بحالة تسقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها
فيذهب ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذابرت عليه ذهب بها الى نهر
فصوب فيه رؤسها وقال امرئى استترأ بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استنزأه بها في قومه وأهل
قرية حاجه قومه يعني خاصه وجادلوه قومه في دينه (قال) يعني ابراهيم (أتجأوني في الله وقد هذان) يعني
الى توحيد الله ومعرفته (ولا أخاف ما تشركون به) وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بتحمل
أو جنون لعيبك اياها فأجابهم بقوله (ولا أخاف ما تشركون به فانهم اجادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون
الخوف من بقدر على النفع والضرر وهو قوله (الا أن يشاء ربى شيئاً) يعني لكن ان يشاء ربى شيئاً كان ما يشاء
لانه قادر على النفع والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وأيام عمره
ما يكرهه فلو أصابه مكره ونسبوه الى الاصنام فنفي هذه الشبهة بقوله (الا أن يشاء ربى شيئاً وهذا استثناء
منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربى شيئاً كان (وسمع ربى كل شيء علماً) يعني أحاط علمه
بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه (أفلا تتذكرون) يعني أفلا تعتبرون أن هذه الاصنام جادات لا تضر ولا
تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السموات والارض ومن فيها (وكيف أخاف ما تشركون) يعني وكيف
أخاف الاصنام التي أشركتهم بالانجسادات لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع (ولا تخافون أنكم أشركتكم
بالله) يعني وأنتم لا تخافون وقد أشركتكم بالله وهو من أعظم الذنوب (ما لم ينزل به عليكم سلطاناً) يعني ما ليس لكم
فيه حجة وبرهان (فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون) يعني يقول من أولى بالامن من العذاب في
يوم القيامة الموحداً المشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين
قومه يعني ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام
كلام ابراهيم في الحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعني آمنوا بالله
وحده ولم يشركوا به شيئاً ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما
نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعون اقول لقمان لا يشه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني
لم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بأن يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا
القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور
في هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هذا بالشرك
وفي الآية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الا من من النار لقوله (أولئك) يعني الذين
آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لهم الا من) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعني الى سبيل الرشاد
وقوله تعالى (ولذلك نجت ائبناها ابراهيم على قومه) يعني ماجرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث
الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اننا نخاف عليك من آلهتنا السبك اياها قال أفلا

التوحيد وبالباء في الوصل
أبو عمرو ولما خوفوه أن
معبوداتهم تصيبه بسوء قال
(ولا أخاف ما تشركون به
الا أن يشاء ربى شيئاً) أى
لا أخاف معبوداتكم في وقت
قط لانهم لا تقدر على منفعة
ولا مضرة الا اذا شاء ربى أن
يصيبني منها بضر فهو قادر
على أن يجعل فيما شاء نفعاً
وفما شاء ضرراً الا الاصنام
(وسمع ربى كل شيء علماً) فلا
يصيب عبداً شيء من ضرر أو
نفع الا بعلمه (أفلا تتذكرون)
فتميزوا بين القادر والعاجز
(وكيف أخاف ما تشركتكم
معبوداتكم وهي مأمونة
الخوف) (ولا تخافون أنكم
أشركتكم بالله ما لم ينزل به)
باشراً (عليكم سلطاناً) حجة
اذا لا شرك لا يصح أن يكون
عليه حجة والمعنى وما لكم
تسكرون على الا من في
موضع الا من ولا تسكرون
على أنفسكم الا من في موضع
الخوف (فأى الفريقين)
أى فريق الموحدين
والمشركين (أحق بالامن)
من العذاب (ان كنتم تعلمون)
ولم يقل فأينا احترأ من
تركية نفسه ثم استأنف
الجواب عن السؤال بقوله
(الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم) بشرك عن

الصدق رضى الله عنه (أولئك لهم الا من وهم مهتدون) ثم كلام ابراهيم عليه السلام (ولذلك نجت ائبناها ابراهيم على قومه) وهو خبر بهد خبر
ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جئت عليه الليل انى وهم مهتدون (آتيناهم ابراهيم على قومه) وهو خبر بهد خبر

تخافون أنتم منها أن تسويتم بين الصغير والكبير - يرفى العبادة أن يغضب الكبير عليكم وقيل أنه خاصم قومه
المشركين فقال أي الفريقين أحق بالامن من بعد الملاء واحد مخلصه الدين والعبادة أم من بعد أربابا
كثيرة فقالوا من بعد الملاء واحد فقفوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (نرفع درجات من نشاء)
يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات
من نشاء في الدنيا بالنسبة والعلو والحكمة وفي الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم)
يعنى انه تعالى حكيم في جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل
(ووهبنا له اسحق ويعقوب) لما أظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالجميع القاطعة والبراهين
القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها هذه الباعثات لله نعمه عليه واحسانه اليه بأن رفع
درجته في عليين وأبقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعنى لابراهيم اسحق يعنى ابنا
لصلبه ويعقوب يعنى ابن اسحق وهو ولد الولد (كلا هدينا) يعنى هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووقفناهم
الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعنى من قبل ابراهيم أرشدنا نوحا ووقفناه للحق والصواب
ومتنا عليه بالهداية (ومن ذريته) (اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيه - بل يرجع الى ابراهيم يعنى ومن
ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل بل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى
أقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا
ان هاء الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن ييشا
وكان ممن أتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وأيوب) هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن
عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن يصر
ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) يعنى
ونجازنا ابراهيم على توحده وصبره على أذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن
آذن بن بركيا (ويحيى) هو ابن زكريا (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو
ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحق هو الياس بن سنان فخص ابن العيزار بن
هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا بن لامل بن
متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته (كل
من الصالحين) يعنى ان كل من ذكرنا وسمينامن الصالحين (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وانما أخذ كره الى هنا
لانه ذكر اسحق وذكر أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ كرا اسمعيل الى هنا (واليسع) هو
ابن أخطوب بن الجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن أخي ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعنى
على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود
سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى ان الانبياء أفضل من الملائكة * واعلم ان الله تعالى ذكر هنا ثمانية
عشر نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى
الترتيب ولكن هنا لطيفة أو جيت هذا الترتيب وهى ان الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء
عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر أولاد نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم أصول الانبياء
والهم ترجع أنسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود
وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدة اند وقد خص الله بهذه أيوب
عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على المساء
والشدة الى أن أعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة
الجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة
لهدى الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب

(نرفع درجات من نشاء) في
العلم والحكمة وبالتنوين
كوفي وفيد - نقض قول
المعتزلة في الاصلح (ان ربك
حكيم) بالرفع (عليم) بالاهل
(ووهبنا له) لابراهيم (اسحق
ويعقوب كلا هدينا) أى
كلهم واتصبا كلا هدينا
(ونوحا هدينا) أى وهدينا
نوحا (من قبل) من قبل
ابراهيم (ومن ذريته) الضمير
لنوح أولا ابراهيم والاوّل
أظهر لان يونس ولوطا لم
يكونا من ذرية ابراهيم (داود
وسليمان وأيوب ويوسف
وموسى وهرون) والتقدير
وهدينا من ذريته هؤلاء
(وكذلك نجزي المحسنين)
ونجزي المحسنين جزاء مثل
ذلك فالسكاف في موضع
نصب نعت لمصدر محذوف
(وزكريا ويحيى وعيسى
والياس كل) أى كلهم (من
الصالحين) وذكريا وعيسى
معهم دليل على ان النسب
يثبت من قبل الام أيضا لانه
جعل من ذرية نوح عليه
السلام وهو لا يتصل به الا
بالام وبذا أجيب الحاج حين
أنكر أن يكون بنو فاطمة
أولاد النبي عليه السلام
(واسماعيل واليسع) واليسع
حيث كان بلا ميين حمزة
وعلى (ويونس ولوطا وكلا
فضلنا على العالمين) بالنبوة
والرسالة

وصفهم بأنهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعده هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قوله تعالى (ومن آياتهم) يعني ومن آباء الذين سميناهم ومن هذا التبعيض لان من آباء بعضهم من لم يكن مسلما (وذرياتهم) يعني ومن ذرياتهم أي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح (واخوانهم) يعني ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالف الدين وهو قوله تعالى (واجتبيناهم) يعني اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعني وأرشدناهم (الى صراط مستقيم) أي الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتزويده عن الشرك والاضداد والانداد (يهدي به من يشاء من عباده) يعني يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو أشركوا) يعني هؤلاء الذين سميناهم (لحبط) يعني لبطل وذهب (عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا قوله عز وجل (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعني أولئك الذين سميناهم من الانبياء أعطيناهم الكتاب التي أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وأما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هي الأصل لان منصب النبوة أشراف المراتب والمناصب فذكر أول الكتاب والحكم لانهم يدلان على النبوة (فان يكفرها هؤلاء) يعني فان يجحد بدل أول التوحيد والنبوة كفار قريش (فقدوا) بها قوما ليسوا بأكافرين قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردي هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطق الا على بني آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا أو نبيا أو من الصحابة أو التابعين وفي الآية دليل على أن الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وفي ذلك فهو اخبار عن الغيب قوله تعالى (أولئك الذين هدى الله) يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) إشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني بشرائعهم وسنتهم وأصل الاقتداء في اللغة طلب موافقة الثاني للاول في فعله وقيل أمره أن يقتدى بهم في أمر الدين الذي أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتزويده عن جميع النقائص التي لا تليق بجلاله في الاعمال والصفات والافعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم في جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الاما خلا دلائل آخر فعلى هذا القول يكون في الآية دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا

تقديم المفعول والمراد بهدم طريقهم في الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي محتسفة والماء في اقتده للوقوف تمسك في الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الماء في المصنف وبخلافها جزوة وعلى في الوصل ويختلص اشاعى

الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله أعلم وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا) يعني قل يا محمد لا أطلب
 لي تبليغ الرسالة جملا قيل لما أمره الله تعالى بالقداء بالنبين وكان من جملة هداهم عدم طاب الاجر على
 اصال الذين وابلغ لشرعية لاجرم اقتدى بهم فقل لا أسألكم عليه أجرا (ان هو) يعني ما هو يعني القرآن
 (الاذ كرى للعالمين) يعني ان القرآن موعظة وذكري لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى
 الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلق قوله عز وجل
 (وما قدر والله حق قدره) قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمتة وعنه ان معناه ما آمنوا ان الله
 على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال
 قدر الشيء اذا خزنه وسببه وأراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدر انهم يقول لمن عرف شيئا هو يقدر
 قدره واذ لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدره والله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه
 المذكورة في معناه (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدره
 الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن
 نزلت هذه الآية على قولين أحدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه
 السورة مكية وهو قول السدي ويرى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من أول السورة الى هذا
 الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكار قوله وما قدره والله حق قدره موصولا بذلك غير
 مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء خبرا عن غيرهم وأورد غير الذين الرأى على
 هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى
 وأيضا فبعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بأن كفار قريش كانوا
 مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالبحرات الباهرات وانما أنكروا كفار قريش
 نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون
 سياق الآية لا يليق باليهود بأن كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله
 عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الآية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود والقول الثاني في سبب
 نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت
 بالمدينة وانها من الآيات المدنية التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الاست آيات
 منها قوله وما قدره والله حق قدره فانما نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه
 الآية فيه فقال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة ان الله يبعث
 الخبر السمين وكان خبرا سمينا فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا
 على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله وما قدره والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على
 بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراه وهدى للناس الآية قال البغوي وفي القصة ان
 مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا ليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت
 ما أنزل الله على بشر من شيء فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول
 على الله غير الحق فتزعه عن الخبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في
 فصاح بن عازر واهل اليهودي وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا
 قال نعم فقالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل الله وما قدره والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من
 شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي
 صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألوا يحملها
 من عند الله فأنزل الله يستلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما

(قل لا أسألكم عليه) على
 الوحي أو على تبليغ الرسالة
 والدعاء الى التوحيد (أجر)
 جملا وفيه دليل على ان أخذ
 الاجر على تعليم القرآن
 ورواية الحديث لا يجوز
 (ان هو الاذ كرى للعالمين)
 ما القرآن الاعظة للجن
 والانس (وما قدره والله حق
 قدره اذ قالوا ما أنزل الله على
 بشر من شيء) أي ما عرفوه
 حق معرفته في الرحة على
 عباده حين أنكروا بعثة
 الرسل والوحي اليهم وذلك
 من أعظم رحمة وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين روى أن
 جماعة من اليهود منهم مالك
 ابن الصيف كانوا يجادلون
 النبي عليه السلام فقال النبي
 عليه السلام له أليس في
 التوراة أن الله يبعث الخبر
 السمين قال نعم قال فأنت
 الخبر السمين فغضب وقال
 ما أنزل الله على بشر من شيء
 وحق قدره منصوب نصب
 المصدر

(قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا) ٣٤ حال من الضمير في به أو من الكتاب (وهدي للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون

كثيرا) ما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفترقة ليتمكنوا من إماراها من الإبداء والاختفاء وبالياء في الثلاثة مي وأبو عمرو (وعلمت) يأهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا أنتم ولا آبائكم) من أمور دينكم وديننا كم (قل الله) جواب أي أنزله الله فانهم لا يقدر أن ينالكروك (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه) من الكتب (ولتتذرا) وبالياء أبو بكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قبل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب ولا نذار (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لأنها سيرة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس يؤمنونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب فأصل الدين خوف العاقبة فنخافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلاتهم يحافظون) خصت الصلاة بالذكرا لأنها علم إيمان وعماد الدين فنحافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) هو مالك بن الصيف

زعمه كذاب مبطل (أوقال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء) قال قتادة نزلت هذه الآية في مسيلة الكذاب ابن
 عمامة وقيل مسيلة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وشجع ادعى النبوة باليمن وزعم
 أن الله أوحى إليه وكان قد أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهم أرسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن تشهد أن مسيلة نبي قالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم
 (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم إذ أتيت خزان الأرض فوضع في يدي
 سوار من ذهب فكبيرا على وأصغارا في أذني إلى أن انتفخ ما انتفخهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا
 بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام
 كأن في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى يقال لاحدهما مسيلة صاحب اليمامة والعنسي
 صاحب صنعا قوله فأوحى إلى أن انتفخهما يروي بالحاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفخت الدابة برجلها
 إذا دفعت ورجمت و يروي بالطاء المعجمة من النفخ يريدانه انتفخهما فطارا عنه وهو قريب من الأول فاما
 مسيلة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاعتز
 قومه بذلك وقتل مسيلة الكذاب في زمن خديجة أبي بكر الصديق قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب
 وكان وحشي يقول قتل خير الناس يعني حمزة وقتل شر الناس يعني مسيلة وأما الاسود العنسي بالفون
 فهو عبد بن كعب وكان يقول له ذوالحارث ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقتل والنبي
 صلى الله عليه وسلم حتى لم يموت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم فازفرو زعني بقتله الاسود العنسي فن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى
 على الله كذبا أوقال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء أنزلت في مسيلة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه
 الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير تقدم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الآية
 مكية وقال انها نزلت في شأنهم يقول انها خبر عن غيب فقد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم وقوله تعالى (ومن قال
 سأزل مثل ما أنزل الله) اليك قال السدي نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب
 للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سمع باصيرا كتب عليهما حكيمًا وإذا أملى عليه عليهما حكيمًا كتب
 غفورًا حيمًا فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فحبب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اكتبها فكتبها كذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد أوحى إلى مثل ما أوحى إليه
 فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك إلى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله
 عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله في المشركين وهو
 جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في
 ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني
 ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت رأيت أمرا عظيما وغمراته شدة دأبه وسكراته وغمرة كل
 شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدة والدوامة (والملائكة
 باسطوا أيديهم) يعني بالعذاب يضربون وجوههم وأديبارهم وقيل باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم (أخرجوا
 أنفسهم) يعني يقولون لهم أخرجوا أنفسكم ثم قال فقلت فانه لا قدرة له احد على اخراج روحه من بدنه فافائدة
 هذا الكلام ثم قلت بمعناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر
 وقيل معناه يقولون لهم خلصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم
 لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعني الهوان
 (عما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعني ذلك العذاب الذي تجزون به بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق

مثل ما أنزل الله) أي سأقول
 وأملى هو عبد الله بن سعد
 ابن أبي سرح كاتب الوحي
 وقد أملى النبي عليه السلام
 عليه ولقد خلقنا الانسان
 الى خلقا آخر خفي - رى على
 لسانه فقبارك الله أحسن
 الخالقين فقال عليه السلام
 اكتبها فكتبها كذا نزلت
 فشك وقال ان كان محمد
 صادقا فقد أوحى إلى كما
 أوحى إليه وان كان كاذبا
 فقد قلت كما قال فارتد ولحق
 بكمة أو النضر بن الحارث
 كان يقول والاطحانات
 طحننا فالعاجنات عجننا
 فالعاجنات خبزنا كانه
 يعارض (ولو ترى) جوابه
 محذوف أي رأيت أمرا
 عظيما (اذ الظالمون) يريد
 الذين ذكرهم من اليهود
 والمنتمية فتكون اللام
 للعهد ويجوز أن تكون
 للجنس فيدخل فيه هؤلاء
 لاشتماله (في غمرات الموت)
 شدة دأبه وسكراته
 (والملائكة باسطوا أيديهم
 أخرجوا أنفسهم) أي
 يبسطون أيديهم - م أيديهم
 يقولون ها قف أرواحكم
 أخرجوها اليانمان أجسادكم
 وهذه عبارة عن التشديد
 في الارهاق من غير تنفيس
 وامهال (اليوم تجزون
 عذاب الهون) أروا وقت
 الامانة وما به ذبون به من
 شدة النزاع والهوان الهوان

الشديد وضافة العذاب اليه كقولك رجل سهل سوء يريد العرافة في الهوان والتمكن فيه (عما كنتم تقولون على الله
 غير الحق) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أي قولا غير الحق

(وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه قوله تعالى (واقعد جثمتونا فرادي) يعني وحده انا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكافرين ولقد جثمتونا فرادي تقرير وتوبيخ لهم لانهم صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وأغفوا عما هم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيأ في يوم القيامة فبقوا فرادي عن كل ما حصلوه في الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعني جثمتونا نحافة عراة غرلا يعني قلنا كما ولدناهم أمهاتهم في أول مرة في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كابدنا أول خلق خلقني معه وعدا علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشرون الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن بهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها أقرأت قول الله عز وجل ولقد جثمتونا فرادي كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأ تاء ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) يعني وتركتم الذي أعطيناكم وملأناكم من الاموال والا ولد والخدم والخلول وكل ما أعطى الله العبد خوله فيه من المال والعبودية وراى ظهوركم يعني في الدنيا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانهم تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وجى الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرئ بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وضل عنكم ما كنتم ترغمون) يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا قوله عز وجل (ان الله فلق الحب والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلى حكمته تنبيه بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وانما مبدء الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريفهم بعبادتها خطأ ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى فلق قولان أحدهما انه بمعنى خلق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدى ذهبوا فالفق مذهب فاطر وأنكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خالق ونقل الازهرى عن الزجاج جواز فقه فقال قيل الفلق الخلق واذا تأملت الخلق تبين لك ان أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما أوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فلقها وأظهرها والقول الثاني وهو قول الأكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفو في معناه على قولين أحدهما وهو مروى عن ابن عباس قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا أخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالخنطة والشعر والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والخنوخ والشمس وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالفق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحبة أو النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب وينظر من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروها ضاربة في الارض فسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرته

(يخرج الحى من الميت) النبات الغض النامى من الحب اليابس (ومخرج الميت من الحى) الحب اليابس من النبات النامى أو الانسان
من النطقة والناطق من الانسان أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم أنكروا البعث فاعلمهم
أنه الذى خلق هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الناعل ٣٧ لانه معطوف على فائق الحب لاعلى الناعل

ويخرج الحى من الميت
موقعه موقع الجملة المبينة
لقوله فائق الحب والنوى لان
فائق الحب والنوى بالنبات
والشجر الناميين من جنس
اخراج الحى من الميت لان
النامى فى حكم الحيوان دليله
قوله ويحيى الارض بدموتها

(ذلكم الله) ذلكم المحيى
والمميت هو الله الذى يتق
له الربوبية لا الاصنام (فأنى
توفىكون) فكيف تصرفون
عنه وعن توليه الى غيره بعد
وضوح الامر بما ذكرنا
(فائق الاصباح) هو مصدر
سمى به الصبح أى شاق عود
الصبح عن سواد الليل أو خالق
نور النهار (وجاعل الليل)
وجعل الليل كوفى لان اسم
الفاعل الذى قبله بمعنى الضى
فلما كان فائق بمعنى فلق عطف
عليه جعل لتوافقهما معنى
(سكنا) مسكونا فيه من قوله
لتسكنوا فيه أى ليسكن فيه
الخلق عن كذا المعيشة الى نوم
الغفلة أو عن وحشة الخلق
الى الانس بالحق (والشمس
والقمر) انتصابا ضمرا
فعل يدل عليه جاعل الليل
أى وجعل الشمس والقمر
(حسبانا) أى جعلهما على
حسبان لان حساب
الاقوات يعلم بدورها وسيرها
والحسبان بالضم مصدر

بقدرته وابداعه وخلق وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية
عنه يخرج من النطقة بشر احياء ويخرج النطقة الميتة من الحى وهذا قول الكلبى ومقاتل قال الكلبى
يخرج النعمة الحية من النطقة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطقة الميتة والبيضة الميتة من
الحى وقال ابن عباس فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان
عزلة الحياة والكفر عزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصى والعاصى من
الطائع وقال السدى يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبرى لانه قال عقب قوله
ان الله فائق الحب والنوى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج
الحى من الميت وما السبب فى عطف الاسم على الفعل بوقفات كما فى قوله ومخرج الميت من الحى عطف على قوله
فائق الحب والنوى وقوله يخرج الحى من الميت كالمبين والتفسير لقوله فائق الحب والنوى لان فائق الحب
والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات فى حكم
الحيوان وقوله (ذلكم الله) يعنى ذلكم الله المبدى الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيى المميت لها (فأنى توفىكون)
يعنى فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضا على صحة البعث
بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطقة قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله تعالى (فائق
الاصباح) أى شاق عود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصباح
والصبح واحد وهما أول النهار فان قلت كيف ظاهرا لا يتبدل على انه تعالى فائق الصبح والظلمة هي التى تتفلق
بالصبح فامعنى ذلك بوقفات ذكر العلماء فيه وجوها الاول أن يكون المراد فائق ظلمة لصبح وذلك
لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرجان وهو الذئب ثم
تعمقه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم
يطلع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطير فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس
بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فائق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه
تعالى كاشف ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فائق الاصباح
أى فائق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فائق ظلمة لاصباح وهى الغيبس فى آخر الليل الذى
يلى الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فائق الاصباح الذى هو عود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق
وسمى الفجر فلما جعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعنى خالق الاصباح وعلى هذا القول
يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره
وقوله تعالى (وجاعل الليل سكنا) السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون فى الليل
سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد
أتعب نفسه فى النهار فاحتاج الى راحة يسكن فيها ويستريح فيه وذلك هو الليل (والشمس والقمر
حسبانا) يعنى انه تعالى قد رزقنا الشمس والقمر فى الفلك بحسبان معين قال ابن عباس يجرى ان الى أجل
جعل لهما معنى عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبى منازل لهما بحسبان لا يحاوزانه حتى ينتهيا الى
أقصى منازلهما (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره فى هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكامل علمه وهو
المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزى اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله عز وجل
(وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خلق يعنى والله الذى خلق لكم

حسب كان الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) اشارة الى جعلها حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرها
وسخرها (العلم) بتدبيرها وتدويرها (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل بالبر
وبالبحر وأضافها اليهم مالم يلبسها أو شبهة مشتبهات بالطرق بالظلمات

بالكسر مكى وبصرى فن فسخ القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسر ها كان اسم فاعل
هذه النجوم أدلة لتهدوا بها إذا ضللت الطريق وتحيتم فيه فامتن الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهدوا
بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضا على القبلة فيستدلون على
ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا أنه تعالى خلقها زينة
للسماوات وجوامع للشياطين كما قال واقدنر بنا السماء الدنيا بصايج وجعلنا هار جوامع للشياطين (قد فصلنا
الآيات) يعني قدينا الآيات الدالة على توحيدنا وكل قدرتنا (لقوم يعلمون) أن ذلك ما يستدل به على وجود
الصانع الختار وكل علمه وقدرته قوله تعالى (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتداء
خلقكم أي الناس من آدم عليه السلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضا لان ابتداء خلقه
من مريم وهي من نبات آدم فثبت أن جميع الخلق من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) قرئ فستقر
بكسر القاف وتفتحها يقال قرئ مكانه واستقر فن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر
يعني في الأرحام ومن فسخ القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر وأما المستودع فهو
مثل أودع فيجوز أن يكون اسم الإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فن قرأ
فستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فليكن مكان استقرار ومكان استبداء ومن كسر القاف
جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر
والمستودع أن المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع لأن المستقر من القرار والمستودع معرض لأن يرد
ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام
الأمهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ وتقرئ الأرحام ما نشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في
صلب الأب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الأم زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الأم أكثر من
صلب الأب جعل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه أنه قال بالعكس يعني أن المستقر
صلب الأب والمستودع رحم الأم ووجه هذا القول أن النطفة حصة في صلب الأب قبل رحم الأم فوجب
جعل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم إلى أن يولد والمستودع في
القبور إلى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الأرض في الدنيا والقوله ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى
حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبور والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم
أنت مستودع في أهلك إلى أن تلحق بصاحبك يعني القبور وقيل المستودع في القبور والمستقر أمان الجنة أو
النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتأييد (قد فصلنا الآيات) قدينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين
الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيد الله لان
الفقه هو الفهم قوله عز وجل (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني المطر وقيل إن الله أنزل المطر من السماء
إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض (فأخرجنا به) يعني بالماء الذي أنزلناه من السماء (نبات كل شيء) يعني
كل شيء ينبت وينمو من جميع أصناف النباتات وقيل معناه أخرجننا بالماء الذي أنزلناه من السماء غذاء كل
شيء من الأنعام والبهائم والطيور والوحش وأرزاق بني آدم وأقواتهم ما يتغذون به فينبئون عليه وينفون
(فأخرجنا منه خضرا) يريد أخرجنا مثل عور وأعور والأخضر هو جميع الزرع والبقول الرطبة (نخرج
منه حبا متراكبا) يعني نخرج من ذلك الأخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح
والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الأفضلية ولأن حاجة الناس
إليه أكثر لانه القوت المألوف (ومن النخل من طلعها فتوان دانية) يعني من ثمرها يقال أطلعت النخلة إذا
أخرجت طلعها وطلعها كفرها قبل أن ينشق عن الأغريض والأغريض يسمى طلعاً أيضا وهو ما يكون في
قاب الطلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيان يكون فيه العذق فإذا شق عنه كيزانه سمى

والمستودع اسم مقول
يعني فليكن مستقر في الرحم
ومستودع في الصلب أو
مستقر فوق الأرض
ومستودع تحتها أو فنيكم
مستقر ومنكم مستودع
(قد فصلنا الآيات لقوم
يفقهون) واما قيل يعلمون
ثم يفقهون هنا لان الدلالة
ثم أظهر وهنا أدق لان
انشاء الانس من نفس
واحدة وتصر يفهم بين
أحوال مختلفة أدق فكان
ذكر الفقه الدال على تدقيق
النظر أوفق (وهو الذي
أنزل من السماء ماء) من
السحاب مطرا (فأخرجنا
به) بالماء (نبات كل شيء)
نبت كل صنف من أصناف
الناس أي السبب وهو
الماء واحد والمسيبات
صنوف مختلفة (فأخرجنا
منه) من النبات (خضرا)
أي شيئا غضا أخضر يقال
أخضر وخضر وهو ما
تسعب من أصل النبات
الخارج من الحبة (نخرج
منه) من الخضر (حبا
متراكبا) وهو السنبل
الذي تراكب حبه (ومن
النخل من طلعها فتوان)
هو رفعه بالابتداء ومن
النخل خبره ومن طلعها
بدل منه كأنه قيل وحاصلة
من طلع النخل فتوان وهو

جمع فتوان وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المجتى لانخضائها بقل حملها
أو لقصر ساقها وفيه اكتفاء أي وغير دانية لطلوها كقوله سراييل تقيم الحنجر

وجنات) بانصب عطفاء على

نبات كل شيء أي وأخر جنابه
جنات (من أعناب) أي مع
النخل وكذا (والزيتون
والرمان) وجنات بالرفع
الاعشى أي ونم جنات من
أعناب أي مع النخل (مشتبه
وغير مشتبه) يقال شبهته
الشيطان وتشابهه نحو استويا
وتساويا والافتعال والتفاعل
يشتركان كثيرا وتقديره
والزيتون متشابه وغير
متشابه والرمان كذلك يعني
بعضه متشابه وبعضه غير
متشابه في القدر واللون
والطعم (انظر والى غيره اذا أغمر)
اذا أخرج غمره كيف يخرج
ضعيفا لا ينفع فيه (وينعه)
ونضجه أي انظر والى حال
نضجه كيف يعود شيئا جامعا
لنفع نظرا اعتبار واستدلال
على قدره مقدرة ومدبره
وناقله من حال الى حال (ان في
ذلك لآيات لقوم يؤمنون)
غمره وكذا ما بعده حزة وعلى
جمع غمار فهو جمع الجمع يقال غمره
وغمر وغمار وغير (وجه لوالله
شركاء الجن) ان جعلت لله
شركاء مفعولي جعلوا كان
الجن بدلا من شركاء والا كان
شركاء الجن مفعولين قدم
ثانيها الى الاول وفائدة التقديم
استعظام أن يتخذ الله شركاء
من كان ملكا وحييا وغير
ذلك والمعنى انهم أطاعوا الجن
فما سألهم من شركاءهم
جعلواهم شركاء لله (وخلقهم)
أي وقد خلق الجن فكيف
يكون الخلق شركاء لخالقه
والجمله حال أو وخلق الجاعلين
لله شركاء فكيف يعبدون غيره

عذقا وهو القنوج ووجه قنوج مثل صنو وصنوان دانية أي قريبة التناول ينالها القنوج والقاعد وقال مجاهد
مدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالأرض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنواها دانية
قريبة منها ما هي بعيدة عالية فاكثفي بذكر القرية عن البعيدة لشدة الاهتمام بها لانهما أسهل تناول
من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة (وجنات من أعناب) يعني وأخر جنات من ذلك بساكنين من أعناب
(والزيتون والرمان) يعني وأخر جنات الزيتون وشجر الرمان (مشتبه) قال قتادة مشتبه بورقها مختلفا غمرها
لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير متشابه) يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى
ذكر في هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الأشجار لان الزرع
غذاء وسائر الأشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان غمرها يتجرى مجرى
الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الأشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من
أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه
الاستعمال ثم ذكر عنبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظر والى غيره اذا أغمر
وينعه) يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظر وانظر استمدلال واعتبروا كيف أخرج الله تعالى هذه التمرة
الطيبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يعني
يصدقون ان الذي أخرج هذه النباتات وهذه الثمار قادر على أن يحيي الموتي ويعيدهم وانما احتج الله عليهم
بتدبير ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويأشاهدونه من احياء الارض بعد موتها
واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها لانه لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى لئلا يبين أنه تعالى كذلك قادر على
أن يحييهم بعد موتهم ويعيدهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى
(وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم
أطاعوا الجن فيما سألهم من شركاءهم فجعلواهم شركاء لله وقال السكاكي زلت في الزنادقة أثبتوا الشرك
لأئس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والاعنام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات
والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرزي عن ابن عباس قال الامام فخر الدين
وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلتبسون بالزندقة لان الكتاب الذي
زعموا زشت انه نزل من السماء سماه بالزندو المنسوب اليه زندي ثم عتب فقيل زنديقي فاذا جمع قيل زنادقة
ثم ان المجوس قالوا كل ما يكون في هذا العالم من الخيرة فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر
فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس فلا يكترون منهم على أن ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه
أقوال عجيبية والافلون منهم قالوا انه قديم وعلى كمال القواين فقه دافقوا على انه شريك الله في تدبير هذا العالم
فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال قلت لابي عبد الله عليه السلام
القول انما أثبتوا لله شركاء واحد هو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركاء يقولت لابي عبد الله عليه السلام
أعوان من جنسه وخر به وهم شياطين الجن يعملون أعماله فضع ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركاء
الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشريعة فن قال ان الآية في كفار العرب قال
انهم لما أطاعوا الجن فيما أمرهم به من عبادة الاصنام فقد جعلواهم شركاء لله ومن قال انهم سألوا الجن
انهم أثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا للملائكة بنات الله وهم شركاءه فعلى هذا
القول فقد جعلوا للملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) في معنى الحكاية
قولان أحدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث
مخلوق والقول الثاني أن الحكاية تعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء
لا يتخفون شيئا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله

(وخرقوا) أى اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أوهو من خرق الثوب اذا شقه أى اشتتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب فى الملائكة وخرقوا بالنسبة لثوبهم الذى خرقوا أى جاهدوا بنات (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ وأصواب ولكن رمية بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهدوا بنات (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بديع الشيء فهو بديع وهو من اضافته الصفة المشبهة الى فاعلها بمعنى بديع سمواته وارضه وهو بمعنى المبدع ٤٠ أى مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن

له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولا ن الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسمًا حتى يكون له ولد (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا هو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شئ والولد اذا يطلبه المحتاج (ذالك) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) وقوله (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أى من استجبعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شئ وكيل) أى هو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والاحمال رقيب على الاعمال (لا تدركه الابصار) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم وتشبه المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لان المنفى هو الادراك لا الرؤية

تعالى هو الخالق لجميع ما فى الكون فامتنع ان يكون لله شريك فى ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) أى اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان الله انسان وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فادعوه وقوله بغير علم كالتنبية على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى ان الله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعنى عما يصفونه به من الكذب قوله عز وجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (أنى يكون له ولد) يعنى من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لان الولد لا يكون الا من صاحبة أنثى ولا ينبغى أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثل شئ (وخلق كل شئ) يعنى ان الصاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثل شئ فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد للصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزّه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شئ عليم) يعنى انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شئ وعلمه محيط بكل شئ قوله تعالى (ذلکم الله ربکم) يعنى ذالك الله الذى من صفته انه خلق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شئ عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه) يعنى انه هو الذى يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه (وهو على كل شئ وكيل) يعنى انه هو تعالى على كل شئ خلق رقيب حفيظ يقوم بأرزاق جميع خلقه قوله عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنهه الشئ وحقيقته فلا أبصار ترى البارى جل جلاله ولا تحيط به كائن القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب فى تفسير قوله لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كانت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به

فوفصل بمسك نظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله أدركته ببصرى ورأيته ببصرى فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار يعنى لا تراه الابصار وهذا يقيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفى الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا بحجة مذهبهم بتطاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة فى هذه الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى والادراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجوانب يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ولم ونفى الاحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا تقتضى نفي العلم به فكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح بوجوب ثبوت الرؤية اذ نفي ادراك ما يستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاءه مع تحقق الرؤية دليل على ارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاشتغوا بالتفصى عن عهدها ومن ينفى الرؤية يلزمه نفي انه معلوم موجود والا فكيف يعلم موجودا بلا كيفية وجهه بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهه بخلاف كل مرئى وهذا لان الرؤية تحقق الشئ بالبصر كما هو فان كان المرئى فى الجهة

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله سبحانه قوما بالعبودية وهي الكفر فثبت ان قوما
 يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الكفار بالحجاب وقال تعالى
 للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسر وهذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأما دلائل
 السنة فإروى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر
 وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطيعتم أن لا تغلغوا عن صلاة
 قبل طلوع الشمس وقبل غروبهم فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه
 البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضامون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا
 لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس
 عنده في أوله ان ناسا سألوه ولا في آخره ليس دونها سحاب عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى
 ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر
 مخليا به قلت بلى قال فالتة أعظم أم ما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالتة أجل وأعظم أخرجه أبو داود وأما
 الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره
 أنه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلم يكن جائزا رؤية ما حصل هذا المدح لان المدح لا يصح التمدح
 به فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز رؤية وتحقيق هذا الشيء اذا
 كان في نفسه بحيث تتمتع رؤيته فحينئذ لا ينز من عدم رؤيته ومدح وتعظيم أما اذا كان في نفسه جائزا رؤية
 ثم أنه قد روي على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على أنه تعالى
 جائز رؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل
 الرؤية بقوله أرني أنظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يستلزم مثل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد
 علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر الجبل فسوف تراني واستقر الجبل جائزا والمعلق على
 الجائر جائز وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان
 الادراك هو الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير
 ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال أصحاب موسى اننا لندركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوام
 موسى ولم يدركوههم لكن قاروا بدرا كههم اياهم فنفي موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى
 يجوز ان يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو ما كان محدودا وله
 جهات والله تعالى منزعه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك
 وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في
 الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ
 ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي
 البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فعني قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به
 علما وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المراتبات
 ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقة ما مطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار
 المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى
 اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل للشيء اليك برفق ولين وقيل هو الذي ينسب عباده ذنوبهم لئلا
 يتجلبوا وأصل اللطيف دقة النظر في الاشياء وقال أبو سليمان الخطابي اللطيف هو اللين بعباده بلطف بهم من
 حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في أسماء الله تعالى
 معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر بعباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم

يرى فيها وان كان لا في الجهة
 يرى لافها (وهو اللطيف)
 أي العالم بدقائق الامور
 ومشكلاتها (الخبير) العليم
 بظواهر الاشياء وخفياتها
 وهو من قبيل آلاف والنشر

(قد جاءكم بصائر من ربكم) البصيرة نور القلب الذي يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتبصير ما هو للقلوب كالصائر (فن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وأباهرها فنع (ومن عمي) عنه وضل (فعلمها) فعمل نفسه عمي وأباهرها بالعمي (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ ٤٢ أعمالكم وأجازكم عليها إنما أنا مذكروا والله هو الحفيظ عليكم الكفاف في (وكذلك نصرف الآيات

في موضع نصب صفة المصدر المحذوف أي نصرف الآيات تصرفا مثل ما تلونا عليكم (وليقلوا) جوابه محذوف أي وليقلوا (درست) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب دارست مكي وأبو عمرو أي دارست أهل الكتاب درست شأى أي قد مدت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الاولين (ولنبيته) أي القرآن وان لم يجدوا له ذكر لكونه معلوما والآيات لانها في معنى القرآن قبل اللام الثانية حقيقة والاولى لام العاقبة والصيرورة أي لتبصر عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا درست وهو كقولك فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصرف الآيات كما حصل التبيين فشب به به وقيل ليقولوا لتأقيل لنبيته وعندنا ليس كذلك لما عرف (لقوم يعلمون) الحق من الباطل (اتبع ما أوحى اليك من ربك) ولا تتبع

وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن أن تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشئ والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست في أنفسها بصائر إلا أنها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا للحصول البصائر سميت بصائر (فن أبصر) يعني فن عرف الآيات واهتدى بها إلى الحق (فلنفسه) يعني فلنفسه أبصر ولما عمل لانه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمي) يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها إلى الطريق (فعلمها) يعني فعلى نفسه عمي ولما ضر وكان وبال ذلك العمي عليه لان الله تعالى غنى عن خلقه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني وما أنا عليكم بريب أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم إنما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شئ من أعمالكم وأحوالكم وقيل معناه لا أقرر أن أدفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه ليست أأخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم قوله عز وجل (وكذلك نصرف الآيات) يعني وكذلك تبين الآيات وتفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناهما من قبل (وليقلوا درست) يعني وكذلك نصرف الآيات لتبينهم الحجج وليقلوا درست وقيل معناه لتلايقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم ان يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة إذا كثرت قراءته وذلك للحفظ قال ابن عباس وليقلوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وخبر وكانا عبد من سبي الروم ثم قرأت عليهما تزعم انه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف بمعنى قرأت أهل الكتاب من المدارس التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل الكتاب وقرأ عليكم وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها علينا قد عرفت درست وانتم من قولهم درس الاثر إذا حكي وذهب أثره (ولنبيته لقوم يعلمون) يعني القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياء الذين هداهم إلى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فن أعرض عنها وقال النبي صلى الله عليه وسلم درست أو درست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو اسحق ان السبب الذي آذاهم إلى أن قالوا درست هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة أمرهم ان قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصرف الآيات سببا للضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهذا يتهم قوله تعالى (اتبع ما أوحى اليك من ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع ما يوحى اليك من ربك في وحيه الذي أوحاه اليك وهو القرآن فاعمل به وبلغه إلى عبادي ولا تلتفت إلى قول من يقول درست أو درست وفي قوله اتبع ما أوحى اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله تعالى (لا اله الا هو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له وإذا كان كذلك فانه يجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزرع الزائعين وقوله تعالى (وأعرض عن المشركين) قيل المراد منه في الحال لا الدوام وإذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون الامر بالأعراض منسوخا بآية القتال قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال

أهواءهم (لا اله الا هو) اعتراض أكده بيجاب اتباع الوحي لا محال له من الاعراب أحوال من ربك مؤكدة الزجاج (وأعرض عن المشركين) في الحال إلى أن يرد الأمر بالقتال (ولو شاء الله) أي إيمانهم فالفعول محذوف (ما أشركوا) بين انهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الايمان هداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فأشركوا عيشة

الزجاج معناه لو شاء الله جعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بعشيرة الله تعالى خلافا للمعتزلة
 في قولهم لم يرد من أحد الكفر والشرك فالآية رد عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) يعني وما جعلناك يا محمد
 على هؤلاء المشركين رقيبولا حافظا تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك عليهم
 حفيظا تمنعهم منا ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبلغا فلا تتم بشركهم فان
 ذلك بعشيمة الله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) يعني وما أنت عليهم بقيم تقوم بأمر زافهم وما أنت عليهم بسيطر
 فعلى التفسير الأول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة بقوله عز
 وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية قال ابن عباس لما نزلت انكم
 وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهمتنا أولئك هم ربك فنهاهم
 الله أن يسبوا أولئهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أولئهم الكفار فيردون
 ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لأنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما
 حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه فانا
 نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عامر بن لؤي فقامت قتله فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر
 ابن الحرث وأممة وأبي ابن خلف وعقبه بن أبي معيط وعمر بن العاص والأسود بن أبي البخترى إلى أبي
 طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمد قد أذانا وأذى آلهمتنا فنجب أن ندعوه فنهاه عن ذلك
 آلهمتنا وندعه والله فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب ان هؤلاء قومك وبنو عمك فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا يريد أن تدعنا وآلهمتنا وندعك والهلك فقال له أبو طالب قد
 أنصفت قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرايت ان أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة ان
 تكلمتم بها ملككم العرب ودانت لكم الحهم وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطيك كها وعشرة
 أمثالها فهاهي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غير هذا يا ابن أخي فقال يا نعم ما أنا بالذي
 أقول غير هذا ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غير هذا ارادة ان يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك
 آلهمتنا ولنشتمك ولنشتمن من يأمرك فأنزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها
 المؤمنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لأنهم جهلة
 بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدونها المشركون
 وقال ابن الأباري هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما أقواه بأصحابه
 نسخ هذه الآية ونظائرهابقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل اغنائهم عن سب الاصنام وان كان
 في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب
 رسوله وذلك من أعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله
 عليه وسلم لا تسبوا آلهمتنا فيسبوا ربكم فأمسك المسلمون عن سب آلهمتنا فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب
 الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سب لذلك وقوله تعالى (كذلك زيننا كل أمة أعمالهم) يعني
 كما زيننا هؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زيننا كل أمة أعمالهم
 من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن
 من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى (ثم إلى ربهم مرجعهم) يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي
 (فينبئهم بما كانوا يعملون) يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل (وأقسموا بالله جهد أيمانهم)
 قال محمد بن كعب القرظي والكسبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا أن موسى كانت له عصا تضرب بها الحجر
 فتفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فأتينا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء تحببون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وبعث لنا بعض موتانا نسأله عنك
 أحق ما تقول أم باطل وأرنا ملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون

(وما جعلناك عليهم حفيظا)
 من أعيالهم مأخوذا
 بأجرهم (وما أنت عليهم
 بوكيل) بمسلط وكان المسلمون
 يسبون آلهمتنا فهو الثلا
 يكون سبهم سب السب الله
 بقوله (ولا تسبوا) آلهة
 (الذين يدعون من دون الله
 فيسبوا الله) منصوب على
 جواب النهي (عدوا) ظلما
 وعدوانا (بغير علم) على
 جهالة بالله وبما يجب ان
 يذكر به (كذلك) مثل ذلك
 التزيين (زيننا كل أمة)
 من أمة الكفار (علمهم)
 وهو كقوله أفن زين له سوء
 عمله فراه حسنا فان الله يضل
 من يشاء ويهدي من يشاء
 وهو حجة لنا في الاصلح (ثم إلى
 ربهم مرجعهم) مصيرهم
 (فينبئهم بما كانوا يعملون)
 فيخبرهم عما عملوا ويجزيهم
 عليه (وأقسموا بالله جهد
 أيمانهم) جهد مصدر وقع
 موقع الحال أي جاهدين
 في الايمان بأوكدا لايمان

(لئن جاءتهم آية من

مقرر حانهم (ليؤمنن بها قبل انما
الآيات عند الله) وهو قادر
عليها لا عندى فكيف آتيتكم
بها (وما يدريكم) وما يدريكم
(أنها) أن الآية المقترحة (إذا
جاءت لا يؤمنون) بها يعني أنها
أعلم أنها اذا جاءت لا يؤمنون
بها وأنتم لا تعلمون ذلك وكان
المؤمنون يطعمون في إيمانهم
اذا جاءت تلك الآية ويتمنون
مجيئها فقال الله تعالى وما
يدريكم أنهم لا يؤمنون على
معنى أنكم لا تدرين ما سبق
على به من أنهم لا يؤمنون
انها بالكسر مكى وبصرى
وأبو بكر على ان الكلام تم قبله
أى وما يدريكم ما يكون منهم
ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها
اذا جاءت لا يؤمنون ألبتة
ومعهم من جعل لا مزيدة في
قراءة الفتح كقوله وحرام
على قرية أهل كذا انهم
لا يرجعون لا يؤمنون شامى
وحجرة (ونقلب أفئدتهم)
عن قول الحق (وأبصارهم)
عن رؤية الحق عند نزول الآية
التي اقترحوها فلا يؤمنون
بها قبل هو عطف على
لا يؤمنون داخل في حكم
وما يدريكم أى وما يدريكم
أنهم لا يؤمنون وما يدريكم
اننا نقلب أفئدتهم وأبصارهم
فلا يفقهون ولا يبصرون
الحق (كالم يؤمنوا به أول
مرة) كما كانوا عند نزول آياتنا
أولا لا يؤمنون بها (ونذرهم
في طغيانهم يعمهون) قيل وما
يشعركم اننا نذرهم في طغيانهم
يعمهون يتخبرون (ولو أننا نزلنا
اليهم الملائكة) كما قالوا

أصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل
عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل أن يجعل الصفاد هباء من
دابر جبريل فقال ما شئت ان شئت أصبح ذهابا ولكن ان لم يصدقوا لنعدنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب
تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل وأقموا بالله جهد أيمانهم
وحلفوا بالله جهد أيمانهم بى أو كد ما قدر واعليه من الأيمان وأشد هفا قال الكسبي ومقاتل اذا حلف الرجل
بألف فهو جهد عينه (لئن جاءتهم آية) يعنى كما جاءت من قبلهم من الاعم (ليؤمنن بها) يعنى ليصدقن بها (قل)
يعنى قل يا محمد (انما الآيات عند الله) يعنى أن الله تعالى قادر على انزالها (وما يشعركم) يعنى وما يدريكم
اختلف العلماء في الخطابين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب
للمؤمنين واختلفوا في قوله (انها اذا جاءت لا يؤمنون) فقرر أن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم أنها
بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتداء
فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون انها يعنى
الآيات انها اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون اذا جاءت آمنتم
لان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يرهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا
فخطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتداء فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله
عز وجل عليهم بأنهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها ابفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك
للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها
اذا رآوها لان المشركين كانوا حلفوا أنهم اذا جاءت آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأجاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان
الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة
والعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت
يؤمنون أولا يؤمنون وقيل ان يعنى لعلى في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلمها اذا
جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب اثبت السوق أنك تشتري لنا شاة يعنى لعلك ومنه قول عدى
ابن زيد أعاذل ما يدريك أن منيتى * الى ساعة في اليوم أوفى ضحى الغد
يعنى لعل منيتى قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان
فلو جئناهم بالآيات التي سألوها لما آمنوا بها والتقلب هو تحويل الشيء وتحويله عن وجهه الى وجه آخر
لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر (كالم يؤمنوا به أول مرة) يعنى كالم
يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من
المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس المرة
الاولى دار الدنيا يعنى لورثوا من الآخرة الى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون كالم
يؤمنوا به أول مرة قبل مجئهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان القلوب
والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شاء منها ويرى ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب
القلوب ثبت قلبى على دينك فعنى قوله نقلب أفئدتهم تريغها عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية الحق
ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كالم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله
فعلى هذا تكون الكناية في بعائده على الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤالهم
الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعنى ونترك هؤلاء المشركين الذين
سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في غردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق قوله عز وجل
(ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) قال ابن جريج نزلت في المستهزئين وذلك أنهم أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا نبيا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة
يشهدون لك انك رسول الله وانت يا الله والملائكة قبيلا فتزلت هذه الآية جوابا لهم والمعنى ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (ولكلهم الموتى) يعني كما سألوا (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) يعني وجعنا
عليهم كل شيء قبلا قبلا قبيل القبيل الكفيل بجملة ما تقول ما آمنوا وهو قوله (ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء
الله) يعني الا ان يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشياء عيشة الله تعالى حتى الايمان والكفر
وموضع المجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله الكل حتى يشهدوا له بجملة
ما يقول كان ذلك في غاية الإعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة
ومعانيته ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله ان أخبر الله ان الايمان عيشة الله لا كما ظنوا انهم متى شأوا آمنوا ومتى
شأوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا يؤمنوا هم أهل الشقاء الا ان يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق
لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وضح الطبري قول ابن عباس قال لان الله علم بقوله ما كانوا يؤمنوا
القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل
السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون) يعني يجهلون ان ذلك كذلك
ويحسبون ان الايمان اليهم متى شأوا آمنوا ومتى شأوا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر عيشة
الله تعالى فمن شاء له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لذهب أهل السنة ان الاشياء كلها
عيشة الله تعالى ورد على القدرية والمعترضة في قولهم ان الله أراد الايمان من جميع الكفار قوله تعالى
(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو منسوق على قوله تعالى كذلك زيننا لكل أمّة عملهم أي ما فعلنا ذلك
كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه
تعريفة للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليلة يقول الله تبارك وتعالى كما تبينناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا
لكل نبي قبلك عدوا والعظيم ثوابه على ما يكابده من أذى أعدائه وعدوه واحدا ربه الجمع يعني جعلنا لكل نبي
أعداء (شياطين الانس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين أحدهما ان المراد
شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمر من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في
رواية عطاء وهو قول مجاهد وقادة قالوا وشياطين الانس أشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن
اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعياء ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليعقته ويدل على صحة هذا
القول ما روى عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعودت بالله من شيطان الجن والانس
قلت يا رسول الله وهل للانسان من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند
وأسنده الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن وذلك أني اذا تعودت
بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس ينجني فيجترني الى المعاصي القول الثاني ان الجميع من ولد ابليس
وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي
ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان
ابليس قسم جنه قسمين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا منهم الى الانس فالعرقان شياطين الجن
والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وليائته من المؤمنين
والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الآية يقتضي اضافة الشياطين الى الانس
والجن والاضافة تقتضي المغيرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم أولاد ابليس
وقوله تعالى (يوحى بعضهم الى بعض) يعني يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة
التي يلقيها الى من يريد اغواءه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يقتنون
به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان أولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان
الانس لشيطان الجن أضلت صاحبي بكذا وكذا فأضل أنت صاحبك بمثل ما يقول شيطان الجن لشيطان

أنزل علينا الملائكة (ولكلهم الموتى) كما قالوا فأنابا باننا
(وحشرنا عليهم) جمعنا (كل
شيء قبلا) كفلا بجملة
ما يشربناه وأنذرنا جمع قبيل
وهو الكفيل قبل الامدنى
وشأى أي عيانا وكلاهما نصب
على الحال (ما كانوا يؤمنوا
الا ان يشاء الله) ايمانهم
فيؤمنوا وهذا جواب لقول
المؤمنين لعلمهم يؤمنون
بنزول الآية (ولكن
أكثرهم يجهلون) ان هؤلاء
لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية
المقترحة (وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك
أعداء من المشركين جعلنا
لن تقدمك من الانبياء
أعداء لما فيه من الابتداء
الذي هو سبب ظهور الثبات
والصبر وكثرة الثواب والاجر
وانتصب (شياطين الانس
والجن) على البديل من
عدوا وعلى انه من المفعول
الاول وعدوا مفعول ثان
(يوحى بعضهم الى بعض)
يوسوس شياطين الجن الى
شياطين الانس وكذلك
بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض وعن مالك
ابن دينار ان شيطان الانس
أشد على من شيطان الجن
لاني اذا تعودت بالله ذهب
شيطان الجن عني وشيطان
الانس ينجني فيجترني الى
المعاصي عيانا وقال عليه
السلام قرناء السوء شر
من شياطين الجن

مافعلوه) أى الإيحاء يعنى
ولولاء الله مانع الشياطين من
الوسوسة ولكنه امتحن
بما يعلم انه أجزل في الثواب
(فذرهم وما يفترون) عليك
وعلى الله فان الله يجزيهم
وينصرك ويجزهم (واتصحنى
اليه أفئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة) ولتميل الى زخرف
القول قلوب الكفار وهى
معطوفة على غرورا أى
ليغروه ولتصحنى اليه
(وليرضوه) لانفسهم
(وليقتروا ما هم مقترفون)
من الآثام (أفغير الله أبغى
حكما) أى قل يا محمد أفغير الله
أطلب حاكما يحكم بينى وبينكم
وفصل الحق منامن
البطل (وهو الذى أنزل اليكم
الكتاب) المجز (مفصلا)
حال من الكتاب أى مبدئنا
فيه الفصل بين الحق والباطل
والشهادة بالصدق وعليكم
بالافتراء ثم عضد الدلالة على
ان القرآن حق بعلم أهل
الكتاب أنه حق لتصديقه
ما عندهم وموافقة له بقوله
(والذين آتيناهم الكتاب)
أى عبد الله بن سلام وأصحابه
(يعلمون أنه منزل) شامى
وحفص (من ربك بالحق
فلا تكون من الممتريين)
الشاكين فيه أى السامع
أو فلا تكون من الممتريين
فى ان أهل الكتاب يعلمون
أنه منزل بالحق ولا يربك
بحجود أكثرهم وكفرهم به

الانفس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض وقوله (زخرف القول) يعنى باطل القول والزخرف هو الباطل من
الكلام الذى قد زين ووشى بالكذب وكل شئ حسن موهو فهو زخرف (غرورا) يعنى ان الشياطين يغترون
بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني آدم ويغترونهم بها
غرورا (ولولاء الله مانع الشياطين من القاء الوسوسة التى يلقها الشياطين فى قلوب بني آدم والمعنى ان الله
تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يحسن من يشاء من عباده بما يعلم
انه الاجزل له فى الثواب اذا صبر على الحنة (فذرهم وما يفترون) يعنى تخلفهم بما يمدحونهم من لهم ايليس وغرهم
به من الكفر والمعاصى فانى من ورائهم قوله تعالى (ولتصحنى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن
عباس ولتميل اليه وأصل الصحنى فى اللغة الميل يقال أصحنى الى كذا مال اليه ويقال صغوت أصغوت أصغوت وصغيت
أصحنى لغتان قال ابن الانبارى اللام فى ولتصحنى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لىكى تصحنى الى
الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحنى تقديره يوحنى بعضهم الى بعض
زخرف القول ليغروا بذلك ولتصحنى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف
القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله وتحبسه وترضى به وهو قوله (وليرضوه) يعنى
يرضون ذلك القول المزخرف الباطل (وليقتروا ما هم مقترفون) يعنى وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم
مكتسبون قوله عز وجل (أفغير الله أبغى حكما) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا
بقضى بينى وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فأمره الله تعالى
أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعانى قال الحكم أكمل من
الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أكمل أن يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق قاله تعالى حكم
لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكمكم له بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذى أنزل اليكم
الكتاب مفصلا) يعنى مبدئنا فيه أمره ونهييه ووعدته وعيده وفيه الحكم بينى وبينكم (والذين آتيناهم
الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) يعنى يشهدون ان هذا القرآن
منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم
مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فأمنوا به وصدقوه
(فلا تكون من الممتريين) يعنى فلا تكون يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن
حق وأنه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكون فى شك عما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب
التبيين لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان
المراد به غيره والمعنى فلا تكون أى الانسان السامع لهذا القرآن فى شك انه منزل من عند الله لما فيه من
العجائز الذى لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى (وقت كلمت ربك) وقروى كلمات ربك على
الجمع فنقرأ على التوحيد قال الكامة قد رادها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد
كقولهم قال الشاعر فى كلمته يعنى فى قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شئ واحد فى عجز النظم وكونه
حقا وصدقا ومجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال فى سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع فى اللفظ
الاول اتباعا للثانى (صدقا وعدلا) يعنى صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار
والاحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر
عن ثواب المطيع فى الجنة وعقاب العاصى فى النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهى والحلال والحرام
وسائر الاحكام (لا مبدل لكلماته) يعنى لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف
كلماته بالتمام فى قوله وقت كلمت ربك والتمام فى كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى
لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفى قوله لا مبدل

(وقت كلمت ربك) أى ماتكم به كلمات ربك بحجازى وشامى وأبو عمرو أى تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعده (صدقا)
فى وعده ووعدته (وعدا) فى أمره ونهييه واتصبا على التمييز أو على الحال (لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيئا من ذلك

(وهو السميع) لا قرار من أقر (العليم) باصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بما يضرعون (وان تطع أكثر من في الأرض) أي الكفار لانهم لا كثرون (يضلوك عن سبيل الله) دينه (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ٤٧ ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم

(وان هم الا يخبرون)

يكذبون في ان الله حرم عليهم

كذا وأحل لهم كذا (ان ربك

هو أعلم من يضل عن سبيله

وهو أعلم بالمهتدين) أي هو

بعلم الكفار والمؤمنين من

رفع بالابتداء ولفظها لفظ

الاستفهام والخبر يضل

وموضع الجملة نصب يعلم

المقدر لا بأعلم لان أفعل

لا يعمل في الاسم الظاهر

النصب ويعمل الخبر وقيل

تقديره أعلم عن يضل بدليل

ظهور الباء بعده في بالمهتدين

(فكلوا مما حذر الله لكم

عليه ان كنتم بآياته مؤمنين)

هو مسبب عن انكار اتباع

المضين الذين يحلون الحرام

ويحرمون الحلال وذلك لانهم

كانوا يقولون للمسلمين انكم

ترعون انكم تعبدون الله فإنا

قتل الله أحق أن تأكلوا مما

قتلتم أنتم فقبل للمسلمين ان

كنتم متحققين بالآيات فكلوا

مما حذر الله عليه خاصة

أي على ذبحه دون ما ذكر

عليه اسم غيره من آلهتهم

أومات خفف أنفه (ومالكم

ألا تأكلوا) ما استفهام في

موضع رفع بالابتداء ولكم

الخبر أي وأي غرض لكم في

أن لا تأكلوا (مما حذر الله

عليه وقد فصل لكم) بين

لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم

بقوله حرمت عليكم الميتة

فصل وحرم كوفي غير حفص

لكاماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الأزل والشقي من شق في الأزل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فنختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الأزل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الأزل والله أعلم وقوله تعالى (وهو السميع) يعني بالمقوله العباد (العليم) يعني بأحوالهم قوله عز وجل (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) قال المفسرون ان المشركين حادوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في أكل الميتة وذلك أنهم قالوا للمسلمين كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من في الأرض في أكل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الأرض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعتك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقصروا على اتباع الظن والجهل (وان هم الا يخبرون) يعني يكذبون وأصل الخبر الحذر والتحمين ومنه حرص النحلة اذا خزركية غمرتها على الظن من غير يقين ويسمى الكذب حرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له حرص لان قائله لم يقله عن علم ويقين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي الناس يضل عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) يعني وهو أعلم أيضا عن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فأخبر تعالى انه أعلم بالفرقيين الضال والمهتدي وانه يجازي كل ابا يستحق قوله تعالى (فكلوا مما حذر الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين أن تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما حذر الله عليه من الذبائح (ان كنتم بآياته مؤمنين) وقيل كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الميتة فقبل أحل الله وحرم ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا للمشركين وعلى القول الأول تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الأصح لقوله في آخر الآية ان كنتم بآياته مؤمنين (ومالكم ألا تأكلون مما حذر الله عليه) يعني وأي شيء لكم في أن لا تأكلوا مما يحرمكم من أن تأكلوا مما حذر الله عليه وهذا كيف اباحه ما ذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جهو والمفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الحرامات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وأورد الامام نحر الدين الرازي ههنا اشكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدنى متأخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الأولى أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما وحي الى محر ما على طاعمه يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ولحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا أن هذا القدر من التأخر لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجهه وهو ان الله أعلم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لافي النزول حسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده وقوله تعالى (الما اضطررتم اليه) يعني الا أن تدعوكم الضرورة الى أكله بسبب شدة الحاجة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار (وان كثير يضلون بأهوائهم بغير علم) يعني وان كثير من الذين يجادلونكم في أكل الميتة

ويقتحمها مدني وحفص و يضعها ما غيرهم (الما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة الحاجة الى أكله

(وان كثير يضلون) ليضلون كوفي (بأهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحرمون ويحلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة

(ان ربك هو أعلم بالمعتدين)
 بالتجاوزين من الحق الى
 الباطل (وذروا ظاهر الانتم
 وباطنه) علانيته وسره أو
 الزنا في الحوائيت والصدقة
 في السر والشرك الجلي
 والخفي (ان الذين يكسبون
 الانتم سيجزون) يوم القيامة
 (بما كانوا يفترون) يكسبون
 في الدنيا (ولان كلوا مما لم
 يذكر اسم الله عليه) عند
 الذبح (وانه) وان كله (لفسق)

ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم اننا كلون ما ندبحون ولاننا كلون ما يدبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم
 بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهواءهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمر بن
 لحي فن دونه من المشركين لانه أول من بخر البحار وسبب السوائب وأباح الميتة وغدير بن ابراهيم عليه
 السلام (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) يعني ان ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فأحل ما حرم الله وحرم
 ما أحل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل (وذروا ظاهر الانتم وباطنه) يعني وذروا أفعال
 الناس ما يوجب الانتم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرًا وعلانية أو علانية أو علانية وقال سعيد بن جبيرة في هذه الآية الظاهر منه قوله
 الله عن ظاهر الانتم وباطنه ان يعمل به سرًا وعلانية وقال سعيد بن جبيرة في هذه الآية الظاهر منه قوله
 ولا تفسحوا ما بكم آباءكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن
 الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوائيت وهن أحجاب الزانيات وأما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل
 صديقة فيأتمها سرًا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلالا ما كان سرًا
 فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الانتم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن
 الزنا وقال الكاظمي ظاهر الانتم طواف الرجال بالبيت نهارا وعراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان أهل
 الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات
 التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون
 معنى الآية وذروا ما أعلنت به وما أسررت من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الانتم من جميع جهاته
 وقيل المراد بظاهر الانتم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف
 الناس وقيل المراد بظاهر الانتم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فدخل في ذلك الحسد والكبر والهي
 وارادة السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى (ان الذين يكسبون الانتم) يعني ان الذين يعملون بجانهم الله
 عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيجزون) يعني في الآخرة (بما كانوا يفترون) يعني بما كانوا
 يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين
 أجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم
 يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله وكرمه قوله تعالى (ولان كلوا مما لم يذكر
 اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها وقال عطاء الآية في
 تحريم الذبائح التي كانوا يدبحونها على اسم الاصنام انتهى
 فصل في اختلاف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكر اسم الله عليه اذ ذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا
 أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل ما لم
 يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وأبو
 حنيفة ان ترك التسمية عامد الاكل وان تركها ناسيا محتمل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية
 عامدا أو ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد بن حنبل وابتين فيما اذا ترك التسمية
 عامدا وان تركها ناسيا محتمل فن أباح كل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها اقال المراد من الآية الميتات
 وما ذبح على اسم الاصنام بدليل أنه قال تعالى في سياق الآية (وانه لفسق) وأجمع العلماء على ان كل ذبيحة
 المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا أيضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي
 الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان هذا أقواما قد شاعدهم بشر بك يا توننا لبحمان فانه يرى يذكر اسم
 الله عليه أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا لا باحتلال كان الشك في
 وجودها مانعا من أكلها كالشك في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وان كان عامدا بحسب الصيغة
 الآن آخرها ما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله (وانه لفسق) وان الشياطين ليوحون الى أوليهم
 ليجادلوكم وان أطمعوهم انكم مشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم الله

وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى اوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لاتأكلون مما قتلته الله وتأكلون مما تذبحون
بأيديكم والآية تحرم متروك التسمية ونخصت حالة النسيان بالحديث أو يجعل الناس ذكرا تقديرا ٤٩ (وان أظعموههم) في استحلال

الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحى الى تحرم ما على طاعم يطعمه الى قوله أوفسقا أهل لغير
الله به فصار هذا الفسق الذي أهل لغير الله به مفسر القوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولاتأكلوا
مما لم يذكرا سم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بأهل لغير الله به والله أعلم وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم ليجادلوكم) يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاضعوا لمحمد
صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا
قتلنا ان ما قتل أنت وأصحابك حلال وما قتلته الكلاب والصقر حلال وما قتلته الله حرام فأمر الله عز وجل
هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي قريش
أن خاضعوا لمحمد وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فأمر الله عز وجل ان الشياطين يعني مرده
الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة
على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكتوبة في خفية (وان أظعموههم) يعني في أكل الميتة وما حرم الله
عليكم (انكم لمشركون) يعني انكم اذا مثلتم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم
الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه أثبت ما كفى الله عز وجل ومن كان كذلك فهو
مشرك قوله عز وجل (أومن كان ميتا فأحييناه) يعني أومن كان ميتا بالكفر فأحييناه بالايان وانما جعل
الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحى صاحب بصير مهتدى به الى رشده ولما كان الايمان يهتدى الى
الفوز العظيم والحياة الابدية شبهة بالحياة (وجعلناه نوراً لئلا يمشى به في الناس) يعني وجعلناه نوراً يستضيء به في
الناس ويهتدى به الى قصد السبيل قبل النور هو الاسلام لانه يخص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من
الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينه من الله مع المؤمنين بما يعملوه (كن مثله في الظلمات)
يعني كن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعني من تلك الظلمات وهذا
مثله ضرب به الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدى بمنزلة من كان ميتا فأحيى وأعطاه نورا
يهتدى به في مصالحه وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متخيرا على
الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المآلين هل هما مخصوصان بالناس أم معينان أو هما أمان في كل مؤمن
وكافر فذكروا في ذلك قولين أحدهما أن الآية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهم انقال ابن عباس في قوله
وجعلناه نوراً لئلا يمشى به في الناس يريد حجرة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كن مثله في الظلمات يريد
بذلك أبا جهل بن هشام وذلك ان أبا جهل رعى النبي صلى الله عليه وسلم بقرث فأخبر حجرة بما فعل أبو جهل وكان
حجرة قد رجح من صيد ويده قوس وحجرة لم يؤمن بعد فأقبل حجرة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه
بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع الى حجرة ويقول يا أبا علي أمتري ما جاء به سقه عقولنا وسب آلهتنا وخالف
آباءنا فقال حجرة ومن أسفه منك عقولا نعبس دون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله فأسلم حجرة يومئذ فنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال
عكرمة والكاتب نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل
وذلك ان أبا جهل قال زاحنا نوبع بد مناف في الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفرة ربهان قالوا ما نأبى
يوحى اليه والله لا نؤمن حتى يأتينا وحي كآتيه فنزلت هذه الآية والقول الثاني وهو قول الحسن في آخرين
أن هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصل في الكل دخل فيه كل
أحد وقوله تعالى (كذلك زين لكافرين ما كانوا يعملون) قال أهل السنة الذين هو الله تعالى ويدل عليه قوله
زيناهم أعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل

ما حرمه الله (انكم لمشركون)
لان من اتبع غير الله في
دينه فقد أشرك به ومن
حق المتدين أن لا يأكل مما
لم يذكرا سم الله عليه لما في
الآية من التشديد العظيم
ومن أول الآية بالميتة وبما
ذكر غير اسم الله عليه لقوله
أوفسقا أهل لغير الله به
وقال ان الواو في وانه لفسق
للحال لان عطف الجملة
الاسمية على الفعلية لا يحسن
فيكون التقدير ولاتأكلوا
منه حال كونه ففسقا وفسقا
محتمل فبين بقوله أوفسقا
أهل لغير الله به فصار التقدير
ولاتأكلوا منه حال كونه
مهلا لغير الله به فيكون
ماسوا حلالا بالاعمو مات
المحتملة منها قوله قل لا أجد
الآية فقد عدل عن ظاهر
اللفظ (أومن كان ميتا
فأحييناه) أى كافر أهديناه
لان الايمان حياة القلوب
ميتا مدنى (وجعلناه نوراً
يمشى به في الناس) مستضيئا
به والمراد به اليقين (كن
مثله) أى صفة (في
الظلمات) أى خابط فيها
(ليس بخارج منها) لا يفارقها
ولا يتخلص منها وهو حال
قبل المراتبها حجرة وأبو
جهل والاصح ان الآية
عامة لكل من هداه الله
ولكل من أضله الله فبين

والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها (كذلك) أى كآزين للمؤمن ايمانه (زين لكافرين) بتزيين الله تعالى
كقوله زيناهم أعمالهم (ما كانوا يعملون) أى أعمالهم

(وكذلك) أي وكما جعلنا في مكة صناديدها المكر وافها (جعلنا) صيرنا (في كل قرية) أي كبر مجرميها الميكروافها (ليجبروا على الناس فيها) ولعلهم
بالمعاصي واللام على ظاهرها عند ٥٠ أهل السنة ولا يستبلام العاقبة وخص الأكارب وهم الرؤساء لأن ما فيهم من الرياسة والسعة أدى
لهم إلى المكرو والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ثم سلى رسوله عليه السلام
ووعده النصر بقلوبه (وما يكررون إلا بأنفسهم) لأن مكرهم - م يحق بهم - (وما يشعرون) أنه يحق بهم
أكابر مفعول أول والثاني في كل قرية ومجرميها بدل
من أكابر أو الأول مجرميها والثاني أكابر والتقدير مجرميها أكابر وما قال أبو جهل زاحنا بنو عبد مناف
في الشرف حتى إذا صرنا كفرنسي رهان قالوا منابي يوحى إليه والله لا نرضى به
الأن بأننا وحى كآتيه نزل (وإذا جاءتهم) أي الأكابر (آية) مجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالاعيان
(قالوا) إن نؤمن حتى نوثق مثل ما أوتى رسول الله (أي نعطي من الآيات مثل ما أعطى الأنبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوة فقال تعالى) الله أعلم حيث
يجعل رسالته (مكي وحفص رسالته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته) (سيصيب الذين أجمعوا) من أكابرها (صغار) ذل وهوان (عند

ذلك على أن المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) يعني وكما جعلنا في مكة أكابر وعظماء جعلنا في كل قرية أكابر وعظماء وقيل هم معطوف على ما قبله ومعناه كما زيننا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية أكابر جمع الأكارب ولا يجوز أن يكون مضافا لأنه لا يتم المعنى بل في الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر وانما جعل المجرمين أكابر لأنهم أقدر على المكرو والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاء هم وجعل فسادهم أكابرهم (المكرو فيها) قال أبو عبيدة المكرو الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والخيمعة والأيمان الكاذب وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هؤلاء مكرهم (وما يكررون إلا بأنفسهم) يعني ما يحق هذا المكر إلا بهم لأن وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) يعني أن وبال ذلك المكرو يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله) يعني النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقًا لكنت أنا أولى بها منك لأنني أكبر منك - سنا وأكبر منك - مالا فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل تزلت في أبي جهل وذلك أنه قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرنسي رهان قالوا منابي يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا تتبعه أبدا إلا أن يأتيتنا وحى كآتيه فأنزل الله هذه الآية وإذا جاءتهم آية يعني حجة بينة ودلائل واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وأباجه بن هشام وكل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الآية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها الميكرو وافها فمكن من مكر كفار قريش أن قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله يعني النبوة وانما قالوا هذه المقابلة الخيمية حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله قولاً أحدهما وهو المشهور أن القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبعين لاتباعين القول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس أن المعنى وإذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدق حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله يعني حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل بصدقك بأنك رسول الله فلي هذا القول لم يطلبوا النبوة وإنما طلبوا أن يكونوا أنبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) يعني أنه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفهم بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس بأهل لها وأنتم لستم لها أهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصاً من عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعاني الإبلغي في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لأن الطعن كان يتوجه عليهم فبقا لئلا كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم من يستحق الرسالة فجعلها للقيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد وغيرهما من أكابر قريش ورؤسائهم وقوله تعالى (سيصيب الذين أجمعوا صغار) أي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي تصغر إلى المرء نفسه فيه (عند الله) يعني هذا من عند الله وقيل إن هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار في الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكمهم عليهم في الدنيا (وعذاب شديد) يعني في الآخرة (بما كانوا يكررون) يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدكم وطلبكم ما لا يستحقون قوله تعالى (فمن ير الله أن يهديه شراً صدره للالاسلام)

الله في القيامة (وعذاب شديد) في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار (بما كانوا يكررون) في الدنيا (فمن ير الله أن يهديه شراً صدره للالاسلام) يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام إذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح قيل وما علامة ذلك قال الأنبياء في دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للولوت قبل نزول الموت

أى الإيمان يقال شرح الله صدره فأنشرح أى وسعه لقبول الإيمان والخير فتوسع وذلك أن الإنسان إذا اعتقد
 فى عمل من الأعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه
 الحالة سعة النفس وأنشرح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره إذا أوضحه وأظهره
 وشرح المسئلة إذا كانت مشككة فأوضحها وبينها فتثبت أن الشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال
 شرح الكافر بالكفر صدر أى فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله أفن
 شرح الله صدره للإسلام يعنى فتحه ووسعه لقبوله والثانى أن الشرح نور يقذفه الله فى قلب العبد فيعرف
 بذلك النور الحق فيقبله ويشرح صدره له ومعنى الآية فن يرد الله أن يهديه للإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به
 من عنده يوفق له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسمى له بفضله وكرمه ولطفه به وإحسانه إليه فعند
 ذلك يستنير الإسلام فى قلبه فيضى به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
 شرح الصدر فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فيشرح له وينفخ فيه قيل فهل لذلك أمانة قال نعم الانابة الى
 دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأسند الطبرى عن ابن مسعود قال
 قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآية فن يرد الله أن يهديه بشرح صدره للإسلام قال
 إذا دخل النور القلب انفسح وأنشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن
 دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقوله تعالى (ومن يرد) أى الله (أن يضل) أى يجعل صدره ضيقا
 حرجا يعنى يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الإيمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس إذا سمع
 ذكر الله أتمأز قلبه وإذا سمع ذكر الأصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده أعرابي من
 كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التى لاتصل اليها راعية ولا وحشية
 ولا شئ فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير وأصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من
 الحرجة وهى الأشجار المتلف بعضها الى بعض حتى لا يصل اليها شئ وقرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا
 أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الشجر المستمسك الذى لا طريق فيه
 فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال أهل المعاني لما كان القلب محملا بالموم والاعتقادات وصف الله تعالى
 قلب من يريد هدايته بالانشرح والانفساح ونوره فقبل ما أودعه من الإيمان بالله ورسوله ووصف قلب من
 يريد ضلالتة بالضيق الذى هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على أن الله تعالى صير قلب الكافر بحيث
 لا يرى علما ولا استبلا لا على توحيد الله تعالى والإيمان به وفى الآية دليل على أن جميع الأشياء بعينها لله
 وأرادته حتى الإيمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى (كأنما يصعد فى السماء) يعنى أن الكافر إذا دعى الى الإسلام
 كأنه قد كلف أن يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون المعنى كأن قلب الكافر يصعد الى
 السماء نبوا عن الإسلام وتكبيرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد إلا أن يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك
 وقيل هو من المشقة وصعوبة الأمر فيكون المعنى أن الكافر إذا دعى الى الإسلام فأنه يتكلف مشقة وصعوبة
 فى ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)
 الكافى فى ذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الأول معناه أن جعله الرجس عليهم يجعله صدورهم ضيقة
 حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثانى قال الزجاج أى
 مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس أن الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس فى الدنيا اللعنة
 وفى الآخرة العذاب قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيما) يعنى وهذا الذى بينا لك يا محمد فى هذه
 السورة وغيره من سور القرآن هو صراط ربك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورزاه لنفسه وجعله
 مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى الإسلام وقال ابن مسعود يعنى
 القرآن لأنه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى قد فصلنا آيات

(ومن يرد) أى الله (أن يضل)
 يجعل صدره ضيقا ضيقا
 مكي (حرجا) صفة لضيقا
 مدنى وأبو بكر بالغافى الضيق
 حرجا غيرهما وصفها بالمصدر
 (كأنما يصعد فى السماء)
 كأنه كلف أن يصعد الى السماء
 إذا دعى الى الإسلام من
 ضيق صدره عنه إذا ضاقت
 عليه الأرض فطلب مصعدا
 فى السماء أو كعازب الرأى
 طائر القلب فى الهواء يصعد
 مكي يصعد أبو بكر وأصله
 يتصاعد الباقون يصعد
 وأصله يتصعد كذلك يجعل
 الله الرجس العذاب فى
 الآخرة واللعنة فى الدنيا على
 الذين لا يؤمنون والآية
 حجة لنا على المعتزلة فى ارادة
 المعاصى (وهذا صراط
 ربك) أى طريقه الذى
 اقتضته الحكمة وسنته فى
 شرح صدر من أراد هدايته
 وجعله ضيقا لمن أراد ضلاله
 (مستقيما) عادلا مطردا أو
 هو حال مؤكدة (قد فصلنا
 الآيات

لقوم يذكرون (أى تقوم يذكرون) (لهم) يتعظون (لهم) ٥٢
وكرر أو السلام التحية سميت

أوناصرهم على أعدائهم
(بما كانوا يعملون) بأعمالهم
أو متوايهم بجزء ما كانوا
يعملون أو هو ولينا فى الدنيا
بتوفيق الأعمال وفى العقبى
بتحقيق الآمال (ويوم
نحشرهم جميعاً) وبالياء
حفظ أى واذكروهم
نحشرهم أو يوم نحشرهم
قلنا (يامعشر الجن قد
استعكزتم من الانس)
أضللتهم منهم كثيراً وجعلناهم
اتباءكم كما تقول استعكز
الأمير من الجنود (وقال
أولياؤهم من الانس) الذين
أطاعوهم واستمعوا إلى
وسوساتهم (ربنا استمع
بعضنا لبعض) أى انتفع
الانس بالشياطين حيث
دلوه على الشهوات وعلى
أسباب التوصل إليها
وانتفع الجن بالانس حيث
أطاعوهم وساعدوهم على
مرادهم فى اغوائهم (وبلغنا
أجلنا الذى أجلت لنا)
يعنون يوم البعث وهذا
الكلام اعتراف بما كان
منهم من طاعة الشياطين
واتباع الهوى والتكذيب
بالبعث وتحسر على حالهم
(قال النار مثواكم) منزلكم
(خالد فىها) حال والعامل
معنى الاضافة كقوله تعالى
أن دابر هؤلاء مقطوع
مصعبين فصعبين حال من
هؤلاء والعامل فى الحال

لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعنى الجنة أضافها الى نفسه تعظيماً لها ودار السلامة من كل
دار السلام لقوله تحييتهم فيها سلام الا قديلاً سلاماً (عند ربهم) فى ضمانه (وهو وليهم) لهم
القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والأمر والنهي وغير ذلك من أحكام القرآن
(لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكرها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع المفسرين قال الحسن
والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى أسماء الله تعالى ذوالسلام وهو جمع سلامة لا
تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول أضيفت الدار الى السلام الذى هو اسم الله
تعالى اضافة تشرىف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله فى قوله وأنه لما قام
الله يدعوه واحتج لصحة هذا بيان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشرىفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة
مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الداءة التى لا تنقطع فعلى هذا يكون
السلام بمعنى السلامة كأنه قال لهم دار السلامة التى لا يلقون فيها شيئاً يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع
حالاتهم مآمنة بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم وقال تحييتهم فيها سلام وقال سلام قولاً من رب رحيم لا يسمعون فيها لغواً ولا سلاماً
وبهم يعنى ان الجنة معدة مهياً لهم عند ربهم حتى يوصلهم إليها (وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعنى ان الله تعالى
يتولى أمرهم وادخال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق والهدى
وفى الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعنى انه تعالى ينصرهم فى الدنيا ويقرهم فى
الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يتقربون بها اليه فى الدنيا قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً) أى
اذكر يا محمد يوم نحشر المعادين بالله الاصلنام مع أولياؤهم من الشياطين يعنى نحشر المشركين والشياطين
جميعاً يوم القيامة (يامعشر الجن) فيه حذف تقديره يقول لهم يامعشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن
الشياطين (قد استعكزتم من الانس) يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه أضللتهم كثيراً
الانس وهذا التفسير لا بدله من تأويل آخر لان الجن لا يقدر ان على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم
لا يقدر على الاجراء أحد الا الله لانه هو المتصرف فى خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استعكزتم
الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمع بعضنا ببعض
يعنى استمع الجن بالانس والانس بالجن فأما استماعت الانس بالجن فقال الكاكي كان الرجل فى الجاهلية اذا
سافر فقتل بأرض فقراء وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فبيت
فى جوارهم وأما استماعت الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فى زناهم
شرافى قومهم وعظما فى أنفسهم وقيل استماعت الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الارواح
والسحر والكهانة وتزيتهم الامور التى كانوا يهونونها وتسهيل سبلها عليهم واستماعت الجن بالانس طاعة
الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى وقيل استماعت الانس بالجن فيما كانوا يذلونهم على أول
الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستماعت الجن بالانس هى طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم
به وينقادون لحكمهم فصاروا كالأرسل للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمع بعضنا ببعض
هو من كلام الانس خاصة لان استماعت الجن بالانس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استماعت الانس
بعضهم بعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يعنى ان ذلك الاستماعت
كان الى أجل معين ووقت محدد ثم ذهب وبقيت الحسرة الدائمة قال الحسن والسدى الاجل الموت
وقيل هو وقت البعث للحساب فى يوم القيامة (قال) يعنى قال الله هؤلاء الذين استمع بعضهم بعض من الجن
والانس (النار مثواكم) يعنى ان النار مقامكم ومقركم فيها مصيركم اليها (خالد فىها) يعنى مقيمى فى نار جهنم
أبداً (الامشاء الله) احمته وفى معنى هذا الاسماء متثناء فقيل معناه خالد فىها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم

لحساب

معنى الاضافة اذ معناه المازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل فى شئ (الامشاء الله) أى
يخلدون فى عذاب النار الابدية الامشاء الله الا الاوقات التى ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير

للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء
 هو اوقات نقلتهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم
 يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلتهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين
 عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلون ويصدقون النبي صلى الله
 عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون مافي قوله الا ماشاء الله بمعنى من يعني الامن شاء
 الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل امر هؤلاء القوم في مبلغ
 عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه ان لا ينزلهم جنة ولا ناراً قال
 الزجاج والقول الاول اول لان معنى الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم تحشرهم جميعا هو يوم
 القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم
 (ان ربك حكيم) يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل
 حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازة (عليم) يعني بعواقب أمور خلقه
 وما هم اليه صائرون كما انه قال انما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلهم يستحقون ذلك قوله
 عز وجل (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) الكاف في وكذلك ككاف التشبيه نقضى شيئا تقدم ذكره
 فالتمس يدرك انزلت العذاب بالجن والانسان الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا أي
 نسلط بعضهم على بعض فخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الاثر من أعان ظالمنا ساطه الله عليه وقال قتادة
 نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين كان
 وفي رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة
 الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نسل كل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو ان الله
 تعالى اذا اراد بقوم خيرا وولى عليهم خيرا هم واذا اراد بقوم شرا وولى عليهم شرا هم فعلى هذا القول ان الرعية
 متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فن اراد ان يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم
 وقوله تعالى (بما كانوا يكسبون) يعني يسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله
 تعالى (يا معشر الجن والانسان) المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر (ألم يأتكم رسل منكم) اختلف
 العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب أكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسل
 وانما كانت الرسل من الانسان وأجابوا عن قوله رسل منكم يعني من أحدكم وهم الانسان فخذ المضاف فهو
 كقوله يخرج منهم اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما
 قد جمع في قوله مرج البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانسان جاز
 مخاطبتهم معا ينصرف الى أحد الفريقين وهم الانسان وهذا قول القراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم
 قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد أنبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء
 وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن رسل لانهم كما أرسل الى الانسان رسلهم قال الضحاك من الجن رسل
 كما من الانسان رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لانه تعالى قال ألم يأتكم رسل منكم مخاطب الفريقين جميعا
 وأجيب عن ذلك بان الله تعالى قال يا معشر الجن والانسان ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا
 من أبعاض هذا المجموع واذا كان الرسل من الانسان كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وكان هذا
 القول أولى من حمل لفظ الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانسان لا من الجن ويحتمل أيضا
 أن يقال ان كافة الرسل كانوا من الانسان لكن الله تعالى يلقى الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوها كلام
 الرسل من الانسان ثم يأثروهم من الجن فيخبروهم عما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذا
 صرفنا اليك نفر من الجن يستمعون القرآن الى فلما قضى ولو الى قومهم منذرين فكأولئك النفر من الجن
 رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانسان والند من

(ان ربك حكيم) فيما يفعل
 بأوليائه وأعدائه (عليم)
 بأعمالهم فيجزى كل على وفق
 عمله (وكذلك نولي بعض
 الظالمين بعضا) يتبع بعضهم
 بعضا في النار ونسلط بعضهم
 على بعض وأنجعل بعضهم
 أولياء بعض (بما كانوا
 يكسبون) بسبب ما كسبوا
 من الكفر والمعاصي ثم يقال
 لهم يوم القيامة على جهة
 التوبيخ (يا معشر الجن
 والانسان ألم يأتكم رسل
 منكم) عن الضحاك بعث
 الى الجن رسل منهم كما بعث
 الى الانسان رسل منهم لانهم
 به آتس وعليه ظاهر النص
 وقال آخرون الرسل من
 الانسان خاصة وانما قيل رسل
 منكم لانه لما جمع الثقيلين في
 الخطاب صح ذلك وان كان
 من أحدهما كقوله يخرج
 منهم اللؤلؤ والمرجان أو
 رسلهم رسل نبينا كقوله
 ولو الى قومهم منذرين

كتبى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا شهدنا على أنفسنا) بوجوب الحجّة علينا وتبليغ الرسل النبا (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) بالرسول (ذلك) إشارة الى ما تقدم من بعثة رسل اليهم وهو خير مبتدأ محذوف أى الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) تعليل أى الامر ما قصصنا عليك لانقضاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالم على انه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينهوا برسول وكتاب لكان ظالمًا وهو متعال عنه (ولكل من المكافين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم وبه استدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على ان للجن الثواب بالطاعة لان ذكر عقوب ذكر الثقلين (ومر ربك بغافل عما يعملون) بسأله وبالتأشاعى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) عليهم بالتكليف لمعرضهم للنافع الدائمة (أن يشأ يذهبكم) أيها الظلمة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل ميعينة نوح عليه السلام

الجن ونحو ذلك قال ابن جرير وأبو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله أعلم برأيه وأسرار كتابه وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتي) يعنى يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصديق رسلى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة اكفار الجن والانس على سبيل التقرير مع التوبيخ ما أخبرنى كتابه وهو قوله تعالى يا معشر الجن والانس الا تيعجبون بما أخبركم فى قوله تعالى (قالوا) يعنى كفار الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بأن الرسل قد أنتمم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى انما كان ذلك بسبب أنهم غرتهم الحياة الدنيا وما لا اله الا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) فى الدنيا * فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر فى هذه الآية وحده والشرك والكفر فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين * قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا والشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يتجتم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين * فان قلت لم كثر شهادتهم على أنفسهم * قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفى قوله وشهدوا على أنفسهم ذم لهم وتخطئة لأبيهم ووصف اقله نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذا انها كانت عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصى قوله عز وجل (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وأنذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذى قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم (أن لم يكن ربك) يعنى لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال الكلبى معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان تأتهم الرسل فتمهاهم فان رجعوا والا أناهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه (وأهلها غافلون) أى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظالم فعلا لا كفاً وهو مشركهم وذنوبهم التى عملوها وعلى قول الفراء انه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالمًا والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه فى شئ من أفعاله غير انه أخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالمًا منه قوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا غير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج وهذا انما يكون فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فمنهم من هو أعظم ثوابا ومنهم من هو أشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص بأهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى (ومر ربك بغافل عما يعملون) مختص بأهل الكفر والمعاصى ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول أصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصى وانه عالم بأعمالهم على التخصيص التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب أو عقاب قوله عز وجل (وربك الغنى) يعنى عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منتهى معصية العاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذو الرحمة) قال ابن عباس بأولياته وأهل طاعته وقال الكلبى يتخلقه ذوال تجاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلمهم بتوبون ورجعون (ان يشأ يذهبكم) يعنى يهلككم الخطأ بالاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعنى وينشئ ويخلق (من بعدكم) يعنى من بعد اهلاكم (ما يشاء) يعنى خلقا غيركم أمثلا وأطوع منكم (كأنشأكم) كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل ميعينة نوح عليه السلام

(انما) ما جمعني الذي

(توعدون) من البعث

والحساب والثواب والعقاب

(لا ت) خبران أي لكائن

(وما أنتم بمجهزين) بقاءتين ردة

لقولهم من مات فقد فات

المكانة تكون مصدا يقال

مكن مكانة اذا تمكن أبلغ

التمكن وبمعنى المكان يقال

مكان ومكانة ومقام ومقامة

وقوله (قل يا قوم اعملوا على

مكانتكم) يحتمل اعملوا على

تمكنكم من امركم وأقصى

استطاعتكم وامكانكم واصلوا

على جهتكم وحالكم التي

أنتم عليها ويقال للرجل اذا

أمر أن يثبت على حاله على

مكانتك يا فلان أي اثبت على

ما أنت عليه (اني عامل) على

مكانتي التي أنا عليها أي ائتبعوا

على كفركم وعداوتكم في فاني

نابت على الاسلام وعلى

مصابتكم وهو أمر تهديد

ووعيد دليله قوله (فسوف

تعملون من تكون له عاقبة

الدار) أي فسوف تعملون

أيما تكون له العاقبة المحمودة

وهذا طريق لطيف في

الانذار (انه لا يفلح الظالمون)

أي الكافرون مكانتكم

حيث كان أبو بكر يكون

جزءا وعلى وموضع من رفع

اذا كان بمعنى أي وعلق عنه

فعل العلم أو النصب اذا كان

بمعنى الذي (وجعلوا الله

ذرا من الحشر والانعام

نصيبا) أي وللانعام نصيبا

فاكتفى بدلالة قوله تعالى

عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني آباءهم الماضين قرن بعد قرن ونحوه قال الواحدي
وصاحب الكشف يعني من أولا دقوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام
وقال الامام نضر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف
لا يكون الا على طريق البدل من فائت وأما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أو رابع واختلفوا فيه فقال
بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والانس قال الناصبي وهو الوجه الاقرب لان القوم يعملون بالعادة انه
تعالى قادر على انشاء أمثال هذا الخلق في كل خلق ثالث ورابع يكون أقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى
فيه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمة العظيمة التي هي
الثواب فبين هذا الطريق انه تعالى لرحمة لهؤلاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولوشاء لا ماتهم
وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين لان
المرء اذا انفكر كما انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك
بعض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على
تصويرهم خلقا آخر بخلاف هذا آخر كلامه وقال الطبري في قوله كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول
كما أحدثكم وأبدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام
أعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله
كما أنشأكم لم يرد اخبارهم بهذا الخبر انهم أنشؤا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم
أنشؤا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلهم قوله تعالى (انما توعدون) به من مجيء الساعة والبعث بعد
الموت والحشر للحساب يوم القيامة (لا ت) يعني انه كائن قريب (وما أنتم بمجهزين) يعني بقاءتين حيثما كنتم
يدرككم الموت (قل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد (يا قوم) أي قل لقومك من كفار قريش
(اعملوا على مكانتكم) وقرئ مكانتكم على الجمع والمكانة تكون مصدا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن
وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل أن يكون معناه اعملوا
على تمكنكم من امركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل أن يكون معناه اعملوا على حالتكم التي أنتم
عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تتغير عنه وقال ابن
عباس معناه اعملوا على ناحيتكم (اني عامل) يعني اني عامل على مكانتي التي أنا عليها وما أمرني به ربي والمعنى
ائتبعوا ما أنا عليه من الكفر والعداوة فاني نابت على الاسلام والمصاهرة فان قلت ظاهرا لا يتبدل على
أمر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز * قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد
والمبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما أنتم عليه من الكفر ان رضيت لانفسكم
بالذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فقيه تفويض أمر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس
فيه إطلاق لهم في عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى (فسوف تعملون) يعني ان تكون العاقبة
المحمودة لنا أولكم وقيل معناه فسوف تعملون عند نزول العذاب بكم أيما كان على الحق في عمله نحن أم أنتم
(من تكون له عاقبة الدار) يعني فسوف تعملون غدا في القيامة ان تكون عاقبة الدار وهي الجنة (انه لا يفلح
الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفرى وأشرك ثم في هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة
وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انه منسوخة
بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد به ترك القتال قوله تعالى (وجعلوا الله ذرا من الحشر
عقبه) بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تنبيه على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في
الجاهلية فقال تعالى وجعلوا الله ذرا من الحشر يعني الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام
وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزأ قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجمعون لله من

(فقالوا هذا الله بزرعهم وهذا شركائنا) بزرعهم على وكذا ما بعده أي زعموا أنه الله ولم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله) أي لا يصل ٥٦ إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (وما كان

لله فهو يصل إلى شركائهم) حر وثمر وغارهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيبا وللأصنام نصيبا فاجعلوه من ذلك لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين وما جعلوه للأصنام أنفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا وإن سقط شيء من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله تركوه إلى الأوثان وقالوا إنهم محتاجة إليه وكانوا إذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به وإذا انتقص شيء مما جعلوه للأوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وللأصنام نصيبا (فقالوا هذا الله بزرعهم) يعني قولهم الذي هو بغير حقيقة لأن معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لا ينبغي إلا في موضع ذم لقائله وإنما نسبوا إلى الكذب في قولهم هذا الله بزرعهم وإن كانت الآشياء كلها لله لا ضافتهم نصيب الأصنام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا الشركاء) يعني الأصنام وإنما سمو الأصنام شركاء لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم بنفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعني ما جعلوه لها من الحرث والأنعام (فلا يصل إلى الله) يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) والمعنى أنهم كانوا يقرن ما جعلوه للأصنام مما جعلوه لله ولا يقرن ما جعلوه لله مما جعلوه للأصنام وقال قتادة كانوا إذا أصابتهم سنة أي حط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا مما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدي كانوا إذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا به لا لله ولا يقرن ذلك فيما جعلوه لشركائهم فذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعني بنس ما يحكمون ويقضون وذلك أنهم سرحوا جانب الأصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا ساقط منهم وقيل إن الأشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للأصنام جزءا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا إلى الإساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الأحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل (وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك جهلا منهم كذلك زين لكثير منكم قتل أولادهم شركائهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم ولشركائهم نصيبا في غاية الجهل بعرفة الخالق المنعم لأنهم جعلوا الأصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك أقامهم على قتل أولادهم في نهاية الجهالة أي ضاف كما أنه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك (زين) يعني حسن (لكثير من المشركين قتل أولادهم) يعني به وأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة (شركائهم) يعني شياطينهم وأمرؤهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم فيما أمرؤهم به من معصية الله وقتل الأولاد فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضف الشركاء إلى المشركين لأنهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال السكبي شركائهم سدن آلهتهم يعني خدامهم وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الأولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لن ولده كذا وكذا غلاما لينحرن آخرهم كالحلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدن وخدام الأصنام سموا شركاء لأنهم أشركوهم في الطاعة (ليردوهم) يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي أمرؤهم والارداء في اللغة الإهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار (وايلبسوا عليهم دينهم) يعني وليخطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بلبس الشياطين وإنما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الأوضاع الفاسدة وزينوها لهم (ولو شاء الله مفعله) يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الأشياء بعشيتها وأرادته اذ لم يشأ ما فعلوا ذلك (فذرهم) يعني فتركهم يا محمد (وما يفترون) يعني وما يخلقون من

الكذب

عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه إلى الشرك (ولو شاء الله مفعله) وفيه دليل على أن الكائنات كلها بعشيتها الله تعالى (فذرهم وما يفترون) وما يفترونه من الأفك أو افتراءهم لأن ضرر ذلك الاقتراء عليهم لا عليك ولا علينا

(وقالوا هذه أنعام وحرث) للدونان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالأضحية والظن ويسـتوى في الوصف به المذكرو والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لا تلتزمهم قالوا (لا يطعمها الا من نشأ بزرعهم) يعنون خدم الاونان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) ov هي البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام

لا يذكرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذكرون اسم الله عليها (أسماء الاصنام) (افتراء عليه) هو مفعول له أو حال أى قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذكرون اسم الله عليها ونسبوا ذلك الى الله (افتراء عليه) (سيجزئهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة تذكور فأنما محرمة على أزواجنا) كانوا يقولون فى أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنت خالصة وهو خبر ما للحم على المعنى لان ما فى معنى الاجنة وذكروا محرمة حملا على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة (وان يكن ميتة) أى وان يكن ما فى بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر رأى وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان انما تكون ميتة مكي لتقدم الفعل وتذكير الضمير فى (فهم فيه شركاء) لان الميتة اسم لكل ميت ذكر أو أنثى فكانت قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزئهم وصفهم) جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتعظيم (انه حكيم) فى

الكذب على الله فان الله لهم بالمصاد قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أى حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتعريمه وقيل هو من التضيق والحبس لانهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحرثهم لا تلتزمهم قل مجاهد يعنى بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى (لا يطعمها الا من نشأ بزرعهم) يعنى يأكلها خدام الاصنام والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعنى الحوامى وهى الانعام التى جواز ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) يعنى لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون اسماء الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير فمما هو لا على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعنى انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجزئهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افتراءهم على الله الكذب قوله عز وجل (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة تذكور فأنما محرمة على أزواجنا) يعنى نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا كله الرجال والنساء جميعا وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) ودخلت الهاء فى خالصة لالتقاء كيد والمبالغة كقولهم رجل علة ونسابة وقال الفرء دخلت الهاء لتأنيب الانعام لان ما فى بطونها مثلها فأنت بتأنيبها وقال الكسائى خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جازت تأنيبه على المعنى وتذكيره على اللفظ كافى هذه الآية فانه أنت خالصة على المعنى وذكروا محرمة على اللفظ (سيجزئهم وصفهم) يعنى سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه حكيم عليم) فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى (قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة زلات فبين يدا البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضى الرجل على ان يستحي جارية ويثد أخرى فاذا كانت الجارية التى تؤادغدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها أنت على كظهر أمى أن رجعت اليك ولم تبدىها فتخذ لها فى الارض خذا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولن ابنتهن حتى اذا أبصرتهن راجعا يستهافن حفرتهن ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة ويفدوكليه أما سبب الخسران المذكور فى قوله قد خسروا الذين قتلوا أولادهم ان الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الولد فاذا تسبب الرجل فى ازالة هذه النعمة عنه وباطلها فقد استوجب الذم وخسر فى الدنيا والآخرة أما خسارته فى الدنيا فقد سعى فى نقص عدده وازالته ما أنعم الله به عليه وأما خسارته فى الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعنى فعلوا ذلك للسفاهة وهى الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سمو اجاهلية وقوله تعالى (وحرمو ما رزقهم الله) يعنى البحائر والسوائب والحامى وبعض الحروث وبعض ما فى بطون الانعام وهذا ايضا من أعظم الجهالة (افتراء على الله) يعنى أنهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا ايضا من أعظم الجهالة لان الجبراة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الجباور ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعنى فى فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعنى الى طريق الحق والصواب فى فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله عز وجل (وهو الذى أنشأ جنات معروشات) يعنى

خازن فى جزأهم (عليهم) باعتقادهم (قد خسروا الذين قتلوا أولادهم) كانوا يثبون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكي وشامى (سفها بغير علم) خفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رزق أولادهم (وحرمو ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب (وهو الذى أنشأ جنات معروشات) معروشات

مرفوعات (وغير معروشات)
متروكات على وجه الارض
لم تعرش يقال عرشت الكرم
اذا جعلت له دعائم وسمكا
تعطف عليه القصبان
(والنخل والزروع مختلفا) في
اللون والطعم والحجم والرائحة
وهو حال مقدرة لان النخل
وقت خروجه لا يأكل فيه
حتى يكون مختلفا وهو كقوله
فادخلوها خالدين (أكله) أكله
بحارز وهو غره الذي يؤكل
والضمير للنخل والزروع داخل
في حكمه لانه معطوف عليه
أول كل واحد (والزيتون
والرمان متشابهان) في اللون
(وغيره متشابه) في الطعم
(كلوا من غره) من غر كل
واحد وفائدة (إذا أثمر) أن
يعلم أن أول وقت الإباحة
وقت إطلاع الشجر الثمر ولا
يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك
(وَأَتَوَاقَعَهُ) عشره وهو
حجة أبي حنيفة رحمه الله في
تعميم العشر (يوم حصاده)
بصري وشامي وعاصم وبكر
الحاء غيرهم وهما القنان

والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات (وغير معروشات) يعني مسموكات مرفوعات وغير
مرفوعات وأصل العرش في اللغة شيء مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم أعرشته
عرشا وعرشته تعريشا إذا جعلته كهيئة السقف واعتش الغنم العريش إذا علاه وركبه واختلفوا في معنى
قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما تنبسط على الأرض وانتشر ما عرشت مثل
الكرم والقروع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزروع وسائر الشجر وقال
الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الأرض منبسطا وقيل
المعروشات ما غرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما أنبت الله في
البراري والجبال من كرم أو شجر (والنخل والزروع) يعني وأنشأ النخل والزروع وهو جميع الحبوب التي
تقنات وتدخر (مختلفا كله) يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالخلو والحامض والجيد والردى ونحو ذلك
(والزيتون والرمان متشابهان) يعني في المنظر (وغير متشابه) يعني في المظهر كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما
مختلف وقيل إن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن غرتهما مختلفة في الجنس والطعم (كلوا من غره) إذا
أثمر (لماذا كرمنا) نعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار كرمها هو المقصود
الأصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وهذا أمر بإباحة وتسلية ذابعضهم فقال الأمر قد
يرد إلى غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه إباحة الأكل قبل إخراج
الحق لانه تعالى لما أوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئا قبل
إخراج الواجب فيها المسمى شركة الفقراء والمساكين معه فأباح الله أن يأكل قبل إخراجها لان رعاية حق
النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل إنما قال تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر بصيغة الأمر ليعلم أن المقصود
من خلق هذه الأشياء التي أنعم الله بها على عباده هو الأكل (وَأَتَوَاقَعَهُ) أي يوم حصاده يعني يوم جذاذه وقطعه
واختلفوا في هذا الحق المأمور بإخراجه فقال ابن عباس وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول
طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وَأَتَوَاقَعَهُ يوم
حصاده أي من الصدقة المفروضة ذكر لنا ابن أبي شيبة قال صلى الله عليه وسلم سن فيمساقت السماء والعين السائمة
أو سقاء النيل والندي أو كان بعلا العشر كاملا وان سقى بنضح أو سانية ففصل العشر وهذا في مال كمال من
التمر أو الزروع وبلغ خمسة أسواق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس
في قوله تعالى وَأَتَوَاقَعَهُ يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر وقال قتادة في قوله تعالى وَأَتَوَاقَعَهُ يوم
ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكينة فكيف يمكن حمل قوله وَأَتَوَاقَعَهُ يوم حصاده على الزكاة
المفروضة بوقت يذكّر أن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا
القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وإن قلنا أن هذه الآية مكينة تكون منسوخة بآية الزكاة
لانه قد روي عن ابن عباس أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وَأَتَوَاقَعَهُ يوم
حصاده أنه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والتمر وهذا
قول علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحاذ قال إبراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبلة وقال مجاهد
كانوا يجيئون بالعذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الأصم كان أهل المدينة إذا صرموا النخل
يجيئون بالعذق فيملقونه في جانب المسجد فيجبي المسكين فيضرب به بعصاه فاسقط منه أكله فعلى هذا القول
هل هذا الأمر أمر وجوب أو استحباب ونذب فيه قولان أحدهما أنه أمر وجوب فيكون منسوخا بآية
الزكاة وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابي هل علي غير هذا قال لا أن تطوع والقول الثاني أنه أمر
نذب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر بإخراجه في ابتداء الإسلام ثم
صار منسوخا بإيجاب العشر وأقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول
الطبري وصححه واختار الواحد والرازي القول الأول وصحاه بوقت يذكّر أن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول

(ولا تسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى (انه لا يحب المسرفين) اعترض (ومن الانعام جملة وفرشا) عطف على حنات أي
والفرش الصغار كالفصلان والجماعيل ٥٩

والغنم لانها دانية من الارض
مثل الفرش المفروش عليها
(كلوا مما رزقكم الله) أي
ما أحل الله لكم من اولا
نحرموها كما في الجاهلية (ولا
تتبعوا خطوات الشيطان)
طرقه في التحليل والتحرير
كفعل أهل الجاهلية (انه
لكم عدو مبين) فانه موه
على دينكم (ثمانية أزواج)
بدل من جملة وفرشا (من
الضأن اثنين ومن المعز
اثنين) زوجين اثنين يريد
الذكر والانثى والواحد اذا
كان وحده فهو فرد واذا
كان معه غيره من جنسه
سمى كل واحد منهما زوجا
وهما زوجان بدليل قوله
خلق الزوجين الذكر
والانثى وبدل عليه قوله
ثمانية أزواج ثم فسرهما
بقوله من الضأن اثنين
ومن المعز اثنين ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين
والضأن والمعز جمع ضأن
ومعز كنجار وتجر وفتح
عين المعز مكى وشامى وأبو
عمروهما الغنم والمهززة في
(قل الذكركم حرم أم
الانثيين أم ما شملت عليه
أرحام الانثيين) للذكر
والمراد بالذكركم الذكر
من الضأن والذكركم من المعز
وبالانثيين الانثى من الضأن

الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبيل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف ~~وقلت~~ بمعناه قدر وأداء
الخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه
يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه لانه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل بمعناه
وأواحقه الذي يجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع
وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله
تعالى (ولا تسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما به عليه الانسان وان كان في الاتفاق أشههر وقيل السرف
تجاوز ما حدلك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان
كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمس مائة نخلة فقسمها في يوم واحد
ولم يترك لاهله شيئا فنزل الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدي معنى لا تعطوا أموالكم وتعدوا فقراء قال
الزجاج فعلى هذا الواضع الانسان كل ماله ولم يوصل الى عماله شيئا فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ
بن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوز والحد في
البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذا القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف
مجاورة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا
الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث
والانعام فقد تجاوز ما حدله وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف
ما قصرته في حق الله تعالى ولو كان أبو قبيس ذهباً فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفاً ولو أنفقت درهمها
أو مدناً في معصية الله كنت مسرفاً وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال
فوق الذي أزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلطين لا تسرفوا أي لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين
السلطان وبين الناس وقوله تعالى (انه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شيء لان من
لا يحبه الله فهو من أهل النار قوله تعالى (ومن الانعام) يعني وأنشأ من الانعام (جملة) وهي كل ما يحمل
عليها من الابل (وفرشا) يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الجملة هي البكر من الابل والفرش
هي الصغار من الابل وقال في رواية أخرى عنه ذكرها الطبري أما الجملة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل
شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الجملة الابل والبقر والفرش المعز والضأن فالجملة
كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصح للحمل سمي فرشا لانه يقرش للذبح ولانه قريب من الارض
لصغره (كلوا مما رزقكم الله) يعني كلوا مما أحله الله لكم من هذه الانعام والحرث (ولا تتبعوا خطوات
الشيطان) يعني لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعله أهل الجاهلية (انه) يعني
الشيطان (لكم عدو مبين) يعني انه مبين العداوة لكم ثم بين الجملة والفرش فقال عز وجل (ثمانية أزواج)
يعني وأنشأ من الانعام ثمانية أزواج يعني ثمانية أصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من
جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج
(من الضأن اثنين) يعني الذكركم والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضأن والانثى
ضائلة والجمع ضؤان (ومن المعز اثنين) يعني الذكركم والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد معز والجمع
معزى (قل الذكركم حرم أم الانثيين) استفهام انكار أي قل يا محمد لولا الجاهلية ألكركم من الضأن
والمعز حرم عليكم أم الانثيين منهما فان كان حرم الذكركم من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين
منهما فكل انثاهما حرام (أم ما شملت عليه أرحام الانثيين) يعني أم حرم ما شملت عليه أرحام الانثيين من

والانثى من المعز والمعز في انكار أن يحرم الله من جنس الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وانثاهما ولا بما تحمل الاناث وذلك انهم
كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة وانثاهما طورا وأولادها كيفما كانت ذكورا أو أناثا ومختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر
ذلك عليهم وانتصب الذكركم يحترم وكذا أم الانثيين أي أم حرم الانثيين وكذا ما في أم ما شملت

ومن البقر اثني عشر قل
أأذكركم (منها) (أم ما شملت
الانثيين) (منها) (أم ما شملت
عليه أرحام الانثيين)
أم ما تحمّل أناتها (أم كنتم
شهداء) أم منقطع أي بل
كنتم شهداء (اذوصا كم كنتم
بهذا) يعني أم شاهدتم
وبكم حين أمركم بهذا
التحريم ولما كانوا لا يؤمنون
برسول الله وهم يقولون
الله حرم هذا الذي تحرمه
تسكن بهم في قوله أم كنتم
شهداء على معنى أعرفتم
التوصية به مشاهدين لأنكم
لا تؤمنون بالرسول (فن
أظلم من افترى على الله كذبا)
فتنسب إليه تحريم ما لم
يحرم (ليضل الناس بغير
علم أن الله لا يهدي القوم
الظالمين) أي الذين في علمه
أنهم مستحقون على الكفر
ووقع الفاضل بين بعض
المعدود وبعضه اعتراضا
غير أجنبى من المعدود
وذلك أن الله تعالى من على
عباده بإنشاء الانعام لما فعهم
وباباحتها لهم فلا اعتراض
بالاحتجاج على من حرمها
يكون تأكيدها للتحليل
والاعتراضات في الكلام
لا تنافي الا للتوكيد (قل
لا أحد فيما أوحى إلى) أي
في ذلك الوقت أو في وحي
القرآن لان وحي السنة قد
حرم غيره وأمر بالانعام

الضأن والمعز فانها لا تشمل الاعلى ذكر أو أنثى (ينبشوني) أي أخبروني وفسر والى ما حرمتم (بعلم أن كنتم
صادقين) يعني أن الله حرم ذلك عليكم (ومن الأبل اثني عشر ومن البقر اثني عشر) وهذه أربعة أزواج أخرى من
الثمانية (قل أأذكركم أم الانثيين أم ما شملت عليه أرحام الانثيين) وتفسر هذه الأربعة أزواج أخرى من
وفي هاتين الآيتين تقرير وتوضيح من الله تعالى لأهل الجاهلية بتحريرهم ما لم يحرمه الله وذلك أنهم كانوا
يقولون هذه أنعام وحرم حرم وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لكورنا ونحن حرم على أزواجنا وحرموا
البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون
الرجال كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم
مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا أنك تحترم أشياء مما كان أبائنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أصل وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للزواج والانتفاع بها
فن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرا من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحيروا ولم يتكلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم مالك يا مالك ألا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم
من قبل الذكرا بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع
الاناث وان كان باشمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الاعلى ذكر أو أنثى وأما
تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو بالبعض دون البعض فن أين ذلك التحريم فاحتج الله على
بطلان دعواهم بهاتين الآيتين وأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو
كذب على الله وأنه لم يحرم شيئا من ذلك وأنهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر الامام غفر
الدين في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على
بطلان قولهم بل هو ليس متفهما على سبيل الانكار يعني أنكم لا تقرّون بنبوة نبي ولا تعترفون بشريعة شارع
فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني أنكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى
مخصوصا بالأبل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الانواع الاربع وهى الضأن والمعز والبقر والأبل
فلما لم تحكموا بهذه الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الأبل بهذه
الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذوصا كم كنتم شهداء) يقول الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم قل هؤلاء الجاهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام
والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرّون بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون
هذه الاحكام وتفسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال
تعالى (فن أظلم من افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعني فن أشد ظلاما وأبعد عن الحق من يكذب
على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدّهم عن سبيل الله جهلا منه اذ ليس
هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قبل أن يبعثنا محمد بن عبد الله
أول من يجر البعائر وسبب السوائب وغفر دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على
طريقته أو ابتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص
فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله
لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه ما لم يشرع له عباده قوله عز وجل (قل لا أجد فيما أوحى الى
محرم ما على طاعم بطعمه) اعلم ان لما بين الله تعالى فساد طريقته أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل
والتحريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموه من المطعومات أتبعه بالبيان الصحيح في ذلك
وبين أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أي قل يا محمد لمؤلا
المشركين الجاهلين الذين يحلون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحى الىّ وقيل انهم قالوا فما

المحرم لان الآية في رد البحيرة وأخواتها وأما الموقودة والمتردية والنطيحة فن الميته وفيه تنبيه على أن التحريم
انما يثبت بوحى الله وشرعه لا بهوى الانفس (محرم) حيوانا حرم أكله (على طاعم بطعمه) على أكل يأكله

المحرم اذا نزل قل لا اجد فيما أوحى الى محترما يعنى شيئا محترما على طاعم يطعمه يعنى على آكل يأكله (الآن
 يكون ميتة أو دما مسفوحا) يعنى سائلا منصوبا (أو لحم خنزير فانه رجس) أى نجس (أو فسقا أهل غير الله
 به) يعنى ما ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى في هذه الآية أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى منه
 وان المحترمات محصورة في الاربعة الاشياء المذكورة في هذه الآية وهى الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير
 وما ذبح على غير اسم الله وهذا ما بالغه فى أن التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت انه لا طريق الى
 معرفة المحترمات الا بالوحى وثبت ان الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعة الاشياء ولهذا اختلف
 العلماء فى حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شئ من سائر المطعومات والحيوان الا
 ما ذكر فى هذه الآية بروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهرها مذهب مالك واحتجوا
 على ذلك بأن هذه الآية محكمة لانها لا يدخلها النسخ واحتجوا بأن هذه الآية وان كانت مكينة
 لكن بعضها آية مدنية وهى قوله تعالى فى سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به
 لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكينة فى الحكم وذهب جمهور
 العلماء الى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها فى هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو
 ما ذكر فى هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بها من التحريم الجرا لا هلية وكل ذى ناب من
 السباع ومخلب من الطير عن المقدم من معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل عسى رجل
 يبلغه الحديث عني وهو مشككي على أريكته فيقول يفتنا وبينكم كتاب الله فاجدنا فيه حلالا استحلنا
 وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حرم الله تعالى أخرجه الترمذى وقال
 حديث حسن غريب ولا يروى داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا
 يوشك رجل شبعان على أريكته يقول يقول عليكم بهذا القرآن فواوجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه
 من حرام فحرموه ألا يحل لكم الجار الا هلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطعة معاها إلا أن يستغنى عنها
 صاحبها ومن نزل بقوم فليعلم أن يقرؤه فان لم يقرؤه فله أن يعينهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان أهل
 الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل حلاله
 وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكنت عنه فهو معفو وتلا قل لا اجد فيما أوحى الى
 محترما على طاعم يطعمه الآن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله
 عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
 نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الجار الا هلية (ق) عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجار
 الا هلية وأذن فى التحليل وفى رواية أكلنا من خيبر الخيل وجر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 الجار الا هلى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهرة وأكل الثور وكل غنمه وقد استثنى الشارع من
 الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح أكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل فى ذلك عند الشافعى
 ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمر الشئ بقتله كالأرنب فى الصحيح خمس فواسق يقتل فى
 الحل والحرم وهى الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور وروى عن سعيد بن أبى وقاص ان النبي
 صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخارى ومسلم وصححه فوسق وروى عن ابن عباس قال نهى النبي
 صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدد والصر أخرجه أبو داود فهذا كله حرام
 لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فاستطيه الاغلب منهم فهو حلال
 وما استقبته الاغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو
 حلال فهذا تقرير بما يحل ويحرم من المطعومات وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فن وجوه أحدها
 أن يكون المعنى لا اجد محرما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الاما أوحى الى
 فى هذه الآية الوجه الثانى أن يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه فى

(الآن يكون ميتة)
 أن يكون الشئ المحترم ميتة
 أن تكون مكى وشامى وحزة
 ميتة شامى (أو دما مسفوحا)
 مصبو باسائلا فلا يحرم الدم
 الذى فى اللحم والكبد والطحال
 (أو لحم خنزير فانه رجس)
 نجس (أو فسقا) عطف على
 المنصوب قبله وقوله فانه
 رجس اعتراض بين المعطوف
 والمعطوف عليه (أهل غير
 الله به) منصوب المحل صفة
 لفسقا أى رفع الصوت على
 ذبحه باسم غير الله وهى
 بالفسق أو غفلة فى باب
 الفسق

(فن اضطرت) فن دعت الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات (غير باع) على مضطر مثله تارك لوائسائه (ولاعاد) متجاوز قدر حاجته من تناول (فان ربك غفور رحيم) ٦٢ لا يؤاخذ (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أي ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل

فيه الابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم وهي الشروب وشحوم الكلى (الاماحات ظهورهما) الاماشتمل على الظهور والجنب من الشحمة (أو الحوايا) أو ماشتمل على الامعاء واحدها حاوية أو حوية (أو ما اختلط بعظم) وهو الالية أو المخ (ذلك) مفعول ثان لقوله (جزيئاهم) والتقدير جزيئاهم ذلك (بيغيمهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحریم الحلال ومعصية سالفنا لتحليل الحرام حيث قال وعفانكم فالآن بانثروهن (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذورجة واسعة) بها يعمل المكذبين ولا يباجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) بذابه مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) اذا جاء فلا تغرب به رحمة عن خوف نقمته (سيعقول الذين أنشركوا) اخبار عما سوف يقولونه (لوشاء الله) أن لا نشرك (ما أنشركنا

هذه الآية ثم حرم بعد نزولها أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل أن هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الآية يحترم على إسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله أعلم * بقي في الآية أحكام في قوله تعالى أودما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبدة والطحال فانهما محاللان لانهم مادمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهم او كذا ما اختلط بالحكم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن حدير سألت أبا مجلز عما يختلط بالحكم من الدم وعن القدر يرى فيها جرة الدم فقال لا بأس بذلك انما شئ عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق أو مخ أو مسفوح وقال عكرمة تولاها هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود وقوله تعالى (فن اضطرت غير باع ولا عاد) لما بين الله المحرمات في هذه الآية أباح أكلها عند الاضطرار قوله تعالى (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب وسعى الحافر ظفر على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعني شحم الجوف وهي الشروب وشحم الكلى (الاماحات ظهورهما) يعني الاما على الظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محترم عليهم وقال السدي وأبو صالح الالية مما حلت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها ألية (أو الحوايا) وهي المباغر في قول ابن عباس وجهور الفسرين واحدها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباغر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباغر والمصارين غير محترم على اليهود (أو ما اختلط بعظم) يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم شحم الثوب وشحم الكلى وما عدا ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقبل يارسول الله رأيت شعوم الميتة فانما يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله ما حرم عليهم شحومها جلوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه قوله جلوه يعني أذابه يقال أجمت الشحم وجمته اذا ذبته وجمته أكلوا ثمنه وقوله تعالى (ذلك جزيئاهم) أي ذلك التحريم جزيئاهم عقوبة (بيغيمهم) يعني بسبب بغيمهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذ مال باؤستحلهم أموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) يعني في الاخبار عن بغيمهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك ان احرمنا عليهم وأحللناهم مما بيناه في هذه الآية المتقدمة (فقل ربكم ذورجة واسعة) يعني بتأخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا يعمل بالعقوبة على من كفر به أو عصاه (ولا يرد بأسه) يعني لا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها (عن القوم المجرمين) يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل (سيعقول الذين أنشركوا) لما لمزمتهم الخلق وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحترمه الله أخبر الله تعالى عنهم عاصيه قولونه فقال تعالى سيعقول الذين أنشركوا يعني مشركي قريش والعرب (لوشاء الله ما أنشركنا ولا آباؤنا) يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لوشاء الله ما أنشركنا حجة على اقامتهم على التكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضى ما نحن عليه وأراد منا أو امرنا به لحال بيننا وبين ذلك (ولا احرمنا من شيء) يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردوا تكذيبنا لهم

ولا آباؤنا ولا احرمنا من شيء) ولكن شاء هذا عذرنا فيعنون ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم عشيئته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك

(كذلك)

(كذلك كذب الذين من قبلهم) أي كذبهم إياك كان تكذيب المتقدمين رسولهم وتبشروا ٦٣ بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه

عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولا نهم جعلوا مشيئته حجة لهم على انهم معذرون به وهذا مردود لان الاقرار بالمشيئة أو معنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن أي ماضى الله منا ومن آباءنا الشرك والشرك مراد كنهه غير مرضى ألا ترى أنه قال فلو شاء لهداكم أجمعين أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لأمر كلهم ولكن لم يشأ من الكل الايمان بل شاء من البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعاً للتناقض (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) فتظهره (ان تتبعون الا الظن وان أنتم لا تحرصون) تكذبون (قل فله الحجة البالغة) عليكم بأوامر ونواهي ولا حجة لكم على الله بمشيئته (فلو شاء لهداكم أجمعين) أي فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قل هل شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقرّبوهم ويستوى في هذه الحكمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الخازين وبنو عقيم ثبوت وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أي زعموه محرماً (فان شهدوا فلا تشهد معهم) (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تسلّم لهم ما شهدوا به ولا

(كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا أنبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء (حتى ذاقوا بأسنا) يعني عذابنا (فصل) استدلال القدرة والمعتزلة بهذه الآية فقالوا ان القوم لما قالوا الوشاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضاً فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله صناعاً لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له وإذا أراد منا متعة تركه منا وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا الوشاء الله ما أشركنا ثم ذكر عقبيه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله أمرنا به ورضي منا نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الاعراف وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فردد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله يأمر بالفضاء والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله أمرنا به وأورضه منا لا في قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم التشديد ولو كان خبراً من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيم الله واجلاله ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيباً ووجدنا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الآية أنهم كانوا يقولون الحق بهذه الحكمة وهو قوله لو شاء الله ما أشركنا لأنهم كانوا يعدونه عذراً لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان أمر الله يعزل عن مشيئته وأرادته فان الله تعالى مرید لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد فعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذراً لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبدوا بأمره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير محتج فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار أنهم يتكسبون بمشيئة الله تعالى في شركهم وكفرهم فاجبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد بباطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله أعلم وقوله تعالى (قل هل عندكم من علم) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولكنه رضى منا نحن عليه من الشرك هل عندكم من علم يدعون ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنا) يعني فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالة في العقول (ان تتبعون الا الظن) يعني فيما أنتم عليه من الشرك وتحريم ما يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل (وان أنتم لا تحرصون) يعني وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل وقوله تعالى (قل فله الحجة البالغة) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله أو حجة لهم فله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بالزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصى الله وأشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده (فلو شاء لهداكم أجمعين) يعني فلو شاء الله لو فقمكم أجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يستل عما يفعل وهم يشهدون (قل هل شهداءكم الذين يشهدون) يعني هاتوا وعدوا شهداءكم وهم كلمة دعوة الى الشيء يستوى فيه الواحد والثنان والجمع والذكر والانثى وفيها لغة أخرى يقال للواحد هلم وللأثنين هلموا للجمع هلموا وللانثى هلمى واللغة الاولى أفصح (ان الله حرم هذا) وهذا تنبيه من الله باستدعاء اليهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله أمرنا به لانه يظهر أن لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه أيضاً على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم

تصدقهم - لا نه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحد منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لم يتبع الدليل لم يكن الا متصفاً بالآيات موحد بالله

هم المشركون (وهم يرمون
يعدلون) يسوون الأصنام
(قل) للذين حرموا الحرث
والأنعام (تعالوا) هو من
الخاص الذي صار عامافاصله
أن يقوله من كان في مكان
عال لمن هو أسفل منه ثم كثر
حتى عم (أتل ما حرم ربكم)
الذي حرمه ربكم (عليكم)
٣ ما من صلة حرم (أن لا
تشركو به شيئاً) أن مفسرة
لفعل التلاوة ولا لله
(وبالوالدين احساناً) وأحسنوا
بالوالدين احساناً وما كان
إيجاب الاحسان تحريماً
لترك الاحسان ذكر في
المحرمات وكذا حرم ما بعده من
الاولى (ولا تقتلوا أولادكم
من املاق) من أجل فقر
ومن خشية كقوله خشية
املاق (نحن نرزقكم وياهم)
لان رزق العبيد على مولاهم
(ولا تقر بوالفواحش ما ظهر
منها) ما بينك وبين الخلق
(وما بطن) ما بينك وبين الله
ما ظهر بدل من الفواحش
(ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله بالحق) كالقصاص
والقتل على الردة والرجم

٣ قوله في الهامش ما من
صلة حرم هكذا بالاصل الذي
بأيدينا ولعله سقط منه لفظ
أو قبل ما فانه إشارة الى وجه
ثان وهو ان ما استفهامية
تدل عليه عبارة الكشف
وليراجع

ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون
بالآخرة) أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم يرمون يعدلون) يعني يشركون قوله عز وجل
(قل) تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله أمرهم بغير
ما حرموه على أنفسهم فكأنهم سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فأمر الله عز وجل بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
أن يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عاماً وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه
ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل أصله أن تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المراتب
فكانت دعاءه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا أيها القوم أتل عليكم يعني أقرأ
ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقاً بقين لا شك فيه ولا ظناً ولا كذباً كما زعمون أنتم بل هو حرم
أوامه الله الى (أن لا تشركو به شيئاً) فان قلت يترك الاشراك واجب فامعنى قوله أن لا تشركو به شيئاً
كالتمصيل لما أجله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز في جواب قوله الجواب عنه من وجوه الوجه الأول
يكون موضع أن رفع معناه هو أن لا تشركو الوجه الثاني أن يكون محله النصب واختلفوا في وجه
انتصابه فقيه من معناه حرم عليكم أن تشركو او تكون لاصلة وقيل ان حرف لا على أصلها ويكون المعنى أن
عليكم تحريم الشرك أي لا تشركو او يكون المعنى أوصيكم أن لا تشركو لان قوله وبالوالدين احساناً محمول
على أوصيكم بالوالدين احساناً الوجه الثالث أن يكون الكلام قد تم عنه بدفع حرم ربكم ثم قال عليكم
لا تشركو اعلى الاغراء أو بمعنى فرض عليكم أن لا تشركو به شيئاً ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى
عنه هو أن يجعل لله شريكاً من خلقه أو يطيع مخلوقاً في معصية الخالق أو يريد بعبادته رياء وسعة ومنه
قوله ولا يشرك بعبادته أحداً وقوله عز وجل (وبالوالدين احساناً) أي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين
احساناً وانما اثني بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذي أخرج
من العدم الى الوجود وخلقته وأوجده بعد أن لم يكن شيئاً ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهم ما ليسوا
وجود الانسان ولما لهم عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره (ولا تقتلوا أولادكم
من املاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمرد بالقتل وأد البنات وهن أحياء فكانت العرب
تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم وياهم) يعني لا تشكروا بنا
خوف العيلة والفقر فاني رازقكم وياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد ان
يحقق الولد وتربيته والانتكال في أمر الرزق على الله عز وجل (ولا تقر بوالفواحش) يعني الزنا (ما ظهر
وما بطن) يعني علانيته وسريته وكان أهل الجاهلية يستعجبون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السرية
والله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش
المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة في كل لفظ
العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضاً فان السبب اذا كان خاصاً لا يمنع من حمل اللفظ على
العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن حقيقة وهي ان الانسان اذا احتزر عن المعاصي في الظاهر ولم يحترزم
في الباطن دل ذلك على أن احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به وأنهى عنه ولكن لأجل
الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهراً وباطناً لأجل
خوف الله وتعظيم أمره استوجب رضوان الله وثوابه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله بالحق) حرم الله
تعالى قتل النفس بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقر بوالفواحش
وانما أفر دقت النفس بالذكر تعظيماً لأمر القتل وانه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل انما أفر دقت
لانه تعالى أراد أن نستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراد لذلك قال ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله قتلها بالحق وهي التي أبيع قتلها من ردة وأقصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي حرم
الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله الا

(ذلك وصاكم به) أي المذكور منفصلاً أمركم بكم بحفظه (لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظماء عند الله (ولا تقربوا مال اليتيم الابالي هي أحسن) الابالي هي التي هي أحسن وهي حفظه وتثمينه (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حمله فادفعوه اليه وواحدة شد كفلس وأفلس (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لا تكاف نفساً الاوسمها) الا ما يسهلها ولا تجزع عنه وانما اتبع ٦٥ الامر بإفناء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط

وأمر رسول الله الاباحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى (ذلكم) يعني ما ذكر من الامور والنواهي المحترمة (وصاكم به) يعني أمركم به وأوجبكم عليه (لعلكم تعقلون) يعني لكي تفقهوا ما في هذه التكليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها (ولا تقربوا مال اليتيم الابالي هي أحسن) يعني ولا تقربوا مال اليتيم الابالي فيه صلاحه وتثمينه وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو أن يسعى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً هذا اذا كان القيم بالمال غنياً غير محتاج فلو كان الوصي فقيراً فله أن يأكل بالعرف (حتى يبلغ أشده) يعني احفظوا مال اليتيم الى أن يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فأما الأشد فهو استحكام قوة الشباب والسنن حتى يتناهي في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الأشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يقتل وتجتمع قوته وقال الكلب الأشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الأشد عشرون سنة وقال السدي الأشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الأشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية اغماها في نهاية الأشد لا ابتداءه والمراد بالأشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ابناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية وقوله تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لا تكاف نفساً الاوسمها) يعني طاقتموا ما يسهلها في الكيل والميزان وانما ساهم لم يكلف المعطي أن يعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا يخرج عليه فيه (واذا قلتم فاعدلوا) يعني في الحكم والشهادة (ولو كان ذا قربى) يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعقد فيها العدل والصدق (وبعهد الله أوفوا) يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به وأوجبهم عليه وأما وجبه الانسان على نفسه كندب ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعني الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم به) يعني بالعمل به (لعلكم تذكرون) يعني لعلكم تتعظون وتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به قوله عز وجل (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) يعني وأن هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريق وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيماً يعني قويم لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به مفصلاً أجله في هذه الآية أجمالاً يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضاً جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين وأمرهم باتباع حمله وتقصي سبله (ولا تتبعوا السبل) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الردية وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده وروى البخاري بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية (ذلكم وصاكم به) يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه (لعلكم تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه

٩ خازن في وهو دين الاسلام روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطاً مستويماً قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب سبعة خطوط محالة ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثني عشر طريقاً مستقيماً فتكون اثنتين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخن شيء من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لا قول شيء في التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لشكونوا على رجاء اصابه التقوى ذكر

ولا تعجلون ثم تذكروهم ثم تتقون لانهم اذا عجلوا انفكروا ثم تذكروهم اي اعطوا فتقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أي ثم انبأكم
انا آتينا اوهو وعطف على قل أي ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله ثم لله شهيد (على الذي أحسن) على من كان محسنا لهما
يريد جنس المحسنين دليله قراءة ٦٦ عبد الله على الذين أحسنوا وأراد به موسى عليه السلام أي تقمة لذكرامة على لعبد الذي أحسن

الاطاعة في التبليغ في كل
ما أمر به (وتفصيلا لكل
شيء) وبينا مفضل لكل
ما يحسنه إلى دينهم
(وهدي ورحمة عليهم) أي
في إسرائيل (بما أمرهم
بأن يؤمنوا) يصدقون أي
بالبعث والحساب وبالرواية
(وهذا أي القرآن) كتاب
أنزلناه مبارك) كثير الخير
(فاتبعوه واتقوا) مخالفته
(لعلكم ترجون) لترجوا
(أن تقولوا) كراهية أن
تقولوا أولئنا تقولوا (انما
أنزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا) أي أهل التوراة
وأهل الانجيل وهذا دليل
على أن الجوس ليسوا
بأهل كتاب (وان كنا عن
دراستهم) عن تلاوة كتبهم
(لناولين) لا علم لنا بشيء من
ذلك ان مخضفة من الثقيلة
واللام فارقة بينهما وبين
النافية والاصل وانه كنا
عن دراستهم غافلين على
ان الهاء ضمير الشأن
والخطاب لاهل مكة والمراد
اثبات الحجية عليهم بانزال
القرآن على محمد صلى الله
عليه وسلم كيلا يقولوا يوم
القيامة ان التوراة والانجيل
أنزل على طائفتين من
قبلنا وكنا غافلين عما هم

(أوتقولوا) كراهة أن تقولوا (لو أننا أنزل علينا الكتاب لكانا أهدي منهم) لحدثة أذهاننا وثقابة أفهامنا غزارة حفظنا
لأيام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع
يخفف الشرط وهو من أحسن المحذوف (وهدي ورجة فن أظلم ممن

كذب بآيات الله وصدف عنها) يعني وأعرض عنها (سبحزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعني أسوأ العذاب وأشده (بما كانوا يصدفون) أي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله قوله تعالى (هل ينظرون) يعني هل ينظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدفهم عن آيات الله وهو استغناء النفى وتقدير الآية أنهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاثة فاذا جاءتهم احداها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم (الا أن تأتيتهم الملائكة) يعني لقمض أرواحهم وقيل أن تأتيتهم بالعذاب (أو يأتي ربك) يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المحيى والذهاب على الله محال فيجب امرارها بالانكشاف (أو يأتي بعض آيات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضة أو قال يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للعودة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها وفي رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الثمالي قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتمذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبليها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تظرد الناس الى محشرهم (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادر وبال اعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخو بصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيم - ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبؤون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتختزج ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتختزج ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا تذكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتختزج ساجدة في مستقرها أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم لم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حمئة تنطلق حتى تختزل بها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتمت قول يا رب ان مسيرى بعمى فيقول لها الطامى من حيث غربت

كذب بآيات الله) بعد ما عرف
صحتها وصدقها (وصدف
عنها) أي أعرض (سبحزى
الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب) وهو النهاية في
التكذيب (بما كانوا يصدفون)
باعراضهم (هل ينظرون)
أي أقنما حجج الوحيدة
وثبوت الرسالة وأبطلنا
ما يعتقدون من الضلالة
فأينظرون في ترك الايمان
بعد هذا (الا أن تأتيتهم الملائكة)
أي ملائكة الموت لقمض
أرواحهم بآتهم خزة وعلى
(أو يأتي ربك) أي أمر ربك
وهو العذاب أو القيامة
وهذا الان الايمان متشابه
وايمان أمره منصوص
عليه محكم فيرد اليه (أو يأتي
بعض آيات ربك) أي اشراط
الساعة كطلوع الشمس
من مغربها وغير ذلك

(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) لأنه ليس بإيمان اختيارى بل هو إيمان دفع العذاب والمأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أو كسبت في إيمانها خيرا) أى اخذ الصالح لا يتبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق أيضا أو توبة وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل (قل انتظروا) إحدى الآيات الثلاث (انامنتظرون) كم أحداهما (ان الذين ترقفوا دينهم) اختلصوا فيه وصاروا فسرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وتفترق أممى على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهى السواد الأعظم وفي رواية وهى ما أنا عليه وأصحابى وقيل فترقوا دينهم فآمنوا ببعض وكثر وأبعض فارقوا دينهم حزمة وعلى أى تركوا (وكانوا شيعة) فارقا كل فرقة تشيع إماما لها

فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا إلى الله قبل أن يأتيكم بعد ذاب فانكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل ذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يحشون رءوسهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل لم يكن له مكانة لم ينقص شيئا تون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانة فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فاذا أصبحوا فاطال عليهم رأت أعينهم طلوع الشمس فبينما هم ينظرونها اظطاعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا إيمانه عند الآيات وينفع أهل الإيمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزى قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان المجددة والمنجمين زعموا أن ذلك لا يكون فيهم ثم الله قدرته فطلعا من المغرب كما طلعا من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدالة على جوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود أنه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو يأجوج ومأجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحبست الحقة وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك قال هى مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وأصح الاقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) يعنى لا ينفع من كان مشركا إيمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التى تضطرهم الى الإيمان والتوبة (أو كسبت في إيمانها خيرا) يعنى أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدرك بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فاما من آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كالأمرسل الله عذبا على أمة فآمنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم إيمانهم ذلك لما ينهم الأهوال والشدايد التى تضطرهم الى الإيمان والتوبة وقوله (قل انتظروا) يعنى ما وعدتم به من مجى الآية فيه وعيد وتهديد (انامنتظرون) يعنى ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة أو قبله فى الدنيا قال بعض المفسرين وهذا النامنة نظره من تأخر فى الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد به ذان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا وظهروا الآيات لم ينفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا وقيل ان قوله قل انتظروا النامنتظرون المراد به الكفار فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الأول تكون الآية محكمة قوله عز وجل (ان الذين ترقفوا) وقرئ فارقوا (دينهم وكانوا شيعة) يعنى أحرابا متفرقة فى الضلالة ومعنى فارقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فنقرأ فارقوا دينهم يعنى جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السهلة أديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة ومن قرأ فارقوا دينهم قال معناه بيانوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شئ واحد فى الحقيقة وهو ان من فرق دينه فآقر بغيره وأذكر بعضا فقد فارق دينه فى الحقيقة ثم اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقال هذه شعبة وان عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفرق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم

لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى
 ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين تفرقوا دينهم وكانوا شيعة السب منهم في شيء وليسوا
 منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من
 هذه الآية الحديث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يتدعوا البدع المضلة
 وروى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الذين تفرقوا دينهم وكانوا شيعة هم
 أصحاب البدع والاهواء من هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند عن العرياض بن سارية قال صلى بنار رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها
 القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأتعهد اليها فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع
 والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعيش منكم بعدى فسيبى يرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة
 الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
 وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين
 فئتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهى الجماعة زاد في رواية وانه سينخرج في أمتي أقوام تتجارى
 بهم الاهواء كما يتجارى الكلاب بصاحبه لا يبق منه عرق ولا مفصل الا دخله أخرجه أبو داود عن عبد الله
 ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة
 وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هى يا رسول الله قال من كان على
 ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من
 الملة والدين اذ جعلهم من أمتهم وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلاب بصاحبه التجارى تفاعل
 من الجرى وهو الوقوع فى الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبها بجرى الفرس والكلاب قال ابن مسعود
 ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشراً الاُمور محدثاتها ورواه
 جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى (لست منهم في شيء) يعنى في قتال الكفار فعلى هذا
 تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكتار
 ومن قال المراد من الآية أهل الاهواء والبدع من هذه الأمة قال معناه لست منهم في شيء أى أنت منهم
 برى وهم منك برآ تقول العرب ان فعلت كذا افلست منك ولست منى أى كل واحد منا برى من صاحبه
 (انما أمرهم الى الله) يعنى فى الجزاء والكفاة (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) يعنى اذا وردوا القيامة قوله
 تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) يعنى عشر حسنات أمثالها (ومن جاء بالسئنة فلا يجزى الا مثلهما)
 يعنى مثلهما فى مقابلتها واختلفوا فى هذه الحسنة والسئنة على قولين أحدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله
 والسئنة هى الشرك بالله وأورد على هذا القول أن كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجزى كل جزءا ثلثا عشر
 أمثالها وأجيب عنه بأن جزءا الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازى على قدر ايمان المؤمن بما شاء من
 الجزاء وانما قال عشر أمثالها للترغيب فى الايمان لا للتحديد وكذلك جزءا السئنة بمثلها من جنسها والقول
 الثانى أن اللفظ عام فى كل حسنة يعملها العبد أو سئنة وهذا أولى لان جل اللفظ على العموم أولى قال
 بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء فى حسناته الى سبع مائة ويعطى من يشاء
 بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وجزءا السئنة بمثلها
 عدل منه سبحانه وتعالى وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزداد على عذاب
 العاصى (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة
 يعملها تكتب له بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف وكل سئنة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م)
 عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله

(لست منهم في شيء) أى من
 السؤال عنهم وعن تفرقهم
 أو من عقابهم (انما أمرهم
 الى الله ثم ينبئهم بما كانوا
 يفعلون) فيجازيهم على ذلك
 (من جاء بالحسنة فله عشر
 أمثالها) تقديره عشر
 حسنات أمثالها الا انه أقيم
 صفة الجنس المميز مقام
 الموصوف (ومن جاء بالسئنة
 فلا يجزى الا مثلهما وهم
 لا يظلمون) بنقص الثواب
 وزيادة العقاب

(قل اني هدى ربي) ربي
 أبو عمرو ومضى (الى صراط
 مستقيم ديناً) نصب على البدل
 من نحل الى صراط مستقيم
 لان معناه هدى ربي صراطا
 بدليل قوله ويهديكم صراطا
 مستقيماً (قيماً) فيعمل من قام
 كسيد من سادوهو أبلغ من
 القائم قيماً كوفي وشامى وهو
 مصدر بمعنى القيام وصف به
 (ملة ابراهيم) عطف بيان
 (حنيفاً) حال من ابراهيم
 (وما كان من المشركين) بالله
 يامعشركوريش (قل ان
 صلاتى ونسكى) أى عبادتى
 والناسك العابد أذبحى أو
 حجبى (ومحياى ومماتى) وما
 أنيته فى حياتى وأموت عليه
 من الايمان والعمل الصالح
 (لله رب العالمين) خالصة
 لوجهه محباى ومماتى يسكون
 الباء الاول وفتح الثانى مضى
 وبعبكسه غيره (لا شريك له)
 فى شئ من ذلك (وبذلك)
 الاخلاص (أمرت وأنا أول
 المسلمين) لان اسلام كل نبي
 متقدم على اسلام أمته (قل
 أغير الله أبغى ربا) جواب عن
 دعهم الى عبادة آلهتهم
 والهمزة لانكار أى منكرو
 أن أطلب ربا غيره وتقديم
 المفعول للاشعار بأنه أهم
 (وهو رب كل شئ) وكل من
 دونه مربوب ليس فى الوجود
 من له الزبوية غيره (ولا
 تكسب كل نفس الا عليها)
 جواب عن قولهم اتبعوا اسمائيلنا
 واتحمل خطاياناكم (ولا تزر
 وزر أخرى) أى
 لا تؤخذ نفس آتمة بذنب
 نفس أخرى

عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيدة بخزاسية مثلهما أو أغفر ومن تقرب منى شبرا تقرب منى شبرا
 ومن تقرب منى ذراعا تقرب منه باعا ومن أتانى عشي أنيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطينى
 أن لا يشرك بى شيا لقيته بثلثها مغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال يقول الله تبارك وتعالى وإذا أراد عبدى أن يعمل سنة فلان يكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها
 فاكتبوها بثلثها وان ترك من أجلى فاكتبوها له حسنة وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فان عملها
 له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها الى سبع مائة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم عن محمد بن
 الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة
 يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث عبدى بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مائة
 فاذا عملها فأنا أكتبها له بثلثها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد
 بعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بثلثها وان تركها فاكتبوها له حسنة
 تركها من أجلى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قوله عز وجل (قل) يعنى قل يا محمد
 المشركين من قومك (اننى هدى ربي الى صراط مستقيم) يعنى قل لهم اننى أرشدنى ربي الى الطريق القويم
 وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين (دينا قيماً) يعنى هدى ربي صراطا مستقيماً ديناً قيماً
 يحتمل أن يكون محمولاً على المعنى تقديره وعترتى ديناً قيماً يعنى ديناً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ
 فيما نابته مقتولاً ما مورى معاشى ومعادى وقيل هو من قام وهو أبلغ من القائم (ملة ابراهيم) والملة بال
 الدين والشرعية يعنى هدى ربي وعترتى دين ابراهيم وشريعته (حنيفاً) الاصل فى الحنيف الميل وهو ميل
 الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من اختلج أو حج حنيفاً تنبهاً على أنه على دين ابراهيم عليه السلام
 (وما كان من المشركين) يعنى ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون أنهم على دين
 ابراهيم فأخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين ومن يعبد الاصنام (قل ان صلاتى) أى قل يا محمد
 صلاتى (ونسكى) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدى أراد بالنسك فى هذا الموضع الذبيحة فى الحج
 والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل الناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يقرب
 الى الله تعالى من صلاة وحج وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابى قال النسك سبائك الفضة
 سبيكة منها نسيكة وقيل للنسك الناسك لانه خاص نفسه من دنس الآثام وصفها كالسبيكة المخلصة
 انخبت وفى قوله ان صلاتى ونسكى دليل على أن جميع العبادات يؤتىها العبد على الاخلاص لله تعالى
 هذا وقوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على أن جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه التمام والكمال
 لان ما كان لله لا ينبغي أن يكون الا كاملاً تاماً مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات
 كان مقبولاً (ومحياى ومماتى) أى حياتى وموتى بخلق الله وقضائه وقدره أى هو يحيينى ويميتنى وقيل
 معناه ان محياى بالعمل الصالح ومماتى اذا مت على الايمان لله وقيل معناه ان طاعنى فى حياتى لله وخلا
 بعد مماتى من الله وحاصل هذا الكلام ان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين ان صلاته ونسكه
 وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله (لله رب العالمين لا شريك
 له) يعنى فى العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر أفعاله لا يشركه فيه أحد من خلقه (وبذلك أمرت)
 قل يا محمد بهذا التوحيد أمرت (وأنا أول المسلمين) قال قتادة يعنى من هذه الأمة وقيل معناه وأنا أول
 المستسلمين لقضائه وقدره قوله عز وجل (قل) أى قل يا محمد لؤلؤ الكفار من قومك
 أغير الله أطلب سيداً أو إلهاً (وهو رب كل شئ) يعنى وهو سيد كل شئ ومالكه لا يشركه فيه أحد وذلك
 الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن الغيرة يقول اتبعوا اسمائيل
 أحمل عنهكم أوزارك فقال الله عز وجل رد عليه (ولا تكسب كل نفس الا عليها) يعنى ان اسم الحافى عليه لا
 غيره (ولا تزر وزر أخرى) يعنى لا تؤخذ نفس آتمة باثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل أخرى

(ثم إلى ربكم مرجعكم فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) من الأديان التي فرقتموها (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) لأن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فأتمته قد خلفتم سائر الأمم ولأن بعضهم يخلف بعضاً وهم خلفاء الله في أرضه على كونه أو يتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض) في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) معقول ثمان أو التقدير إلى درجات أو هي واقعة موقع الصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة (ليلاؤكم فيما آتاكم) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيتم تشكرون تلك النعمة ٧١ وكيف يصنع الشريف بالوضع

والغنى بالفقر والمالك بالمالوك

(إن ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وأنه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف المقاب بالسرعة لأن ما هو أقرى سريع وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة

سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفي ومدني

بسم الله الرحمن الرحيم

المص قال الزجاج المختار في تفسيره ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما أنا الله أعلم وأفضل (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب (أنزل إليك) صفته والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن في صدرك حرج منه) شك فيه وسمى الشك حرجاً لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كأن المتيقن من شرح الصدر منقصة أي لا شك في أنه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم

يعني يوم القيامة (فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا من الأديان والملل قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) يعني والله الذي جعلكم بأئمة محمد خلائف في الأرض فإن الله أهلك من كان قبلكم من الأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منكم في الأرض تخلفونم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لأن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وهو آخرهم وأتمه آخر الأمم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) يعني أنه تعالى خالف بين أحوال عبادهم فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل لجعل منهم الحسن والقبح والغنى والفقر والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل الجزاء أو الجهل أو الجهل فإن الله سبحانه وتعالى منزّه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى (ليلاؤكم فيما آتاكم) يعني يعاملكم معاملة المبتلى والمختبر وهو أعلم بأحوال عبادهم والمعنى يتبلى الغنى بفقره والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدينائه والعبد بالحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لأن العبد إما أن يكون مقصراً فيما كلف وأما أن يكون موفياً ما أمر به فإن كان مقصراً كان نصيبه الخوف والترغيب وهو قوله تعالى (إن ربك سريع العقاب) يعني لا عذرا له إلا ما هو في الدنيا وانما وصف المقاب بالسرعة لأن كل ما هو أقرى فهو قريب وإن كان العبد موفياً لحقوق الله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه كان نصيبه الترغيب والشرف والتكريم وهو قوله تعالى (وأنه لغفور رحيم) يعني يجمع خلقه والله أعلم برأيه وأسرار كتابه

نفس سورة الاعراف

نزلت بمكة روي ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس أيضاً أنها مكية الا خمس آيات أولها وأسأله عن القرية التي كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان آيات في سورة الاعراف مدنية أولها وأسأله عن القرية التي كان فيها آدم وهي مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم وأفضل وعنه أنا الله أعلم وأفضل وعنه أن المص قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال أبو العالية ألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة اسماء الله تعالى يعلمها وهي سرته في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظام وقيل هي حروف تحتوى معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معاني الحروف المقطعة أوائل السورة في أول سورة البقرة وقوله تعالى (كتاب أنزل إليك) يعني هذا كتاب أنزله الله إليك يا محمد وهو القرآن (فلا يكن في صدرك حرج منه) يعني فلا يضيق صدرك بالبلاغ وتأدية ما أرسلت به إلى الناس (لتنذره) يعني أنزلت إليك الكتاب يا محمد لتنذره به من أمرتك بأنذاره (وذكري للمؤمنين) يعني ولتذكروا تعظ به المؤمنين وهذا له وأعرضهم عنه وأذاهم فدكان يضيق صدره من الأذى ولا ينشط له فأتمه الله ونهاه عن المبالاة بهم والهي متوجه إلى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه والفاء للعطف أي هذا الكتاب أنزلته إليك فلا يكن بعد أنزلته حرج في صدرك واللام في (لتنذره) متعلق بأنزل أي أنزل إليك لأنذارك به أو بالنهي لانه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذا إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الانذار به لأن صاحب اليقين جسور ومتوكل على ربه (وذكري للمؤمنين) في محل نصب بأفعالها أي لتنذره به وتذكرك كبراً فالله ذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع بالعطف على كتاب

على عبادة الاوثان والالهواء
والبدع (قليل ما تذكرون)
حيث تتركون دين الله
وتتبعون غيره وقيل لان نصب
بتذكرون أي تذكرون
تذكرا قليلا وما مضية
لتوكيد القلة لتذكرون
شأى (وكم مبتدأ) (من
قرية) تبيين والخبر (أهلها) (أهلها)
أي أردنا أهلها كقولها
اذقمتم الى الصلاة (بخاءها)
جاء أهلها (بأسنا) عذابنا
(بيانا) مصدر واقع موقع
الحال بمعنى بائتين يقال بات
بياتا حسنا (أو هم قائلون)
حال معطوفة على بيانا كأنه
قيل بخاءهم بأسنا بائتين أو
قائلين وانما قيل هم قائلون
بلاوا ولا يقال جاءني زيد
هو فارس بغير أو لانه لما
عطف على حال قبلها حذف
الواو استعقالات اجتماع
حرفي عطف لان والو الحال
هي واو العطف استعيرت
للموصل وخص هذان
الوقتان لانهما وقتا الغفلة
فيكون نزول العذاب فيهما
أشد وأقطع وقوم لوط عليه
السلام أهل كوابالإيل
وقت السحر وقوم شعيب
عليه السلام وقت القيولة
وقيل بيانا لئلا أي لئلا
وهم ناعون أو نهارا وهم
قائلون (فكان دعواهم)

من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لتندري به وذكري للمؤمنين فلا يكن في صدره
خرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الانس
لتوجيه ما حصل له قوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) أي قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس
ما أنزل إليكم من ربكم يعني من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت بان
كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا ويجب أن تعلم فم أنزلت وما معناها ونحو هذا
الزجاج أي اتبعوا القرآن وما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل لقوله تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم لم يأنذار في قوله لتندري
كان معنى الكلام انذار القوم وقيل لهم اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك
وقيل معناه لتندري به وتذكري به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار
أي اتبعوا أيهم المشركون ما أنزل إليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله
تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعني ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم
والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأمرهم بعبادة الاصنام واتباع البدع والالهواء الفاسدة
(قليل ما تذكرون) يعني ما تعتزلون الا قليلا قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) لما أمر الله رسوله صلى
الله عليه وسلم بالانذار والبلاغ وأمر أئمة باتباع ما أنزل اليهم حذرهم تقصته وبأسه ان لم يتبعوا ما أمرهم
فذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى (وكم من قرية أهلكناها)
قيل فيه حذف تقديره (وكم من أهل قرية لان المقصود بالهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه
حذف لان اهلاك القرية اهلاك لأهلها (بخاءها بأسنا) يعني عذابنا (فكان قاتلهم) مجي البأس وهو
العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال أهلها بخاءها بأسنا (فكان قاتلهم) معناه (وكم من قرية أهلكناها)
بأهلا كها بخاءها بأسنا وقال القراء الهلاك والبأس قديعان معا كما يقال أعطيتني فأحسنتمني فأحسنتمني
يكن الاحسان قبل الاعطاء ولا بعده وانما وقع معا وقال غيره لافرق بين قولك أعطيتني فأحسنتمني فأحسنتمني
أحسنتمني فأعطيتني فيكون أحدهما بدلا من الآخر (بيانا) يعني بخاءها عذابنا لئلا قبل أن يصير
(أو هم قائلون) من القيولة وهي نوم نصف النهار أو استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى بخاءها
بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له لئلا وهم ناعون أو نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة
ومقصود الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقصم أمارة تدلهم على وقت نزول العذاب
وعيد وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لا تعتروا بأسباب الا من والراحة فان عذاب الله اذا نزل دفعه واحدة
(فكان دعواهم) يعني فإكان دعاء أهل القرية التي جاءها بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء
قال سيمويه تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانه
الله (اذ جاءهم بأسنا) يعني عذابنا (الآن قالوا انا كنا ظالمين) يعني انهم لم يقدر واعلى رد العذاب عنهم وكان
حاصل أمرهم الاعتراف بالجنابة وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسلن الذين أرسل اليهم) يعني نسأل الذين
الذين أرسل اليهم الرسل ماذا علمتم فيما جاءكم به الرسل (ولنسلن المرسلين) يعني ولنسلن الذين أرسل اليهم
أرسلناهم الى الأمم هل بلغتم رسالاتنا وأديتم الى الأمم ما أمرتم بما أدبته اليهم أم قصرتم في ذلك قال
عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوه المرسلين ويسأل الرسل
عما بلغوا وعنه أنه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيسلكهم عما كانوا يعملون وقال السدي يسأل الأمم
عما أفيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به (فكان قاتلهم) قد أخبر عنهم في الآية الأولى

دعواهم ونضر عنهم (اذ جاءهم بأسنا) لما جاءهم أوائل العذاب (الآن قالوا انا كنا ظالمين) اعترفوا بالظلم على أنفسهم
والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وأن قالوا الخبر ويجوز العكس (فلنسلن الذين أرسل اليهم) أرسل منسند الى الله
فلنسلن الرسل اليهم وهم الأمم عما أجابوه رسلهم (ولنسلن المرسلين) عما أجابوا به

بأنهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم في قوله أنا كنا ظالمين فافائدة هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك
 فقلت لهم اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين مقصرون سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والقصود
 من هذا التقريع والتوبيخ لا كفار فقلت لهم فافائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنهم قد بلغوا
 رسالات ربهم إلى من أرسلوا إليهم من الأمم فقلت لهم إذا كان يوم القيامة أنكر الكفار تبليغ الرسالة من
 الرسل فقالوا ما جئنا من بشير ولا نذير فكأن مسئلة الرسل على وجه الاستسهاد بهم على من أرسلوا إليهم
 من الأمم أنهم قد بلغوا رسالات ربهم إلى من أرسلوا إليهم من الأمم فتكون هذه المسئلة كالتقريع والتوبيخ
 للكفار أيضا لأنهم أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى (فلنقصن
 عليهم بعلم) يعني فلتختبر الرسل ومن أرسلوا إليهم يعلم ويقرن بما عملوا في الدنيا (وما كنا غائبين) يعني عنهم
 وعن أفعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الأمم فيما أجابوا فقلت لهم كيف الجمع بين قوله تعالى فلنقصن
 الذين أرسل إليهم ولنقصن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وإذا كان عالمنا فافائدة هذا
 السؤال فقلت لهم فافائدة سؤال الأمم والرسل مع علم سبحانه وتعالى بجميع الأعمال والتقريع والتوبيخ
 للكفار لأنهم إذا قرأوا على أنفسهم كان أبلغ في المقصود فأما سؤال الاسترشاد والاستنبات فهو منفي عن
 الله عز وجل لأنه عالم بجميع الأشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكمالات والجزئيات
 وعلمه بظاهر الأشياء كعلمه بباطنها قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعني والوزن يوم سؤال الأمم والرسل
 وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وهذا وجه المفسرين
 إلى أن المراد بالوزن وزن الأعمال بالميزان وذلك أن الله عز وجل ينصب ميزان له لسان وكفتلن كل كفة قدر
 ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه
 الميزان فأراه إياه فقال إلهي من يقدر أن يعلا كفتيه حسنة فقل يا داود إذا رضيت عن عبدى ملائمتها
 بقرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم وردت من بعضهم على
 بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من
 سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجمل فقلت لهم أليس الله عز وجل يعلم
 مقادير أعمال العباد في الحكمة في وزنها فقلت لهم فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا ينظم
 عباده ومنها امتحان الخلق بالآيمان بذلك في الدنيا واقامة الحجية عليهم في العقبي ومنها تعريف العباد ما لهم
 من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد
 في اللوح المحفوظ ثم في صحائف الحفظة الموكنين بيني آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم
 اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الأعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات
 ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال إن الله عز وجل سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا
 كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أنت من هذا شيا أظلمت كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول
 أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى إنك عندما حسنته فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله
 له بطاقة فيها أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه
 البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
 فتأشئت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي وأحمد بن حنبل وقال ابن
 عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى
 قول ابن عباس ان الأعمال تتصور صوراً وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلا
 وخفة ونقل البعوى عن بعضهم انها توزن الأشخاص واسم تدل لذلك بما روى عن أبي هريرة رضي الله
 عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له ليا في الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا وزن عند الله تعالى جناح

(فلنقصن عليهم) على الرسل
 والمرسل إليهم ما كان منهم
 (يعلم) عالمين بأحوالهم
 الظاهرة والباطنة وأقوالهم
 وأفعالهم (وما كنا غائبين)
 عنهم وعما وجد منهم ومعنى
 السؤال التوبيخ والتقريع
 والتقدير إذا فافاهوا بالسنة
 وشهد عليهم أنبياءهم
 (والوزن) أي وزن الأعمال
 والتمييز بين راجحها وخفيها
 وهو مبتدأ وخبره (يومئذ)
 أي يوم يسأل الله الأمم
 ورسالهم فحذفت الجملة
 وعوض عنها التنوين (الحق)
 أي العدل صفته ثم قيل
 توزن صحف الأعمال عيزان
 له لسان وكفتان اظهارا
 للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل
 هو عبارة عن القضاء السوي
 والحكم العادل والله أعلم
 بكيفيته

(فن ثقلت موازينه) جمع
ميزان أو موزون أى فن
رجحت أعماله الموزونة التى
لها وزن وقدر وهى الحسنات
أو ما توزن به حسناتهم
(فأولئك هم المفلحون)
الفائزون (ومن خفت
موازينه) هم الكفار فانه
لا ایمان لهم ليعتبر معه عمل
فلا يكون فى ميزانهم خير
فتخف موازينهم (فأولئك
الذين خسروا أنفسهم بما
كانوا ياتنا بظلمون) يحدون
فألا يأت الحج والظلم بها
وضعها فى غير موضعها أى
بحودها وترك الانقياد لها
(ولقد مكناكم فى الأرض)
جعلناكم فيها مكانا وقرارا
أو مكناكم فيها أو قدرناكم
على التصرف فيها (وجعلنا
لكم فيها معاش) جمع معيشة
وهى ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرهما والوجه
تصريح الباء لانها أصلية
بخلاف صحائف فالباء فيها
زائدة وعن نافع انه همز
تشبيها بصحائف (قليل
ما تشكرون) مثل قليل
ما تدكرون (ولقد خلقناكم
ثم صورناكم) أى خلقنا
أبائكم آدم عليه السلام
طينا غير مصور ثم صورناه
بعيد ذلك دليله (ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم)

بعوضة أخرجاه فى الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الأشخاص فى الميزان
المراد بقوله لا وزن عند الله جناح بعوضة مقدارها وخزمتها لا وزن جسده وولجه والصحيح قول من قبل
صحائف الأعمال توزن أو تنفس الأعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى (فن ثقلت
موازينه) جمع ميزان وأورد على هذا انه ميزان واحد فواجه الجمع وأجيب عنه بأن العرب قد تفرقت
الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الصفة
والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعنى من رجحت أعماله
بالحسنة الموزونة التى لها وزن وقدر (فأولئك هم المفلحون) يعنى هم الناجون غدا والفائزون بشوائب
وجزائهم (ومن خفت موازينه) يعنى موازين أعماله وهم الكفار بدليل قوله تعالى (فأولئك الذين خسروا
أنفسهم) يعنى غبنوا أنفسهم حظوظها من خزيل ثواب الله تعالى وكرامته (بما كانوا ياتنا بظلمون) أى
سبب ذلك الخسران انهم كانوا يحسبون الله وأدلة توحيدده يحدون ولا يقدرون بها روى عن أبى بكر الصديق
رضى الله تعالى عنه انه حين حضره الموت قال فى وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من نظر
موازينه يوم القيامة باتباعه -م الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق ميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون نصيبه
وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعه -م الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق ميزان
يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا قوله عز وجل (ولقد مكناكم فى الأرض) يعنى ولقد مكناكم
الناس فى الأرض والمراد من التمكين التملك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو قدرناكم على التصرف
فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة يعنى به جميع وجوه المنافع التى تحصل بها الارزاق وتعيشون
أيام حياتكم وهى على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع الماشى
والمشارب والثانى ما يتحصل من المكاسب والأرباح فى أنواع التجارات والصنائع وكل القسمين فى الحقيقة
انما يحصل بفضل الله وانعامه وأقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معاش العالم
من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للنعمة بها والشكر لعلها تمنى من الله تعالى انه مع
الافضل على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغى فقال تعالى (قل لا ما تشكرون) يعنى على
ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قديد كرم نعم الله فيشكره عليه
فلا يخلو فى بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة وظهارها وبضائه الكبر
وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعنى ولقد خلقناكم أيها الناس
المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله فى ظهر أبيكم آدم ثم صورناكم فى أرحام النساء صورناكم -م لوقته
قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضى ان الامر بالسجود لا دم كان
بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم التراخي ومعنا ان الامر ليس كذلك بل كان
السجود لا دم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته ثم قلت -م يحتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم أيها المخاطبون ثم أخبرناكم اننا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فمكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر
خبر ولا تفيد ترتيب الخبر به على الخبر وقيل فى معنى الآية ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى
ذريته وههنا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى ظهوره وعلى هذا
القولين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم -م أولانه أبو البشر فكان فى خلقه خلق من خرج من صلبه
وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعنى آدم
حكمنا بخلقهم ثم صورناكم يعنى آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعنى بعد اكمل خلقه و
تقدم فى سورة البقرة الكلام فى معنى هذا السجود وانه كان على سبيل التحيه والتعظيم لا دم لاحق
السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وأن السجود له هو الله تعالى وانما كان آدم كالقنبله للساجدين وقيل
بل كان السجود له وكان ذلك بأمر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فب

فصعدوا الابليس لم يكن من الساجدين) فمن سجداً آدم عليه السلام (قال مامنعك أن لا تسجد) ما رفع أى شئ من سجود
ولا زائدة بدليل مامنعك أن تسجد لما خلقت يدي ومثلها لا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (اذ امرتك) فيه دليل على ان
الامر اللوجوب والسؤال

٧٥

خلاف تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعنى الملائكة (الابليس) يعنى فـسـجـد
الملائكة لا آدم الابليس (لم يكن من الساجدين) يعنى له وظاهر الآية يدل على أن ابليس كان من الملائكة
لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة
من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأموراً بالسجود لا آدم مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله تعالى
عنه انه لم يكن من الساجدين لا آدم فلهذا استثناه منهم قوله تعالى (قال مامنعك أن لا تسجد اذ امرتك)
يعنى قال الله عز وجل لا بليس أى شئ منكم من السجود لا آدم اذ امرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة
لا فى قوله أن لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير مامنعك أن تسجد فهو كقوله لا أقسم أى
أقسم وقوله وحرام على قرية أهلكناهم لم يرجعون أى يرجعون وقوله للملائكة لم اهل الكتاب أى
ليعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على أصلها مفيدة
وليست بزايدة لانه لا يجوز أن يقال ان كلمة من كتاب الله زائدة ولا معنى لها وعلى هذا القول حمى
الواحدى عن أحد بن يحيى أن لا فى هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد لان معنى قوله مامنعك أن لا تسجد
من قال لك لا تسجد فعمل الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبرى الصواب
في ذلك أن يقال ان فى الكلام محذوف تقديره مامنعك من السجود فأوجبك أن لا تسجد فترك ذكر
أوجبك استغناء عنه بعرفة السامعين به ونقل الامام نحر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله تعالى
المنع وأراد الداعي فكانه قال مادعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عظيمة يتعجب منها ويستهمل عن
الداعي اليها فبان قلت لم سأله عن المانع له من السجود وهو أعلم به **قلت** انما سأله للتوبيخ والتقرير
له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره بأصله وحسده لا آدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه
(قال) يعنى قال ابليس بحميد الله تعالى عما سأله عنه (أنا خير منه) **قلت** قوله أنا خير منه ليس بجواب
عما سأله عنه في قوله تعالى مامنعك أن لا تسجد فلم يجب عما منعه من السجود فانه كان ينبغي له أن يقول
منعنى كذا وكذا ولكنه قال أنا خير منه **قلت** استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها
دليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار خير من الطين وأور واما قال
أنا خير منه لما رأى انه أشد منه قوة وأفضل منه أصلاً وذلك لفضل الجنس الذى خلق منه وهو النار على
الطين الذى خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجعل عدو الله ابليس وجه الحق وأخطأ طريق الصواب
لان من المعلوم أن من جوهر النار الخفة والطين والارتفاع والاضطراب وهذا الذى حل الخبيث ابليس
مع الشقاء الذى سبق له من الله تعالى فى الكتاب السابق على الاستعجاب على السجود لا آدم عليه الصلاة
والسلام والاستخفاف بأمر ربه فأورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن فى جوهر الطين الرزاة
والأناة والصبر والحلم والحياة والتثبت وهذا كان الداعي لا آدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة
التي سبقت له من الله تعالى فى الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومستهمله ربه العفو عنه والمغفرة
ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس فأخطأ وقال ابن سيرين أيضاً ما عبت الشمس
والقمر بالامقياس وأصل هذا القياس الذى قاسه ابليس لعنه الله تعالى لما رأى أن النار أفضل من الطين
وأقوى فقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ولم يدرك الفضل بان جعله الله فاضلاً وان الافضلية
والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الأصل والجوهر وأيضاً الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر
فالؤمن الحبشى خير من الكافر القرشى فالله تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام بأشياء لم يخص
بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شئ وأورثه الاجتباء
والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام العناية التي سبقت له فى القدم

فضله عليه فعمل منها الجواب كانه قال منعنى من السجود فضلى عليه وزيادة علمه وهى انكار الامر
واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب

VT

VT

(وعن أيمانهم) من قبل الحسنة (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني شمالاً بينهم
من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الأغلب وعن شتيق مامن صباح الاقعدى الشيطان على أربعة مراد من بين يدي تقبل
لا تحف فان الله غفور رحيم فأقرأ وأنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ومن خلفي الضيعة على مخلفي فأقرأ وما من ذاب في الأرض
الاعلى للرزقها وعن يميني فيأبني من قبل النشاء فأقرأ والعاقبة للمتقين وعن شمالي فيأبني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم
ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم مكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لا بداء الغاية وفي الاخيرين عن لان عن تدل على الاخيرين

جعل الائمة من بين أيديهم في هذا القول لانهم منقلبون اليها وصارون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا
 خلفهم لانهم خلفون اوراقا ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني
 أزنيها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الائمة فأقول لا بعث ولا نشور ولا الجنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل
 حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين أيديهم في هذا القول لان الانسان يسعى
 فيها ويشاهد ما فيها حاضرة بين يديه والائمة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتبة من بين أيديهم يعني
 من قبل الدنيا فأزنيها لهم ومن خلفهم من قبل الائمة فأثبتهم عنها وعن أيمانهم يعني من قبل الحق فاصدقهم
 عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فأزنيها لهم وقال قتادة انهم من بين أيديهم فآخبرهم انه لا بعث ولا الجنة
 ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزنيها لهم ودعاهم اليها عن أيمانهم من قبل حسناتهم فبطأ بهم عنها وعن
 شمائلهم من قبل المعاصي والمعاصي ودعاهم اليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوق فلم
 يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يا أيديهم يعني من بين أيديهم وعن أيمانهم حيث يبصرون
 ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن
 حيث لا يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا
 يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ماضي من أعمارهم فلا يتولون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيمانهم
 يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظورنا لوه
 وقال شقيق البلخي ما من صباح الا وبأبني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن
 عيني وعن شمالي وأمامي يعني في حقوقي من وقوع أولادي في الفقر فأقرأوا ما من دابة في الارض الا على الله
 رزقها وأمامي يعني فيأبني من الشفاء فأقرأوا العاقبة للعتيق وأمامي قبل شمالي فيأبني من قبل
 الشهوات فأقرأوا حيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما أراد بها التأكيد
 والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لا تبينهم من
 جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجدأ كثرهم شاكرين) يعني ولا تجدأربأ كثرين يعني
 شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجدأ كثرهم موحدين فان قلت
 كيف علم انهم يابليس ذلك حتى قال ولا تجدأ كثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى
 ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل
 بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين
 والقطع والله أعلم بمراده قوله عز وجل (قال اخرج منها) أي قال الله تعالى لا يلبس حين طرده عن بابه وأبعده
 عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانته اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي أن يسكن فيها العصاة (مذؤما)
 يعني معيبا والذام أشد العيب (مدحورا) يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا عمقوتا وقال قتادة
 لعينا مقبنا وقال الكاظمي ما هو مقصيا من الجنة ومن كل خير (لن تبعك منهم) يعني من بني آدم (لا ملأ من
 جهنم منكم أجمعين) اللام لام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بني آدم وأطاعه منهم أن يملأ
 جهنم منه ومن كفر من بني آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى (ويا آدم اسكن أنت وزوجك
 الجنة) أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان هبط منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة
 (فكلام من حيث شئتما) يعني فكلام من غار الجنة من أي مكان شئتما فان قلت قال في سورة البقرة
 وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء الفرق فقلت قال الامام غفر الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق
 والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فاللفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين
 النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع (ولا تقر باهذه الشجرة فتكونا من
 الظالمين) تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى قوله تعالى (فوسوس لهما الشيطان)

(ولا تجدأ كثرهم شاكرين)
 مؤمنين قاله ظنا فاصاب
 لقوله ولقد صدق عليهم
 ابليس ظنه أو سمعه من
 الملائكة باخبار الله تعالى
 اياهم (قال اخرج منها) من
 الجنة أو من السماء (مذؤما)
 معيبا من ذامه اذا
 ذمه والذام والذم العيب
 (مدحورا) مطرودا مبعودا
 من رحمة الله واللام في (لن)
 تبعك منهم) موطئة للقسم
 وجوابه (لا ملأ من جهنم)
 وهو سادس جواب الشرط
 (منكم) منك ومنهم فغلب
 ضمير الخطاب (أجمعين)
 ويا آدم) وقلنا يا آدم بعد
 اخراج ابليس من الجنة
 (اسكن أنت وزوجك الجنة)
 اتخذها مسكنا (فكلام من
 حيث شئتما) ولا تقر باهذه
 الشجرة فتكونا) فتصيرا
 (من الظالمين) فوسوس لهما
 الشيطان) وسوس اذا
 تكلم كلاما خفيا يكره
 وهو غير متدور جل
 موسوس بكسر الواو ولا
 يقال موسوس بالفتح ولكن
 موسوس له وموسوس
 اليه وهو الذي يلقى اليه
 الوسوسة ومعنى وسوس
 له فعل الوسوسة لاجله
 ووسوس اليه ألقاها اليه

الامور وأنه لم يزل مستقبحا
في الطباع والعقول فوفان
قلت لهم مالواوا المضمومة في
وورى لم تقلب همزة كافي
أو يصل تصغير واصل وأصله
ووصل فقلبت الواو همزة
كراهة لاجتماع الواوين
قلت لهم لان الثانية مدة
كألف وارى فكلم لم يجب
همزها في واء لم يجب في
وورى وهذا لان الواوين اذا
تحرر كذا ظهر فيهما من الثقل
مالا يكون فيهما اذا كانت
الثانية ساكنة وهذا مدرك
بالضرورة فالتمزمو البدلها
في موضع الثقل لافي غيره
وقرأ عبد الله أورى بالقلب
(وقال ما هنا كرا بكاعن هذه
الشجرة الا أن تكونا ملكين)
الا كراهة أن تكونا ملكين
تعلمان الخير والشر وتستغنيا
عن الغذاء وقرئ ملكين
لقوله وملك لا يبلى (أو تكونا
من الخالدين) من الذين
لا يموتون ويبقون في الجنة
ساكنين (وقاسمهما) وأقسم
لهم (اني لكان الناصحين)
وأخرج قسم ابليس على زنة
المفاعلة لانه لما كان منه القسم
ومنه ما التصديق فكأنهما من
اثنين (فدلاهما) فترلما الى
الاكل من الشجرة (بغور)
بما غترهما من القسم بالله
وانما يخدع المؤمن بالله وعن
ابن عمر رضي الله عنهما من
خدعنا بالله اخذ عناه (فلما
ذاقا الشجرة) وجد اطعمهما

يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقبه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا
مكررا وأصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهم ما فعل الوسوسة وألقاها اليهما فوفان قلت لهم كيف وسوس
اليهما و آدم وحواء في الجنة وابليس قد أخرج منها فوفان قلت لهم ذكر الامام نضر الدين الرازي في الجواب عن هذا
السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس في الارض الى السماء الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى
له وقال أبو مسلم الاصبغ اني بل كان آدم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والتي
يقوله بعض الناس من أن ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة روى
وقال آخرون ان آدم وحواء بما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرأ أحد
من الآخرة فصلت الوسوسة هناك فوفان قلت لهم ان آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليس
من العداوة فكيف قبل قوله فوفان قلت لهم ان يقال ان ابليس لقي آدم مرارا كثيرة وورغبه في أكل هذه
الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكان الناصحين فلا جعل هذه المواظبة
والمداومة على هذا التمويه أثر كلام ابليس في آدم حتى أكل من الشجرة (ليبدى لهم ما وورى عنهم امن
سواتهم) يعني ليظهر لهم ما غطى وستر من عوراتهم وقوله ما وورى مأخوذ من المواراة وهي الستير يقال
واربته بمعنى سترته والسواة فرج الرجل والمرأة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على
ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدى لهم الام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد
بالوسوسة ظهور عوراتهم وانما كان حملها على المعصية فقط فيمكن عاقبة أمرهما ان بدت عوراتهما (وقال)
يعني وقال ابليس لا آدم وحواء (ما هنا كرا بكاعن هذه الشجرة) يعني عن الاكل من هذه الشجرة (الأن
تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) يعني انما هنا كرا بكاعن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة
تعلمان الخير والشر أو تكونا من الباقيين الذين لا يموتون وانما أطمع ابليس آدم في هذه الآية لانه علم ان
الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم وأحب أن يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم
أو يكون مع الخالدين الذين لا يموتون أبدا فان قلت ظاهرا الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم
عليه الصلاة والسلام طلب أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه * قلت ليس في ظاهر الآية
ما يدل على ذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام لما طلب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن
يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة
أو من الخالدين وعلى تقدير ان تكون هذه الواقعة في زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما طلب أن يكون
من الملائكة لطول أعمارهم لانهم أفضل منه حتى يلتحق بهم في النضل لانه طلب اما أن يكون من
الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين لا يموتون أبدا وقوله تعالى (وقاسمهما) أي وأقسم وحلف
لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد (اني لكان الناصحين) قال قتادة حلف لهم بالله تعالى حتى
خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعتاني أرشدكما وقال بعض العلماء
من خادعنا بالله خدعنا الله (فدلاهما بغرور) يعني خدعهما بغرور يقال مازال فلان يدلي فلانا بغرور يعني
ما زال يخدعه ويكاهمه بزخرف من القول الباطل قال الازهرى وأصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر
ليأخذ الماء فلا يجد فيه ماء فوضعت التولية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور اظهار النصح مع انطوائ
الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون الا من علوا الى أسفل
ومعنى الآية ان ابليس لعنه الله تعالى غزا دما بين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحد
لا يخلف بالله كاذبا وابليس أول من خلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فآغتر به (فلما ذاقا
الشجرة) يعني طعمهما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا ليسير من ذلك قصد الى معرفة طعمه لان
الدوق يدل على الاكل اليسير (بدت لهم اسواتهم) يعني ظهرت لهم عوراتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما

أخذن في الاكل منها وهي السهلة أو الكرم (بدت لهم اسواتهم) ظهرت لهم عوراتهم التهافت اللباس عنهم وكانا لا يريانها
من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار أي كالظفر بياضا في غاية اللطف واللين فبقي عند الاظفار كبريا

قبل ان ارد ان اخذتهم بالعقوبة والعقوبة ان ظهرت وبدت لهما سوأتهم ماوتها فتعنتهم بالسهم ما حتى أبصر
كل واحد منهم ما ووري عنه من عورة صاحبه وكان لا يرى ان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى
هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا لما أصابا الخطيئة بدت لهما سوأتهم ما وقال قتادة كان لباس آدم في الجنة
ظفرا كله فلما وقع في الذنب قشط عنه وبدت سوأته (وطبقا) يعني وأقبلا رجلا (يخصفان عليهما من ورق
الجنة) يعني انهما لما بدت لهما سوأتهم ما جعل لهما ورقين من ورق الجنة وهو ورق التين حتى
صار كهية الثوب وقال الزجاج جعل لهما ورقة على ورقة ليسترا سوأتهم ما وفي الآية دليل على ان كشف العورة
من ابن آدم قبيح ألا ترى انهم ما بدوا الى ستر العورة لما تقرر في عقولهم ما من قبيح كشفها روى أبي بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كأنه نخلة يحق كثير شعر الرأس
فلما وقع في الخطيئة بدت له سوأته وكان لا يراها في الجنة فانطلق فارأى عرض له شجرة من شجر الجنة
فخسفت بشعره فقال لها ارسليني قالت لست بمرسلة فناداه ربه يا آدم أمي تفر قال لا يا رب ولا كني
استحييت ذكره البغوي غير سند وأسنده الطبري من طريقين موقوفين مرفوعين قوله تعالى (وناداهما
ربهما ألم أنهما كانا نساك الشجرة) يعني ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخاطبهما فقال ألم أنهما كانا نساك الشجرة
هذه الشجرة (وأقل لهما كان الشيطان لهما عدو مبين) يعني ألم أنهما كانا الشيطان قديان عدوان لهما بترك
السجود وحسدوا بغيا قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له ألم أكلت من الشجرة التي
نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فاني أعقبتهما أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فزنت حواء عند
ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم ألم أكلت منها وقد نهيتك قال
أطعمتني حواء فقال لحواء ألم أطعمتني قالت أمرتني الحية فقال الحية لم أمرتها قالت أمرتني ابليس قال الله
تعالى أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع رجلك فتمشين على
وجهك وسندخ رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فلعن مطر ودمدحور يعني عن الرحمة وقيل ناداه
ربه يا آدم أما خلقك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما أصعبت لك ملائكتي أما أسكنتك جنتي في
جواري قوله عز وجل (قالا ربنا ظنمنا أنفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام
وحواء عليهما السلام واعترفاهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا ربنا اننا فعلنا بانفسنا من
الاساءة الهاتمة لثمة أمرنا وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن
أكلها (وان لم تغفر لنا) يعني وأنت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنوبنا (وترحمنا) يعني وتتفضل علينا برحمتك (لنكونن
من الخاسرين) يعني من الهالكين قال قتادة قال آدم يا رب أريت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا دخلت
الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله أن ينظره فأعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك في قوله ربنا
ظنمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

فصل في وقد استدلل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب عنه
بأن درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل محاسنهم على الخوف منه
والاشتياق من المؤاخذه بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم رجعوا بتوبوا بأموور صدرت منهم على سبيل التأويل
والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علوم منصبهم وسمايات بالنسبة الى كمال
طاعتهم لانهم ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصي غيرهم فكان ما صدرت منهم مع طهارتهم وتزاهتهم
وعماره بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعماره ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل
ذنوباً وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابراشيات المقترنين يعني انهم رجعوا بالنسبة الى
أحوالهم كالسمايات وهي حسنات غيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان أكل آدم من الشجرة هل كان قبل
النسوة أو بعدها والخلاف فيه فأعني عن الاعادة والله أعلم قوله تعالى (قال اهبطوا) قال الامام فخر الدين الرازي
رحمه الله ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة وقال

اهبطوا

(بعضكم لبعض عدو) في موضع الحال أي متعادين يعاديهما باليس ويعاديانه (ولكم في الأرض مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع) وافتقار بعيش (إلى) (حين) إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربى فأغماصاني ما أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وتراوحن ظمته وكفنته في وتر من الثياب وحفره والقبور ودفنه بئر زديب بأرض الهند وقالوا لبنية هذه سنتكم بعده (قال فيها تقيمون) في الأرض (وفيها تموتون ومنها) تخرجون (للثواب والعقاب) تخرجون جزرة وعلى (يأبى) آدم قد أنزلنا عليكم لباسا جعل مافي الأرض متزلا من السماء لان أصله من الماء وهو منها (يوارى سواتكم) يستعور أنكم (وريشا) لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سواتكم ولباسا يزنيكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي بقى العقاب وهو مبتدأ وخبر الجملة وهي

الطبرى قال الله تعالى لا آدم وحواء وابلوس والحية أهبطوا يعني من السماء إلى الأرض قال السدي رحمه الله قوله تعالى أهبطوا يعني إلى الأرض آدم وحواء وابلوس والحية (بعضكم لبعض عدو) يعني ان العداوة ثابتة بين آدم وابلوس والحية وذرية كل واحد من آدم وابلوس (ولكم في الأرض مستقر) يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولكم في الأرض مستقر يعني القبور (ومتاع إلى حين) يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا أو إلى انقضاء آجالكم ومعنى الآية ان الله عز وجل أخبر آدم وحواء وابلوس والحية انه اذا أهبطهم إلى الأرض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم في الأرض موضع قرار يستقرون فيه إلى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم إلى انقطاع الدنيا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومتاع إلى حين يعني إلى يوم القيامة وإلى انقطاع الدنيا (قال فيها تقيمون) يعني قال الله عز وجل لا آدم وذريته وابلوس وأولاده فيها تقيمون يعني في الأرض تعيشون أيام حياتكم (وفيها تموتون) يعني في الأرض تكون وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها تخرجون) يعني ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة قوله عز وجل (يأبى) آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبط إلى الأرض وجعلها مسرة مستقر لهم أنزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما أنزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فلما منفعته في الدين فانه يسر العورة وسترها شرط في صحة الصلاة وأما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بأن أنزل عليهم لباسا يوارى سواتهم فقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم يعني لباسا تستترون به عورتكم * فان قلت ما معنى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا * قلت ذكر العلماء فيه وجوها أحدها أنه يعني خلق أي خلقنا لكم لباسا أو بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكان أنه أنزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الأرض تنسب إلى السماء إلى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد (وريشا) الريش للظاهر معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سواتكم ولباسا يزنيكم لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوهن وهو الزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وريش يعني مالا وهو قول مجاهدوا الضحالك والسدي لان المال مما يزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع إلى الزينة أيضا وقيل ان الريش في كلام العرب الاثا وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا المتاع والاموال عندهم وريش السمت عنه في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه لحسن الريش أو لحسن الثياب وقيل الريش والريش يستعمل أيضا الخصب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف العلماء في معناه فمنهم من جملة على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من جملة على المجاز أما من جملة على نفس الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الأباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبار أن ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بأنه خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي رحمه الله تعالى لباس التقوى آلات الحرب التي تبقى بها في الحرب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها أهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة وأما من جملة لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتيقن به من النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضي الله عنه هو الحياء لانه يبحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السمات الحسن وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه

(ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر أو ذلك صفة للبعد او خير خير
المتدا كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير أو لباس التقوى خبر مبدأ محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين ثم
قال ذلك خير وقيل ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن ولباس التقوى مدني وشامي ٨١ وعلى عطفاء على لباس أي وأمرنا علىكم

لباس التقوى (ذلك من آيات
الله) الدالة على فضله ورحمته
على عباده يعني انزال اللباس
(عليهم يدكرون) فيعرفوا
عظيم النعمة فيه وهذه الآية
واردة على سبيل الاستطراد
عقيب ذكر بدو السوات
وخصف الورق عليها نظهارا
لأنه فيما خلق من اللباس
ولما في العري من الفضيحة
والشعار بأن المستتر من
التقوى (يا بني آدم لا يفتنكم
الشیطان كما أخرج أبو يكم
من الجنة) لا يفتنكم ولا
يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة
كافتن أبو يكم بأن أخرجهم
منها (يترع عنهما لباسهما)
حال أي أخرجهم ما نازعا
لباسهما بأن كان سببا في ان
ترع عنهما والنهي في الظاهر
للشيطان وفي المعنى لبني
آدم أي لا تتبعوا الشيطان
فيقتنكم (ليريهما سوءاتهما)
عورتها (انه) الضمير للشأن
والحديث (براكم هو) تعليل
للنهي وتحذير من فتنته بأنه
بمنزلة العدو والمداحي يكيدكم
من حيث لا تشعرون
(وقبيله) وذريته أو جنوده
من الشياطين وهو عطف
على الضمير في بركم المؤكد
به ولم يعطف عليه لان
معمول الفعل هو المستكن
دون هذا البارز وانما

إذا خفي ما خلق الله له من لباس التجميل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعني ان لباس التقوى
خير من لباس الجبال والزينة وأنشدوا في المعنى

إذا أنت لم تلبس ثيابا من التقي * عريت وان وارى القميص قبيص

وقوله تعالى (ذلك من آيات الله) يعني انزال اللباس عليكم يا بني آدم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده
(عليهم يدكرون) يعني لعلمهم يدكرون نعمته عليهم في شكرها قوله تعالى (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما
أخرج أبو يكم من الجنة) قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يفتنكم بغروره ولا
يضلنكم فيزبن لكم كشف عورتكم في الطواف وانما ذكر قصة آدم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك
أولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة يعني آدم وحواء عليهما
السلام والمعنى ان من قدر على اخراج أبو يكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبأن يقدر على
فتنكم بطريق الاولى فخذ الله عز وجل بني آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه
التي اغوى وتوسوسه في الافعال الرديئة في قلوب بني آدم فهذه فتنة التي هي الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها
وقوله تعالى (يترع عنهما لباسهما) انما أضاف ترع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان ترع لباسهما
كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاستداليه واختلفوا في اللباس الذي ترع عنهما فقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما أصابا لخطيئة ترع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنازع وقال
وهب من منبر رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقل مجاهد كان لباسهما التقي وفي رواية عنه
التقوى وقيل ان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول أقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان التزع
لا يكون الا بعد اللبس (ليريهما سوءاتهما) يعني ليرى آدم عورة حواء ويرى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك
لا يرى بعضهم سوءات بعض (انه يراكم هو وقبيله) يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله انما أعاد اللفظ
في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المحيطة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل
جيل من جن أو انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله أي من هو من نسله وحكي أبو عبيد عن أبي يزيد
القبيل ثلاثة فصاعد من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو أب واحد وقال الطبري قبيلة يعني صنفه وجيله
الذي هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيلة نسله
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ولد وقوله (من حيث لا ترونهم) يعني أنتم يا بني آدم قال العلماء رجعهم
الله ان الله تعالى خلق في عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا
الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولما فتها والوجه في
رؤية الجن للانسان كثافة أجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع أبصار
الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في أبصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها وحكي
الواحدى وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من
ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مساكين لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في
صدور الناس فهم يرون بني آدم وسوء آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة ترى ولا ترى
وتخرج من تحت الترى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدو ابراهيم ولا تراه لشدديد
الثوبة الامن عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء) يعني أعوانا وقرناء (الذين لا يؤمنون) قال الزجاج
يعني سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل (واذا فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضي الله عنهما

من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فيه
دلالة لخلق الافعال (واذا فعلوا فاحشة) ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة وشركهم
خازن
في يعطف على ما هو معمول الفعل (من حيث لا ترونهم) قال ذوالنون ان كان هو يراكم
من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فيه

(قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) أي إذا فعلوا بها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقصدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرنا عليها ذلك كرهه لنقلنا عنها وهما باطلان لأن أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) إذا المأمور به لا بد أن يكون حسنا وإن كان فيه على مراتب على ما عرف في أصول الفقه (أتقولون على الله ما لا تعلمون) استنهم أنكار وتوبيخ (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقل أقيموا وجوهكم أي اقصدا وعبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غير هاتفي كل وقت سجود أو في كل مكان سجود (وادعوه) وادعوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا (كابدكم تعودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في أنكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم المسلمون (وفريقا) أي أضل فريقا (حق عليهم الضلالة) وهم الكافرون

ومجاهد هي طوافهم بالمبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والأكثرت فيمكن حملها على الإطلاق وإن كان السبب مخصوصا بعباد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الأفعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون أنها طاعات وهي في نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الأفعال بما أخبر الله عنهم وهو قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا لأنفسهم عذرين أحدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لأنه لا أصل له والعذر الثاني قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى أن هذه الأفعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها هي في أنفسهم فاحشة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصلحة العباد ثم قال تعالى رد عليهم (أتقولون على الله ما لا تعلمون) يعني أنكم ما سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده في تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لا تنكرون نبوة الأنبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط) أي قل يا محمد للهؤلاء الذين يقولون على الله ما لا يعلمون أمر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والمستدق وقال ابن عباس رضي الله عنهما بلالة إلا الله فالأمر بالقسط في هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وإنه واحد لا شريك له (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) * فإن قلت قل أمر ربي بالقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الأمر على الخبر لا يجوز فامعناه * قلت فيه ضمير وحذف تقديره قل أمر ربي بالقسط وقال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد حذف قال دلالة الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدى وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة وقال الضحاك معناه إذا حضرت الصلاة وأنتم عند المسجد فصاوبوا فيه ولا يقولون أحدكم أصلي في مسجدى أو في مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا اسجدكم لله خالصا (وادعوه مخلصين له الدين) أي واعبدوه مخلصين للعبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره (كابدكم تعودون) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما أن الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فذكركم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كابد خلقهم مؤمنا وكافرا ووجه هذا القول قوله في سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فإنه كالمفسر به ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت كل عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المؤمن على إيمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل السعادة كان ألبس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل بأعمال أهل الشقاوة كان ألبس كان السخرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا إلى السعادة ويصح هذا القول ما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل الزمن الطويل يعمل أهل الجنة ثم ينحتم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل يعمل أهل النار ثم ينحتم له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الآية كابدكم خلقكم في الدنيا ثم تكونوا شيئا فأحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون أحياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظتنا فقال أيها الناس أنكم تحشرون إلى الله عز وجل حفرة عراة غرلا كابدنا أول خلق نعيده وعدا علينا أنا كنا فاعلنا أخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى (فريقا هدى) يعني هداهم الله إلى الإيمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته (وفريقا حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبق لهم في الأزل بأنهم أشقياء وفيه دليل على أن الهدى والضلالة من الله عز وجل وما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى

(انهم) ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أي أنصارا ٨٣ (ويحسبون انهم مهتدون) والاية

حجة لنا على أهل الاعتزال في الهداية والضلالة (يا بني آدم خذوا زينتكم) لباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هياكله للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب فيستحب

اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصرا وأعوانا أطاعوهم فيما أمرهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لا يقدر ان يضلوا على ضلال أحد وقوله (ويحسبون انهم مهتدون) يعني أنهم مع ضلالهم يظنون ويحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجحاد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوفا فتجعله على فرجها وهي تقول

الموم يبدو بعضه أوكله * وما يدا منه فلا أحله

فتزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه فأمرهم الله تعالى أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي لي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزر فان قدر عليه والأطاف عريانا فنزل الله تعالى فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحس وهم قريش وأحدلافهم فن جاء من غير الحس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحسب ويرى أنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها أي جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عورتكم ولو عباءة وقال الكلبى الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى (وكلوا واشربوا) قال الكلبى كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني الدسم واللحم (ولا تسرفوا) يعني بتحريم ما لم يحترمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف وخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف الطب كفي نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي الآية دليل على ان جميع الأطعمة والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الأصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لا يجب المسرفين) يعني ان الله تعالى لا يحب من أسرف في الماء كوال مشروب والمبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد ان أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضا عن العبد وادب النوب اليه واذ لم يحبه علم أنه تعالى ليس هو راض عنه فدللت الآية على الوعيد الشديد في الأسراف قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) يعني قل يا محمد ل هؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما هو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستتر العورة والقول الثاني ذكره الامام نضر الدين الرازي انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع اللبوس والحلي ولولا أن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلوا في هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء والطيبات من الرزق) يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجه الله لمبادءه وخلقها لهم ثم ذكر وافي معنى الطيبات في هذه الآية أقوالا أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحترمون على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله

لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا) لا تسرفوا بالشرع في الحرام أو في مجاوزة الشبع (انه لا يجب المسرفين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف وخيلة وكان الرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ بسيرة وهي قوله عليه السلام العدة بيت الداء والجيسة رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم الجالينوس طبائهم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله)

من الثياب وكل ما يتجمل به (التي أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن من الارض والقزم الدود والطيبات من الرزق) والمستلذات من المساكل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرما للشاة وما يخرج منها من لحما وصحما ولبنها

(قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا وغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصاله والكفار تبع لهم خالصة بالرفع تابع فهي مبتدأ خبره للذين آمنوا في الحياة الدنيا ظرف للتخبر أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أي هي خالصة وغيره نصبها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة (كذلك نفصل الآيات) غير الحلال من الحرام (لقوم يعلمون) انه لا شريك له (قل انما حرم ربي الفواحش) ربي حزمة الفواحش ما تنافحش قبحه أي تزايد (ما ظهر منها وما بطن) سرها وعلايتها (والانثم) أي شرب الخمر أو كل ذنب (والبغي) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبغي ومحل (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) حجة النصب كانه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصري وفيه تهكم اذ لا يجوز ان ينزل برهانا على ان يشرك به غيره

تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وقتاده ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحترمون من البحائر والسوائب قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحترمون أشياء أحلها الله تعالى من الرزق وغيره وهو قول الله تعالى قل رأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأما قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحريم ما يستلزم ويشتهي من سائر المطعومات الامان على غناه وورد نص بتحريمه (قل هي للذين آمنوا) يعني قل يا محمد ان الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا (في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خالصة لهم) يوم القيامة (يعني لا يشركهم فيها أحد) لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة من التكدير والتنعيص والغلبة لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنعيص فأعلمهم انها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) يعني كذلك بين الحلال مما أحلت والحرام مما حرم لقوم علموا اني أنا الله وحدي لا شريك لي فأحلوا حلالا وحرموا حراما في قوله عز وجل (قل انما حرم ربي الفواحش) جمع فاحشة وهي ما يوجب غش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد لحلول المشركين الذين يتحردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحترمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله لم يحترم ما تحترمون أنه بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والآيات (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانية وسرّة (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحقيقة بسبب المشاركة فيما يخص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين على الآخر لاختصاص كل واحد منهما بما صاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وأما الغيرة في وصف الله تعالى فهو ومنعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرة حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل أن تكون غيرة تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم وقوله تعالى (والانثم) يعني وحرم الانثم واختلغوا في الفرق بين الفاحشة والانثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تنافحش قبحها وتزايد والانثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الذنوب والانثم اسم لما لا يجب فيه الذنوب وهذا القول قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الانثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والانثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا أو صغيرا والقاعدة فيه ان يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربي الفواحش أردفه بتحريم مطلق الذنب لا يتوهم متوهم أن التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسم لكل ما تنافحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الانثم فقد قيل انه اسم من أسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهري وقد تسمى الخمر انما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الانثم حتى ضل عقلي * كذلك الانثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى ان تسمية الخمر بالانثم صحيح لان شربها انثم وهذا المعنى يظهر للفرق بين اللغتين وأنكر أبو بكر بن الانباري تسمية الخمر بالانثم قال لان العرب ما سمته انما أو في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخل تحت الانثم لقوله قل فيه ما انثم كبير وقوله تعالى (والبغي) أي وحرم البغي (بغير الحق) والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من أن يكون بغيا (وان تشركوا) أي وحرم أن تشركوا (بالله ما لم ينزل به سلطانا) هـ ذافيه تم كالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بأن يشرك به

(وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وأن تقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين يأتيهم فيه عذاب إلا أنه متصل أن لم يؤمنوا وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الأمهال (يا بني آدم أما يأيتنكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة المعنى الشرط لأن ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم يقصون عليكم آياتي) يقرؤون عليكم كتي وهو في موضع رفع صفة (رسل وجواب الشرط (فن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أصلا فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا واستكبروا عنها) تعظموا عن الإيمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فن أظلم) فن أشنع ظلما (عن افتري على الله كذبا أو كذب بآياته) ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما كتب لهم من الارزاق والاعمال

غيره لأن الاقرار بشئ ليس على ثبوته حجة ولا برهان فمتنع فلما امتنع حصول الحجة وظل منه على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلا على الإطلاق * فان قلت البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لأن الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الاثم وكذا البغي أيضا من الفواحش والاثم * قلت انما أفرد ههنا بالذكر للتنبيه على عظم فجعهما كأنه قل من الفواحش المحترمة البغي والشرك فكانت بينهما حجة ثم تفصيله وقوله (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) تقدمت نفسه بـ قوله تعالى (ولكل أمة أجل) الا أجل الوقت الموثق لا نقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى ان لكل أمة كذب رسلها وقتا معيناً وأجلا مسمى أمهلهم الله الى ذلك الوقت (فإذا جاء أجلهم) يعني فإذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لأنها أقل أسماء الاوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فأخبرهم الله تعالى ان لهم وقتا إذا جاء ذلك الوقت وهو وقت اهلاكمهم واسهتصلهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو أجل الحياة والعمر فإذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل أمة لئلا تقرب أعمار أهل كل عصر فكانهم كالأحد في مقدار العمر وعلى هذا القول أيضا يكون المقتول ميتا بأجله خلافا لما يقول الغاتل قطع عليه - ه - أجله قوله عز وجل (يا بني آدم أما يأيتنكم رسل منكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة المعنى الشرط وهو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فن اتقى وأصلح يعني منكم وانما قال رسل بلقظ الجمع وان كان المراد به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة المخلوق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني آدم لأهل مكة ومن يلحق بهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم عام في كل بني آدم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لأن الرسول اذا كان من جنسهم كان أقطع لعذرهم وأثبت للحجة عليهم لأنهم يعرفونه ويعرفون أحواله فاذا آتاهم بما يليق بقدرته أو بقدره أمثاله علم ان ذلك الذي أتى به مجزؤه وحجة على من خالفه - ه - (يقصون عليكم آياتي) يعني يقرؤون عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي (فن اتقى) يعني فن اتقى الشرك ومخالفة رسل (وأصلح) يعني العمل الذي أمرته برسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيت عنه (فلا خوف عليهم) يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعني ومن كذبوا بآياتنا وكذبوا برسلنا (واستكبروا عنها) يعني واستكبروا عن الإيمان بها وما جاء به رسلنا (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني لا يخرجون منها أبدا قوله تعالى (فن أظلم) عن افتري على الله كذبا) يعني فن أظلم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شركا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد (أو كذب بآياته) يعني أو كذب بالقرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين أحدهما ان المراد به العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله كذبا بوجهه - ه - أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فأندرتكم نار اتلقى وفي قوله اذا لاغ - لال في أعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شئ سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية أخرى عنه من عمل خيرا جوزى به ومن عمل شرا جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر قاله

والسلام هذا الجملة
الشرطية وهي اذا جاءتهم
رسلنا (يتوفونهم) يقبضون
أرواحهم وهو حال من
الرسول أي متوفيه ومافي
(قالوا أيما كنتم تدعون)
في خط المصحف موصولة
بأين وحقها أن تكتب
مفصلة لانها موصولة
والمعنى أين الآلهة الذين
تعبدون (من دون الله)
ليذبوا عنكم (قالوا ضلوا
عنا) غابوا عنا فلانراهم
(وشهدوا على أنفسهم أنهم
كانوا كافرين) اعترفوا
بكفرهم بلغظ الشهادة
التي هي لتحقيق الخبر
(قال ادخلوا) أي يقول الله
تعالى يوم القيامة هؤلاء
الكفار ادخلوا (في أمم)
في موضع الحال أي كائنين
في جملة أمم مصابين لهم
(قد دخلت) مضت (من
قبلكم من الجن والانس)
من كفار الجن والانس
(في النار) متعلق بادخلوا
(كلما دخلت أمة) النار
(لنبت أختها) شكلها في
الدين أي التي ضلت بالافتداء
بها (حتى اذا أذكروا فيها)
أصله تذكروا أي تلاحقوا
واجتمعوا في النار فأبدلت
التاء الاوسكت للدغام
ثم أدخلت همزة الوصل
(جميعا) حال (قالت آخرهم)
منزلة وهي الاتباع والسفلة

(لا ولاهم) منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لا ولاهم لاجل ولاهم لان خطابهم
مع الله لا معهم (ربنا) ياربنا (هؤلاء أضلونا فاتهم) عذابا ضعفا مضاعفا (من النار)

مجاهدوا الضحك وهو روية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم
في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من
الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وحق الطبري هذه القول
الآخر وقال لان الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فأبان ان الذي ينالهم هو ما كتب
لهم في الدنيا فاذا فرغ توفتهم رسل ربهم قال الامام نضر الدين رحمه الله تعالى وانما حصل الاختلاف لان لفظ
النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين جملة على العمر والرزق أولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في
الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى
لذي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يقتلون
على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم لان لفظ
الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعني قال الرسل وهم الملائكة للكفار (أيما كنتم تدعون من دون الله) وهذا
سؤال توبيخ وتقرير وتبكيك لسؤال استعلام والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم
ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب
يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا أيما كنتم تدعون يعني شركاء أولياء
تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله (قالوا) يعني الكفار مجيبين للرسل (ضلوا
عنا) يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين)
يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاناة العذاب أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على
أنفسهم بذلك قوله عز وجل (قال ادخلوا في أعمق قد خلت من قبلكم من الجن والانس) يقول الله عز وجل
يوم القيامة ان افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في أعمق يعني في جملة أعمق قد خلت يعني
قد مضت وسكنت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه أطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعة قد خلت
من قبلكم من الجن والانس (في النار) أي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم ومأواكم وانما غنى بالأمم
الجماعات والاحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والانس (كلما دخلت أمة) يعني كلما دخلت جماعة النار
(لنبت أختها) يعني كلما دخلت أمة النار لنبت أختها من أهل ملتها في الدين لاني النسب قال السدي كلما
دخلت أهل ملة النار لعنوا أصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى
النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى (حتى اذا أذكروا) يعني تذكروا
وتلاحقوا (فيها جميعا) يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وأدرك بعضهم بعضا واستقرروا في النار (قالت
آخرهم لا ولاهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قال آخر كل أمة لا ولها وقال السدي قالت آخرهم
الذين كانوا في آخر الزمان لا ولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال آخرهم دخول النار وهم
الاتباع لا ولهم دخول النار لان القادة يدخلون النار أولا (ربنا هؤلاء أضلونا) يعني يقول الاتباع
ربنا هؤلاء القادة والرؤساء أضلونا عن الهدى وزيروا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتأخرون ذلك لانهم
كانوا يمتدنون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقةهم فيما كانوا عليه
من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء أضلونا لانا اتبعنا
سبيلهم (قالتهم عذابا ضعفا من النار) أي أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة الضعف هو مثل الشيء مرة
واحدة قال الازهرى والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وأما كتاب الله فهو
عزى مبين فيرد تفسيره الى موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصود على مثلين وما نزل
في كلام العرب هذا ضعفه أي مثله وثلاثة أمثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة وأولى الاشياء
به أن يجعل عشرة أمثاله فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه

قال لكل ضعف) للقادة

بالغواية والاعواء ولا يتبع
بالكفر والافتداء (ولكن
لا تعلمون) ما لكل فريق
منكم من العذاب لا يعلمون
أبو بكر رأى لا يعلم كل فريق
مقدار عذاب الفريق الآخر
(وقالت أولاهم لا خراهم فما
كان لكم علمنا من فضل
عطف وهذا الكلام على قول
الله تعالى للسفلة لكل ضعف
أى فقد ثبت أن لا فضل
لكم علمنا وانا متساوون في
استحقاق الضعف (فدوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون)
بكسبك وكفرتم وهو من قول
القادة للسفلة ولا وقف على
فضل أو من قول الله لهم جميعا
والوقف على فضل (ان الذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
لا تنفع لهم أبواب السماء) أى
لا يؤذن لهم في صعود السماء
للدخول الجنة اذهى في السما
أولا يصعد لهم عمل صالح ولا
تنزل عليهم البركة أولا تصعد
أرواحهم اذا ما تواكمت
أرواح المؤمنين الى السماء
وبالتناء مع التحفيف أبو عمرو
وبالبناء معه حزة وعلى (ولا
يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل
في سم الخياط) حتى يدخل
البعير في ثقب الابرأى
لا يدخلون الجنة أبدا لانه
علقه بما لا يتكون والخياط
والخيط ما يتخاط به وهو الابرأى
(وكذلك) ومثل ذلك الجزاء
القطيع الذى وصفنا (نجزي
المجرمين) أى الكافرين
بدلالة التكذيب بآيات الله
والاستكبار عنها (لهم من

الآية فاتهم عذابا ضعفا أى مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المنسل والآخر أن
يكون في معنى تضعيف الشيء أى زيادته (قال) يعنى قال الله تعالى (لكل ضعف) يعنى لا ولا لم ضعف ولا خراهم
ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) يعنى
ما أعد الله لكل فريق من العذاب وقرى بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما أعد الله تعالى من العذاب
للفريق الآخر (وقالت أولاهم) يعنى في الكفر وهم القادة (لا خراهم) يعنى الاتباع (فما كان لكم علمنا من
فضل) يعنى قد ضلتم كما ضلنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الآية وقالت كل أمة سلفت في الدنيا لا خراها
الذين جاؤا من بعدهم فسلوكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علمنا من فضل وقد علمتم ما حل بنامن
عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا إياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فارجعتم عن ضلالتكم وكفرتم (فدوقوا
العذاب) وهذا يختم أن يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى لاخرى التى بعدها ويختم أن يكون
من قول الله تعالى يعنى يقول الله للجميع فدوقوا العذاب (بما كنتم تكسبون) يعنى بسبب ما كنتم
تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعنى كذبوا بآيات الله التوحيد
فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا (واستكبروا عنها) أى وتكبروا عن الإيمان بها والتصديق لها وأنفوا عن
اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تنفع لهم أبواب السماء) يعنى لا تنفع لارواحهم اذا خرجت
من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم
كأها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهما
لا تنفع أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا
قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تنفع أبواب السماء لأعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبرى
بسند عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وانه يصعد بها الى السماء قال
فيصعدون بها فلا يمر على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان بأفج أسمائه
التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيسقطون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنفع لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا تنزل عليهم البركة
والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تنفع لهم أبواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شئ
وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الخياط) والولوج الدخول والجبل معروف وهو الذكر
من الابل وسم الخياط ثقب الابرأى قال الفراء الخياط والخيط ما يتخاط به والمراد به الابرأى في هذه الآية وانما
خص الجبل بالذكر من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسماء عند العرب قال الشاعر
* جسم الجبل وأحلام العصافير * وصف من هجم بهذا عظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجبل من أعظم
الاجسام وثقب الابرأى من أضيق المنافذ فكان ولوج الجبل مع عظم جسمه في ثقب الابرأى الضيق محالا
فكذلك دخول الكفار الجنة محال واما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا
الشرط محالا ثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأبوس منه
قطعا وقال بعض أهل المعاني لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجبل في سم الخياط وهو خرق الابرأى كان
ذلك نقية لدخولهم الجنة على التأيد وذلك لان العرب اذا علق ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحالة كون
ذلك الجائر وهذا كقولك لا أتيتك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

اذ اشاب الغراب أتيت أهلى * وصار القار كاللبن الحليب

قوله تعالى (وكذلك نجزي المجرمين) أى ومنسل الذى وصفنا نجزي المجرمين يعنى الكافرين لانه تقادم من
صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار
ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة أبدا بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال
تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتهد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه

(ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهي الغطاء كاللحف ونحوه ومعنى الآية أن النار محيط بها من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهدي الفراء والغواشي الحف (وكذلك تجزي الظالمين) يعني وكذلك تكافئ ونجاري المشركون الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لا تكلف نفسا الا وسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهىهم عنه لا تكلف نفسا الا وسعها يعني لا تكلف نفسا الا ما يسرها من الاعمال وما يسرها علمها ويدخل في طوقها وقدرتها وما لا يخرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الواسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا يقدر عنه وقد غلط من قال ان الواسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى لا تكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا تكلف نفسا الا وسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاعتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحملها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر موضعه رفع والمائد محذوف كانه قال لا تكلف نفسا منهم الا وسعها الخذف المائد للعلم به قوله تعالى (وترعنا ما في صدورهم من غل) يعني وقلة ما اخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحق وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية ازاننا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسواس ودفعها عن ان تردي على القلب وروى عن علي رضي الله عنه قال فينا والله أهل بدر ترزأت وترعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا أنه قال اني لا رجوان أن أكون أنا وعثمان وطحمة والزبير من غل وترعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاض المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن الله لهم في دخول الجنة فولذي نفس مجديده لا حدهم أهدي بمنزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا الى الجنة قبلوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينا فشرى بها من أحد ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فخرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعروا ولن يشعروا بعد ما أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم وزعته من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العلية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعيم العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يعيل بطبعه اليها ولا يغم بسبب حرمانه منها وان كان في الدنيا ونعيم وأجيب عن هذا بأن الله تعالى قد وعد بآلة الحق والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم الجنة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيدته في النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحد أبدا وبهذا نعيمه ولذته وكل سروره ومجته وقوله تعالى (تجزي من تحتهم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) يعني ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي يوفقنا وأرشدنا للعمل الذي هذا اوابه وتفضل علينا برحمته منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضلته وكرمه فله

كالفرش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهي الغطاء كاللحف ونحوه ومعنى الآية أن النار محيط بها من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهدي الفراء والغواشي الحف (وكذلك تجزي الظالمين) يعني وكذلك تكافئ ونجاري المشركون الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لا تكلف نفسا الا وسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهىهم عنه لا تكلف نفسا الا وسعها يعني لا تكلف نفسا الا ما يسرها من الاعمال وما يسرها علمها ويدخل في طوقها وقدرتها وما لا يخرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الواسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا يقدر عنه وقد غلط من قال ان الواسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى لا تكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا تكلف نفسا الا وسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاعتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحملها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر موضعه رفع والمائد محذوف كانه قال لا تكلف نفسا منهم الا وسعها الخذف المائد للعلم به قوله تعالى (وترعنا ما في صدورهم من غل) يعني وقلة ما اخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحق وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية ازاننا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسواس ودفعها عن ان تردي على القلب وروى عن علي رضي الله عنه قال فينا والله أهل بدر ترزأت وترعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا أنه قال اني لا رجوان أن أكون أنا وعثمان وطحمة والزبير من غل وترعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاض المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن الله لهم في دخول الجنة فولذي نفس مجديده لا حدهم أهدي بمنزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا الى الجنة قبلوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينا فشرى بها من أحد ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فخرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعروا ولن يشعروا بعد ما أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم وزعته من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العلية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعيم العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يعيل بطبعه اليها ولا يغم بسبب حرمانه منها وان كان في الدنيا ونعيم وأجيب عن هذا بأن الله تعالى قد وعد بآلة الحق والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم الجنة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيدته في النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحد أبدا وبهذا نعيمه ولذته وكل سروره ومجته وقوله تعالى (تجزي من تحتهم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) يعني ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي يوفقنا وأرشدنا للعمل الذي هذا اوابه وتفضل علينا برحمته منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضلته وكرمه فله

(وهم بالآخرة) بالدار الآخرة
(كافرون وبينهما) وبين
الجنة والنار أو بين الفريقين
(حجاب) وهو السور المذكور
في قوله فضررب بينهم بسور
(وعلى الاعراف) على أعراف
الحجاب وهو السور المصروب
بين الجنة والنار وهي أعاليه
جمع عرف استعير من عرف
الفرس وعرف الديك (رجال)
من أفاضل المسلمين أو من
آخرهم دخولا في الجنة
لاستواء حسناتهم وسيئاتهم
أو من لم يرض عنه أحد
أبويه أو أطفال المشركين

لغير الله وتعتظم ما لم يعظمه الله فأخطوا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعني وهم يكون
الآخرة واقعة جاحدون منكرونها قوله عز وجل (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار وقيل بين أهل
الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضررب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من
قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب هو السور وهو
الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الأرض ومنه قيل عرف
الديك لارتفاعه على ما سواه من الجسد سمي بذلك لأنه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفاض وقال
السدي إنما سمي الاعراف لأن أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضي الله عنه ما الاعراف التي
المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس
من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلاف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الاعراف وب
السبب الذي من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت
حسناتهم وسيئاتهم فقصررت بهم سيئاتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقوا هنالك على
السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم إنما جعلوا على الاعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار
فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لأنه ليس في الآخرة
دار إلا الجنة أو النار وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فن كانت حسناته
أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمقال حبة
من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقوا على الاعراف فإذا انظر والى
أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا انظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله
تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إذا عمل العبد حسنة
كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب له إلا واحدة ثم قال هلك من غلب أحاده عشراته وقال ابن عباس
رضي الله عنهم ما الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم
بذلك المكان حتى إذا أراد الله تعالى أن يعاقبهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافته قصب الذهب
مكامل بالؤلؤ تراه المسك فالقوافيه حتى تصلح ألوانهم وتبدي في نحرهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا
صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال غنموا ما شئتم فيمتمنون حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم
الذي تمنيتهم ومثله سمعون ضمه فادخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شريح بن ساعد أصحاب
الاعراف قوم خرجوا في الغزو ومن غيراذن آبائهم ورواه الطبري بسنده إلى يحيى بن غيل مولى أبي هاشم عن
محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا
عصاة لا بائهم فغضبهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم
آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضي آبائهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم ورواه عن
إبراهيم وذكر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما لهم أولاد الزنا وقيل أنهم
الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أمر أصحاب الاعراف إلى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة الله أعلم
بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل أنهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه إلى القول
الذي قبله لأنه داخل في حكمه فهذه الأقوال تبدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وأن
كانوا يدخلون الجنة بركة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول
أنما يكون لبئهم على الاعراف على سبيل التزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل أنهم أنبياء حكاه ابن
الانباري وإنما أجاسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة وأظهار الفضلهم وعلى
مرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطاعين على أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب
أهل النار وقال أبو مجلز أصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون أهل الجنة
وأهل النار فقبل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وأنتم تقول أنهم ملائكة فقال ان

(يعرفون كل) من زمرة السعداء والاشقياء (بسميهاهم) بعلامتهم قبل سماع المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسما الكافرين سواد الوجوه وورقة العيون (ونادوا) أي أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أنه سلام أو أي سلام وهو ثمرة منهم لأهل الجنة (لم يدخلوها) أي أصحاب الاعراف ولا محل له لانه استثناف كان سائلا سؤال عن أصحاب الاعراف فقبل لم يدخلوها ٩١ (وهم بطمعون) في دخولها أولا

الملائكة كوريسوا باناث وضعف الطبري قول أبي مجلز قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني آدم دون اناتهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان أصحاب الاعراف أفضل من أهل الجنة لانهم أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل انما أجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قوله عز وجل (يعرفون كل) بسميهاهم) يعني أصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة بسميهاهم وذلك ببياض وجوههم ونضرة النعم عليهم ويعرفون أهل النار بسميهاهم وذلك بسواد وجوههم وورقة عيونهم والسمي العلامة الدالة على الشيء وأصله من السممة قال ابن عباس رضي الله عنهما أصحاب الاعراف اذاروا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذاروا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وساءت بهم دون أهل الجنة في الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رآوا أهل الجنة وعرفوهم ببياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) يعني نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم يعني سلمت من الآفات وحصل لكم الامن والسلامة واذاروا أهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الاشراق والافاضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة وأهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العلية في الجنة وقوله تعالى (لم يدخلوها) هو بطمعون) يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريد بهاهم قوله تعالى (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعني وإذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعني وجاههم وحيالهم ففطر واليه ولى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قلوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم قوله تعالى (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) يعني ونادى أصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء في الدنيا وهم من أهل النار (يعرفونهم بسميهاهم) يعني بسمي أهل النار (قالوا) يعني أصحاب الاعراف هؤلاء الذين عرفوهم في النار (ما أغنى عنكم جمعكم) يعني ما كنتم تجمعون من الاموال والعهد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعني وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيئا قل الكافي ينادونهم وهم على السور يا وليدين المغيرة يا أباجهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزئون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول أصحاب الاعراف لا أولئك الكفار (أهؤلاء) لفظ استهزاء يعني أهؤلاء الضعفاء (الذين أقسمتم) بالله لا ينالهم الله برحمة) يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضل ورحمة (لا تخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف اذا قالوا لأصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعبرونهم بذلك ويقمعون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة لأهل النار أهؤلاء يعني أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا تخوف عليكم ولا أنتم تحزنون قوله عز وجل (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار في الفرج فقالوا يا ربنا ان لنا قرايات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فبأذن لهم فينظرون الى قراياتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أن مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لا دخوله في حكم الافاضة أو أريدوا القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك علفنا بئنا وما بارداً أي وسقيتها وأناسا أولئك مع بأسهم عن الاجابة لان المخير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا)

المحلى وهو صفة لرجال (واذا صرفت أبصارهم) أبصار أصحاب الاعراف وفيه ان صار فاذا صرف أبصارهم لينظروا فيستعينوا (لتلقاء) ظرف أي ناحية (أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فاستعاضوا بالله وفرغوا الى رحمة أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسميهاهم) قالوا ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتمكم واجتماعكم وما نافية (وما كنتم تستكبرون) ولست بكاركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدأ ضمير متعدي به خبر مبتدأ ضمير متعدي به هؤلاء هم الذين (أقسمتم) حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لا ينالهم الله برحمة) جواب أقسمتم وهو داخل في صلة الذين تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أي لا يدخلهم الجنة يحقرونهم لغرقهم فيقال لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسميهاهم وقالوا ما قالوا (لا تخوف عليكم ولا أنتم

ان الله حرمهم على الكافرين

هو تحريم منع كافي وحرمنا عليه المراضع وتوقف هناك رفعت أو نصبت ما بعده وما وان جرته وصفا للكافرين فلا الذين اتخذوا دينهم لهموا واعبا فخرموا وأحلوا ما شاؤا أو دينهم عيدهم (وغترهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء (فاليوم ننسأهم) نتركهم في العذاب (كانسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يتحذرون) أي كنسأهم ويحودهم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كان على علم حال من مرفوعه (لقوم يؤمنون هل ينظرون) ينتظرون (الاتأويله) الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتي تأويله) يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي تبين وصح أنهم جاؤا بالحق ففتروا حين لا ينفعهم (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) جواب الاستفهام (أو نرد) جملة معطوفة على جملة قبلها داخله معها في حكم الاستفهام كأنه قيل فهل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيد أو عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع أو هل نرد (فنعمل) جواب الاستفهام أيضا (غير الذي كنا نعمل

فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراياتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون أي أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول قد اختلفت أفض على من الماء فيقال لهم أجيئوهم فيقولون ان الله حرمهم على الكافرين ومعنى الآية ان أهل النار يستغيثون بأهل الجنة اذا استقرروا فيها وذلك عند نزول البلاء بأهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع وعقوبة لهم من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول أهل النار لأهل الجنة يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء أو عارزكم الله يعني وأطعمونا ما رزقكم الله وسعوا علينا من طعام الجنة فيجيئهم أهل الجنة بقولهم (ان الله حرمهم على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فساؤا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فأجيئوا بأن الله حرمهم على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم لهموا واعبا) يعني أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهموا عنه وأصل الله هو ما يشغل الانسان عما ينبغي وبهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المستهترون وذلك أنهم كانوا اذا دعوا الى الايمان ينحروا بمن دعاهم اليه وهزأ به استهزاء بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحار والسواحب والمكاه والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهموا واعبا لا يذكرون الله فيه (وغترهم الحياة الدنيا) يعني وخدعهم عاجل ما هم فيه من خصب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسله وعن الاخذ بنصيبتهم من الآخرة حتى أتتهم المنية وتوهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلد لا يصح له في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يعني يوم القيامة (ننسأهم) كانسوا لقاء يومهم هذا يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جيا عا عطا شاكرا تركوا العمل لقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس رضي الله عنهما نساهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسى فتركهم في النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الايمان اعراض الناسي سمي الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على الجحاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله وخزائنة سيئة مثلهما فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وزلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل (وما كانوا بآياتنا يتحذرون) يعني وتركهم في النار كما كانوا بدلائل وحسانيتنا يكذبون قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب) يعني ولقد جئناهم هؤلاء الكفار بالقرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) أي بيناه على علم من انبأ نفسه ونبيه (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) أي جعلنا القرآن هاديا ورحمة لقوم يؤمنون (هل ينظرون) يعني هل ينظرون هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآياتنا وجدواهم لم يؤمنوا بها (الا تأويله) يعني هل ينظرون ويتوقعون الاما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتأويل ما يؤول اليه الشيء (يوم يأتي تأويله) يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما تؤول اليه أمورهم بقول الذين نسوه من قبل) يعني يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عندهم عاقبة العذاب (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أقروا على أنفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار أقروا بأن الذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والخشوع والنشر والبعد يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما أقرروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوا بها عيانة وذلك حين لا ينفعهم ولمارأوا أنفسهم في العذاب قالوا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) يعني انه ليس لنا طرريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الا أن يشفع لنا شافع عند من بنا فيه قبل شفاعته فينا فنجعلنا من هذا العذاب أو نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والابانة

والانابة قد خسروا أنفسهم) يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتمين خسروا أنفسهم واهل الكفر والعصيان
 كانوا في الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولورثوا الى الدنيا المادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان
 السابق علم الله تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في
 الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما فضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم كانوا في دعواهم كاذبين
 قوله عز وجل (ان ربكم الله) يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح أموركم وموصل الخيرات اليكم والذي يدفع عنهم
 الكارثة هو الله (الذي خلق السموات والارض) أصل الخلق في اللغة التقدير ويستعمل في ابداع الشيء من
 غير أصل سبق ولا ابتداء تقديماً فقول الله خلق السموات والارض يعني أبدعها وأنشأ خلقها معاً على غير مثال
 سبق وقد رآه الهمما (في ستة أيام) * فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع
 الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة أيام ولم يكن شمس ولا سماء * قلت معناه في مقدار ستة أيام فهو كقوله
 ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً يعني على مقادير البكرة والعشياً في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف
 العلماء في اليوم الذي ابتداء الله عز وجل بخلق الاشياء فيه فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره
 ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يمدى فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم
 الاثنين وخلق المكره يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد
 العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان
 كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء فيه من المخالفة لآية الكريمة لان الله تعالى يقول
 خلق السموات والارض في ستة أيام وقال في آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام
 فدل بهذا النصين على ان جميع الخلق تم وكل في ستة أيام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة
 أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد ذكر الازهر في كتابه
 تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانباري السبت القطع وسمى يوم السبت لان الله تعالى ابتداء
 الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول
 عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات
 والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد
 قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخلق التربة من الماء وبدأ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء
 والاربعاء والخميس وجعل الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود في يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة
 مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيدة قال وسمى سابع الاسبوع سبباً لان ابتداء
 الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال أصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله
 تعالى خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن
 سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسط عليها طحهاها وأخرج ماءها ومرعاها
 وخلق دوابها وحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر
 ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجميع ما فيها
 يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو
 وزوجته حواء ثم أهبطهم الى الارض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب
 فيه ما كان وما سيكون وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق القلم والنور ثم خلق العرش ثم خلق
 من التربة التي خلقها أولاً ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها
 ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض فتم كامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف
 سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة أيام من أيام الدنيا * فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق

قد خسروا أنفسهم وضل
 عنهم ما كانوا يفترون) ما كانوا
 يعبدونه من الاصنام (ان
 ربكم الله الذي خلق السموات
 والارض في ستة أيام) أراد
 السموات والارض وما بينهما
 وقد فصلها في حم السجدة
 أي من الاحد الى الجمعة
 لاعتبار الملائكة شيئاً فشيئاً
 وللاعلام بالتأني في الامور
 ولان لكل عمل يوماً ولان
 انشاء شيء بعد شيء أدل على
 عالم مدبر يريد بصره على
 اختياره ويخبره على مشيئته

جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلم بالبصر فالعائدة في خلق السموات
والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك * قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادر على خلق جميع الاشياء
في لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شيء حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت
والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادر على خلق
السموات والارض في لحظة واحدة في ستة ايام تعليم الخلق التثبت والتأني في الامور كما في الحديث
التأني من الله والجملة من الشيطان وقيل ان الشيء اذا حدث دفعة واحدة فلعله أن يختر ببال بعضهم ان
ذلك الشيء انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيئا بعد شيء على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في
القدرة وأقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد أن يوقع في كل يوم أمر من أموره حتى تستعظمه الملائكة
وغيرهم ممن شاهدوه وقيل ان التجميل في الخلق أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة والتثبت أبلغ في الحكمة
فأراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما أظهر قدرته في خلق الاشياء بما يمكن فيكون وقوله
تعالى (ثم استوى على العرش) العرش في اللغة السرير وقيل هو ماء علا فأطل وسمى بمجلس السلطان عرشا
اعتبارا بملوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان نزل عرشه بمعنى
ذهب عزه ومملكته وساطنانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا
بالاسم على الحقيقة وليس هو كما ذهب اليه أو هام العامة فانه لو كان كذلك لكان حامله تعالى الله عن ذلك
وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكبرى فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في
كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كما هو قال أما الاستواء فالمتقدمون
من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يثبتون فيه كتحوم مذهبهم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن
وهب انه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه
قال فاطرق مالك وأخذته الرضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له
كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه فخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى
قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق
مالك برأسه حتى غلبته الرضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال
عنه بدعة وما أراكم الا مبتدعاً فأمر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى
به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والاتباع عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى
هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه والمذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل الجلي
ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي قال البغوي أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف
يجب على الرجل الايمان به وبكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله
عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن
المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المشابهة أقرؤها كما جاءت بلا كيف
وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن جعل قوله تعالى ثم
استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراشدين مذهبان
الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض
علمها الى الله تعالى وهو الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تأويله الا الله والراشدين في العلم يقولون أمنا به
وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني اننا نخوض في تأويله على التفصيل وفيه
قولان لمختصان الاول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل
نيل العرش كناية عن نقض الملك يقال نيل عرشه أي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ
حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سريره ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم
قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي أفوه من ملوكهم واستقر في

(ثم استوى) استوى (على
العرش) أضاف الاستيلاء
الى العرش وان كان سبحانه
وتعالى مستوليا على جميع
الخلق لان العرش أعظمها
وأعلاها وتفسر العرش
بالسرير والاستواء بالاستقرار
كما نقوله المشبهة باطل لانه
تعالى كان قبل العرش ولا
مكان وهو الآن كما كان لان
التغير من صفات الاكوان
والمثبوت عن الصادق والحسن
وأبي حنيفة ومالك رضي الله
عنهم ان الاستواء معلوم
والتكليف فيه مجهول
والايمان به واجب والحدود
له كفر والسؤال عنه بدعة

قلوبهم تنبها على عظمة الله جل جلاله وكال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة
وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقله يدبر
الامر جري مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول ان الله تعالى لم يكن مستويا على
المالك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزّه عن ذلك وأجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق
السموات والارض ماله الكمال لا يصح أن يقال شبع زيد لا بعد أكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح أن
يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني أن يكون استوى بمعنى
استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشري على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه أعظم المخلوقات ورد هذا القول بأن
العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذ لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى
عليه والله تعالى لم يزل ماله كمال الاشياء كلها ومستولى عليها فأى تخصيص للعرش هنادون غيره من المخلوقات
ونقل البهقي عن أبي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا اسماء استواء كما فعل في غيره فعلا اسماء
رزق ونعمة وغيرهما من أفعاله ثم لم يكف الاستواء الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على
العرش وثم التراخي والتراخي انما يكون في الافعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة
وحكي الاستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض أصحابنا انه قال استوى بمعنى علام من الملو قال ولا يريد بذلك علوا
بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمم كافي له ولكن يريد معنى نفى التميز عنه وانه ليس بما يحويه طبق
أو يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البهقي رحمه الله تعالى
وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلق بالمستوى عليه بالاستواء قال وقد أشار أبو الحسن
الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض أصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله
تعالى مستوى على عرشه وانه فوق الاشياء بان منها معنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يعاسها ولا يشبهها وليس
البيوتة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسات علوا كبيرا وقد قال بعض أصحابنا ان الاستواء صفة الله
تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروى ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ما معنى قوله تعالى الرحمن
على العرش استوى قال انه مستوى على عرشه كما أخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أى استولى فقال له ابن
الاعرابي ما يدريك ان العرب لا تقول استولى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فاهم اغلب قيل ان
غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخذ به لا كما ظنّه البشر والله أعلم وقوله تعالى
(يغشى الليل النهار) يعنى انه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغظيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف
تقديره ويغشى النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه (يطلبه حثيثا) يعنى سرى عا وذلك انه اذا
كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه فكانت يطالبه حكي الامام غفر الدين الرازي عن القفال انه قال ان الله تعالى
لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور المخلوقات على وفق مشيئته وأراهم ذلك فيما
يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف
هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة
أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في أشد عدوه عقدا رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم
ثلاثة آلاف ميل وهي ألف فرسخ فلذا قال تعالى يطلبه حثيثا السرعة حركته (والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية في مجاريها بأمره وقال
المتسرون يعنى تسخيرهن تذليلهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير وجوع اذ ليس هي قادرات
بأنفسهن وانما هن يتصرفن في متصرفاتهن على ارادة المدبر لمن الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على
ما أراد منهن والمراد بالامر في قوله بأمره نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية تبين عظمه قدرته ومنهم
من جعل الامر على الامر الذي هو السكالم وقال انه تعالى أمر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى

(يغشى الليل النهار) يغشى
حزرة وعلى وأبو بكر أى يلحق
الليل بالنهار والنهار بالليل
(يطلبه حثيثا) حال من الليل
أى سرى عا والطالب هو
الليل كانه لسرعة مضيه
يطلب النهار (والشمس
والقمر والنجوم) أى وخلق
الشمس والقمر والنجوم
(مسخرات) حال أى مذلات
والشمس والقمر والنجوم
مسخرات شامى والشمس
مبتدأ والبقية معطوفة
عليها والخبر مسخرات
(بأمره) هو أمر تكوين
ولما ذكره خلقه
مسخرات بأمره قال

انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم * فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم أفرد ههنا بالذکر ثم عطف عليهما
 ذكر النجوم * قلت انما أفرد ههنا بالذکر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الانساق والنور
 وسيرهما في المنازل المتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فعدوا
 جبريل وميكائيل على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة
 وقوله تعالى (الاله الخلق والامر) يعني له الخلق لانه خلقهم وله ان يأمر فيهم عما اراد وله ان يحكم فيهم
 وعما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض الهى واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز
 وجل ليس مخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فن جمع بينهما فقد كفر بغيره ان من جعل الامر
 الذي هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في
 العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجربهم او منشئهم فلا يبق
 بعده هذا الاحتمال وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفي الآية دليل على
 انه لا خالق الا الله عز وجل وفيه رد على من يقول ان الشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم
 فافخر الله انه هو الخالق المبدئ لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر
 غيره فهو الامر والنهى الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله)
 يعني تعجبه وتعظيمه وارفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه
 تعالى وتعظيم الله (رب العالمين) يعني انه هو الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله
 ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وذكر اشياء من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والهى والقدرة
 عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهما
 معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه بانه يتبرك في كل شئ وقال
 المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كالم برز ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال
 متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لان معنى الدعاء
 طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العباد لانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف
 يجب ان يكون مغاير للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لان الدعاء هو السؤال والطلب
 وهو نوع من أنواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو
 عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي فعند
 ذلك يعرف العبد نفسه بالجزع والنقص ويعترف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعا)
 يعني ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهر الدليل الذى فى النفس والخشوع يقال تضرع فلان اذا ذل له
 وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تذللا وحقيقته ان ندعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى
 (وخفية) بمعنى سرافى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء ان يكون خفيا لهذه الآية قال الحسن بين
 دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان
 الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك انه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكره بما اصالحا
 رضى ففعله فقال تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا (ق) وعن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه قال كنا مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايم الله اناس اربعوا
 على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا هو معكم والذى تدعونه أقرب الى أحدكم
 من عنق راحلته قال ابو موسى رضى الله عنه وأناخناه أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فى نفسى
 فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
 العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعني ارفعوا بها وافرصوا عن الصياح فى الدعاء وقوله تعالى
 (انه لا يحب المعتدين) يعني فى الدعاء وقال ابو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه
 سمع ابنه يقول اللهم انى أسألك القصر الابيض عن عيين الجنة اذا دخلها قال أى بنى سأل الله الجنة وتعدونه

(الاله الخلق والامر) أى
 هو الذى خلق الاشياء وله
 الامر (تالله مبارك) كترخيره
 أو دام بره من البركة النماء
 أو من البروك النبات ومنه
 البركة (رب العالمين) ادعوا
 ربكم تضرعا وخفية (نصب
 على الحال أى ذوى تضرع
 وخفية والتضرع تفعل
 من الضراعة وهى الدل أى
 تذللا وتلقا قال عليه السلام
 انكم لا تدعون أصم ولا غائبا
 انما تدعون سميعا بصيرا انه
 معكم أينما كنتم عن الحسن
 بين دعوة السر والعلانية
 سبعون ضعفا (انه لا يحب
 المعتدين) المجاوزين ما أمروا
 به فى كل شئ من الدعاء وغيره
 وعن ابن جرير الرافعي بن
 أصواتهم بالدعاء وعنه الصباح
 فى الدعاء مكروه وبدعة
 وقيل هو الاسهاب فى الدعاء
 وعن النبي صلى الله عليه
 وسلم سيكون قوم يعتدون
 فى الدعاء وحسب المرء أن
 يقول اللهم انى أسألك الجنة
 وما قرب اليها من قول وعمل
 وأعوذ بك من النار وما قرب
 اليها من قول وعمل ثم قرأ
 انه لا يحب المعتدين

من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل سيكون في هذه الامة قوم يتعدون في الطهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جرير الاعتداء رفع الصوت والنداء والصباح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض أرباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ولا يكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها أفضل ليقترن به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صونا له - عمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى التمكن بحيث صار مبنيا ناشئة الرياء كان الاولى في حقه الاظهار لتحصيل فائدة الاعتداء به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات أفضل من اخفائها فالصلوة المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته في بيته وصلاح النفل في البيت أفضل من صلاته في المسجد وكذا اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات قوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني ولا تفسدوا أيها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها بعبادة الرسل وبيان الشرائع والدعاء الى طاعة الله تعالى - وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال ابن عطية لا تعصوا في الارض فمسلك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الارض شيئا بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل أو افسادها بقطع بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة وأخذ من الغير بوجوه الخيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلّة وافساد الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة فنع الله من ادخل الفساد في ماهيتها وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعا) أصل الخوف النزاع في الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد واطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من خير ثوابه وقال ابن جرير معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء في الذكر والدعاء وطمعا في الاجابة فان قلت قال في أول الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهو هذا هو عطف الشيء على نفسه فافائدة ذلك قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم أي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاختبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الآية الاولى في بيان شرط صحة الدعاء والآية الثانية في بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها ولا تطعموا أنفسكم وفيتم حق الله في العبادات والدعاء وان اجتهدتم فيهما (ان رحمت الله) أصل الرحمة تفتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة عن الاحسان وتارة في الاحسان المجردة عن الرقة واذا وصف بها البارئ جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجردة دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضل والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات (قريب من الحسنين) قال سعيد بن جبيرة الرحمة ههنا الثواب فرجع اللفظ الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تأنيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين درجة الله التي هي الثواب في الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان قوله عز وجل (وهو الذي يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح (بشرا) قرئ بشرا بالنون أراد جمع نشور وهي الريح الطيبة المهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال أنشر الله الريح بمعنى أحيها وقال الفراء النشر

(ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشر بعد لتوحيد أو بالظلم بعد العدل (وادعوه خوفا وطمعا) حالان أي خائفين من الرد طامعين في الاجابة أو من النيران وفي الجنان أو من الفراق وفي التلاق أو من غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية أو من العدل وفي الفضل (ان رحمت الله قريب من المحسنين) ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أولانا صفة موصوف محذوف أي شئ قريب أو على تشبيهه بفعل الذي هو بمعنى مفعول أولان تأنيث الرحمة غير حقيق أوللاضافة الى المذكور (وهو الذي يرسل الرياح) الریح مكي وحزة وعلى (نشر) حمزة وعلى مصدر نشر وانتصابه املان أرسل ونشر متعاربان فكانه قيل نشرها نشرها وأما على الحال أي منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشر اشأى تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قرارة الباقي جمع نشور أي ناشرة للمطر

الريح الطيبة المينة التي تنشئ السحاب وقال ابن الانباري النشء المنتشرة الواسعة المهبوب وقيل النشء خلاف الطي فيحتمل انها كانت بانقطاعها كالطوية فانتشرت بمعنى أرسلت وقري بشرا بالباء جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك عينة ويسرة والرياح أربعة الصبا وهي الشرقية والذبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة وهي النائسرات والمبشرات والمرسلات والذاريات (بين يدي رحمة) يعني أمام المطر الذي هو رحمة وانما سماه رحمة لانه سبب حياة الارض المينة قال أبو بكر بن الانباري رحمه الله تعالى البدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى المقدمة تقول هذه تكون في الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبها وتتمسلا بها اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذنه عن أي هريرة رضي الله عنه قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحثت راحتي حتى أدركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرني انك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تعالى تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي رضي الله عنه بطوله وأخرجه أبو داود في المسند عنه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأتت أكثر أهل الارض وقوله تعالى (حتى اذا قلت سحابة نقالا) يقال أقل فلان الشيء اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه ماء يسمى سحابة لان سحابة في الهواء والمعنى حتى اذا حلت هذه الرياح سحابة نقالا بما فيه من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره فتسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يحيط السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تتحرك فتحرك كاشد يدا فتشير السحاب ثم ينضم بعضها الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سحبنا السحاب) يعني الى بلد فتكون الامم بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سحبنا لان لفظ السحاب مذكروا ان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جازا نظر الى اللفظ قال الازهري رحمه الله تعالى قال الليث البالد كل موضع من الارض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منه بالدة والجمع بلاد زاد غيره والفاخرة تسمى بالدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى وبالدة مثل ظهر الترس موحشة * الجن بالليل في حافاتها زجسل

(بين يدي رحمة) أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجل النعم (حتى اذا قلت) حلت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرفع المطبق يرى ما يرفعه قليلا (سحابة نقالا) بالماء جمع سحابة (سحبناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالتنقال لانت كالوجه الوصف على اللفظ لقيس ثقبلا (البلد ميت) لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميت مدني وجزرة وعلى وحفص (فأنزلا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الانخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتي)

ومعنى الآية اناس قنا السحاب الى بلد ميت محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فأنزله الماء) اختل في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الانباري جازا ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجزا ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لنزول الماء (فأخرجنا به) يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاجل اخراج الثمرات وقيل يحتمل أن يكون المعنى فأخرجنا بذلك الميت (من كل الثمرات) يعني وأخرجنا بذلك البلد بعد موته وجديده من أصناف الثمار والزرع (كذلك نخرج الموتي) يعني كما أحيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتي أحياء من قبورهم بعد فناءهم ودرس آثارهم واختلافوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتي بواسطة انزال المطر أيضا قال أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبئون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أربعين يوما فينبئون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم فنفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من نعمنا من مرقدنا فيناديهم المنادي

هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله تعالى ان يخرج الموتي امطر السماء حتى تنشق
 الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الله الموتي بالمطر كما حيائه الارض به
 وقيل انما وقع التشبيه بأصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احياء هذه البلاد الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه
 الزرع والشجر ووجهه في ذلك يحيي الله الموتي ويخرجهم من قبورهم احياء بعد ان كانوا امواتا
 ووجهه بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحييهم ويخرجهم من
 قبورهم الى حشرهم ونشرهم (لعلكم تذكرون) الخطاب بالناس كى البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي
 من هرة مورقة ثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق
 والثمار ثم ان الله تعالى احياءها مرة اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد بعد موتها
 والمعنى انما وصفت ما وصفت من الانشيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو
 الذي يعيد ويحيي قوله تعالى (والبلد الطيب) يعني والارض الطيبة التربة السهلة السمجة (يخرج نباته
 باذن ربه) يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله عز وجل (والذي خبت لا يخرج) يعني والبلد الذي خبت
 أرضه نهى سبحانه لا يخرج يعني لا يخرج نباته (الانكدا) يعني عسرا بشقة وكلفة قال الشاعر في المعنى يذم
 انسانا لا يتجز الوعدان وعدت وان * أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون
 يعني بالتأفة القليل وبالانكد العسير ومعناه انك ان أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون
 هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر فشيبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبهه نزول القرآن على قلب
 المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا
 سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبهه الكافر بالارض
 الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا
 يصدقه ولا يزيد الا اعتوا وكفروا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بعسرة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة
 قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعم له طيب كان البلد
 الطيب غره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحلة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله
 خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضرب به الله تعالى لا آدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا
 التأويل ما روى عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ان مثل
 ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبثت
 الكلاء والعشب الكثير وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا
 وزرعوا واصاب طائفة منها أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله
 عز وجل ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذي
 أرسلت به أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى (كذلك نصرّف الايات لقوم يشكرون) يعني كما ضرب بنا هذا
 المثل كذلك بين الايات الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية ووجه بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على
 انعامه عليهم بالهداية وحيث جنهم سبيل الضلالة وانما خاص الشاكرين بالذكرا لانهم هم الذين انتفعوا
 بسماع القرآن قوله عز وجل (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر في الايات المتقدمة
 دلائل آتار قدرته وغرائب خلقه وصنعمته الدالة على توحيده وربوبيته وأقام الدلالة القاطعة على صحة
 البعث بعد الموت أتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام وما جرى لهم مع أمهم وفي ذلك تسلية
 للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد أعرض عنه سائر الامم الخالصة
 والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي
 الآخرة الى العذاب العظيم فن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبة مثل أولئك الذين خلوا
 من قبله من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا
 لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق أحد من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم

لعلكم تذكرون) فيؤدبكم
 التذكروا الى الايمان بالبعث
 ان لا فرق بين الاخرجين لان
 كل واحد منهم ما عاده الشيء
 بعد انشائه (والبلد الطيب)
 الارض الطيبة التربة
 (يخرج نباته باذن ربه)
 بتيسيره وهو موضع الحمال
 كأنه قيل يخرج نباته حسنا
 وافيا لانه واقع في مقابلة
 نكدا (والذي خبت) صفة
 للبلد أي والبلد الخبيث
 (لا يخرج) أي نباته فخنف
 للاكتفاء (الانكدا) هو
 الذي لا خير فيه وهذا مثل
 لمن ينحج فيه الوعظ وهو
 المؤمن وان لا يؤثر فيه شيء
 من ذلك وهو الكافر وهذا
 التمثيل واقع على أثر مثل
 ذلك المطر وانزاله بالبلد الميت
 واخراج الثمرات به على طريق
 الاستطراد (كذلك) مثل
 ذلك التصرف (نصرّف)
 الايات) زدها وذكرها
 (لقوم يشكرون) نعمة الله
 وهم المؤمنون لينفكروا
 فيها ويعتبروا بها (لقد
 أرسلنا) جواب قسم محذوف
 أي والله لقد أرسلنا (نوحا الى
 قومه) أرسل وهو ابن خنوخ
 سنة وكان نجارا وهو نوح
 ابن لملك بن متوشلح بن
 أخنوخ وهو اسم ادريس
 عليه السلام

الحالية مما لم يذكره عليه أحد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله عز وجل وانه أوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا
واضا هو برهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى لقد أرسلنا نوحا الى قومه لقد أرسلنا نوحا
جواب قسم محذوف تقديره والله لقد أرسلنا نوحا وهو نوح بن المك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس عليه
الصلاة والسلام ومعنى أرسلنا نوحا هو أول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نوح عليه الصلاة والسلام
نجارا وقيل معنى الارسل ان الله تعالى حملاه رسالة ليؤتيها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة
للمبعث أيضا ويكون المبعث كالتابع لانه أصل قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة
وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضي
الله عنهما سمى نوحا لكثرة مناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل
لمراجعته رب في شأن ابنه كنعان وقيل لانه هرب بكاتب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتني
أم عبت الكلب (فقال) يعني نوحا لقومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) يعني اعبدوا الله تعالى فانه هو
الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم إله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب أن يعبد (أفأخاف عليكم
عذاب يوم عظيم) يعني ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم
هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه أو يوم القيامة وانما قال أخاف على الشك وان كان علي يقين من حلول
العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أيعاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة
(قال الملا) وهم الجماعة الاشراف (من قومه انالغراك) يعني يانوح (في ضلال مبين) يعني في خطأ وزوال عن
الحق بين (قال) يعني نوحا (يا قوم ليس بي ضلالة) يعني ما بي ما تظنون من الضلال (ولكني رسول من رب
العالين) يعني هو أرسلني اليكم لا أنذركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالاتي) يعني
بتحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به (وأفصح لكم) يقال فصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له
والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه وقيل النصح تحزى قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح
تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه
وأرشدكم الى الوجه الاصلح والاصوب لكم وأدعوك الى ما دعاني اليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم
والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيه
وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهو أن يرغبهم في قبول تلك الاوامر
والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني وأعلم انكم ان عصيتم أمره
عاقبكم بالطوفان والفرق في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب
وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلعها على سر من أسرارها فقال وأعلم من الله ما لا تعلمون
(أو عجبتم) الالف ألف استفهام والواو والعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار
معناه أ كذبتم وعجبتم (أن جاءكم ذكر من ربكم) يعني وحيا من ربكم (على رجل منكم) تعرفونه وتعرفون
نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة
والسلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المجزة التي جاءهم نوح عليه السلام فعلى هذا
تكون على معنى مع أي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع (لينذركم) يعني جاءكم لاجل أن ينذركم
(وامتقوا) أي ولا جسل أن تنقوا (ولعلمكم ترجون) لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من
الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة (فكذبوا) يعني فكذبوا

(من ربكم على رجل منكم أى من جنسكم وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام فها
وه قولون ما سمعناهم هذا فى آياتنا الاولى يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لازل ملائكة (الينذركم) ليحذركم عاقبة الكفر (ولتتقوا)
ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترجون) ولترجعوا بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه) فتمسبوه الى الكذب

(فأنجيناهم والذين معه) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه وسام وحام ويافث وستة من آمن به (في الفلك) يتعلق بجمعه كائنه
قبل والذين صلبوه في الفلك (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوما عيين) عن الحق يقال أعين في البصر وعم في البصيرة (والى عاد)
وأرسلنا إلى عاد وهود عطف على نوح (أخاهم) وأخذ منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم ١٠١ وانما جعل واحدا منهم لأنهم عن
رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم (هودا) عطف
بيان لأخاهم وهو هود بن
شالخ بن أرفخشذ بن سام بن
نوح (قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره أفلا تتقون)
وانما لم يقل فقال كما في قصة
نوح عليه السلام لأنه على
تقدير سؤال سائل قال فما
قال لهم هود فقيل قال يا قوم
اعبدوا الله وكذلك (قال الملا
الذين كفروا من قومه) وانما
وصف الملا بالذين كفروا
دون الملا من قوم نوح لأن
في إشراف قوم هود من
آمن به منهم مرد بن سعد
فأريدت التفرقة بالوصف
ولم يكن في إشراف قوم نوح
عليه السلام مؤمن (انا
لنراك في سفاهة) في خفة
حلم وسخافة عقل حيث
تهجد دين قومك إلى دين
آخر وجعلت السفاهة ظرفا
بجازا يعني انه متمكن فيها غير
منفك عنها (وانا لنظنك من
الكاذبين) في ادعائك الرسالة
(قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين
أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم
ناصح) فيما أدعوكم اليه
(أمين) على ما أقول لكم
وانما قال هنا وأنا لكم ناصح
أمين لقوله لم وأنا لنظنك
من الكاذبين أي ليقابل

نوحا (فأنجيناهم) يعني من الطوفان والغرق (والذين معه) يعني من آمن من قومه معه (في الفلك) يعني في
السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوما عيين) قال ابن عباس رضي الله عنهما عيت قلوبهم عن
معرفة الله تعالى وقال الزجاج عمو عن الحق والايمن يقال رجل عمن في البصيرة وأعمى في البصر وأشدوا
قول زهير وأعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم
قال مقاتل عمو عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى (والى عاد أخاهم هودا) أي وأرسلنا إلى عاد وهود
عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى أخاهم هودا يعني أخاهم في النسب لاني الدين وهو هود
ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن
أرفخشذ بن سام بن نوح وانتفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب
الاخوة من أين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتموجه قوله أخاهم لأنه واحد منهم وقيل انه لم يكن
من القبيلة ثم ذكر في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم
لامن الملاثة وكفى هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا أرسلنا إلى عاد واحد من جنسهم من البشر
ليكون الفهم والانس بكلامه أنهم وأكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والثاني انه أخاهم
يعني صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل
الذي عند عمان وحضر موت (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) أي اعبدوا الله وحده ولا تتجملوا معه
إله آخر فانه ليس لكم إله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة
قومه غير متمون فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في
الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره (أفلا تتقون) يعني أفلا تخافون
عقابه بعد ادتك غيرهم ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الفرق حسن
قوله هنا أفلا تتقون يعني أفلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن
تخويفهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك
في سفاهة) يعني انا لنراك يا هود في حق وجهاله وضلاله عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم
قالوا انا لنراك في ضلال مبين وأخبر عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما
خوف قومه بالطوفان وطق في عمل السفينة قال له قومه عند ذلك انا لنراك في ضلال مبين حيث تتعب في
اصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء وأما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الأصنام ونسب من
عبدوا إلى السفه وهو قلة العقل قابله بعينه فقالوا انا لنراك في سفاهة (وانا لنظنك من الكاذبين) يعني في
ادعائك انك رسول من عند الله (قال) يعني قال هود للملا الذين نسبوه إلى السفه (يا قوم ليس بي
سفاهة) يعني ليس الامر كما تدعون أن بي سفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) يعني اليكم (أبلغكم رسالات
ربي) يعني أودى اليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه (وأنا لكم ناصح) يعني فيما أمركم به
من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه (أمين) يعني على تبليغ الرسالة وأداء النصيح والامين الثقة على
ما أئتمن عليه حكى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وأنصح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة
والسلام انه قال وأنا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل
تدل على تجدد النصيحة ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعوه قومه لئلا ينهارا كما أخبر الله عنه بقوله قال رب اني
دعوت قومي لئلا ينهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل وقال وأنصح لكم وأما هود فلم يكن كذلك

الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاعضاء وترك
المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك تلميحا ليعباده كيف
يخطبون السفهاء وكيف يفضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم

(أَوْعِيتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذِّنْ لَكُمْ خِطَابًا مِنْ رَبِّكُمْ) أي خلقهم في الأرض أوفى
 مساكنهم وأذمة عول به وليس بظرف أي أذكروا وقت اختلافكم (وزادكم في الخلق بسطة) طولا وأمة دادافكان أقصرهم ستن ذراعا
 وأطولهم مائة ذراع بسطة تجازي وعاصم وعلى (فأذكروا آلاء الله) في اختلافكم وبسطة أجرامكم وماسواهم من عطاياء واحد الآلاء إلى
 نحو أنى والآباء (لعلكم تفلحون) ومعنى المحي في (قالوا أحثثنا) أن يكون لهو وعلمه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرا قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) أنكروا واستبدلوا
 اختصاص الله وحده بالعبادة وترك ١٠٢ دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشؤوا عليه (فأتت أبا عبدنا) من العذاب (ان

كنت من الصادقين) ان
 العذاب نازل بنا (قال قد وقع)
 أي قد نزل (عليكم) جعل
 المتوقع الذي لا بد من نزوله
 بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب
 إليك بعض المطالب قد كان
 (من ربكم رجس) عذاب
 (وغضب) سخط (أتجادلونني
 في أسماء سميتوها) في
 أشياء ما هي إلا أسماء ليس
 تحتها سميات لأنكم تسمون
 الأصنام آلهة وهي خالصة عن
 معنى الألوهية (أنتم وآباؤكم
 ما نزل الله بها من سلطان)
 حجة (فانتظروا) نزول العذاب
 (أنى معكم من المنتظرين)
 ذلك (فأنجيئناه والذين معه)
 أي من آمن به (برحمة منا
 وقطعنا دابر الذين كذبوا
 بآياتنا) الدابر الأصل أو
 المكان خلف الشيء وقطع
 دابرهم استنصاهم وتدميرهم
 عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين)
 فائدة في الإيمان عنهم مع
 اثبات التكذيب بآيات الله
 الأشعار بأن أهل مكة
 المكذبين وقصتهم ان عاداد
 تبسطوا في البلاد ما بين عمان

بل كان يدعوهم وقتادون وقت فلهم أقال وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفس بأعظم صفات المدح غير لا يثق
 بالعقل أو غما فعل هو ذلك وقال هـ ذالقول لأنه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في
 قولهم وأنا لظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وأنه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففقه تقرر
 للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها (أو عجبتم أن جاءكم
 ذكركم من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعني أعجبتم أن أنزل الله وحبه على رجل تعرفونه لينذركم بأمر ربكم
 ويخوفكم عقابه (واذكروا الذجالكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعني واذكروا نعمة الله عليكم إذا هلك قوم نوح
 وجعلكم تخلفونهم في الأرض (وزادكم في الخلق بسطة) يعني طولا وقوة قال الكاكي والسدي كانت قامة
 الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستمين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
 ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فأذكروا آلاء
 الله) يعني نعم الله وفيه اشارة تقديره فأذكروا نعمة الله عليكم واعلموا علمي بق ذلك الانعام وهو ان تؤمنوا
 به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام (لعلكم تفلحون) يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة
 (قالوا) يعني قال قوم هو دمجيبين له (أحثثنا) يهود (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) يعني من الأصنام
 (فأتت أبا عبدنا) يعني من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك انك رسول الله (قال) يعني قال
 هو دمجيباهم (قد وقع) يعني نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس وغضب) أي عذاب وسخط (أتجادلونني)
 يعني أنتخاصمونني (في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) يعني وضعت لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه
 الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم لأنهم سمو الأصنام بالآلهة وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان)
 يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتوها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل (فانتظروا) يعني
 العذاب (أنى معكم من المنتظرين) يعني نزول العذاب بكم (فأنجيئناه) يعني فأنجيئنا هو د عند نزول العذاب
 بقومه (والذين معه برحمة منا) يعني وأنجيئنا أتباعه الذين آمنوا به وصدة قوه لأنهم كانوا مستحقين للرحمة
 (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعني وأهلكنا الذين كذبوا هو دامن قومه وأراد بالآيات مجزات هو د
 عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فلما كوا جميعا عولم ببق منهم واحد (وما كانوا
 مؤمنين) يعني لأنهم لم يكونوا صدقين بالله ولا برسوله هو د عليه الصلاة والسلام

(ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير والخبار)

قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هو د عليه الصلاة والسلام الاحقاف
 والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضر موت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا في الأرض كلها وقهر وأهلها
 بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أو ثان يعبدونها من دون الله عز وجل صم يقال له صداء وصم
 يقال له صمود وصم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هو د عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم

وحضر موت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هو د أفكذوه فأمسك
 القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا إذ أنزل بهم بلا طمبو الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فأوفدوا اليه قيل بن عمرو بن نعيم بن هزال ومن ثمن
 سعد وكان يكتم إيمانه بهو د عليه السلام وأهل مكة اذ ذاك العم البق أولاد عمليق بن لاوذين سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فتزولوا عليه
 بظاهر مكة فقال لهم مردلن تسقوا حتى تؤمنوا بهو د خلفوا امرئدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عاد اما كنت تسقيهم فأنشأ الله سبحانه
 ثلاثا يضاء وجرا وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختر السودة على ظن انها أكثر ماء فخرجت على عاد من
 وادهم فاستبشروا وقالوا هذا عرض ممطرنا فجاءتهم منار مخرج عقيم فأهلكتهم ونجا هو دواؤهم من معه فأقام مكة فعبد الله فيها حتى ماتوا

نسما

نسبوا أفضلهم موضعاً فمنهم أن يوحى الله ولا يجعلوا معه إلا الخافير وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم
بغير ذلك فيما ذكر فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون
إيمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتن أيماناً فلما اعتوا على الله وكذبوا
بهم وأكثروا في الأرض الفساد وتجرأوا بنوا بكنل ربيعاً واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك
أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهده
بظلمون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيتة الحرام مكة مؤمنهم ومشرِكهم وكان يجمع مكة ناس كثير
تحت لاهة أديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفاً مكانه من
الحرم وكان سكان مكة يومئذ العمالق وأناس من العمالق لأن أباهم كان عمليق بن لاو بن سام بن نوح
وكان سيد العمالق يومئذ جلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخبيري وهو رجل
من عاد وكانت عاد أخوال معاوية سيد العمالق فلما حطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا أمنكم وفداً إلى
مكة ليستسقوا إليكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عذرو بنعير بن هزال من هذيل وعقيل بن صند بن عاد
الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلياً بكنتم أسلامه وجلهم من بن الخبيري خال معاوية بن بكر سيد
العمالق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جاعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين
رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً عن الحرم فأترلهم وأكرمهم وكانوا
أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرين ثم خرجوا من الحرم وأخرجهم الجراد تان وهما قنيتان معاوية بن بكر فلما رأى
معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال
هالك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيقي نازلون على والله ما أدرى كيف أصنع فاني
أستحي أن آمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا أنه ضيق مني بكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من
قومهم جهداً وعطشا قال وشكاً ذلك من أمرهم إلى قنيتيه الجراد تان فقال تناول شعراً فغضبهم به ولا يدرون
من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

ألا يا قنيتي لا يحك قم فهينم * لعل الله يستقينا غمنا
فيسقي أرض عاد أن عاداً * قد أمسوا لا يمينون إلا كلاماً
من العطش الشديد فليس ترجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم وبخير * فقد أمسست نساؤهم أياماً
وان الوحش تأتيتهم جهاراً * ولا تخشى لعادى سهما
وأنتم ههنا فيما شئتم * نهركم ولبكم موغماً
فقيح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغضبهم به الجراد تان وعرف القوم ما غنيتاه قال بعضهم لبعض يا قوم اغضبناهم
قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال مرثد
ابن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولا يكن ان أطمعتم نبيكم وتبتم إلى ربكم سقيتم وأظهر أسلامه عند
ذلك وقال في ذلك

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطا شاماً تباهم السماء
لهم صتم يقال له صمود * يقابلهم صمداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فأبصرنا الهدى وجلالها
وان إله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء
لقد حكى الإله وليس جوراً * وحكم الله أن غلب الهواء
على عاد وعاد شر قوم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
وانى لن أفارق دين هود * طوال الدهر أو بأتى الفناء

زاد في رواية

فقال جلهم من بن الخبيري مجيباً لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف أنه اتبع دين هود وآمن به

ألا يا سعدانك من قبيل * ذوى كرم وأملك من غود
فأنا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل والصداء مع الصمود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتبع دين هود

ثم قال جلهممة معاوية بن بكر وأبيه بكر احبساعنا مرئدا فلا يتقدم من معانمكة فانه قد تبع دين هود وترك
ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها العاد فلما ولوا الى مكة خرج مرئد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى
أدركهم بمكة قبل أن يدعو الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عادي وعونه فقال
مرئد اللهم اعطني سؤلى وحدى ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيس بن عذرة رأس وفد عادي وعوف فقال
اللهم أعط قبيلا ما سألك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان
سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم اني جئتك وحدى في حاجتي فأعطني سؤلى وسأل
طول العمر فعمرو سبعة أنسرو وقال قيس بن عذرة حين دعيا الهنالك كان هود صادا قافا سقنا فانا قد هلكا فأنشأ
الله تعالى صحائب ثلاثا بمضاة وجرأ وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيس اختر لقومك وانفسك من هذه
الصحائب فقال قيس قد اخترت الصحابة السوداء فانها أكثر الصحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمدا
لا يبق من آل عاد أحد اوساق الله تعالى الصحابة السوداء التي اختارها قيس بما فيها من النعمة الى عاد حتى
خرجت عليهم من وادهم يقال لها انغيث فلما رأوها استبشروا بها وقلوا هذا عارض مطرنا يقول الله عز وجل
بل هو ما استجبتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أى كل شئ مترتب به بأمر ربها وكان أول من أبصر
ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعدت
فلما ان أفاق قالوا لها ما ذار آيت قالت رأيت الريح فيها كسهب النار أمامها رجال يقودونها فخرها الله
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحد الا أهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين
في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الاماتين عليه الجلود وذنبه الانفس وانها في قوتها التمر بالظعن من
عاد ففصلهم بين السماء والارض وتدمرهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فترلوا عليه
فبينما هم عنده اذا قبل اليه رجل على ناقه في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر
فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكأنهم شكوا فيما حدثتهم به فقالت هذلة
بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظر والى
الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها وأغلقوا الابواب
فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله
تعالى عليهم طيرا أسود فنقلهم الى البحر فألقاهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فألمات عليهم الرمال فكانوا
تحت سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم
فرمتهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بكيال الا يومئذ فانها عنت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان ميكالها
وفي الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرئد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عذرة حين دعوا
بمكة قيس بل لهم قد أعطيت منكم فاخترت والانفسكم غير أنه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرئد اللهم
أعطني براوصدا قافا عطى ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقبل له اختر فاختر عمر سبعة أنسرو فكان يأخذ
الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل
ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسمة يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبيد فلما مات لبيد
مات لقمان معه وأما قيس فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا أبالي لا حاجة لي في
البقاء بعد قومي فأصابه الذي أصاب عاد أهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فأنت الريح
لما خرجوا من الحرم فأهلكتهم جميعا فلما أهلك الله عاد ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد
هلاك قومه الى موضع يقال له الشجر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بأرض حضر موت

(والى غود) وأرسلنا الى غود قري والى غود بنأويل الحى أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الا كبر ومنع الصر ف بنأويل القبيلة وقيل سميت غود لقبه مائها من التمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) آية ظاهرة شاهدة على صحة تنبؤي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها تنكويته تعالى بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة في هذه كانه ١٠٥ قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي

له آية وهي غود لانهم عابوها (فذروها تأكل في أرض الله) أى الارض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (ولا تسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله (فياخذكم) جواب النهى (عذاب اليم) واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم) ونزلكم والمباة المنزل (في الارض) في أرض الحجز بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) غرفا للصيف (وتختون الجبال بيوتا) للشتاء ويوتوا حال مقدرة نحو خط هذا الثوب قصصا اذ الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قصصا في حال الخياطة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) روى ان عاد لما اهلكتم عمرت غود بلادها وخلفوها في الارض وعمرها أعمار اطول الافتخار البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكافوا في سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا

يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان قبره هو عليه الصلاة والسلام بحضر موت في كتيب أحر وقال عبد الرحمن بن شبابة بين الركن والمقام وزعم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبره هو وصالح وشعيب واسماعيل عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة و يروى ان كل نبي من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها قوله عز وجل (والى غود أخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا الى غود وهو غود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جسد بن عابر وكانت مساكن غود الحجز بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بنى غود أخاهم صالحا لان غود قبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت غود لقبه مائها والتمد الماء القليل وقيل سموه غود باسم أبيهم الذى ينسبون اليه أخاهم صالحا يعنى في النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسع بن عبيد بن حاذر بن غود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) يعنى قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم يا قوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا فسالكم من اله يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم بينة من ربكم) يعنى جاءكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما أقول وأدعو اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيئا وعلى تصديقي بانى رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعنى علامة على صدق قال العلماء رحيم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومجزة له خارقة للعادة انها خرجت من صخرة فى الجبل وكونها الامن ذكر ولا من أنثى وكال خلقها من غير رجل ولا تدرى لاجل انها خلقت فى ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها ثرب يوم ولجميع قبيلة غود شرب يوم وهذا من المجزة أيضا لان ناقة تشرب ما تشرب به قبيلة ومجزة وكافوا بحلبونها فى يوم ثربها قد رما يكفهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا مجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء فى يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء فى غير يوم الناقة وهذا أيضا مجزة وانما أضافها الى الله تعالى فى قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكر وأنثى وقيل لانه لم يالكها أحد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح (فذروها تأكل في أرض الله) يعنى فذر والناقة تأكل العشب من أرض الله فان الارض لله والناقة أيضا لله وليس لكم فى أرض الله شئ لانه هو الذى أنبت العشب فيها (ولا تسوها بسوء) يعنى ولا تطردوها ولا تعقروها شئ من أنواع الاذى ولا تعقروها (فياخذكم عذاب اليم) يعنى بسبب عقرها واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعنى ان الله أهلك عاد وجعلكم خلفاءهم فى الارض وتعمرونها (وبوأكم) يعنى وأسكنكم وأنزلكم (فى الارض) تتخذون من سهولها قصورا) يعنى تبنيون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبني من اللبن والابراج المتخذ من الطين السهل اللبن (وتختون الجبال بيوتا) يعنى وتشتقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء وهذا يدل على أنهم كانوا متعممين مترفعين (فاذكروا آلاء الله) أى فاذكروا نعم الله عليكم واشكروا عليها (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) قال قتادة معناه ولا تسيروا فى الارض مفسدين فيها والعثوا أشد الفساد وقيل أراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهى عن جميع أنواع الفساد (قال الملا الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الاشرف الذين تعظموا عن الايعان به الخ (ل الذين استضعفوا) يعنى المساكين (من آمن منهم) يعنى قال الاشرف المتعظمون فى أنفسهم لم يتابعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه (أتعلمون أن

١٤ خازن فى قوما عر باوصالح من أو سطهم نسباً فذاعهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم فسألوه أن يخرج من صخرة يعينها ناقة عشره فصلى ودعا به فتمحضت تخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة تماشا وأفا من به جسدع ورهط من قومه (قال الملا الذين استكبروا من قومه) وقال شامى (الذين استضعفوا) الذين استضعفهم رؤساء الكفار (من آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا إعادة الجار وفيه دليل ان البذل حيث جاء كان فى تقدير إعادة العامل والضمير فى منهم راجع الى قومه وهو يدل على ان استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين أو الى الذين استضعفوا وهو يدل على ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن

صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل الضميمة (قالوا انابا أرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم لانهم سألوه عن العلم بارساله
فجعلوا رساله أمرهم معلوما مسلما ١٠٦ كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به لاشبهه فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فخصبركم

صالحا مرسل من ربه) يعني ان الله أرسله اليك (قالوا انابا أرسل به مؤمنون) يعني قال الضعفاء انابا
أرسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون (قال الذين استكبروا) يعني عن أمر الله والايمان به
وبرسوله صالح (انابا الذي آمنتم به كافرون) أي جاحدون منكرون (ففقروا الناقة) يعني فقروا عقود الناقة
والعقر قطع عروق البعير ثم جعل العقر عقر الان نحر البعير يعقره ثم ينحدر (وعتوا عن أمر ربهم) أي
تكبروا عن أمر ربهم وعصوه والعنوا الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى أنهم عصوا الله وتركوا أمره
في الناقة وكذبوا بنبيهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقالوا يا صالح انتنا بما تعدنا) يعني من العذاب (ان كنت
من المرسلين) يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رساله على أعدائه وفاقا لاولئك
لانهم كانوا كذابين في كل ما أخبرهم به من العذاب فجعل الله لهم ذلك فقال تعالى (فأخذناهم الرجفة) قال
الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل أنهم أخذتهم
الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثين) يعني فأصبحوا
في أرضهم وبلدهم جاثين ولذلك وحده الدار كما يقال دار الحرب أي بلد الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم
ومجتمعهم وجمع في آية أخرى فقال في ديارهم لانه أراد مال الكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثين
يعني باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطمأ بالارض
في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى أنهم أصبحوا جاثين على وجوههم موتى لا يتحركون (فتولى عنهم) يعني
فأعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان أحدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه
قوله فأصبحوا في دارهم جاثين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو
موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم (وقال يا قوم
لقد أتاكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تتحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء فلي هذا
القول فيحتمل ان يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أتاكم رسالة ربى ونصحت
لكم ولكن لا تتحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثين وأجاب أصحاب القول الاول عن
هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم ويخالفه تقريره كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتل بدر
حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم بأسمائهم الحديث في الصحيح وفيه فقال عريار رسول الله كيف تكلم
أقواما قد جيفوا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون
عبارة ان يأتي من بعدهم فينزع عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها

(ذكر قصصه تعود على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من أصحاب السير والخبار)
قالوا جميعا ان عاد لما هلك وانقضى أمرها عمرت ثود بعد هلاكها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمرها
حتى ان أحدهم لبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حتى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في
سعة من العيش والرخاء فعموا وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما
عربا وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم نبياً وحسباً فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى
الله تعالى والى عبادته حتى شط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح الدعاء والتبليغ
وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يرهم آية تكون مصداقاً على ما يقول فقال صالح أي آية تريدون
فقالوا اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم من السنة وقالوا ندعو
إلهك وندعو آلهتنا فان استجب لك اتبعناك وان استجب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأصنامهم
الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أولادهم وسألواهم أن لا يستجيبوا لصالح في شيء مما يدعونه ثم قال جندع
ابن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد عاد وديا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة صخرة منفردة في ناحية الحجر

انابه مؤمنون (قال الذين استكبروا وانابا الذي آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به رد الما جعله المؤمنون معاً لوما مسلماً (ففقروا الناقة) أسند العقر الى جميعهم وان كان العاقر قد اربن سالف لانه كان برضاهم وكان قد اربن أحر أزرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا على أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذرهما تأكل في أرض الله وأشان ربه وهو دينه (وقالوا يا صالح انتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين) فأتخذتهم الرجفة (الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها) (فأصبحوا في دارهم) في بلادهم أو مساكنهم (جاثين) ميتين تعودا يقال الناس جثم أي قعدوا لا حراك لهم ولا يتكلمون (فتولى عنهم) لما عقر والناقة (وقال يا قوم عند فراغه اياهم) لقد أتاكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تتحبون الناصحين (الاصميرين) بالهدى لاستحلال الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة ولكنها وخيمة تورث الشهمة وروى ان

عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تبشرون بعده ثلاثة أيام تصفرون وجوهكم أول يوم وتحمر في الثاني وتسود في الثالث يقال ويصيبكم العذاب في الرابع وكان كذلك روى انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فلما علم أنهم هلكوا رجع عن معه فسكنوا ديارهم

يقال لها الكاتبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والخمسة ترجة ماشاءا كلب الخبت من الابل فان فعلت آمنا بك
وصدقناك فأخذ عليهم صالح موائيمهم اثنى ففعلت لتصديقني ولتؤمن بي قالوا نعم قال فصلى صالح عليه
الصلاة والسلام ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمحضت الصخرة كما تمحض النجوم بولدها ثم تحركت الهضبة
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوها وصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبها الا الله عز وجل عظموا وهم ينظرون
اليها ثم نجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط معه من قومه وأراد بقية أشراف ثمود أن
يؤمنوا به ويصدقوه فغضبهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكان صاحباً وأنانهم ورباب بن ضمير وكان
كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم فكثرت الناقة ومعها سبعة في أرض ثمود ترى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غباً فإذا كان
يوم رورودها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فارتفع رأسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة
ثم ترفع رأسها فتفجج لهم فيجلبون ماشاءوا منها من لبن فيشربون ويتخرون حتى يملؤا أو انهم كلها ثم تصدر
الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر أن تصدر من حيث وردت حتى إذا كان من الغد كان يوم ثمود
فيشربون ماشاء الله من الماء ويتخرون ماشاء اليوم الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف
إذا كان الحرق يظهر الوادي فتشرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتعيط الى بطن الوادي فتكون في حرة
وحديه وإذا كان الشتاء فتشرب الناقة في بطن الوادي فتشرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجذب
فأضرت ذلك بمواشيهم للامر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكثر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم
وجلبهم ذلك على عقرب الناقة فأجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لهما عذرة بنت غانم بن
مخلد وتكنى بأمة غنم وكانت عجوزاً مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات ثبات حسان وذات مال من
ابل وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جبهة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من
أشد الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقرب الناقة لما أضرت بمواشيهم ما فتيلتا في عقرب
الناقة فدعت صدقة رجلاً من ثمود يقال له الحباب لعقرب الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو ففعل فأبى عليها
فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهنج بن الحباب فجعلت له نفسها على أن يعقرب الناقة وكانت من أحسن
الناس وجهاً وأكثرهم مالا فأجابها الى ذلك ودعت عذرة بنت غنم قد ار بن سالف وكان رجلاً أحراراً رقيق
فصيرا يزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عذرة لقد ارأى بئنا شئت
أعطيتك على أن تعقرب الناقة وكان قد ارعز برا مني عافى قومه (ق) عن عبد الله بن زمعة رضى الله تعالى عنه انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نبت
أشفاها نبت لها رجل عزير عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة قوله انبت أي قام بسرعة والعارم
الخبث الشريف والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع المستع من أراده قال أصحاب الاخبار فأنطلق
قد ار بن سالف ومصدع بن مهنج فاستنقروا وغاوة ثمود فانبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فأنطلق قد ار
ومصدع وأصحابهم ما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كن لها قد ار في أصل صخرة على طريقها وكن
لها مصدع في أصل صخرة أخرى فترت على مصدع فرماها بسهم فانتظمت في عضلة ساقها فخرجت أم غنم عذرة
وأمرت ابنتها فسكرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجهاً ليراها قد ار ثم حثته على عقرها وأغرت به
فشدد قد ار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رعاة واحدة فتصدر سقبا من الجبل ثم طعن
قد ار في لبنها فخرها فخرج أهل البلد فاقسموا الجها فلما رأى سقبا ذلك انطلق هار باحتي أتى جبلاً منيعاً
يقال له صور وقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقبل له أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل نحوها
وخرج أهل البلد يلقونه ويعدون اليه ويقولون يا بني الله اغنا عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا
هل تدركون فصليها فان أدركتموه فغصبني أن يرفع عنكم العذاب فخر جوافي طامه فأرؤه على الجبل فذهبوا
ليأخذوه فأوحى الله تعالى الى الجبل أن تطاول فتطاول حتى ماتتاه الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام
فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت ذموعه ثم رغا فلما نام انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغبة أجل

يوم عتدوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقيب أربعة نفر من التسعة الذين
عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهنج وأخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فأصاب قلبه ثم جذبه فأزله وألقوا
الجمعة مع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام انتهكتم حرمة الله فأنشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم
يهزؤون به ومضى ذلك يا صالح ومائة ذلك وكانوا يسمون الأيام في ذلك الوقت الأحد أول والاثنين أهون والثلاثاء
دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال
لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم
لعروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم
صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلتقتل صالحا فان كان صادقا فلعنناه قبلنا وان كان كاذبا كنا
قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلًا ليقتلوه في أهله فقدمتهم الملائكة بالجحارة فلما بطؤوا على أصحابهم أنوا منزل صالح
عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالجحارة فقالوا الصالح أنت قتلتهم ثم هو به فقامت عشرينه دونه
وقالوا لا تقتلوه أبدا فإنه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم يزيدوا بكم الا غضبا عليكم
وان كان كاذبا فأنتم وراعياتكم فأنصرفوا عنه تلك الليلة فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما
طليت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال
فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق يحيى من بطون عمود بنو غنم فتزل على سيدهم واسمه نقيب ويكنى
بأبي هذب وهو مشرك ففزع صالحا فلم يقدر واعليه وكانوا عمدوا الى أصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل
من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابني الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم عليك قال نعم فدلوههم عليه
فأتوا بأهذب فكمأوه في أمر صالح فقال هو عندى وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم
ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قدمضى
يوم من الاجل فلما أصبحوا في اليوم الثاني اذ اوجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا
وأيقنوا انه العذاب فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قدمضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا
في اليوم الثالث اذ اوجوههم مسودة كأنما طليت بالقر فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة
الاخذ خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم الى الشام فتزل رملة فلسطين فلما
أصبحوا في اليوم الرابع تكفنوا وتحنطوا وألقوا بأنفسهم الى الارض يقبلون أبصارهم الى السماء مرة
والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضجى من يوم الاحد أتتهم صيحة عظيمة من
السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا
جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريرة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه الصلاة والسلام
فاطلق الله تعالى رجلها بعد ما عانت العذاب ومأصاب عمود فخرجت مسرعة حتى أتت وادى القرى
فاخبرتهم بما عانت من العذاب الذى بنموذ ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدى
في عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم
ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه
فقالوا الا يولد لنا في هذا الشهر ولد الاقتناء قال فولد التسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فدبحوهم ثم ولد العاشر
ولد فأبى أن يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذى ولده أحرار رقيق فنبت نباتا مريعا فكان
اذا امر بالتسعة فرأوه قالوا لكان أبناؤنا أحياء لكانوا امثال هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب
قتل أبنائهم فتقاوموا بالله يعنى فقالوا بالله لننتقمه وأهلكوا وقالوا نخرج نترى الناس اننا قد خرجنا الى سفر فمضى
الفار فمضى فيهم حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الفار فمضى
فيه حتى تنصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا مالهك أهله واننا لصادقون في صدقنا ونافيتهم اننا قد خرجنا الى
سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجده له خارج القرية فاذا أصبح أناهم فيعظهم
ويذكرهم فاذا أمسى خرج الى مسجده فيتبع فيه قال فانطلق التسعة الى الفار فدخلوا فاسقط عليهم فقتلوا

فَانْطَلِقْ

فانطلق رجال من كان قد اطعم على أمرهم لينظروا ما فعل أولئك النفر فأمرهم وهم راضون فرجعوا إلى القرية
يصيحون ما رضى صالح بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقرب الناقة وقال ابن اسحق كان
التسعة قد تقاعوا على تبني صالح بعد عقرب الناقة وقال السدي وغيره ما ولد للعاشر ولدا سمى بقدر فكان
يسمى سريعا فلما كبر جلس مع أناس يشربون الخمر فأرادوا ما ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم
شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربه الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا أخذ
هذا الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه لأتينا ما نوزر وعنا كان خير الناقا قال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها لكم
قالوا نعم فعقرها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحر قال لا تدخلوا
مسكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا بآكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز
الوادي وفي رواية أسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين ثم ذكر مثله ولما عنه أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الجحر أرض غود فاستقوا من آبارها وعجنوا به البهيم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الإبل البهيم وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ولنجارى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الجحر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها
فقالوا قد عجننا منها واستقينا فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا ذلك البهيم ويهريقوا ذلك الماء وفي
بعض الأحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم إلا بآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم
الآية فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم وردوها وأمرهم
مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق
الأرض ومغاربها الأرجل واحد اذ يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فنفعه حرم الله تعالى من
عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم وابتدروه بأسيا ففهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة
المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت
ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حاضرا وقال قوم من أهل العلم توفي صالح عليه الصلاة والسلام بمكة
وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة قوله تعالى (ولو طأ) يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه
واذكريا بمحمد لوطا وهو لوط بن هاران بن نارخ وهو ابن أخي إبراهيم وإبراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعني أهل
سدوم واليهم كان قد أرسل وذلك أن لوطا علمه الصلاة والسلام لما هاجر مع عمه إبراهيم عليهما الصلاة
والسلام إلى الشام فنزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط إلى الأردن أرسله الله تعالى إلى
أهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) يعني
أنفعلون الفعل الخبيثة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشة لهم أتيان الذكران في أدبارهم (ما سبقكم بها
من أحد من العالمين) من الأول زيادة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعية والمعنى
ما سبقكم أي القوم بهذه الفعل الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على
فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نذاكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط (أنتم لتأتون
الرجال) يعني في أدبارهم (شهوة من دون النساء) يعني أن أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء (بل
أنتم) يعني أي القوم (قوم مسرفون) أي مجاوزون الحلال إلى الحرام وانما ذمهم وعيبرهم ووبخهم بهذا
الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا
وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فكأنما
قد أسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له لأن أدبار الرجال ليست محلا
للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الإنسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق
وغيره من أهل الأخبار والسيرة أنه كانت قري قوم لوط مخبئة ذات زروع وثمار لم يكن في الأرض مثلها
فقصدهم الناس فأذوهم وضيقوا عليهم ففرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذ فعلنهم كذا وكذا

(ولو طأ ذقال لقومه) أي
واذ كر لوطا واذبل منه
(أتأتون الفاحشة) أنفعلون
السيسة المتمادية في القبح
(ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم
والباء للتعدية ومنه قوله عليه
السلام سبقك بها عاكشة (من
أحد) من زائدة لتأكيد
النفي وإفادة معنى الاستغراق
(من العالمين) من للتبعية
وهذه جملة مستأنفة أنكر
عليهم أولا بقوله أتأتون
الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال
أنتم أول من علمها وقوله
تعالى (أنتم لتأتون الرجال)
بيان لقوله أتأتون الفاحشة
والهمزة مثلها في أتأتون
للا نكار أنكم على الأخبار
مدني وحفص يقال أتت المرأة
إذا غشها (شهوة) مفعول له
أي للآشياء بها لا حامل لكم
عليه لا مجرد الشهوة ولا ذم
أعظم منه لانه وصف لهم
بالبهيمة (من دون النساء)
أي لا من النساء (بل أنتم قوم
مسرفون) أضرب عن
الانكار إلى الأخبار عنهم
بالحال التي توجب ارتكاب
القباغ وهو أنهم قوم عادتهم
الاسراف وتجاوز الحدود في
كل شيء فنتم أسرفوا في باب
قضاء الشهوة حتى تجاوزوا
المعتاد إلى غير المعتاد

(وما كان جواب قومه إلا قالوا أخرجوهم من قريتهم) أي لوط وأمن معه يعني ما أجابوه عما يكون جواباً عما لكهم به لوط من انكار الفاحشة ووصفهم بنصفه الاسراف ١١٠ الذي هو أصل الشر وليكنهم جاوباً بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر بما رآه ومن

معه من المؤمنين من قريتهم (انهم من اناس يتطهرون) يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما عابوهم بما يتدح به (فأخيناه وأهله) ومن يختص به من دونه من المؤمنين (الا امرأته كانت من الغابرين) من الباقيين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة واليسة لاهل سدوم وروى انها التقت فأصابها حجر فانت (وأمرتنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً قالوا أه طر الله عليهم الكبيريت والنار وقيل خسف بالقيمين منهم وأمرت بحجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة أمطر في العذاب ومطر في الرحمة (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الكافرين (والى مدین) وأرسلنا الى مدین وهو اسم قبيلة (أخاهم شعيباً) يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بحس للكامل والموازن (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فقلجاء تكلم بنبه من ربكم) أى مجزة وان لم تذكر في القرآن (فأوفوا الكيل والميزان) أتموهما المراد فأوفوا الكيل ووزن الميزان أو يكون الميزان كما يصادعني المصدر (ولا تجسوا الناس

تجوتم منهم فأوفوا المألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلماناً حسناً صابحاً فاجتنبوا واستحس ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحس ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضاً وقال الكلبي ان أول من عمل به حمـل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم أخصبت فقصدوا أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب أمره فدعا الى نفسه فكان أول من نكح في دبره فأمر الله تعالى السماء ان تحصبهم والارض ان تحسف بهم قوله عز وجل (وما كان جواب قومه) يعني وما كان جواب قوم لوط لوط اذ يخبرهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث (الأن قالوا) يعني قال بعضهم لبعض (أخرجوهم من قريتهم) يعني اخرجوا لوطاً واتباعه وأهل دينه من بلدكم (انهم من اناس يتطهرون) يعني أنهم اناس يتزهدون عن فعلكم وعن أديار الرجال لانهم موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والاحتشام يسمى طهارة فمن تبعه عنده ما فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون أى من فعل المعاصي والآثام (فأخيناه وأهله) يعني فأخيناه لوطاً ومن آمن به واتباعه على دينه وقيل المراد بأهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد بأهله ابتداء (الا امرأته) يعني زوجته (كانت من الغابرين) يعني كانت من الباقيين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل ممناه كانت من الباقيين المجرمين قد أتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين (وأمرتنا عليهم مطرا) يعني بحجارة من سجيل قد بعثت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطرت وفي الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهلكتناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فدخل جناحه تحت مدان قوم لوط فاقبلها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن المراد به غيره من أمته ليعتبر وبما جرى على أولئك فينزعوا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل (والى مدین أخاهم شعيباً) يعني وأرسلنا الى مدین أكثر المفسرين على ان مدین اسم رجل وهو مدین بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا الى ولد مدین ومدین اسم للقبيلة كما يقال بنو عدي وبنو أسد وقيل مدین اسم للواء الذي كانوا عليه وقيل هو اسم للدينة وعلى هذا القولين يكون المعنى وأرسلنا الى أهل مدین والصحيح هو الاول لقوله أخاهم شعيباً يعني في النسب لاني الدين وشعيب هو ابن ثوب بن مدین بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن شعير بن مدین بن ابراهيم عليه السلام وأم ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن ثرون بن ثوب بن مدین بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيل والميزان (قال) يعني شعيب (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فقلجاء تكلم بنبه من ربكم) يعني قد جاء تكلم بنبه من ربكم بحجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبى من مجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله يراى تلك المجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليس كل آيات الانبياء مذكورة في القرآن وقيل أراد بالنبوة محي شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالنبوة المعوضة وهي قوله (فأوفوا الكيل والميزان) يعني فأعوا الكيل والميزان وأعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تجسوا الناس أشياءهم) يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فطفقوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطفقه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثه الرسل واقامه العدل وكل

أشياءهم) ولا تنقصوا حقوقهم بطفق الكيل ونقصان الوزن وكانوا يخسوا الناس كل شئ في مباحاتهم وبخس يتعدى نبي الى مفسد عواين وهما الناس وأشياءهم ثم يقول بخس زيدا حقه أى نقصته اياه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) بعد الاصلح للاح فيها أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء والاولياء واضافته كاضافة بل مكر اليل والنهار أى بل مكر كم في الليل والنهار

(ذلكم) إشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك الجنس والافساد في الارض (خبركم) في الانسانية وحسن الاحدثة (ان كنتم
مؤمنين) مصدقين في قولي (ولا تقعدوا بكل صراط) بكل طريق (تعدون) من آمن بشعيب بالذهب (وتصدقون عن سبيل الله) عن
العباد (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أى تصفونها بالناس بأنها
سبيل معوجة غير مستقيمة لتنعوهم عن سلوكها ومحل تعدون وما عطف عليه النصب على الحال ١١١ أى لا تقعدوا وموعدن وصاين

عن سبيل الله وباغين عوجا
(واذكروا اذ كنتم قايلا)
اذمفعول به غير ظرف أى
واذكروا على جهة الشكر
وقت كونكم قايلا عددكم
(فذكركم) الله ووفر عددكم
وقيل ان مدين بن ابراهيم
تزوج بنت لوط فولدت فرى
الله في نسلها بالبركة والثناء
فكثروا (وانظروا كيف
كان عاقبة المفسدين) آخر
أمر من أفسد قبلكم من الامم
كقوم نوح وهود وصالح ولوط
عليهم السلام (وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذى أرسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا)
فانتظروا (حتى يحكم الله
بيننا) أى بين الفريقين بأن
ينصر المحقين على المبطلين
ويظهرهم عليهم وهذا وعد
للكافرين بانتقام الله تعالى
منهم أو هو حوث للمؤمنين على
الصبر واحتمال ما كان يلحقهم
من المشركين الى أن يحكم الله
بينهم ويتقم لهم منهم أو هو
خطاب للفريقين أى ليصبر
المؤمنون على أذى الكفار
والكافرون على ما يسوءهم
من إيمان من آمن منهم
حتى يحكم الله فيميز الخبيث من
الطيب (وهو خير الحاكمين)
لان حكمه حق وعدل

نبى يبعث الى قوم فهو صلاحيهم (ذلكم) يعنى الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل
والميزان وترك الظلم والجنس (خبركم) يعنى مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان
كنتم مصدقين بما أقول (ولا تقعدوا بكل صراط تعدون) يعنى أن شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على
كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتمتدوهم على ذلك وذلك أنهم كانوا يجلسون
على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله تعالى (وتصدقون عن سبيل الله من
آمن به) يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا
يجلسون على الطريق فيضربون من أتى عليهم أن شعيبا الذى تريدونه كذاب فلا يفتكم عن دينكم (وتبغونها
عوجا) يعنى وتريدون عوجا جاج الطريق عن الحق وعدو لها عن القصد وقيل معناها وتقمسون لها الزبيغ
والضلال ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذكروا اذ كنتم قايلا فذكركم) يعنى ان شعيبا عليه الصلاة
والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثرتكم بالغنى بعد الفقر وكثرتكم
بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك أنهم اذا كانوا فقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة وأعزكم
بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى وانظروا وانظر
اعتبار ما نزل عن كان قبلكم من الامم السالفة والقرن الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسوله من العذاب
والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم بحجارة من السماء لماعصوه وكذبوا
رسله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعنى وان اختلفتم في رسالتى فصرت
فريقين فرقة آمنتم بى وصدة بى وفرقة كذبت وبجحت رسالتى (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى
يحكم الله بيننا) يعنى حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك الكافرين
الجاحدين ويمد بهم (وهو خير الحاكمين) يعنى انه حاكم عادل منزوع عن الجور والميل والحيث في حكمه وانما قال
خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الأشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة فلهذا
قال وهو خير الحاكمين (قال الملا الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الجماعة من أشرف اقومه الذين تكبروا
عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (انخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
أولتعودن فى ملتنا) يعنى ان قوم شعيب أجابوه بأن قالوا لا بد من أحد أمرين أما ان تخرجك ومن تبعك على
دينك من بلدنا ولترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام
لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فسامعنى قوله أولتعودن فى ملتنا وأجيب عن هذا الاشكال
بأن اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على مله أولئك الكفار فخطبوا شعيبا وأتباعه جميعا فدخل هو فى
الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناها لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد
على من فلان مكره بمعنى قد عفى منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكره فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام أحسن مدة * الى فقد عادت لهن ذنوب

أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد أن ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله تعالى (قال أولو كنا كارهين) أى
لأنعود فى ملتكم وان أكرهتمونا وأجبرتونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترى بنا على الله كذبان
عدنانا) ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) يعنى ان شعيبا أجاب قومه اذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم

لا يخاف فيه الجور (قال الملا الذين استكبروا من قومه) انخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى ملتنا) أى ليكون
أحد الأمرين أما ان تخرجك وامعودكم فى الكفر (قال شعيب) (أولو كنا كارهين) الهمة للاستفهام والوالو الحال تقديره أن تعيدونا فى
ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترى بنا على الله كذبان عدنانا) ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام
أى والله لقد افترى بنا على الله كذبان عدنانا ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلاصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنانا ملتكم والكفر

على الانبياء عليهم السلام
محال **وقالت** **أراد** عود
قومه الا انه نظم نفسه في
جملتهم وان كان بريئاً من
ذلك اجراء الكلام على
حكم التغليب (وما يكون لنا)
وما ينبغي لنا وما يصح (أن
نعود فيها الا أن يشاء الله
ربنا) الا أن يكون سبق في
مشيئته أن نعود فيها اذ
الكائنات كلها عشيته الله
تعالى خيرها وشرها (وسع
ربنا كل شيء علماً) تمييزاً
هو عالم بكل شيء فهو يعلم
أحوال عباده كيف تتحول
وقلوبهم كيف تتقلب (على
الله توكلنا) في أن يثبتنا على
الايقان ويوفقنا لزيادة
الايقان (ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق) أي احكم
والفتاح للحكومة والقضاء
بالحق يفتح الامر المعلق
فلذا سمي فتحاً وسمى أهل
عمان القاضي فتاحاً (وأنت
خير الفاتحين) كقوله وهو
خير الحاكمين (وقال الملأ
الذين كفروا من قومك لئن
اتبعتم شعيباً انكم اذ الخاسرون)
مغبونون لفوات فوائدهم
الجنس والتطويق باتباعه
لانه ينهاكم عنهم ما يأمركم على
الايقاء والتسوية وجواب
القسم الذي وطأته الامم في
لئن اتبعتم وجواب الشرط
انكم اذ الخاسرون فهو ساد
مسد الجوابين (فأخذتهم
الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا
في دارهم جاثمين)

والدخول فيها فقال قد افترينا بغيرنا على الله كذباً وتخرصنا عليه من القول باطلاً نحن رجعت الى
ملككم وقد علمنا فساد ما أنتم عليه من الملة والدين وقد أنقذنا الله وخلصنا منكم وبصرنا خطاياهم وهذا أضافه
من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيباً عليه الصلاة والسلام ما كان في ملكهم قط حتى يقول ان عدناناً
ملككم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما أجيب عن الاشكال الاول وهو ان تقول ان الله نجى
قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا أن شعيباً نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئاً كما هو عليه من
الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبيح ملككم وفسادها فكمنا خالصنا
منها وقوله تعالى اخباراً عنه (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) يعني وما يكون لنا أن نرجع الى
ملككم ونترك الحق الذي نحن عليه الا أن يشاء الله ربنا يعني الا أن يكون قد سبق لنا في علم الله أن نعود فيها
فحينئذ يعرض قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي
عليه أهل العلم والسنة في هذه الآية ان شعيباً وأصحابه قالوا ما كنا نرجع الى ملككم بعد أن وقفنا على انفسنا
ضلالة تكسب دخول النار الا أن يريد الله اهلا كنا فأمورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته بسعد من
يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل الانبياء والا كابر
يخافون العاقبة واتقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبي وبنى أن تعبد الاصنام
وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم كثير ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج رحمه الله
تعالى المعنى وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها وتصديق ذلك
قوله (وسع ربنا كل شيء علماً) يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبيل أن يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالماً في
الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالى والشقي من شقى في علم الله تعالى (على الله توكلنا) أي
على الله نعتمد واليه نستعند في أمورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره فكأنه
ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) أي ايسر شعيب من ايمان قومهم
دعاهم هذا الدعاء فقال ربنا افتح أي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور فيه
ولا ظلم ولا حيف (وأنت خير الفاتحين) يعني خير الحاكمين قال القرطبي ان أهل عمان يسمون القاضي الفاتح
والفاتح وقال غيره من أهل اللغة هي لغة مراد وأنشد بعضهم في ذلك

ألا أبلغ بني عصم رسولا * فاني عن فتى حكم غنى

أراد انه غنى عن حكمهم وقاضهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدرى ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى اذا سمعت اسفة ذي بن تقول تعال أقاتلحك يعني أفاضلك وهذا قول قتادة
والسدي وابن جرير وجهوا المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح أغلاق الاشكال
بين الخصوم وينصلها وقال الزجاج وجائز أن يكون معناه ربنا أظهر أمرنا حتى يفتح بيننا وبين قومنا
وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذاباً يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا
الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز (وقال الملأ الذين كفروا من قومك لئن اتبعتم شعيباً) يعني وقال جماعة
من أشتراف قوم شعيب ممن كفروا به لا آخرين منهم لئن اتبعتم شعيباً على دينه وتركت دينكم وملككم وما أنتم
عليه (انكم اذ الخاسرون) يعني انكم اغبونون في فعلكم (فأخذتهم الرجفة) يعني الزلزلة الشديدة (فأصبحوا
في دارهم جاثمين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل عليهم حراشاً من جهنم فأخذ
بأنفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبرءوا فيها فوجدوها أشد حراً من الظاهر فخرجوا هرباً
الى البرية فبعث الله عليهم صحابة فهاريج طيبة باردة فاذا بهم وهي الظلة فوجدوا دواهاً بارداً ونسيماً قسداً
بعضهم بعضاً حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجا لهم ونساءهم وصبيانهم ألهمها الله عليهم ناراً ورجفتهم سم
الارض من تحتهم فاحترقوا كاحترق الجراد في المنلى وصاروا رماداً وروى ان الله تعالى حبس عنهم الرج
سبعة أيام ثم سطا عليهم الحر حتى هلكوا به (وقال قتادة بعث الله شعيباً الى أصحاب الايكة والى أهل مدين فلما
أصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صاحبهم جبريل عليه السلام صيحة

(الذين كذبوا شيعيا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شيعيا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لا من قالوا لهم انكم اذا الخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شيعيا هم ١١٣ المخصوصون بان أهل كوا كان لم يقيموا

في دارهم لان الذين اتبعوا شيعيا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شيعيا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الراجون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم والمجرى عليهم (فتولى عنهم) بعد ان نزل بهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى) أذن (على قوم كافرين) اشتد خزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد خزي على قوم ليسوا بأهل للخزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزلهم وأراد لقد أعذرت لكم في البلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم (ومأرسلنا في قرية من نبي) يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أي فكذبوه (الآخذنا أهلها بالبأساء والبؤس والضرء) الضر والمرض لا يستجارهم عن اتباع نبيهم أو همت نقصان النفس والمال (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أودية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنه) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والحنة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا وغوا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثروا ومنه قوله عليه السلام وعفوا للحي

هلكوا جميعا قال أبو عبد الله الجلي كان أبو جاد وهو قحطى وكلن وسع غصن وقربت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به كلن هدم ركني * هلكه وسط المحلة سيد القوم أتاه * هلك نار تحت ظله جعلت نار اعلمهم * دارهم كالضجعة (الذين كذبوا شيعيا) يعني كان لم يقيموا فيها لم ينزلوها يوم ما من الدهر يقال غنيت بالمكان أي أقت به وانغاني المنازل التي بها أهلها واحد هامني قال الشاعر واقد غنوا فيها بأنعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كان لم يعيشوا فيها متعمدين مستعدين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر (الذين كذبوا شيعيا) كانوا هم الخاسرين يعني خسروا أنفسهم - لا كهم (فتولى عنهم) يعني فأعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أناهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) يعني انه قال لهم ذلك لما تبين نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه الصلاة والسلام وقوله (فكيف آسى) يعني أذن (على قوم كافرين) والاسى أشد الحزن وانما اشتد خزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والاعمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عجزى نفسه فقال كيف أذن على قوم كافرين لانهم هم الذين أهل كوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شيعيا قال لقد أعذرت اليكم في البلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحى فكيف أذن عليكم يعني انكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب خزن على قومه وعلى القول الثانى لم يحزن عليهم والله أعلم وقوله تعالى (ومأرسلنا في قرية من نبي) فيه اضممار وحذف تقديره فكذبوه (الآخذنا أهلها بالبأساء والضرء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضرء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال البأساء كل ما ناله من الشدة في أموالهم والضرء كل ما ناله من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضرء الضر وسوء الحال (لعلهم يضرعون) يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والضرع الخضوع والافتقار لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم أحوال الانبياء مع أنهم المكذبة وقص عليه من أخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صار واليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد أرسل رسلا الى أمم آخر فكذبوا رسلاهم فأخذهم بالبأساء والضرء كما فعل بن كذب رسلا وفيه تحذير وتذكير لكفار قريش وغيرهم من الكفار ليتزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجزى تدبيره في أهل القرى على غطا واحد سنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنه) لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال أهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنه كل ما يستحسنه الطمع والعقل فالسيئة والحسنه هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضرء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فأخبر الله تعالى في هذه الآية انه يأخذ أهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله (حتى عفوا) يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثروا طال قال مجاهد حتى كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) يعني من غرتهم وغفاتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعني أنهم قالوا هكذا عاد الدهر قد عا واحد مثالا ولا بائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضرء يعقوبه لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فأخذناهم بغيته) يعني أخذناهم بغفاه آمن ما كانوا اليكون ذلك أعظم لحسرتهم وهم

لا يشعرون) ينزل العذاب واللام في (ولو أن أهل القرى) إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها أو ما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن
أهل تلك القرى الذين كذبوا أو أهملوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) الشرك مكان ارتكابه (لنقتنعا عليهم) لنقتنعا شامئ (بركات من السماء
والارض) أراد المطر والنبات أولاً تنهاهم بالخير من كل وجه (ولكن كذبوا) الانبياء (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) بكفرهم وسوء كسبهم
ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفأمن أهل القرى) يريد الكفار منهم (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا أي وقت نيات يقال بيات بيانا
(وهم ناعثون أو آمن أهل القرى ١١٤ أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهار أو الضحى في الأصل ضوء الشمس إذا أشرفت والنساء والواو في أفأمن

وأو آمن حرفا عطف دخل
عليهما همزة الانكار
والمعطوف عليه فأخذناهم
بغنة وقوله ولو أن أهل القرى
الي يكسبون اعتراض بين
المعطوف والمعطوف عليه
وإنما عطف بالنساء لأن المعنى
فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغنة
بعد ذلك أم من أهل القرى أن
يأتيهم بأسنا بيانا أو آمنوا أن
يأتيهم بأسنا ضحى أو آمن
شامئ ويحجز على العطف
بأو والمعنى انكار الأمن من
أحد هذين الوجهين من
اثبات العذاب ليلا أو ضحى
فان قلت كيف دخل همزة
الاستفهام على حرف العطف
وهو ينافي الاستفهام قلت
التنافي في المفرد لا في عطف
جملة على جملة لأنه على
استئناف جملة بعد جملة (وهم
يلعبون) يستغلون بالاجدي
لهم (أفأمنوا) تكرير لقوله
أفأمن أهل القرى (مكر الله)
أخذ العبد من حيث لا يشعر
وعن الشبلي قدس الله روحه
العزيم كرمهم تركه أياهم على
ما هم عليه وقالت ابنة الربيع
ابن خيثم لا يهيامني أرى
الناس ينامون ولا أراك تنام

لا يشعرون) يعني ينزل العذاب بهم والمراد بذلك هذه القصة اعتبار من سمعها المنزجر عما هو عليه من
الذنوب قوله عز وجل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى في هذه الآية الأولى أن الذين
صوابوا تتردوا أخذهم بعذاب بين في هذه الآية أنهم لو آمنوا يعني بالله وبرسله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا
يعني ما نهى الله تعالى عنه وحرّم عليهم (لنقتنعا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر
وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والأمن والسلامة من
الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء وسمى المطر
بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لأنه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال
البعقري أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم
القطط والجذب (ولكن كذبوا) يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فأمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل (فأخذناهم)
يعني بأنواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعني أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى (أفأمن
أهل القرى) هو أسئلتهم يعني الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو
عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا (أن يأتيهم بأسنا) يعني عذابنا (بيانا) يعني ليلا (وهم ناعثون أو
أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) يعني نهار الان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعني وهم ساهون
لا همون غافلون عما يراهم والمقصود من الآية أن الله خوفيهم ينزل العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال
النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لأنه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بأمور الدنيا وأمور الدنيا
كلها العب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب أيضا لأنه يضرب ولا ينفذ (فأمنوا مكر الله)
يعني استدراجهم إياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به أن يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا
الوجه فيكون معنى التحذير وسمى هذا العذاب مكر التزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون) يعني انه لا يأمن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا لا من خسر في
آخره وهلك مع الهالكين (أو لم يهد) يعني أو لم يبين (لذين يرون الارض من بعد هلاكها) الذين كانوا
من قبلهم فوّرثوها عنهم وخافوهم فيها (ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يعني لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم
بسبب كفرهم (ونطبع) أي ونختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان
ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفا على الماضي ولقظه لفظ
المستقبل والمعنى ولو شئنا نطبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر
أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعني نخبرك عنها وعن
أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسالهم الذين أرسلوا اليهم لتعلم يا محمد اننا لننصر رسلانا والذين آمنوا
معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهانناهم بكفرهم وبخالفتهم رسالهم وفيه تسليمة
للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير للكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد جاءتهم) يعني لاهل تلك القرى

قال يابنتاه ان أباك يخاف البيات أرا قوله ان يأتيهم بأسنا بيانا (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا رسالهم
أنفسهم حتى صاروا الى النار (أو لم يهد) يبين (لذين يرون الارض من بعد أهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) ان لو نشاء مرفوع بانه فاعل
يهدون مخففة من الثقيلة أي أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قلوبهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم
كما أصبناهم فاهلكوا وارثين كما أهلكنا الموروثين وانما عدى فصل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (ونطبع) مستأنف أي ونحن نختم
(على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلبي شيخنا في انه صبيد أو خبر وحال أو تكون القرى صفة
تلك ونقص خبر والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها اولها أنباء غيرهم ناقصها عليك (ولقد جاءتهم

رسلمهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا يؤمنوا) عند مجيئ الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيئ الرسل
أو فاما كانوا يؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل ل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيئ الرسل اليهم الى ان ماتوا
مصرين مع تتابع الآيات واللامتأ كيد النفي (كذلك) مثل ذلك الطبع السديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم أنهم
يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير للناس على الإطلاق ١١٥ يعني ان أكثر الناس نقضوا عهد الله

ومشاقه في الايمان والاية

اعتراض أوللام المذكورين

فانهم كانوا اذا عهدوا لله في

ضرو ومخافة لئن أنجيتنا

لنؤمن ثم أنجياهم نكثوا

(وان) الشأن والحديث

(وجدنا لأكثرهم لفاسقين)

لخارجين عن الطاعة

والوجود بمعنى العلم بدليل

دخول ان الخفة واللام

الفارقة ولا يجوز ذلك الا

في المبتدأ والخبر والافعال

الداخلية عليهم (ثم بعثنا من

بعدهم) الضمير للرسل في

قوله ولقد جاءتهم من رسلهم

أوللام (موسى بآياتنا)

بالمعجزات الواضحات (الى

فرعون وملئه فظلموا بها)

فكفروا بآياتنا أجرى الظلم

مجرى الكفر لانهم من واد

واحد ان الشرك لظلم عظيم

أو ظلموا الناس بسببها حين

آذوا من آمن أولانه اذا وجب

الايمان بها فكفروا وبذل

الايمان كان كفرهم بها ظملا

حيث وضعوا الكفر غير

موضعه وهو موضع الايمان

(فانظر كيف كان عاقبة

المفسدين) حيث صاروا

مفروقين (وقال موسى

يا فرعون) يقال للملوك مصر

(رسلمهم بالبينات) يعني جاءتهم رسلمهم بالمعجزات الباهرات والبرهين الدالة على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا
بما كذبوا من قبل) اختلاف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فاما كانوا هؤلاء المشركون الذين
أهل الكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلمهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذناهم
حين أخرجه من ظهر آدم عليه السلام فأقرروا باللسان وأضمر والتكذيب وهذا معنى قول ابن عباس
والسدي قال السدي آمنوا كرها يوم أخذناهم وقال مجاهد فاما كانوا أو حينئذ بهم بعد أهلاكهم
ومعانيهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فاما كانوا يؤمنوا عند مجيئ الرسل بما
سبق لهم في علم الله أنهم يكذبون به حين أخرجه من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبي بن كعب كان
سبق لهم في علمه يوم أقرروا باليمين أنهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد ان يأخذوا
من العلم ما أبدى لهم ربه وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك
قال تعالى ولقد جاءتهم رسلمهم بالبينات فاما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين قال قتادة علم فيهم أنهم المطيع من المعاصي حيث خافهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال
الطبري وأولى الاقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يؤمن
به فلا يؤمن أبدا وقد كان سبق في علم الله ان هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة أنهم لا يؤمنون
أبدا فاخرجهم عنهم انهم لم يكونوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل مجيئ الرسل عند مجيئهم اليهم
(كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعني كما يطبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلاكم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انه لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لأكثرهم من
عهد) يعني وما وجدنا لأكثر الامم الخالية والقرن الماضية الذين قصصنا خبرهم عليهم يا محمد من وفاء بالعهد
الذي عهدناه اليهم وأوصيناهم به يوم أخذنا الميثاق قال ابن عباس انما أهلاك الله أهل القرى لانهم لم يكونوا
حفظوا ما وصاهم به (وان وجدنا لأكثرهم لفاسقين) أي وما وجدنا لأكثرهم الفاسقين خارجين عن طاعتنا
وأمرنا قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعني ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود
وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى بآياتنا) يعني بحججنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد
والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (الى فرعون وملئه) قيل ان كل من
ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك
الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب بن
الريان وكان ملك القبط والملا أشرف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف آمن الاتباع
(فظلموا بها) يعني فخذوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وكانت هذه الآيات بمعجزات ظاهرة قاهرة
فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أي انظر يا محمد بعين العقل
والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهلكناهم (وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين) يعني ان
موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى الايمان به وقال له اني رسول أي
مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق السموات والارض وخلق الخلق وهو
سيدهم ومالكهم هو الذي أرسلني اليك (حقيق) أي واجب (علي أن لا أقول على الله الا الحق) يعني أي

الفراعة كما يقال للملوك فارس الا كسرة وكأنه قال يملك مصر واسمها قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان اني رسول من رب العالمين) اليك
قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أي أنا حقيق على قول الحق أي واجب على قول الحق ان أكون
قائمه والقائم به حقيق على نافع أي واجب على ترك القول على الله الا الحق أي الصدق وعلى هذه القراءة توقف على العالمين وعلى الاول يجوز
الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى معنى الباء كقراءة أي أي اني رسول خالق بان لا أقول أو يدع على معنى الفعل في الرسول أي اني
رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله الا الحق

(قد جئتم بيته من ربكم) بما
بين رسالتي (فأرسل معي بني
اسرائيل) فظلمهم يذهبوا
معي راجعين إلى الأرض
المقدسة التي هي وطنهم وذلك
أن يوسف عليه السلام لما توفي
غلب فرعون على نسل
الأسباط واستعبدهم
فأنقذهم الله بموسى عليه
السلام وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف عليه السلام
مصر واليوم الذي دخله
موسى أربع مائة عام معي
حفص (قال إن كنت جئت
بآية) من عندهم أرسلك
(فأت بها) إن كنت من
الصادقين فأتني بها التصح
دعواك ويثبت صدقك فيها
(فأتني) موسى عليه السلام
(عصاه) من يده (فاذا هي) إذا
هذه للفتاة وهي من ظروف
المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان)
حمة عظيمة (مبين) ظاهر
أمره روي أنه كان ذكرا
فاغراه بين لحية ثمانون
ذراعا وضع لحية الأسفل في
الأرض والأعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون
فهرب وأحدث ولم يكن
أحدث قبل ذلك وجل على
الناس فأت منهم خمسة
وعشرون ألفا قتل بعضهم
بعضا فصاح فرعون ياموسى
خذها وأنا ومن بك فآخذ
موسى فعاد عصاه (وترعه)
من جيبه (فاذا هي) بيضاء
للتناظر (أي) فاذا هي بيضاء
للتظارة ولا تكون بيضاء
للتظارة الا اذا كان بيضا
عجيبا خارجا عن العادة يجمع
الناس للنظر اليه روي أنه أرى
فرعون يده وقال ما هذه فقال

رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وأنه لا إله غيره (قد جئتم بيته من
ربكم) يعني ببرهان على صدق فيما أدعي من الرسالة والمراد ببيته مجزئته وهي العصا واليد البيضاء ثم إن
موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى (فأرسل معي بني
اسرائيل) يعني خل عنهم وأطلقهم من أمرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل واستعملهم في الاعمال
الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة (قال إن كنت جئت بآية) فأت بها إن
كنت من الصادقين) يعني إن فرعون قال لموسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة إن كنت جئت من
عنده من أرسلك بيته تدل على صدق فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت
(فأتني عصاه فاذا هي ثعبان مبين) أي بين والثعبان الذكرك من الحيات وصفه هنا بأنه ثعبان والثعبان من
الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى بأنه جان والجبان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين أنها
كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجبان قال ابن عباس والسدي إن
موسى لما أتى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعرا فاغرة فاها بين لحية ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض
بقدر ميل وقامت على ذنبها ووضعت لحيا الأسفل في الأرض ولحيا الأعلى على سور القصر وتوجه نحو
فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث وقيل أنه أحدث في ذلك اليوم أربع مائة مرة
وقيل أنها أخذت قبة فرعون بين أنبياءه وجلت على الناس فانهم زمو اوصاحوا وقتل بعضهم بعضا فأت
منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالذي أرسلك أن
تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه
الاول انه تميز وتبين ذلك عما علمته السحرة من التمويه والتليس وبذلك تميز مجزئات الانبياء عليهم الصلاة
والسلام عن تمويه السحرة وتخيلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشبه ذلك عليهم
فلذلك قال ثعبان مبين أي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان مجزئة لموسى عليه الصلاة والسلام
كان من أعظم الآيات التي آتت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام في انه رسول من رب العالمين
وقوله تعالى (وترعه) الترعه في اللغة عبارة عن اخراج الشيء عن مكانه والمعنى انه أخرجه من جيبه أو من
تحت جناحه (فاذا هي بيضاء للتناظر) قال ابن عباس وغيره أخرجه من جيبه فآها بيضاء من غير سوء
يعني من غير برص وقيل إن موسى عليه الصلاة والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرجه
من تحت أبطه فاذا هي بيضاء لما شاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم
ردها إلى جيبه فأخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان اليباض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى
في آية أخرى بيضاء من غير سوء يعني من غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للتظارة ولا تكون بيضاء للتظارة
الا اذا كان بيضا عيبا خارجا عن العادة يتعجب منه
بوفصل في بيان المجزئة وكونها دليلا على صدق الرسل أعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة
والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تسكيناته
وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده بلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجائز أن تكون تلك
الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز أن تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم
ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمجزئات
دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المجزئ مع التحدى من النبي قائم مقام قول الله عز
وجل صدق عبدى فأطيعوه واتبعوه ولان مجزئة النبي شاهدة على صدقه فيما يقوله وسُميت المجزئة مجزئة لان
الخلق عجوزا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجوزا عنه
فجزمهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كمنى الموت في قوله فتمتوا الموت ان
كنتم صادقين فلما صرفوا عن تنبيههم قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العجايب واخراج نافذة من صخرة وكلام

تلك ثم أدخلها في جنية وترعها
 فإذا هي بيضاء غلب شعاعها
 شعاع الشمس وكان موسى
 عليه السلام آدم شديد الامة
 قال الملا من قوم فرعون ان
 هذا الساحر علم (عالم بالسحر
 ما هرقه قد خيل الى الناس
 العصا حية والادم ابيض وهذا
 الكلام قد عزى الى فرعون في
 سورة الشعراء وانه قاله للملا
 وهن اعزى اليهم فيحصل انه
 قد قاله هو وقالوا هم فكي قوله
 غة وقولهم هنا وقاله ابتداء
 فتلقته منه الملا فقالوه
 لا عقابهم يريد ان يخرجكم
 من ارضكم يعني مصر فاذا
 تأمروا تشيرون من امرته
 فامرني بكذا اذا شاورته
 فأشار عليك برأى وهو من
 كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له
 ان هذا الساحر علم يريد ان
 يخرجكم قالوا ارجه يسكون
 الهاء عاصم وحزة أى أخر
 حبس أى أخر أمره ولا تهمل
 أو كما نههم بقتله فقالوا أخر
 قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين
 سحره عند الخلق (وأخاه)
 هرون (وأرسل في المدائن
 حاشرين) جامعين (يا توك
 بكل ساحر علم) سحار حزة
 وعلى أى يا توك بكل ساحر
 علم مثله في المهارة أو بخير
 منه (وجاء السحرة فرعون)
 يريد فأرسل اليهم فحضر
 (قالوا ان لنا اجرا) على الخبر
 واثبات الاجر العظيم محازى
 وحقق ولم يقل فقالوا لانه
 على تقدير سؤال سائل ما قالوا
 اذا حوّه فأجيب بقوله قالوا
 ان لنا اجرا لاجل العظمى
 والتكبير للعظيم كأنهم
 قالوا لابلنا من أجر عظيم
 (ان كنا نحن الغالبين قال نعم)

الشجر والجد والحيوان ونبت الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المجزئات التي يحجز البشر عن مثلها فاذا أتى
 النبي بشئ من تلك المجزئات الخارقة للعادة علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذى أظهر ذلك
 بالمجز على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع
 ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر
 على قلب الايمان وخوارق العادات والله تعالى أعلم بقوله عز وجل (قال الملا من قوم فرعون ان هذا) يعني
 موسى (الساحر علم) يعني انه لما أخذ بأعين الناس حتى يخلص لهم ان العصا صارت حية ويرى الشئ بخلاف
 ما هو عليه كما أراههم بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما أتى
 بما يحجز عنه غيره قالوا ان هذا الساحر علم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه السورة ان هذا الكلام من قول
 الملا لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملا حول له ان هذا الساحر علم فكيف الجمع بينهما * قلت
 لا يمنع أن يكون قاله فرعون أو لا ثم انهم قالوه بعده فأن خبر الله تعالى عنهم هنا وأخبر عن فرعون في سورة
 الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى
 العامة فأن خبر الله عز وجل هنا عن الملا وأخبر هناك عن فرعون وقوله (يريد ان يخرجكم من ارضكم) يعني
 يريد موسى أن يخرجكم أي القبط من ارض مصر (فاذا تأمروا) يعني قاضى شئ تشيرون أن نفعل به وقيل
 ان قوله فاذا تأمروا من قول الملا لان كلام فرعون ثم عنده قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا
 مجيبين لفرعون فاذا تأمروا وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم
 والمعنى فأتروا أن نفعل به والقول الاول أصح لسياق الآية التي بعدها وهو قوله تعالى (قالوا ارجه وأخاه)
 يعني أخر أمرهما ولا تهمل فيه فتصير عجلة لك لآلئ والارجاء التأخير في اللغة وقيل معنى ارجئه احبسه
 وأخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس
 موسى بعد ان رأى من أمر العصا ما رأى (وأرسل في المدائن) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أى
 أقامه يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد
 والمعنى انهم قالوا لفرعون أرسل الى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيهم من
 السحرة وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا أنه
 ساحر فذلك قوله (يا توك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو
 المبتدئ في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذى يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون
 سحره وقتادون وقت والسحار الذى يديم سحره ويعمل في كل وقت (عليه) يعني ماهر بصناعة السحر وقال
 ابن عباس رضى الله عنهما وابن اسحق والسدى ان فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا
 لا نقاتل موسى الا بغير هوأشد منه سحر فاتخذ غلمانا من بنى اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها
 القوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا واعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا ومعهم
 معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحر الا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرهم من
 السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في ملكه فلم يترك ساحرا الا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين
 جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنا منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بنى
 اسرائيل وقال الكلبى كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نيموى وكانوا سبعين غير رئيسهم
 وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين
 ألفا وقال محمد بن المنذر كانوا ثمانين ألفا وقال السدى كانوا بضعا وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم
 سمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا وجاءوا الى فرعون (قالوا ان لنا
 اجرا) يعني جعلنا لوعطاء تكرر منابه (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام فخر الدين الرازى ولما قاتل
 أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سؤال سأل
 ما قالوا انجاؤا فأجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم

ان لكم لا جراً وانكم ان المقربين ١١٨ عندى فتمكونون اول من يدخل واخر من يخرج وكانوا ثمانين الفا وسبعين الفا وبضعة وثلاثين

ألفا (قالوا يا موسى أما أن
تاتى) عصاك (وأما أن تكون
نحن الملقين) لما معنا وفيه دلالة
على أن رغبتهم في أن يلقوا قبله
حيث أكد ضميرهم المتصل
بأنه فصل وعرف الخبر (قال)
لهم موسى عليه السلام
(ألقوا) تخييرهم إياه أدب
حسن راعوه معه كما فعل
المنظرون قبل أن يتحاوروا
في الجدال وقد سق لهم
موسى ما رغبو فيه ازدرأ
لشأنهم وقلة مبالاة بهم
واعتمادا على أن المجزأة لن
يغلب أسحر أبدا (فلما ألقوا
سحروا عين الناس) أروها
بالحيل والشعوذة وخيلوا
إليها ما الحقيقة بخلافه روى
أنهم ألقوا حبالا غلاظا
وخشباً طوالا فاذا هي
أمثال الحيات قد مدلات
الأرض وركب بعضها بعضا
(واستربوهم) وأرهبوهم
أرهابا شديدا كأنهم استدعوا
رهبهم بالحيلة (وجاء السحر
عظيم) في باب السحر أوفى عين
من رآه (وأوحينا إلى موسى
أن ألق عصاك فاذا هي
تلقف) تتلقف تلقف حفص
(ما يافكون) ما موصولة أو
مصدرية يعنى ما يافكونه أى
يقلبونه عن الحق إلى الباطل
ويزورونه أو افكهم تسمية
لما فوك بالافك روى أنها
لما تلقفت ملء الوادى
ممن الخشب والحمال

فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقربين) يعني واسم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال السحرة اني لا اقتصر معكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة في اجمالكم من المقربين عندي قال السحرة ان يكون اول من يدخل على وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما ان تلقى) يعني عصاك (واما ان تكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالة في هذه الآية دقيقة لطيفة وهى ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالتقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تأذوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ان من عليهم بالايان والهداية ولما راعوا الادب أولا وأظهر واميدل على رغبتهم في ذلك (قال) يعني قال لهم موسى (ألقوا) يعني أنتم فقطدتمهم على نفسه في الالتقاء فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر بالالتقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر غير جائز قلت ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فاقبلوا والا فلا تلقوا الجواب الثانى انما أمرهم بالالتقاء لتظهر مجازته لانهم اذا لم يلقوا حبالمهم وعصيتهم لم تظهر مجزة موسى في عصائه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخخير في التقديم والتأخير فأذن لهم في التقديم لتظهر مجزته ايضا بغلبهم لانه لو ألقى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالالتقاء أولا (فلما ألقوا) يعني حبالمهم وعصيتهم (سحر وأعين الناس) يعني صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمجيد والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذى هو فعل البشر وبين مجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التى هى فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشئ والمجزة قلب نفس الشئ عن حقيقة كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسعى (واسترهبوهم) يعني أرهبوهم وأفرعوهم عافعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعني السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبابطا الا فاذا هى حيات كما مثال الجبال قدملاآت الوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طوائف الجبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصى زئبقا يضاوألقوها على الارض فلما أترحت الشمس فيها تحتركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وأقامى ففرع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الحقيقة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فرع الناس واضطرابهم مما رأوا من تلك الحيات تخاف موسى عليه الصلاة والسلام ان يتفرقوا قبل ظهور مجزته ووجهه فذلك أوجس في نفسه خيفة موسى قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن ألقى عصاك) يعني فلقها (فاذا هى تلقف) يعني تتبلع (ما يا فكون) يعني ما يكذب فيه السحرة لان أصل الافك قلب الشئ عن غير وجهه ومنه قيل للكذاب أفك لانه يقبل الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألقى عصاك فآلقها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم قفحت فاهما غمانين ذراعا فاذا هى تلقف يعني تتبلع كل شئ أتوا به من السحر فكانت تتبلع حبالمهم وعصيتهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصبت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففرعوا ورفع الزحام بينهم فأت من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه الصلاة والسلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر ووقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعني فظهر الحق الذى جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرالبعيت حبالنا

وعصفا

ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت
السحرة لو كن هذا صحر البقيت حبا لنا وعصينا (فوق الحق) فحصل وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر

(فقلبوها هنالك) أي فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (وألقى السحرة ساجدين) وخروا وسجدوا لله كأنما أقامهم ملق لشدة خورهم ألم يقال كواحد أوافك أنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهادة بررة (قالوا أمتنا رب العالمين رب موسى وهرون) هو بديل عما قبله (قال فرعون أمنت به) على الخبر حفص وهذا قول يوجب منه لهم ١١٩ وهم مرتين كوفي غير حفص فالاولى

وهذه الاستفهام ومعناه
الانكار والاستبعاد (قبل أن
أذن لكم) قبل اذني لكم (ان
هذا المكر مكر عوف في المدينة
لتخرجوا منها أهلها) ان
صنعكم هذا الخيلة احتموها
أنتم وموسى في مصر قبل ان
تخرجوا الى الصحراء لغرض
لكم وهو ان تخرجوا من مصر
القطب وتسكنوا بني اسرائيل
(فسوف تعلمون) وعيد أجله
ثم فصله بقوله (لا قطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف) من كل
شق طرفا (ثم لا تصلبنكم
أجمعين) هو أول من قطع
من خلاف وصلب (قالوا أنا
الذين بنانا من قبلون) فلان بنا
بالموت لا نقلا منالى لقار بنا
ورحمته أو اناجيعا يعنون
أنفسهم وفرعون تنقلب الى
الله فيحكم بيننا (وماتنقم منا
الآن آمنابا يا ربنا لما
جاءتنا) ومانعيب منا لا
الايان يا ربنا الله أرادوا
ومانعيب منا لما هو أصل
المناقب والمفاخر وهو الايمان
ومنه قوله
ولا عيب فيهم غير أن سموفهم
من قول من قراء الكتاب
(ربنا أفرغ علينا صبرا) أي
اصب صبرا ذر بعا والمعنى هب
لنا صبرا واسعا وأكثره علينا
حتى يفيض علينا ويغمرنا
كما يفرغ الماء افرغا (وتوفنا

وعصينا فلما نفذت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته (فقلبوها هنالك) يعني فعند ذلك
غلب فرعون وسحرته وجوعه (وانقلبوا صاغرين) يعني ورجعوا ذليلا مبهوتين (وألقى السحرة ساجدين)
يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابله وعلموا انه ليس بسحر ختر والله
ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والايان به (قالوا أمتنا رب العالمين) فقال فرعون اياي تعنون
فقالوا بل (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى الكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لا تبسحر
لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأؤمن بك وقيل ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت حل ثلثمائة بعير
فلما انلعتهم عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من أمر السماء
فأتموا به وصدقوه * فان قلت كان يجب أن يأقوا بالايان قبل السجود فافادة تقديم السجود على الايمان
* قلت لما قدف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا وسجدوا سجدة تعالى شكر اعلى هدايتهم اليه وعلى
ما ألهمهم من الايمان بالله وتصدق رسول الله ثم أظهر وابعث ذلك ايمانهم وقيل لما رأى عظيم قدرة الله تعالى
وسلطانه في أمر العصا وان ليس يقدر على ذلك أحد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادرا والى
السجود لله تعظيما لشأنه لما رأى من عظيم قدرته ثم انهم أظهر والايان باللسان قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما لما رأتا السحرة ما رأتا عرفتا أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر ختر واسجدوا وقالوا أمتنا رب
العالمين رب موسى وهرون قوله عز وجل (قال فرعون أمنت به قبل أن أذن لكم) يعني قال فرعون للسحرة
أمنت عيسى وصدقتموه قبل ان أمركم به وأذن لكم فيه (ان هذا المكر مكر عوف في المدينة) يعني ان هذا
الصنع الذي صنعتموه أنتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى
موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطأ عليه وعلى أهل مصر وهو قوله
(لتخرجوا منها أهلها) وتستولوا عليها أنتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتوبيخ يعني فسوف تعلمون ما فعل بكم
ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو ان تقطع إحدى اليدين وإحدى
الرجلين فيخالف بينهما في القطع (ثم لا تصلبنكم أجمعين) يعني على شاطئ نيل مصر قل ابن عباس رضى الله
عنهما أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل فرعون (قالوا) يعني محبين لفرعون حين وعدهم
بالقتل (اننا الذين بنانا من قبلون) يعني اننا الذين بنانا رجلا وصاروا في الآخرة (وماتنقم منا) ومانعيبه
منار ما قطع علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه (الآن آمنابا يا ربنا لما جاءتنا) ثم
فزعوا الى الله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي اصب علينا
صبرا كاملا تاما ولهذا أتى بلفظ التشكيير يعني صبرا أو أي صبر عظيم (وتوفنا مسلمين) يعني واقبضنا على دين
الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا في أول النهار
سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الكسبي ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم
لقوله تعالى لا يصلون اليك يا بنانا أنما ومن اتبعك الغالبون قوله تعالى (وقال الملا من قوم فرعون أتذر
موسى) يعني وقال جماعة من أشرف قوم فرعون لفرعون أتدع موسى (وقومه) من بني اسرائيل
(ليفسدوا في الارض) يعني أرض مصر وأراد بالافساد فيها انهم يأمرهم بغيرهم بخالفه فرعون وهو قوله
(وبذرناك وآلهتك) يعني ونذرناك وبذرناك فلا يعبدك ولا يعبدك قال ابن عباس رضى الله عنهما
كانت لفرعون بقرة كان يعبدها وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرجه لهم السامري
عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم ورب هذه
الاصنام وذلك قوله أنار بكم الا على والاولى أن يقال ان فرعون كان دهر يامن مكر الوجود الصانع فكان يقول

مسلمين) ثابتين على الاسلام (وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين
أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (وبذرناك وآلهتك) عطف على ليفسدوا قبل صفع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن
يعبدوها وتقربا اليه كما يعبد عبدا لا صنما والاصنام يقولون ليقرربونا الى الله زانف ولذلك قال أنار بكم الا على

(قال) فرعون مجيئاً للملا (سنة مقتل أبناءهم ونسختي نساءهم وانا فوهم قاهرون) سنقتل بحجازي أي سنعيد عليهم قتل الانباء ليعلموا اننا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا في ايامهم العائمة انه هو المولود الذي تحدث النجمون بذهاب ملكا على يده فينبطهم ذلك عن طاعتنا ١٢٠ ويدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين خرجوا من قوت

مدير هذا العالم السفلي هي الكواكب فاتخذوا صورة الكواكب وكان يعبدوها ويا مربعاتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلما قال انار بكى الاعلى وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس والشعبي والضحاك ويذكر ولا الهك بكسر الالف ومعناه ويذكر وعساك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدوها قال الشاعر

تروحنان للعباءة قصرا * وأجعلنه الالهة أنوثا

أراد بالالهة الشمس (قال) يعني فرعون مجيئاً لقومه حين قالوا له أنذر موسى وقومه (سنة مقتل أبناءهم ونسختي نساءهم) يعني تركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون لما أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أوجس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا عما أرادوا به لقوة موسى عليه السلام بما معه من المعجزة فعدل الى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونسختي نساءهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كان قدر ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيديا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فخنس نسبي في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكرته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وانا فوهم قاهرون) يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل الى موسى ما نزل بهم (قال موسى لقومه) يعني لما شكوا اليه (استعينوا بالله واصبروا) يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبناءكم (ان الارض لله) يعني أرض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى (يورثها من يشاء من عباده) وهذا الطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل أن يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا أؤذي ناس من قبل أن تأتي ناسنا ومن بعد ما جئناهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما آمنت السحرة بتبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل والمبني ان بني اسرائيل لما دعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أؤذي ناس من قبل أن تأتي ناسنا في بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شهذ فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أؤذي ناس من قبل أن تأتي ناسنا ومن بعد ما جئناهم في بالرسالة وظاهر هذا الكلام بوجه أن بني اسرائيل كرهوا مجيئاً موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا أؤذي ناس من قبل أن تأتي ناسنا ومن بعد ما جئناهم في يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى مجيئاً لهم (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) يعني فرعون وقومه (ويستخلفكم في الارض) يعني ويجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمهم منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم قوله عز وجل (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنن) يعني بالخط والجذب تقول العرب مستهم السننة بمعنى أخذهم الجذب في السنن ويقال أسننوا كما يقال أجذبوا قال الشاعر * ورجال مكة مستنون عجاف * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلهم عليهم سنن كسني يوسف ومعنى الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجذب والخط والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعني واتلاف الغلات بالافات قال قتادة أما السنون فلاهل

فرعون سنة مقتل أبناءهم تسليتهم وعدا بالانصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أي أرض مصر والجنس فيتناول أرض مصر تناولا أوليا لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنيته اياهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) بشاره بأن الخاتمة المحمود للثقتين منهم ومن القبط وأخليت هذه الجملة عن الاول لانها جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال الملا لاننا معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون (قالوا أؤذي ناس من قبل أن تأتي ناسنا ومن بعد ما جئناهم) يعني من قبل أن يهلك فرعون وقومه قبل مولد موسى الى أن استنبي وأعادته عليهم بعد ذلك وذلك استخفافا من فرعون واستبطاء لوعده النصر (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصرح بعبارة من اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقيحه وشكر النعمة وكفرانها الجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيداته دخل على النصور قبل الخلافة وعلى ما نثته

رغيف أورغيثان وطلب المتصور زيادة العمر فلم توجد فقرأ عمر وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما احتلف فذكر له البوادي ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنن) يعني القحط وهن سبع سنين والسننة من الاسماء الغالبة كالذابة واليحم (ونقص من الثمرات) قيل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار

(عليهم يذكرون) ليعظوا فينبهوا على أن ذلك لأصرارهم على الكفر ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا وارق أفئدة وقيل عاشوا
فرعون أربع مائة سنة لم يرمكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حى لما أدى الربوبية (فأذا جاءتهم -
الحسنة) (الصحة والخصب) (قالوا لنا هذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جذب وممرض ١٢١ (يطيروا) أصله يطير وفاد غمت
التاء في الطاء لأنها من طرف
البوادى وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار (عليهم يذكرون) يعني عليهم يعظون فيرجعوا عما هم فيه
من الكفر والمعاصي وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى
أنهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الاعتداد وكفرا فقال تعالى (فأذا جاءتهم الحسنة) يعني
الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون لها ونحن أهلها
على العادة التي جرت لنا في سعة الأرزاق وصحة الأبدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على أنعامه
(وان تصبهم سيئة) يعني القحط والجذب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم (يطيروا) يعني
يتشاءموا وأصله يطير وواو التطير التشاؤم في قول جميع المفسرين (بعوسى ومن معه) يعني أنهم قالوا
ما أصابنا بلاء إلا حين رأيناهم وما ذلك إلا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبيرة ومحمد بن المنكدر كان
ملك فرعون أربع مائة سنة وعاش ثلثمائة وعشرين سنة لم يرمكروها وظلوا في تلك المدة جوع
يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة لما أدى الربوبية قسط (ألا انما طأثرهم عند الله) يعني ان نصيبهم من الخصب
والجذب والخير والشركة من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طأثرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه اغمازهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذى لهم عند
الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ان ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون
لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب ولا يضيفونها إلى القضاء والقدر قوله تعالى (وقالوا) يعني
قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتينا به من آية) يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو
قولهم (لنحسرن بها) يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فنا نحن لك بمؤمنين) يعني بصديقين وكان موسى
عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاءه فقال تعالى
(فأرسلنا عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما وسع يد جبريل وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام
بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه الا الإقامة على الكفر والتنادى
في الشر فتابع الله عز وجل عليهم الآيات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبيل
ذلك من المجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علفا في الأرض وبني
وعتوان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم تقمة ولقوى عظة ولين بعدهم آية وعبرة
فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل الله عليهم المطر من السماء ويوت بنى اسرائيل ويوت القبط
مختطة مشبكة فامتلاّت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من
ذلك الماء في بيوت بنى اسرائيل شيئا وركد الماء على أرضهم فلم يقدروا على التحرك ولم يعملوا شيئا ودام ذلك الماء
عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة
أهل اليمن وقال أبو قتادة الطوفان الجدري وهم أول من عذوبه ثم بقي في الأرض وقال مقاتل الطوفان الماء
طافا فوق رؤسهم وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهما ان الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فغند ذلك
قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه
الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وأبنت الله لهم تلك السنة شيئا لم ينبتة قبل ذلك من الكلال والزرع
والثمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرافى عافية فبعث الله
عليهم الجراد فأكل كل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر وأكل الأبواب وسقوف البيوت والخصب والنبات
والامتنعة وأكل مسامير الحديد التي في الأبواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلاّت دور

١٦ خازن في سموا آية اعتبار التسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فأرسلنا عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر
أوسيل قيل طفا الماء فوق رؤسهم وذلك أنهم مطر وانما آية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمر ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل
دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل من الماء قطرة وأهو الجدري أو الطاعون

القبط منه ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيء فجموا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنار بك لننكشف عنا
 هذا الرجل نزل من لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد
 ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال
 ان موسى عليه السلام خرج الى القضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان
 قد بقي من زرعهم وغنمهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فاستحسن بتاركه فبدا قتل يومه ولم يبقوا
 عاهدوا عليه وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فأقاموا شهر افي عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه
 فروى سعيدين بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال
 بجاهد وقتادة والسدي والكلبي القمل الذي وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له وقال أبو عبيدة هو الجنان
 وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال
 أصحاب الاخبار أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام أن يمشي الى كتيب رمل أعقر بقرية من
 قري مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكتيب فضر به بعصاه فانها لعلهم القمل فتبع ما بقي من
 حروثهم وزرعهم وغنمهم فاكلها كلها والحسن الارض وكان يدخل بين ثوب أحددهم وجلده فيعضه فاذا
 أكل أحددهم طعاما امتلأ قلا قال سعيدين المسبب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل
 منهم يخرج بعشرة أجرة الى الرحي فلا يرد منها ثلاثة أفقره فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت
 أشعارهم وأبصارهم وحواشيهم وأشعار عيونهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار
 فصرخوا بموسى اننا نتوب فادع لنار بك يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعد
 ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فمكتوب بعد ذلك ورجعوا الى أخبت ما كانوا عليه من الاعمال
 الخبيثة وقالوا ما كنا نأخذ حق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجمع الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعد
 ما أقاموا شهر افي عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلت منها بيوتهم وأقنيتهم وأطعمتهم وأنيتهم فلا
 يكشف أخذنا ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا
 أراد أن يتكلم ثب الضفدع فيدخل فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم
 وكان أحددهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الا تحرك
 واذا أراد أن يأكل سبقة الضفدع الى فيه ولا يجن أحددهم بحجة الامتلاء ضفادع ولا يفتح قدرا الامتلاء
 ضفادع فماتوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الضفادع برية فلما
 أرسلها الله عز وجل على آل فرعون وسمعت وأطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القصور وهي تغلي على
 النار وفي التناير وهي تقول أنا لله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى
 عليه الصلاة والسلام ما يلقونه من الضفادع وقالوا هذه المنة نتوب ولا نعود فأخذ موسى عليه السلام عليهم
 العهد والميثاق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقامت عليهم سبع من السبت الى السبت
 فأقاموا شهر افي عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل
 الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما عيبا وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستحقون من الآثار
 والانهار يجذونه دما عيبا فاشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من أين
 يسحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء الا دما عيبا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على
 اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويفرغان الجرعة فيها الماء فيخرج للقبطي دما
 وللإسرائيلي ماء حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش
 فتقول لها اسقني من مائك فتصب لها في قربتها فيصير في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم يجيء
 في في فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون استراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا
 مضغها صار ماؤها دما فكثروا على ذلك سبعة أيام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن أسلم ان الدم الذي سطر الله
 عز وجل عليهم كان الرعاف فأقوام موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنار بك

(والجراد) فأكلت زرعهم وغمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أخصه أو البراغيث أو كبار القردان (والضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشراهم ١٢٣ حتى اذا تكلم الرجل تقع في فيه (والدم) أى الرعاف وقيل

مبايعهم انقلبت دما حتى ان القبطى والاسرائيلى اذا اجتمعوا على انا فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مميزات ظاهرات لا يشك كل على عاقل أنهم امن آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان موسى (وكانوا قومًا مجرمين) ولما وقع عليهم الرجز (العذاب الاخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحد بعد واحد) (قالوا يا موسى ادع لربك بما عهد عندك) ما صدر ربه أى بعده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لنامة وسلا اليه بعده عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل اهل السنة (هم بالغوه) للاحالة فمذبذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حاله (اذا هم ينكثون) جواب ما لى فلما كشفنا عنهم فاجروا النكث ولم يؤخروه (فانتقمنا منهم) هو ضدا لانعام كما أرا العقاب هو ضدا لثواب (فأغرقناهم) (في اليم) هو البحر الذى لا يدرك

يكشف عنا هذه الدم فحينئذ يؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم العوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يعنى يتبع بعضها بعضا وتقتصباها ان كل عذاب كان يقوم عليهم أسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر (فاستكبروا) يعنى عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قومًا مجرمين) يعنى آل فرعون (وقوله تعالى) (ولما وقع عليهم الرجز) يعنى ولما نزل بهم العذاب الذى ذكره فى الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم فى يوم واحد سبعون ألفا فأسوا وهم لا يتدافعون (ق) عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى (قالوا يا موسى ادع لربك بما عهد عندك) يعنى بما أوصاك وقيل بما نبأك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) يعنى العذاب الذى وقع بنا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) يعنى لنصدقن عاججت به ولنخلين بنى اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا (فلما كشفنا عنهم الرجز) يعنى بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام (الى اجل هم بالغوه) يعنى الى الوقت الذى أجل لهم وهو وقت اهلاكلهم بالغرق فى اليم (اذا هم ينكثون) يعنى اذا هم ينقضون العهد الذى التزموه فلم يقوا به واعلم ان ما ذكره الله تعالى فى هذه الآيات هى مجزئات فى الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بنى اسرائيل فاختصاصه بالقبطى دون الاسرائيلى مجزئ وكون بنى اسرائيل فى أمان منه وعافية وقوم فرعون فى شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن مجزئ ايضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم لا يؤمنون بتلك المجزئات فى القاطنة فى تواليها عليهم واطهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عناية فعل وأما على قول المعتزلة فى رعاية المصلحة فاعلم الله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالى تلك المجزئات وظهورها فلهم هذا السبب والاهاء عليهم والله أعلم بمراده قوله عز وجل (فانتقمنا منهم) يعنى كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب (فأغرقناهم فى اليم) والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى أجل لهم انتقم منهم بان أهلكهم بالغرق فذلك قوله فأغرقناهم فى اليم يعنى البحر واليم الذى لا يدرك قعره وقيل هو لوجة البحر ومعظم ما نه قال الازهرى اليم معروف لفظه سربانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاغرقناه فى اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب (بانهم كذبوا بآياتنا) يعنى أهلكناهم وأغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا عنينا) يعنى عن آياتنا (غافلين) يعنى معرضين وقيل كانوا عن حلول النعمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوز لان الغفلة ليست من فعل الانسان قوله عز وجل (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعنى وصكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم وهم وهوان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل فقتلوا آبائهم واستخدموهم فصيرهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارق الارض ومغاربها) يعنى أرض الشام ومصر وأردبشار قها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد بجميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلات الله وسلامه عليهم ما كانا من بنى اسرائيل وقد ملكا الارض وقوله عز وجل (التي باركنا فيها) يدل على انها الارض المقدسة يعنى باركنا فيها بالثمار والاشجار والزرع والخصب والسعة

قعره أو هو لوجة البحر ومعظم ما نه واشتقاقه من التيم لان المتضعفين به يتصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا غافلين) أى كان اغرقناهم بسبب تكذيبهم بآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارق الارض ومغاربها) يعنى أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار

(وقت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل) هو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض أو ويريد أن غن على الذين استضعفوا فى الارض الى ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكمالة وعلى صلة تمت أى مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسنك به حائلا على الصبر ودا على ان من قابل البلاء بالخروج وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (ودمرنا) أهلكنا ١٢٤ (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا

(وقت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل) يعنى وقت كلمة الله وهى وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين فى الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هى قوله ونريد أن غن على الذين استضعفوا فى الارض الآية والحسنى صفة للكمالة وهى تأنيث الاحسن وتعامهم انجاز ما وعدهم به من تمكينهم فى الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعنى انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم (ودمرنا) يعنى وأهلكنا والدمار الهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) فى أرض مصر من العمارات والبنيان (وما كانوا يعرشون) يعنى يستقون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا ينون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب قوله عز وجل (وجاوزنا بين اسرائيل البحر) يعنى وقطعنا بين اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبى عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله تعالى (فأ نوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) يعنى فخر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يقيمون ويواطبون على أصنام لهم يعنى تمثال لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الأصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن الجمل وقال قتادة كان أولئك القوم من نحم وكثوانز ولا بارقة يعنى بالارقة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتلهم (قالوا) يعنى قال بنو اسرائيل لموسى لما رأى أولئك التماثيل (يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) يعنى كالهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا أنت إلهنا بعدد ونظمه قال البغوى رحمه الله ولم يكن ذلك شيئا من بنى اسرائيل فى وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غابة جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهوا انه يجوز عبادة غير الله تعالى بعدمار أو الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكال قدرته وهى الآيات التى تواتت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فجهلهم على ان قالوا النبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فردد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعنى تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يستحق ان يعبد سواه لانه هو الذى أنجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وأنجاكم منه عن أبى واقد البشير رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر ببحيرة للشركيين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا لاي رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذى وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ما هم فيه) أى مهلك والتمثيل بالهلاك (وباطل ما كانوا يعبدون) البطلان عبارة عن عدم الشئ اما بعدم ذاته أو بعدم فائده ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر لانه عمل لغير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال أغير الله أبغىكم إلها) لما قالوا بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبهم على سبيل التعجب والانكار عليهم أغير الله أبغىكم إلها يعنى أطلب لكم وأبغى لكم إلها (وهو فضلكم على العالمين) والمعنى أن الاله ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذى فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافعال فهذا هو الذى يستحق أن يعبد ويدعى لادعاء عبادة غيره ومعنى قوله

يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره ونظم الراشعى وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم أتبعه قصة بنى اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعانيهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمראה من بنى اسرائيل بالمدينة (وجاوزنا بين اسرائيل البحر) روى انهم عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله (فأ نوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) يعكفون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلى (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها) صما نكف عليه (كالهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودى لعللى رضى الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يحف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها ولم نجف أقدامكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على اثر ما رأى من الآية العظمى فوصفهم

بالجهل المطلق وأكده (ان هؤلاء) يعنى عبدة تلك التماثيل (متبر ما هم فيه) أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى وفى ايقاع هؤلاء اسمع الان وتقدم خبر ابتداء من الجملة الواقعة خبر لها ومسم لعبادة الاصنام بأنهم هم المعروضون للتمبار وانه لا يعودهم البتة (وباطل ما كانوا يعبدون) أى ما عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل (قال أغير الله أبغىكم إلها) أى أغير المستحق للعبادة أطلب انكم معبود (وهو فضلكم على العالمين) حال أى على عالمى زمانكم

(واذ أنجيناكم من آل فرعون) أنجيناكم شامئ (يسومونكم سوء العذاب) يبعونكم شدة العذاب من سام السبعة إذ أطلموا وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع ١٢٥ (وفي ذللكم) أي في الانجاء وفي العذاب

(بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ليله (لاعطاء التوراة) (وأتممناها بعشر) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعدي بنى اسرائيل وهو بمصر أن أهلك الله عدوهم أتاهاهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوفاً فيه ففسدوا فأوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك (فتم مبعثات ربه) ما وقت له من الوقت وضرب به (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغ هذا العدد ولقد أجل ذكر الأربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لآخيه هرون) هو عطف بيان لآخيه (اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم إلى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه (ولما جاء موسى إيقاننا) لوقتنا الذي وقتناه وحددنا ومعنى اللام الاختصاص أي اختص مجيئه إيقاننا

فضلكم على العالمين يعنى على عالمي زمانكم وقبل فضلهم باخصهم به من الآيات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وإن كان غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل (واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذللكم بلاء من ربكم عظيم) هذه الآية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يعنى وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لمناجاة ثلاثين ليلة وهي ذوالقعدة (وأتممناها بعشر) يعنى عشر ذى الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون أن موسى عليه الصلاة والسلام وعدي بنى اسرائيل إذا هلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده بنى اسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامها فلما تمت أنكر خلوف فيه ففسدوا بعوذ خروب وقيل بل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كفا تشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسؤال فأمره الله أن يصوم عشر ذى الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فكانت فتنة بنى اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل إن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يصوم ثلاثين يوماً يعمل فيها ما يقرب به إلى الله ثم كلفه وأعطاه الألواح في العشر التي زادها فلهاذا قال وأتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجله في سورة البقرة وهو قوله تعالى وواعدنا موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى (فتم مبعثات ربه أربعين ليلة) يعنى فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لأن المبعثات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الأعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لآخيه هرون اخلفنى فى قومى) يعنى كن أنت خليفتى فيهم من بعدى حتى أرجع إليك (وأصلح) يعنى وأصلح أمور بني اسرائيل واجملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما يزيد الفرق بينهم والاحسان اليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعنى ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الأمر التأكيد لأن هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبى وكقولك للقاعد اقم دعيتى دم على ما أنت عليه من القعود قوله تعالى (ولما جاء موسى إيقاننا) يعنى للوقت الذي وقتناه أن يأتى فيه لمناجاة وهو قوله (وكلفه ربه) وفي هذه الآية دليل على أن الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلفه ربه عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطاً في الألواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لأن الشجرة أو ذلك الجرم لا يقول اننى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الخبائيل ومن وافقهم إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم وذهب جمهور المتكلمين إلى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والقائلون بهذا القول قالوا أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الأزلية الحقيقية وقالوا كأنه لا يعدر روية ذاته وليست جسم ولا عرضاً كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف أن الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال أهل التفسير والخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام إيقان ربه تطهر وطهر ثيابك وصام ثم أتى طور سيناء وفي القصة أن الله تعالى أنزل ظلة تعشت الجبل على أربع فراخ من كل ناحية وطرده عن الشيطان وهو أم الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش (وكلفه ربه) بلا واسطة ولا كيفية وروى أنه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع صوتاً دال على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمع صوتاً تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسباً لأحد من الخلق وغيره يسمع صوتاً مكتسباً للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رويته لعل به شوقه فسأل الروية بقوله

(قال رب أرني أنظر إليك) ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني ذاتك أنظر إليك يعني مكني من رؤيتك بأن تتجلى لي حتى أراك أرني مكني وبكسر الراء محتملة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرها وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقد جواز ما لا يجوز على الله كقوله (قال لن تراني) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا ايضا لانه لم يقل لن أرى ليكون نقيا للجواز ولولم يكن مرسيا لا خبر بأنه ليس به رؤي اذا الحالة حالة الحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقى على حاله (فسوف تراني) وهو دليل لنا ايضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعلق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعلق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزا أن لا يوجد ولم يوجد لانه مختار في فعله ولانه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كعاتب نوحا عليه السلام بقوله اني اعطيتك ان تكون من الجاهل بين حيث سأل نجاه ابنه من الغرق

بارزوا وادناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكله الله تبارك وتعالى ونجاه وأسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته (قال رب أرني أنظر إليك) قال الزجاج فيه اختصار قد بره أرني نفسك أنظر إليك وقال ابن عباس معناه اعطني أنظر إليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بأن الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من أنواع الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية ظنا منه بأنه تعالى يرى في الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن تراني) يعني ليس لبشر أن يراني في الدنيا ولا يطبق النظر الى في الدنيا ومن نظر الى في الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام لا اله الا الله سمعت كلامك فاشتقت الى النظر إليك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك وقال السدي ما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض حتى خرج من بين قدح موسى فوسوس اليه أن مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ان تراني فوفصـ ل وقد تمسك من نفي الرؤية من أهل البدع والخواارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا لن تكون للتأييد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في أن لن تكون للتأييد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يقيموا أبدا مع انهم يقيمون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتنا كنا من القاضية فان قالوا لن معناها تأكيده النفي كذا التي تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا أي لن تراني في الدنيا جعلا بين دلائل الكتاب والسنة فنه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وايضا فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفا بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويحتج على الله عز وجل وفي الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام حيث سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائزة فمن ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) وهو أمر جائز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل الرؤية أرسل الله الضباب والرياح والصواعق والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى أهل السموات أن يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام ففزعهم ملائكة السماء الدنيا كثيران البقرة تبع أفواهمهم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب اني كنت عن هذه اغنيا ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثل الاسود لهم جلب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسئلتني فهل ينبغي مما أنا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورؤيتهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثل النور لهم وصف ورجف وجلب شديد وأفواهمهم بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم كذهب النار ففزع موسى واشتد فزعها وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورؤيتهم مكانك يا بن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين وقبلهم ألوانهم كذهب النار وسائر

(فلما تجلّى ربه للجبل) أى

ظهر وبان ظهوراً بلا كيف
قال الشيخ أومر منصور رحمه
الله معنى التجلى للجبل ما قاله
الشاعرى انه تعالى خلق فى
الجبل حياة وعلماً ورؤية حتى
رأى ربه وهذا نص فى اثبات
كونه مرئياً وبهذه الوجوه
يتبين جهل منكرى الرؤية
وقوله هم بأن موسى عليه
السلام كان عالماً بأنه لا يرى
ولكن طلب قومه أن يريهم
ربه كما أخبر الله تعالى عنهم
بقوله لن يؤمنن لك حتى نرى
الله جهرة فطلب الرؤية ليمين
الله تعالى انه ليس بمجرى باطل
اذ لو كان كازعموا لقال لهم
ينظروا اليك ثم يقول له لن
يرونى ولا نهالولم تكن جائزة
لما أخبر موسى عليه السلام
الردع عليهم بل كان يردعهم
وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه
من التقرير على الكفر وهو
عليه السلام بعث لتغييره
لاتقريره ألا ترى انهم لما قالوا
له اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لم
يعلمهم بل ردعهم من ساعته
بقوله انكم قوم تجهلون
(جعله دكاً) مدكوكاً مصدر
بمعنى المفعول كضرب الأمير
والدق والدك اخوان دكاً
حزرة وعلى أى مستوية
بالارض لا اكمة فيها وناقة
دكاً لاسنام لها (وخرت موسى
صعقاً) حال أى سقط مغشياً
عليه (فلما أفاق) من صعقته
(قال سبحانك تبت اليك)
من السؤال فى الدنيا

خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين هم روابه قبلهم
فأصابت ركبته وأرعد قلبه واشتد بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يابن عمران أصبر لما سألت
فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا
عليه لهم سبعة ألوان فلم يسع طمع موسى أن يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلاً جوفه
خوفاً واشتد خزنه وكثر بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم
أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفى يد كل واحد منهم
مثل الخلة العظيمة الطويلة ناراً أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلب النار إذا سجدوا قدسوا واجابهم من
كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصدأصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدأ العيوت فى رأس كل
ملك منهم أربعة أوجه فلما رأهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكى ويقول رب
اذكرنى ولا تنس عبدك فلا أدري أأنفقت مما أنفقت أم لا أن خرجت احترقت وان أفتت فقال له كبير
الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يابن عمران أن يشمتد خوفك ويخلق قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله
تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدأنور العرش أصدأصواتهم من عظمة الرب سبحانه
وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعاً ولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدأ العيوت فارتج الجبل
لشدة أصواتهم واندك واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه ليس معه
روح فارسل الله تعالى برحمته الروح فغشته وقلب عليه الحجر الذى كان جالس عليه موسى فصارع عليه
كهيفة القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فلما أفاق موسى
قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا إله إلا الله فبحمداً ومن نظرت إلى ملائكتك انخل قلبه فبأعظامك
وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك المسالك والآله العظيم لا يعبد لك شئ ولا يقوم لك شئ رب تبت
اليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك وما أجلك يارب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما تجلّى ربه للجبل جعله
دكاً) قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصارت راباً واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور
الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلّى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم
الحياط حتى صار دكاً وقال السدى ما تجلّى الا قدر انخفض ريد عليه ما روى ثابت عن أنس رضى الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا وضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل
ذكره البغوى هكذا يغير سنده وأخرجه الترمذى أيضاً عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً قال حماد هكذا أو أمسك بطرف ابهامه على أغلة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر
موسى عليه السلام صعقاً وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة
وروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل
دكاً بنى مستوياً بالارض وقال ابن عباس جعله راباً وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع فى البحر فهو يذهب
فيه وقال عطية العوفى صار رملها نلاً وقال الكاكي جعله دكاً يعنى كسر اجبالاً صغاراً وقيل انه صار
لعظمة الله تعالى ستة أجبل فوق ثلاثة مدينة وهى أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهى ثور وثير
وحراء وقال تعالى (وخرت موسى صعقاً) قال ابن عباس والحسن يعنى مغشياً عليه وقال قتادة يعنى ميتة الاول
أصبح لقوله (فلما أفاق) والميت لا أفاقه لانما يقال أفاق من غشيته قال الكاكي صعق موسى عليه الصلاة
والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خرت موسى صعقاً
قالت ملائكة السموات ملائكة السموات ما بال بن عمران وسؤال الرؤية وفى بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى
وهو فى غشيته فجعلوا يركبونه ويقولون يابن النساء الحميم أطعمت فى رؤية رب العزة فلما أفاق يعنى من
غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل أمر أعظم الا ينبغى له (قال سبحانك) يعنى تنزهك من النقائص كلها
(تبت اليك) يعنى من مستلتي الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية فى الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة
بمحمد صلى الله عليه وسلم فنعها قال سبحانك تبت اليك يعنى من سؤال ما ليس لى وقيل لما سأل الرؤية ومنعها

(وَأَنَا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ) بِعِظَمَتِكَ
وَجَلَالِكَ وَيَا لَكَ لَذَعَطِي
الرُّؤْيَا فِي الدُّنْيَا مَعَ جَوَازِهَا
وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَالْأَصَمُّ مَعْنَى
قَوْلِهِ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ أَرْنِي آيَةً
أَعْلِمُكَ بِهَا بِطَرِيقِ الضَّرُورَةِ
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ لَنْ تَرَانِي لَنْ
تُطَبِّقَ مَعْرِفَتِي بِهَذِهِ الصِّفَةِ
وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنِّي
أُظْهِرُ لَكَ آيَةً فَإِنِ تَبَتَّ الْجِبَلُ
لِتَجْلِيهَا وَاسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ
تَبَيَّنَ لَهَا وَتُطَبِّقُهَا وَهَذَا
فَاسِدٌ لِأَنَّهُ قَالَ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ
وَلَمْ يَقُلْ لَهَا وَقَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَمْ
يَقُلْ لَنْ تَرَى آيَتِي وَكَيْفَ
يَكُونُ مَعْنَاهُ لَنْ تَرَى آيَتِي
وَقَدْ أَرَاهُ أَكْثَرُ آيَاتٍ حَيْثُ
جَعَلَ الْجِبَلَ دَكَاةً (قَالَ يَامُوسَى
إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ)
اخْتَرْتُكَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِكَ
(بِرِسَالَتِي) هِيَ أَسْمَاءُ
التَّوْرَةِ بِرِسَالَتِي حِجَازِي
(وَبِكَلَامِي) وَبِتَسْكِيمِي آيَاتِي
(نَحْنُ مَا آتَيْتُكَ) أَعْطَيْتُكَ
مِنْ شَرَفِ النَّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ
(وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) عَلَى
الْزُّمَّةِ فِي ذَلِكَ فَهِيَ مِنْ
أَجْلِ النِّعَمِ قِيلَ خَرَّمُوسَى
صَعْقًا يَوْمَ عَرَفَةَ وَأَعْطَى
التَّوْرَةَ يَوْمَ الْخُرُوجِ وَلَمَّا كَانَ
هَارُونَ وَزِيرًا وَتَابَعَ يَامُوسَى
تَخَصُّصَ الْإِصْطِفَاءِ بِمُوسَى
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وَكُتِبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَحِ) الْأَلْوَحِ التَّوْرَةُ
جَمْعُ لَوْحٍ وَكَانَتْ عَشْرَةَ أَلْوَحٍ
وَقِيلَ سَبْعَةً وَكَانَتْ مِنْ زَمْرَدٍ
وَقِيلَ مِنْ خَشَبٍ نَزَلَتْ مِنْ
السَّمَاءِ فِيهَا التَّوْرَةُ

قَالَ تَبَتَّ إِلَيْكَ يَعْنِي مِنْ هَذَا السُّؤَالِ وَحَسَنَاتِ الْإِبْرَارِ سَيِّئَاتِ الْمُقْتَرِبِينَ (وَأَنَا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ) يَعْنِي بِأَنَّكَ لَا تَرَى
فِي الدُّنْيَا وَقِيلَ وَأَنَا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْنِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ * بَقِيَ فِي الْآيَةِ سُؤَالَاتُ الْأَوَّلِ أَنَّ الرُّؤْيَا عَيْنُ النَّظَرِ
فَكَيْفَ قَالَ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّقْدِيرُ أَرْنِي حَتَّى أَرَاكَ وَالْجَوَابُ عَنْهُ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ أَرْنِي أَجْعَلُنِي
مَتَمِّكًا مِنْ رُؤْيَاكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَرَاكَ * السُّؤَالُ الثَّانِي كَيْفَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَمْ يَقُلْ لَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ حَتَّى
يَكُونُ مُطَابِقًا لِقَوْلِهِ أَنْظُرَ إِلَيْكَ وَالْجَوَابُ أَنَّ النَّظَرَ مَا كَانَ مَقْدَمَةً الرُّؤْيَا كَانَ الْمَقْصُودُ هُوَ الرُّؤْيَا لَا النَّظَرَ
الَّذِي لَا رُؤْيَا مَعَهُ * السُّؤَالُ الثَّلَاثُ كَيْفَ اسْتَدْرَكَ وَكَيْفَ اتَّصَلَ اسْتَدْرَاكَ مِنْ قَوْلِهِ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجِبَلِ
بِمَا قَبْلَهُ وَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ تَعْظِيمُ أَمْرِ الرُّؤْيَا وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَقْوَى عَلَى رُؤْيَا تَعَالَى الْأَمْنِ قُوَّةَ اللَّهِ
تَعَالَى بِمَعُونَتِهِ وَتَأْمِينِهِ لَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ التَّجَلِّيِ لِلْجِبَلِ لَأَنَّكَ وَتَقَطَّعَ فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا اسْتَدْرَاكَ
لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ أَمْرِ الرُّؤْيَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ
بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي) يَعْنِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَامُوسَى إِنِّي اخْتَرْتُكَ وَاتَّخَذْتُكَ صَفْوَةً
وَالْإِصْطِفَاءُ الْإِسْتِخْلَاصُ مِنَ الصَّفْوَةِ وَالْإِجْتِبَاءِ وَالْمَعْنَى إِنِّي فَضَّلْتُكَ وَاجْتَبَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٍ
لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ مَنَعِ الرُّؤْيَا حِينَ طَلَبَهَا لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعْمَةً الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ وَأَمْرَهُ
أَنْ يَسْتَمْتَلَ بِشُكْرِهَا كَأَنَّهُ قَالَ لَهُ أَنْ كُنْتَ مَنَعْتَ مِنَ الرُّؤْيَا الَّتِي طَلَبْتَ فَقَدْ أَعْطَيْتُكَ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ كَذَا
وَكَذَا فَلَا يَضِيقُ صَدْرُكَ بِسَبَبِ مَنَعِ الرُّؤْيَا وَأَنْظُرْ إِلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ النِّعَمِ الَّتِي خَصَصْتُكَ بِهَا وَهِيَ الْإِصْطِفَاءُ عَلَى
النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي يَعْنِي مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ لَأَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الرِّسَالِ مَنَعَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى الْإِبْرَارِ وَاسْطَةِ الْمَلِكِ
* فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدِ اسْتَوَاءَ فِي الرِّسَالَةِ * قُلْتَ ذَكَرَ
الْعُلَمَاءُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ جَوَابَيْنِ أَحَدُهُمَا ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فَقَالَ الْمَلِكُ تَكُنِ الرِّسَالَةُ عَلَى الْعَمُومِ فِي حَقِّ النَّاسِ
كَافَّةً اسْتِقَامَ قَوْلُهُ اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ وَأَنَّ شَارِكَةَ فِيهَا غَيْرُهُ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ خَصَصْتُكَ بِمَشُورَتِي وَأَنَّ
كَانَ قَدْ شَاوَرَ غَيْرَهُ إِذَا لَمْ تَكُنِ الْمَشُورَةُ عَلَى الْعَمُومِ فَيَكُونُ مُسْتَقِيمًا وَفِي هَذَا الْجَوَابُ نَظَرٌ لَأَنَّ مِنْ جِلَّةٍ مِنْ
إِصْطِفَاءِ اللَّهِ بِرِسَالَتِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَا يَسْتَقِيمُ هَذَا
الْجَوَابُ الْجَوَابُ الثَّانِي ذَكَرَهُ الْأَمَامُ فخر الدين الرازي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّهُ خَصَّصَهُ بِمَجْمُوعِ أَمْرَيْنِ وَهُمَا
الرِّسَالَةُ مَعَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ وَاسْطَةٍ وَهَذَا الْمَجْمُوعُ مَا حَصَلَ لَغَيْرِهِ فَنَبَتَ أَنَّهُ أَتَمَّ حَصَلَ التَّخْصِصُ هَهُنَا لِأَنَّهُ سَمِعَ
ذَلِكَ الْكَلَامَ بِغَيْرِ وَاسْطَةٍ وَأَمَّا كَانَ الْكَلَامَ بِغَيْرِ وَاسْطَةٍ سَبَبًا لِمَزِيدِ الشَّرَفِ بِنَاءً عَلَى الْعَرَفِ الظَّاهِرِ لَأَنَّ مِنْ
سَمِعَ كَلَامَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ مِنْ فِيهِ كَانَ أَعْلَى وَأَشْرَفَ عَنِ سَمْعِهِ بِوَاسْطَةِ الْحِجَابِ وَالنُّوَابِ وَهَذَا الْجَوَابُ فِيهِ نَظَرٌ
أَيْضًا لِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِصْطِفَاهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَلَمَةِ لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ بِغَيْرِ وَاسْطَةٍ وَفَرَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ
الْصَّلَاةَ وَخَاطَبَهُ بِمَا مُحَمَّدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى وَرَفَعَهُ إِلَى حَيْثُ سَمِعَ صَرِيحَ الْأَقْلَامِ وَهَذَا
كَلِمَةٌ يَدُلُّ عَلَى مَزِيدِ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَا يَسْتَقِيمُ هَذَا
الْجَوَابُ أَيْضًا وَالَّذِي يَعْتَمِدُ فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِرِسَالَتِهِ
وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَعْلَى مِنْهُ مَبَاوِلًا أَشْرَفَ وَلَا أَفْضَلَ مِنْهُ
وَهُوَ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ وَعَلَيْهِ نَزَلَتِ التَّوْرَةُ فَذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِصْطِفَاهُ عَلَى نَاسِ زَمَانِهِ كَمَا اصْطَفَى
قَوْمَهُ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ كَرَوْنَا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ قَالَ الْمَفْسُورُونَ يَعْنِي عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (نَحْنُ مَا آتَيْتُكَ) يَعْنِي مَا فَضَّلْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ بِهِ
(وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) يَعْنِي عَلَى أَنْعَامِي عَلَيْكَ وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ بَعْدَ مَا كَلَّمَهُ رَبُّهُ
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدًا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ لِغَشْيِ وَجْهِهِ مِنَ النُّورِ وَلَمْ يَزَلْ عَلَى وَجْهِهِ بِرَفْعٍ حَتَّى مَاتَ وَقَالَتْ لَهَا زَوْجَتُهُ أَنَا لَمْ
أَرَاكَ مِنْذُ كَلَّمْتُكَ بَلْ فَكَشَفَ لَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَخَافَتْ هَامُثِلَ شِعَاعِ الشَّمْسِ فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى وَجْهِهَا وَخَرَّتْ
سَاجِدَةً وَقَالَتْ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي زَوْجَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ ذَلِكَ لَأَنَّ لَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدِي فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَخْرُجُ زَوْجًا
قَوْلُهُ تَعَالَى (وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرِيدُ الْأَلْوَحِ التَّوْرَةَ وَالْمَعْنَى وَكُتِبْنَا لِمُوسَى فِي الْأَلْوَحِ التَّوْرَةُ قَالَ
الْبَغَوِيُّ وَفِي الْحَدِيثِ كَانَتْ مِنْ سِدْرٍ الْجَنَّةِ طَوَّلُ الْأَلْوَحِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ

بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الألواح من خشب وقال السكابي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبيرة من ياقوتة حراء وقال ابن جرير من زمردأمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بهما من الجنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكروا استمدت من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الألواح من زبرجد وقال وهب أمره الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينهاه فقطعها بيده ثم شقها بأصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الأقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذى الحجة وكان طول الألواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل إن موسى خترصعقا يوم عرفة فأعطاه الله تعالى التوراة يوم النحر وهذا أقرب إلى الصحيح واختلفوا في عدد الألواح فروى عن ابن عباس أنها كانت سبعة ألواح وروى عنه أنها ألواح واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب في إطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي وقرب سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها ولم يقرأها عن ظهر قلبه إلا هؤلاء الأربعة وقال الحسن هذه الآتية في التوراة بألف آية يعني قوله وكتبنا له في الألواح (من كل شيء) يعني يحتاج إليه من أمر ونهي (موعظة) يعني غيا عن الجهل وحقبة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته (وتفصيل لكل شيء) يعني وتبيننا لكل شيء من الأمور والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام مما يحتاج إليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك في شيء من أهل السماء ولا من أهل الأرض فان كل ذلك خلقي ولا تخلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا أركبه وروى والديك وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن كعب الأحبار أن موسى عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة فقال اني أجد دأمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الأعور الدجال رب جعلهم أمتي قال هي أمة محمد ياموسى فقال رب اني لأجد أمة هم الخادون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد في التوراة أمة يأكلون كفاياتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستحيون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا شرف أحدهم على شرف كبير الله واذهابط وادى اجد الله الصعيد لهم ظهور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يتظهرون من الجنابة ظهورهم بالصعيد كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غتر يحجبون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فثم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحد منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجد كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الجبر من وراء البحر فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله عز وجل محمد صلى الله عليه وسلم وأتمته قال يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامى الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا وقوله تعالى (فخذها بقوة) يعني وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له في الألواح من كل شيء خذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزية ونية صادقة لان من أخذ شيئا بضعف نية آذاه الى الفتور (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) قال ابن عباس يحلووا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة من قومه فأمر بما أمر به وقيل ظاهر قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها يدل على

(من كل شيء) في محل النصب على انه مفعول كتبنا (موعظة وتفصيل لكل شيء) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقربا لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (فخذها) فقلنا له خذها عطفاء على كتبنا والضمير للألواح أو لكل شيء لانه في معنى الأشياء (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أى فيها ما هو حسن وأحسن كلقاص والعفو والانتصار والصبر قهرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر الثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم

(سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل عاد وحمور والقرون المملكة كيف أقفرت منهم لتعتبروا فلا تنفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكاحهم أوجههم ١٣٠ (سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أبي الله أن يكرم قلوب الباطلين

بكنون حكمه القرآن) الذين يتكبرون) يتطاولون على الخلق ويأتفون عن قبول الحق وحقيقته التكف للكبريات التي اختصت بالباري عزت قدرته (في الأرض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون بغير تحقيق لأن التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشـد) طريق صلاح الأقرأ وطريق الهدى الرشـد حمزة وعلي وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل النجى) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحمل ذلك (الرفع أي ذلك الصرف بأنهم كذبوا بآياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا غافلين) غفلة عنادوا عراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) هو من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقاءهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خير والذين (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) وهو تكذيب الأحوال بتكذيب الأرسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعده هابه إلى الطور (من حايهم) وانما نسب إليهم مع أنها كانت عواري في أيديهم لان الإضافة تكون لادنى ملايسة وفيه دليل على أن من حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دار الاستعارة بحث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاستند الفعل إليهم والحق جمع حلي وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلي للاتباع

ان بين التكليفين فرق فإليكون في هذا النص فائدة وهي ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرض له ما رخص لغيره من قومه بل قال بظاهر قوله تعالى يأخذوا بأحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به أحدا فاعني قوله يأخذوا بأحسنها بوجوبه قلت بآ أن التكليف كله حسن وبعضه أحسن كالقصاص حسن ولكن العفو أحسن وكالاتصار حسن والصبر أحسن منه فامر وأن يأخذوا بالأسد على أنفسهم ليكون ذلك أعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل ان الحسن يدخل تحت الواجب والمندوب والمباح والاحسن الانخذ بالأسد والاشق على النفس وقيل معناه بأحسنها بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى (سأريكم دار الفاسقين) قال مجاهد يعني مصر كم في الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال السكاكي هي منازل عاد وحمور والقرون الذين هلكوا فكانوا يعترفون عليها اذا سافروا قوله عز وجل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادة ويحاربون أوليائى سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بى عوقبوا بحرمان الهداية اعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأصرفهم عن قبول القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكير في خلق السموات والأرض وما فيها من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد بالآيات التسع التي أعطاهها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والآية كثرة على ان الآية عامة وفي دليل لذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالتفكير في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يستل محاميل وهم يستلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون أنهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون إلا الله عز وجل لانه هو الذى له القدرة والفضل الذى ليس لأحد سواه فالتكبر في حق الله عز وجل صفة مذمومة وفي حق الخلق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لان التكبر أى يفتعلون التكبر ويرون أنهم أفضل من غيرهم فذلك قال يتكبرون في الأرض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشـد) يعني طريق الحق والهدى والسادد والصواب (لا يتخذوه سبيلا) يعنى لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية (وان يروا سبيل النجى) يعنى طريق الضلال (يتخذوه سبيلا) بذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) يعنى ذلك الذى اختاروه لانفسهم من ترك الرشـد واتباع النجى بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيدهم (وكانوا غافلين) يعنى عن التفكير فيها والاتعاظ بها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعنى ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت أعمالهم) يعنى بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بآيات الله من يعمل البر والاحسان والخير فدين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانما كسارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) يعنى هل يجزون في العقبى الاجزاء العمل الذى كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) يعنى من بعده انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه عز وجل (من حايهم) يعنى الى استعار وهامن قوم فرعون وذلك ان بنى اسرائيل كان لهم عبيد فاستعاروا من القبط الحلى ليمزقوا به في عيدهم فبقى عندهم الى ان أهلك الله فرعون وقومه فبقى الحلى لبنى اسرائيل ملكهم فلذلك قال الله تعالى من حايهم فلما أبطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلى وكان رجلا مطاعا بنى اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى المتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل

لانه

ملايسة وفيه دليل على أن من حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دار الاستعارة بحث على أنهم قد ملكوها بعد

المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاستند الفعل إليهم والحق جمع حلي وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلي للاتباع

(بجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أي بدنا لحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثاني محذوف أي إلهام بحجب من عقولهم السخية فقال (ألم يروا) حين اتخذوه إلهما (انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يتخاروه على من لو كان البحر مداد الحكاماته لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماته وهو الذي هدى الخلق ١٣١ السبيل الحق بما أركز في العقول من

الأدلة وبما أنزل في الكتب ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) إلهما فاقدموا على هذا الأمر المنكر (وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله أن من اشتد ندمه أن يعصيه غما فتصير يده مستقوفا فيها لأن فاه وقع فيه ما وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب السكابة وقال الزجاج معناه سقط

الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وأن استحال أن يكون في اليد تشبها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين (ورأوا أنهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعينهم (قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ويغفر لنا) لئن لم يرجعنا ربنا ونغفر لنا جزاءه وعلى واتصبا ربنا على النداء (لنكونن من الخاسرين) المعنويين في الدنيا والآخرة (ولما رجع موسى) من الطور (إلى قومه) بني إسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أفضأى خربنا (قال يسما خلقتموني) فتم مقامي وكنتم خائفائي (من بعدى) والخطاب لعبد العجل

لأنه كان برضاهم فكأنهم أجمعوا عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ لهم (بجلا جسدا) يعني من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة وألقى في ذلك العجل من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحول بجلا جسدا لخاود ما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجهور أهل التفسير وقيل كان جسد الأرواح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل أن ذلك الصوت كان خفيقا الريح وذلك أنه جعله مجوفا ووضع في جوفه أنابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الأنابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الأول أوضح لأنه كان يخور وقيل أنه خار مرة واحدة وقيل أنه كان يخور كثيرا وكما خار سجدوا له وأذا سكبت رفعا ورؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويعشى (ألم يروا) يعني الذين عبدوا العجل وقيل أن بني إسرائيل كلهم عبدوا العجل الأهلون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يقيد العموم وقيل أن بعضهم عبد العجل وهو الصحيح وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى أنه خرج على الأغلب وكذا قوله ألم يروا (أنه) يعني العجل الذي عبدوه (لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) يعني أن هذا العجل لا يمكن أن يتكلم بصواب ولا يهدي إلى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا أو حيويا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لأن يعبد (اتخذوه) وكانوا ظالمين يعني لأنفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم إلى رشد وصواب قوله عز وجل (ولما سقط في أيديهم) يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر سقط في يده وذلك لأن من شأن من اشتد ندمه على أمر أن يعصيه ثم يضرب على نغذه فتصير يده ساقطة لأن السقوط عبارة عن النزول من أعلى إلى أسفل (ورأوا أنهم قد ضلوا) يعني وتبينوا أنهم على الضلالة في عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ويغفر لنا) يعني يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم بوضعهم للعبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب إلى الله تعالى في إقالة عثرته واعترا فهم على أنفسهم بالخسران أن لم يغفر لهم ربهم ويرجعهم كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام إليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) يعني ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه إلى قومه بني إسرائيل رجع غضبان أسفا لأن الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الأسف الحزن والأسف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره من هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكره من هو فوقك خزنت فتسمى إحدى هاتين الحالتين خزنا والآخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل أسفا خزينا لأن الله تعالى فتنهم وأن الله تعالى كان قد أعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك (قال) يعني موسى عليه الصلاة والسلام لقومه (بئسما خلقتموني من بعدى) أي بئس الفعل فلعلم بعد فراقى أياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون لعبد العجل من السامري وأتباعه أو لهرورن والمؤمنين من بني إسرائيل فعلى الاحتمال الأول في أنه خطاب لعبد العجل بل يكون المعنى بئسما خلقتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني وهو أن يكون الخطاب لهرورن ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلقتموني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى وقد رأيت مني الأمر بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له ونفي الشركاء عنه وحمل بني إسرائيل على ذلك ومن حق الخلق أن

من السامري وأشباهه أو لهرورن ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله خلقتموني في قومي والمعنى بئسما خلقتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تمنعوا عن عبادة غير الله وفاعل بئس مضمرة يفهم ما خلقتموني والخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلقتموني من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلقتموني من بعد ما رأيت مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه أو من بعدما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد أو كفهم عن عبادة البقرة حين قالوا اجعل لنا إلهة كالهم ألهة ومن حق الخلق أن يسيروا بسيرة المستخلف

(أعجالتهم) أسبقتم بعبادة العجل (أمر ربكم) وهو اتيانكم بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل عجالتهم بمعنى تركتم (وألقى الألواح) ضجرا عند استماعه ١٣٢ حديث العجل غضب الله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هرون ابن منه جابلا ولذلك كان أحب

الى بنى اسرائيل من موسى فتكسرت فرغت ستة أسباعها وبقي سبع واحد وكان فيमारفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورجعة (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يختره اليه) عتابا عليه لاهوانابه وهو حال من موسى (قال ابن أم) بنى الابن مع الام على الفتح تكلمة عشر وبكسر الميم جزرة وعلى وشامى لان أصله أى خذف الياء اجتزأ عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى) أى انى لم آل جهدا في كنههم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهما بقتلى (فلا تشمت بي الاعداء) الذين عبدوا العجل أى لا تفعل بي ما هو أمنيته من الاستهانة بي والاساءة الى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى قرينا لهم بغضبك على فلما اتضح له عذرا أخيه (قال رب اغفرلى ولاخى) ليرضى أخاه وينفى الثمات عنه بأشراكه معه فى الدعاء والمعنى اغفرلى ما فرط منى فى حق أخى ولاخى ان كان فرط فى حسن الخلقة (وأدخلنا فى رحمتك) عصمتك فى الدنيا

يسروا بسيرة مستخلفهم وقوله (أعجالتهم أمر ربكم) معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء فى أول وقته واقتابل أن يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الآية أعجلمت معياد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلمت وعذر ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه ان لم يأت على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه أعجلمت بخطر ربكم بعبادة العجل وقال النكابي معناه أعجلمت بعبادة العجل قبل ان يأتىكم أمر ربكم * ولما ذكر الله تعالى ان موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى (وألقى الألواح) يعنى التى فيها التوراة وكان حاملها فاق لها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى ان الله تعالى أخبر موسى عليه الصلاة والسلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعابن ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة (وأخبر رأس أخيه يخرجه اليه) قيل انه أخذ بشعر رأسه ولحمته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام وجد قومه مقيمى على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فأقبل على أخيه هرون باومه ومثيده الى رأسه لشدته موجده عليه أذلم ليحرق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فأعلمه هرون عليه السلام انه انما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعنى هرون (ابن أم) انما قال هرون لموسى ابن أم وان كانا لآب وأم ليرققه ويستعطفه عليه (ان القوم) يعنى الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أى استذلوني وقهروني (وكادوا يقتلونى) أى وقاروا وأوهوا أن يقتلونى (فلا تشمت بي الاعداء) أصل الثماتة الفرح ببلية من تعاديه ويدعائك يقال شمت فلان بفلان اذا ستر بكرهه ونزله والمعنى لا تشتم الاعداء بما تنال منى من مكروه (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) يعنى الذين عبدوا العجل (قال رب اغفرلى) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما تبين له عذرا أخيه هرون قال رب اغفرلى ما صنعت الى أخى هرون بعدما أظهر من الموجدة عليه فى وقت الغضب (ولاخى) يعنى واغفر لاخى هرون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبادة العجل (وأدخلنا) يعنى جميعا (فى رحمتك) يعنى فى سعة رحمتك (وأنت أرحم الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو أرحم الراحمين ثمومل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته (ان الذين اتخذوا العجل) يعنى إلها عبسده من دون الله (سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا) يعنى سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك فى عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين فى هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا بعبادته وعلى هذا القول فى الآية سؤال وهو ان أولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما أمرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم فى الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعتراقتهم على أنفسهم بالضلال والخطا * فان قلت السين فى قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضى * قلت هذا الكلام انما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله فى ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذى أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جرير فى هذه الآية ان هذا الغضب والذلة مات منهم على عبادة العجل ولمن قر من القتل وهذا الذى قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثانى ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبي صلى الله

(وكذلك نجزي المفترين)

عليه وسلم وآباؤهم هم الذين عبدوا العجل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية
 العوفي سينال أولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب
 والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول في تقرير الآية وجهان الأول
 أن العرب تعبر الأبناء بقبائح أفعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فنقول للابناء فعلتم كذا أو فعلتم كذا وانما فعل
 ذلك من مضي من آباؤهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم
 اتخذوا العجل وإن كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في
 الآخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني أن تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى أن الذين اتخذوا
 العجل وبأنس وأعبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى (وكذلك
 نجزي المفترين) يعني وكما جزيناه هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلى هنا تجزي كل من افترى على الله كذباً أو عبداً غيره
 وقال أبو قلابة هي والله جزء كل مقتر إلى يوم القيامة أن يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع إلى
 يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من مبتدع إلا وهو يجذف فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع
 مفتر في دين الله (والذين عملوا السيئات) يعني عملوا الأعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى
 الكفر فآذونه (ثم تابوا من بعدهم) يعني ثم رجعوا إلى الله من بعد أعمالهم السيئة (وآمنوا) يعني وصدقوا بالله
 تعالى وأنه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب (إن ربك) يا محمد وأياهم الإنسان التائب (من بعدهم) يعني من
 بعد توبتهم (الغفور الرحيم) يعني أنه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على أن السيئات
 بأمرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وإن الله تعالى يغفرها جميعاً بقضائه ورحمته وتقدير الآية أن من
 أتى بجميع السيئات ثم تاب إلى الله وأخلص التوبة فإن الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من أعظم البشائر
 للمؤمنين التائبين قوله تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب) يعني سكن لأن السكون أصله الامساك عن
 الشيء ولما كان السكون بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لأن الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بغورته
 الداعية ما في نفس الغضب كان بمنزلة لناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكون عما كان متكلماً به
 وقيل معناه ولما سكنت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى
 أدخلت رأسي في القلنسوة والقول الأول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير (أخذ الألواح) يعني التي ألقاها
 قال الامام نضر الدين وظاهر هذا يدل على أن الألواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شيء (وفي نسختها) النسخ
 عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتاباً حرفاً بحرف فقد نقلت ما في الأصل إلى الفرع فعلى
 هذا قيل أراد بها الألواح لأنها نسخت من الألواح المحفوظ وقيل أراد بها النسخة المكتوبة من الألواح التي
 أخذها موسى بعدما تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما أتى موسى الألواح فتكسرت صام
 أربعين يوماً فرت عليه في لوحين وفيهما ما في الأولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال إن الألواح
 لم تتكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها (هدى ورحمة) قال ابن
 عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب (الذين هم لهم رهبون) يعني للثانفين من ربهم قوله
 عز وجل (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا) الاختيار أفتعال من لفظ الخيار يقال اختار الشيء إذا
 أخذ خبره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فخذق كلمة من وذلك سائغ في العربية قد لالة الكلام
 عليه قال أصحاب الأخبار إن موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين
 وسبعين فقال ليختلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قدم منكم مثل أجبر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب
 ابن يونا وقيل أنه لم يجد الاستين شيخاً فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا أشموخاً
 فأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويظهروا ثيابهم ثم ذهب بهم إلى ميقات ربه واختلف أهل التفسير في ذلك
 الميقات فقيل أنه الميقات الذي كله فيه ربه وسأل فيه الرؤية وذلك أنه لما خرج إلى طور سيناء أخذ معه هؤلاء
 السبعين فلما نادى موسى من الجبل وقع عليه عود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال
 للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا اسجدوا لله تعالى وهو يكلم موسى بأمره وينهاه

الكاذابين على الله ولا قرية
 أعظم من قول السامري
 هذا الحكم إلى موسى (والذين
 عملوا السيئات) من الكفر
 والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا
 إلى الله (من بعدها وآمنوا)
 وأخلصوا الأيمان (إن ربك
 من بعدها) أي السيئات أو
 التوبة (الغفور) استور عليهم
 محاسن ما كان منهم (رحيم)
 منعم عليهم بالجنة وإن مع
 أسما وخبرها خبر والذين
 وهذا حكم عام يدخل تحته
 متخذوا العجل وغيرهم عظم
 جنائهم أولاً ثم أردفها عظم
 رحمة ليعلن أن الذنوب وإن
 عظمت فعقوبه أعظم ولما
 كان الغضب لشدة كآته هو
 الآخر موسى بما فعل قيل
 (ولما سكنت عن موسى
 الغضب) وقال الزجاج معناه
 سكن وقرئ به (أخذ الألواح)
 التي ألقاها (وفي نسختها)
 وفيما نسخ منها أي كتب فعله
 يعني مفعول كالتخبط (هدى
 ورحمة للذين هم لهم ربهم
 رهبون) دخلت اللام لتقدم
 المفعول وضعف عمل الفعل
 فيه باعتباره (واختار موسى
 قومه) أي من قومه فخذق
 الجار وأوصل الفعل (سبعين
 رجلاً) قيل اختار من اثني
 عشر سبطاً من كل سبط ستة
 فبلغوا اثنين وسبعين رجلاً
 فقال ليختلف منكم رجلان
 فقعد كالب ويوشع (لميقاتنا)
 لا عذارهم عن عبادة العجل

افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السيد ان الله امر موسى
أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتدرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من
قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذر وافلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى
حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناهُ فأخذتهم الصاعقة فلما توافقهم موسى يبكي ويدعوا الله ويقول
رب ماذا أقول ابني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال
محمد بن ابي بصير اخبرنا عن موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا اخبروا النبي وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه
فما صنعت واسألو التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا واطهروا ثيابكم ثم خرج بهم الى
طور سيناء ليعقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا
ما أمرهم به وخرجوا مع موسى ليعقات ربه اطالب لئلا سمع كلام ربنا فقال افعل فلما ادنا موسى من الجبل
وقع عليه عمود الغمام حتى غشي الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه
ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا للقوم
حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجودا فسمعوا الله وهو يكلمهم موسى بأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ
من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم
الصاعقة وهي الرجفة فلما تجميعا فقام موسى يناشده ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم
من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا
فبرز بهم ليدعوا ربه فكان فيما ادعوا الله أن قالوا اللهم اعطنا ما لم نعطه أحد قبلنا ولا نعطه أحد بعدنا فذكره
الله ذلك من دعائهم فأخذتهم رجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقيل انما أخذتهم الرجفة من
أجل أنهم انزعوا على موسى انه قتل هرون قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام
هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أنت قتلت هرون فقلته حسدا تناعى خلقه ولينه وكان
هرون حسن الخلق محبوبا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما
انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلتني أحد ولكن الله توفاني فأخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع
يمينا ويسارا ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي الآية قال فأحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم
الرجفة لتركههم فراق عبدة العجل لئلا لهم كانوا من عبدة قال ابن جرير فلما خرجوا ودعوا الله أماتهم ثم أحياهم
وقال مجاهد واختر موسى قومه سبعين رجلا ليعقبا الميعات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج
موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد
أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوهم عن
المنكر ولم يأمرهم بالمعروف فأخذتهم الرجعة فلما توفاهم الله وقوله تعالى (فلما أخذتهم الرجعة)
أصل الرجعة الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجعة التي
حصلت لهؤلاء هل كان معهم موت أم لا فعظم الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجعة وقال
وهب بن منبه لم تكن تلك الرجعة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورحقوا حتى
كادت أن تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رجهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقد هم وكانوا له وزرا
على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فيكشف الله عنهم تلك الرجعة فاطمأنوا
وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما أخذتهم الرجعة (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (لو شئت أهلكتهم
من قبل) يعني من قبل عبادتهم العجل (واياي) وذلك أنه خاف أن يتيهم به بنو اسرائيل على السبعين اذ رجع
اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بأنهم ما توافقوا رب لو شئت أهلكتهم من قبل يعني قبل خروجهم الى الميعات
واياي معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتيهموه (أنهم) كما فعل السفهاء (منا) قال الانرطاني

(فلما أخذتهم الرجعة)
الزلزلة الشديدة (قال رب لو
شئت أهلكتهم من قبل) بما
كان منهم من عبادة العجل
(واياي) لقتلي القبطي
(أنهم) كما فعل السفهاء
(منا) أنهم كما عقوبتهم بما فعل
الجهال منا وهم أصحاب العجل

(ان هي الا فتنتك) ابتلاؤك
وهو راجع الى قوله انا قد فتنا
قومك من بعدك فقال موسى
هي تلك الفتنة التي اخبرتني
بها وهي ابتلاء الله تعالى
عباده بما شاء ونبأهم بالشر
والخير فتنة (تضل بها) بالفتنة
(من تشاء) من علمت منهم
اختيار الضلالة (وتهدي) بها
(من تشاء) من علمت منهم
اختيار الهدى (أنت ولينا)
مولانا القائم بأمرنا (فاغفر
لنا وارحمنا وأنت خير
الغافرين واكتب لنا) وائت
لنا اقسام (في هذه الدنيا
حسنة) عافية وحياة طيبة
أو توفيقا في الطاعة (وفي
الآخرة) الجنة (انا هذنا
اليك) تبنا اليك وهاد اليه
يهودا وارجع وتاب واليهود
جمع هائد وهو التائب
(قال عذابي) من صفته اني
(أصيب به من أشاء) أي
لا أعفوه عنه (ورحمتي وسعت
كل شيء) أي من صفته رحمتي
انها واسعة تبلغ كل شيء ما من
مسلم ولا كافر الا وعليه أثر
رحمتي في الدنيا (فسأ كتبها)
أي هذه الرحمة (للذين
يتقون) الشرك من أمة
تحمده صلى الله عليه وسلم
(ويؤتون الزكاة) المفروضة
(والذين هم بآياتنا) بجميع
كتبنا (يؤمنون) لا يكفرون
بشيء منها

موسى انهم اهل كوا ابتخاذا أصحاب العجل العجل فقال أتم الكتاب فعمل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما
أهل كوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهي قولهم أرنا الله جهرته وهذا قول الكلابي وجماعة وقال جماعة من أهل
العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولا يكن قوله أتم الكتاب فعمل السفهاء منا
استفهاما معنى اتخذ أي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الأنباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أي
لا تهلكنا (ان هي الا فتنتك) قال الواحدي السكاكية هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان
تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك أي اختبارا وابتلاؤك وهذا كما قيل في قوله أتم الكتاب
فعمل السفهاء منا لان معناه لانهم اهل كوا فعملهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاءا أضلت بها قوما
فاقتنوا وهديت قوما فاعلمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء)
قال الواحدي وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرة التي لا يبقى لهم معها عذر (أنت ولينا) يعني أنت
ياربنا ناصرنا وحافظنا وهذا في معنى الحصر أي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت (فاغفر لنا) سأل موسى
عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه الغفران اما لنفسه فاقوله ان هي الا فتنتك وهذا في اقسام على الحضرة
المقدسة واما لقومه فلقولهم أرنا الله جهرته وفي هذا اقسام على الحضرة المقدسة فهذا السبب سأل موسى
عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه (وارحمنا) أي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء (وأنت خير
الغافرين) يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنوب طلبا للثناء الجميل أو لدفع ضرر وأما أنت يارب فتغفر ذنوب
عبادك لا لطلب عوض ولا لغرض بل لمحض الفضل والكرم فأنت خير الغافرين (وقوله تعالى) واكتب لنا في
هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي واجعلنا ممن
كتب له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الآخرة أي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا (انا هذنا
اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل اليهود الرجوع برفق قال بعضهم
وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لا زلم لهم (قال)
يعني قال الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام (عذابي أصيب به من أشاء) يعني من خلقي وليس لاحد
علي اعتراض لان الكل ما سكي وعبيدي ومن تصرف في خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتي
وسعت كل شيء) يعني ان رحمة سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحة
الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل هي للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة
ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه بركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة
قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشيء فترعها الله
تعالى من ابليس فقال تعالى (فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فأيس
ابليس منها وقالت اليهود نحن نتق ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فترعها الله من اليهود وأبنتها هذه الأمة
فقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف الكلابي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا
قال الله تعالى لموسى أجعل لك الارض مسجدا ويطهروا تصلون حيث أدرتكم الصلاة الا عند من حاض أو
حمام أو قبر وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر
والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلى الا في الكنائس ولا نستهطع حمل
السكينة في قلوبنا ولا نستهطع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد أن نقرأها الا نظرا قال الله تعالى
فسأ كتبها للذين يتقون الى قوله المغفلون فجعلها الله تعالى لهذه الأمة فقال موسى رب اجعلني بينهم قال بينهم
منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدريهم قال موسى يارب أنت تعلم فودعني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا
فأنزل الله تعالى ومن قوم موسى أمة يمدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى أما التفسير فقوله الذين يتقون
يعني الشرك وسائر ما هو اعنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشياء التي
يجب على الانسان تركها والاحترار عنها ولا يقرها والى الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثاني الافعال
المأمور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان

كانت في حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القامية كالايان والمعرفة والها الاشارة بقوله تعالى
والذين هم باياتنا يؤمنون قوله عز وجل (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجذونه مكتوباً عندهم في
التوراة والانجيل) ذكر الامام نضر الدين الرازي في معنى هذه التسمية وجهين أحدهما ان المراد بذلك ان
يتبعوه باعقاد نبوته من حيث وجدوا صفة في التوراة اذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يبعث الى
الخلق وفي قوله والانجيل ان المراد وسجدونه مكتوباً في الانجيل لان من المحال ان يجذوه فيه قبل ما أنزل الله
الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان
هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول أقرب لان اتباعه قبل أن يبعث
لا يمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بايات الله
في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفة في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع
ذلك متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول
من بني اسرائيل خاصة وجهو المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع أمته الذين آمنوا به
واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم
وصفه بكونه رسولاً لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه
بكونه نبياً وهذا أيضاً من أعلى المراتب وأشرفها وذلك يدل على انه رفيع الدرجات عند الله المنجبر عنه ثم وصفه
بالامي قال ابن عباس هونيككم صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى
الامي هو الذي على صفة أمة العرب لان العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم
كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه أمياً وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة أمية
لا نكتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أمياً من أكبر معجزاته وأعظمها واثباته
انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذي أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرأ عليهم
بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا
تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه أتى بهذا القرآن العظيم لكان منتهى ما فيه لا حتمال انه كتبته ونقله
عن غيره فلما كان أمياً وأتى بهذا القرآن العظيم الذي فيه علم الاولين والآخرين والمعجزات دل ذلك على كونه
معجزته صلى الله عليه وسلم وأيضاً فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أتى بهذه
الشرعية الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على
أحد فدل ذلك على كونه معجزته صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب الى أمه كانه لم
يخرج بعد عمالده عليه وقيل سمي أمياً لانه منسوب الى أم القرى وهي مكة وقوله تعالى الذي يجذونه
مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يعني يجذون صفة ونعمته ونبوته مكتوباً عندهم يعرفها علماءهم
وأخبارهم ولكنهم كفوا ذلك وبدلوه وغيروه حسداً منهم له وخوفاً على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا
يخافونه فقد زال رياستهم وقعو في الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن
العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال أجل انه لم يوصف في التوراة
ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحزناً للائمة أنت عبدى ورسولى
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا مخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غافلاً
(شرح غريب ألفاظ الحديث) الفظ السيء الخلق والغليظ الخافى القامى وقوله مخاب بالسين والصاد
وهو كثير الصياح في الاسواق والأعو جاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذي
لا يصل اليه شيء ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروى المغيرة بسنده عن كعب الاخبار قال اني أجد في
التوراة مكتوباً بمحمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا مخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
أتمه الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجدياً تزدرون على انصافهم ويعضون أطرافهم

(الذين يتبعون الرسول)
الذي نوحى اليه كتاباً مختصاً
به وهو القرآن (النبي)
صاحب المعجزات (الامي)
الذي يجذونه أى يجذونه
أولئك الذين يتبعونه من
بني اسرائيل (مكتوباً عندهم)
في التوراة والانجيل

بأمرهم بالمعروف) بخلع الانداد وانصاف العباد (وبنهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعة الارحام (ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها وما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح ١٣٧ وما خلا كسبه من المحت (ويحرم عليهم

الخبائث) ما يستحب كالدّم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربو والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم) هو الثقل الذي ياصر صاحبه أي يحبس به عن الحركة لثقله والمراد التكليف الصعبة كقتل النفس في قوتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شامى على الجمع (والاغلال التي كانت عليهم) هي الاحكام المشقة تخوبت القضاء بالقصاص غمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع التجاسة من الجلود والثوب واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منعه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العز المنع ومنه التعزيز لانه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع (ونصروه) واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن ومع متعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) بعث كل رسول

صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء ضادهم ينادى في جوف السماء لهم في جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بكة ومهاجره بطيبة وملا بكة بالشام وقوله تعالى (يا أمرهم بالمعروف) يعني بالايان وتوحيد الله (وبنهاهم عن المنكر) يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطاء بأمرهم بالمعروف بخلع الانداد وبكلام الاخلاق وصلة الارحام وبنهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعني بذلك ما كان محترما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم في الجاهلية من الخبائر والسواائب والوصائل والحوامى وقيل هي المستلذات التي تستطيها الانفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخذه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار الحرمية الامالة دليل متصل بالحلل (ويضع عنهم اصرهم) يعني ثقلهم وأصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه أي يحبس به عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي أخذ على بني اسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التي كانت عليهم) يعني ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض التجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتتبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شديدا بالاغلال محاز لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شديدا بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفة السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقروه وعظموه وأصل التعزيز المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على أعدائه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستمير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية قول الله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قري محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل بأن يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه معروفا الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمس لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أمة أسودا وأحمر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة وطيهورا ومسجدا فأعازرني أذكر كنه الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خمس لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطيهورا فأعازرني أذكر كنه الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أمة أسودا وقيل أراد بالاجر المحم وبالا اسود العرب وقيل أراد بالاجر الانس وبالا اسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة أعطيت جوامع الحكم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطيهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختمت النبيون وقوله تعالى (الذي له ملك السموات والأرض) أي الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول

الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن (جميعا) حال من اليكم (الذي له ملك السموات والأرض) في محل النصب باضممار أعني وهو نصيب على المدح

(لا إله الا هو) بدل من
الصلة وهي له ملك السموات
والارض وكذلك (يحيى
وعيسى) وفي لا إله الا هو بيان
للعلة قبلها لان من ملك
العالم كان هو الاله على
الحقيقة وفي يحيى وعيسى
بيان لاختصاصه بالالهية
اذ لا يقدر على الاحياء
والامانة غيره (فآمنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته) أي
الكتب المنزلة (واتبعوه لعلكم
تهتدون) ولم يقل فآمنوا بالله
وي بعد قوله اني رسول الله
اليكم لتجري عليه الصفات التي
أجريت عليه ولما في الالتفات
من مزية البلاغة وليعلم ان
الذي وجب الايمان به هو هذا
الشخص الموصوف بأنه النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
كائنات من كان أنا وغيري
اظهار للنصفة وتفايا من
العصبية لنفسه (ومن قوم
موسى أمة يهدون بالحق)
أي يهدون الناس محقين
أو بسبب الحق الذي هم عليه
(وبه يهدلون) وبالحق
يهدلون بينهم في الحكم
لا يجوزون فيل هم قوم
وراء الصدين آمنوا بمحمد
عليه الصلاة والسلام ليلة
المعراج أو هم عبد الله بن
سلام وأضرابه (وقطعناهم)
وصيرناهم قطعا أي فرقا
وميزنا بعضهم من بعض

بأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا أردفهم بإيدل على صحة دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض
وهو مدبرها ومالك أمرها هو الذي أرسلني اليكم وأمرني بأن أقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا (لا إله الا هو
يحيى وعيسى) وصف الله نفسه بالالهية وأنه لا شريك له فيها وأنه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان
كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) أي آمنوا بالله ورسوله (فآمنوا بالله ورسوله) أي آمنوا بالله ورسوله
بأن يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا أمر الله جميع خلقه بالايمان به ورسوله وذلك لان الايمان بالله هو
الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلماذا بدأ بالايمان بالله ثم ثني بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم
وصفه فقال تعالى (النبي الامي) تقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعني آياته وهو القرآن وقال
مجاهد والسدي أراد بكلماته عيسى ابن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن
بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعني واقتدوا به أي الناس فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وقيل المتابعة على
قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال أما المتابعة في الاقوال فبأن يعتدل التابع جميع ما أمره
المتبوع على طريق الامر والنهي والترغيب والترهيب وأما المتابعة في الافعال فبأن يقتدى به في جميع
أفعاله وآدابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه
وقوله تعالى (لعلكم تهتدون) يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم آياه قوله عز
وجل (ومن قوم موسى) يعني من بني اسرائيل (أمة) أي جماعة (يه يهدون بالحق) يعني يهدون بالحق
ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه (وبه يهدلون) يعني وبالحق يحكمون وبالهدل يخذلون
ويعطون ويتصفون واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن
سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم
كانوا قليلين ولغظ الأمة يقتضي الكثرة وأجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الأمة
عليهم كافي قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة
والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جرير وجماعة من المفسرين ان بني
اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألو الله أن
يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فصاروا فيه حتى خرجوا من وراء الصدين فهم
هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفارواه الطبري
وحكى البغوي عن الكاكي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصدين بأقصى الشرق على نهر يسمى نهر
الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يطررون بالليل ويحكون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم أحد
مناوهم على الحق وذكرنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به فكاهم فقال لهم
جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى
أوصانا ان من أدرك منكم أحد فليقرأ مني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى
وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا كنههم وكانوا
يسلمون فأمرهم أن يجتمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان أحدنا
لا يصل اليهم واذا كان كذلك فن ذا الذي أوصل خبرهم اليها الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت الى قول
الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد
صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة
أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بما قبل فرضها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه
الرواية فالتحتمار في تفسير هذه الآية انها ما أن تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل
والتغيير ثم ما تواوهم على ذلك وأما أن تكون قد نزلت فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم بمراده قوله تعالى (وقطعناهم) يعني وفرقنا بني اسرائيل

(اثنى عشرة اسباطا) كقولك اثنى عشرة قبيلة والاسباط اولاد الودج سبط وكانوا اثني عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام نعم غنيم ما عدد العشرة مفرد وكان ينبغي ان يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباطا لا سبط فوضع اسباط موضع قبيلة (أما) بدل من اثنتي عشرة أي وقطعناهم أعمارا لان كل اسباط كانت ١٣٩ أمة عظيمة وكل واحدة كانت ثوم

خلاف ما ثومها الاخرى

(وأوحينا الى موسى اذ

استسقاء قومه أن يضرب

بعضك الحجر) فضرب

(فانجست) فافجرت (منه

اثنتا عشرة عينا قد علم كل

أناس مشربهم) هو اسم جمع

غير تكسير (وظلنا عليهم

الغمم) وجعلناهم ظليلا عليهم

في التيه (وأزلنا عليهم المن

والسلاوي) وقلنا لهم (كلوا من

طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا)

أي وما رجع اليها من ظلمهم

يكفرانهم النعم (ولكن كانوا

أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا

يضربون أنفسهم ويرجع

وبال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم)

واذ كراذيل لهم (اسكنوا

هذه القرية) بيت المقدس

(وكلوا منها حيث شئتم وقولوا

حطوا وادخلوا الباب سجدا

نغفر لكم خطاياكم) نغفر لكم

مدني وشامي خطيئتيكم مدني

خطاياكم أبو عمر وخطيئتيكم

شامي (ستزيد المحسنين فبذل

الذين ظلموا منهم قولاً غير

الذي قيل لهم فإرسلنا عليهم

رجزا من السماء بما كانوا

يظلمون) ولا تنقض بين

قوله اسكنوا هذه القرية

وكلوا منها في هذه السورة

وبين قوله في سورة البقرة

ادخلوا هذه القرية فكلوا

(اثنى عشرة اسباطا) يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أما) يعني جماعات وقبائل (وأوحينا الى موسى اذ استسقاء قومه) يعني في التيه (أن اضرب بعضك الحجر فانجست) يعني فافجرت وقيل عرفت وهو لا نجاس (منه) أي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) يعني لكل سبط عين (قد علم كل أناس مشربهم) يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظلنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقبهم حر الشمس (وأزلنا عليهم المن) هو الترنجيبين (والسلاوي) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي وقلنا كلوا (وما ظلمونا ولا كرا) كانوا أنفسهم يظلمون في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجوا ذلك وسموه وقالوا ان نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكاف اذا مر بشئ فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما أدخلوا علينا في ما كنا ولسنا نناقصهم اسئلتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بخالفهم ما مروا به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى (واذ قيل لهم) يعني واذا كرا يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكلوا منها حيث شئتم) يعني وكلوا من غمار القرية وزرعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم وأن شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهنابالوا والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للدخول فكلوا فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاءوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنالان الا كل عقب الدخول الاول اكل فأما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هنالك بخلافهنا (وقولوا حطوا) أي حطوا عنادونا (وادخلوا الباب سجدا) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم أمر الله واطهار الخشوع والخشوع له فله تفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (نغفر لكم خطيئتيكم) يعني نغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئتيكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة اذ اقول بالدعاء والتضرع (ستزيد المحسنين) وقال في سورة البقرة وس- تزيد بالواو ومعناه أنه قد وعد المسبيين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فبذل له ستزيد المحسنين (فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم) يعني فغير الذين ظلموا أنفسهم بخالفه أمرنا من بني اسرائيل فقالوا قولا غير الذي قيل لهم وأمرنا به وذلك أنهم أمرنا أن يقولوا حطوا فحطوا خطيئتهم فكان ذلك تبديلا عنهم وتغييرهم (فإرسلنا عليهم رجزا من السماء) يعني بعثنا عليهم عذابا من السماء أهلكتهم ولا منافاة بين قوله تعالى هنالان أرسلنا في سورة البقرة أنزلنا لانهم لا يكونان الا من أعلى الى أسفل وقيل بينهما فرق وهوان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسل يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بآزال العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا (بما كانوا يظلمون) يعني ان ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهم لما ظلموا أنفسهم وغيره وابدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضا في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل (ولأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي سأل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفتاء لانه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال أهل هذه

لوجود الدخول والسكنى وسواء تقدموا الحطة على دخول الباب أو أخرها فهم جامعون بينهما ما وترك ذكر الرغدا ليناقض انبائه وقوله نغفر لكم خطاياكم ستزيد المحسنين موعداً يستثنى من القائل وماذا بعد الغفران فبذل له ستزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا أنزلنا ويطلمون ويفسقون من واحد (وأسألهم) وأسأل اليهود (عن القرية) أي له أو مدني وهذا السؤال للتقريع بتقديم كفرهم (التي كانت حاضرة البحر) قريبة منه

(اذيعدون في السبت) اذيجاوزون ١٤٠ حدث الله فيه وهو اصابيا ادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه اذيعدون في محل الجز بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال (اذ تأتيتهم) منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل (حيثانهم) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتهم ترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذيعدون في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه (ويوم لا يستبثون لا تأتيتهم) (ويوم ظرف لا تأتيتهم) كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبأهم بفسقهم (واذ قالت) معطوف على اذيعدون وحكمه حكمه في الاعراب (أمة منهم) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول في مو عظمتهم الآخرين لا يقلعون عن وعظهم) لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أي مو عظمتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فوعظتنا هو لا عذر لنا عند الله (ولعلمهم يتقون) أي وجائزنا من ان ننتفعوا بالموعة فيمقتوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نعت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتم اقبل أن ينزل بك عذاب شديد ان لم تنتهوا عما أنتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلككم أو منزل بنا عذابه

حفص على انه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة (ولعلمهم يتقون) ولطمعنا ان يتقوا (قوله هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب) في نسخة هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري الخ اه

والقول

(فلما نسوا) أي أهل القرية لما تركوا (ما ذكرناه) ما ذكره به الصالحون ترك الثاني لما ينساه ١٤١ (أنجيئنا الذين ينجون عن سوء)

والقول الأول أصح لأنهم لو كانوا فرقين لكان قولهم معذرة إلى ربكم خطابا بمن الناهية للمعذبة وقوله تعالى (فلما نسوا ما ذكرناه) أي فلما تركوا ما وعظوا به (أنجيئنا الذين ينجون عن سوء) وهم الفرقة الناهية (وأخذنا الذين ظلموا) يعني الفرقة المعتدية العاصية (بعذاب بثيس) أي شديد وجميع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعني أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول أنجيئنا الذين ينجون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بثيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكنة وجعل يبيحى قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وأن لم يبق الله أنجيئهم لم يقل أهلكتهم قال فاجعبه قولي ورضي به وأمرني بريدن فكساها ثوبا وقال نجت الساكنة وقال عاصم بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا أقول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن عباس أبو أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عما نهوا عنه يعني عن ترك ما نهوا عنه وتمترؤا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكله فلما هم كوفوا قرعة خاسمة يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيرهم قردة تتعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم أن شبان القوم صاروا قردة وأن المشيخة صاروا خنازير قيل أنهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس إليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى (واذ تأذن ربك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن أذن والأذان الإعلام بمعنى أعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل آلى ربك بمعنى أقسم ربك (ليبعثن عليهم) اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لأن قوله (واذ تأذن ربك) جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم إلى من يرجع فقيل يقتضي أن يكون راجعا إلى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه فلما هم كوفوا قرعة خاسمة مثل لكن قد علم أن الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فألحق الذل بهم وقيل بأن المراد سائر اليهود من بعدهم لأن الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود هو يهوذا بن حنانيا وسخاريا ومالوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود إلى يوم القيامة وأورد على هذا أن في آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لأن اليهود أتباعه وأشباعه وأجيب عنه بأن ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لأنهم يدعون إلى الجحيم الدجال فيزدادون كفرًا على كفرهم فإذا هلك الدجال أهلك الله المسلمين وقتلواهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار إليه بقوله تعالى ليبعثن عليهم (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص في أن العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم إلى يوم القيامة ولهذا فسره هذا العذاب بالاهانة والذلة وأخذ الجزية منهم فإذا أفضوا إلى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى (إن ربك لاسريع العقاب) يعني لمن أقام على الكفر فقيه دليل على أنه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وإنه لغفور رحيم) يعني لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الإسلام قوله تعالى (وقطعناهم في الأرض أجمعاً) يعني وفرقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا إلا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني إسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري ولم يذكر غيرهم وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بالصالحين الذين أدركوا النبي

الأرض) وفرقناهم فيها فلا تخل بلدة عن فرقة (أما منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منخطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو وصفه لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منخطون عن الصلاح

من بعد المذكورين (خاف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها (ياخذون عرض هذا الادنى) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أى حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يقع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تعريف الحكم وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير (ويقولون سيعفوننا) لا يؤخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند الى الاخذ أو الى الجار والمجرور أى لنا (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أى يرجعون المغفرة وهم مصرّون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى الميثاق المذكور في الكتاب (أن لا يقولوا على الله الا الحق) أى أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرؤا ما في الكتاب وهو عطف على لم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (الذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا

صلى الله عليه وسلم من اليهود آمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد خلاف من بعدهم خلاف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بنى اسرائيل وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعنى الذين كفروا من بنى اسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلوناهم) يعنى جميعا الصالح وغيره وهى بلوى اختبار وامتحان (الحسنات) يعنى الخصب والعافية (والسيئات) يعنى الجذب والشدة (لعلهم يرجعون) يعنى لئلا يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال أهل المعاني كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسرت بالنعم والشدة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكر اذ يغرب في الطاعة وأما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيهرب منها قوله تعالى (خلف من بعدهم) يعنى من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعنى خلف سوء يعنى حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء يسكونها فأكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم يسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لا تؤلفنا طاعة الله تابع فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال البيهقي في الذم

ذهب الذين يعاش في أكذافهم * وبقيت في خلف بجلد الا حرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف الدين اذا فسده وتغير في السقاء ويقال المردى من القول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلاف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذى يجي بعده قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعنى انقل اليهم الكتاب عن آبائهم والمراد بالكتاب التوراة (ياخذون عرض هذا الادنى) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما قال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض يسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى أنهم كانوا يأخذون الرشا في الاحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذى يأخذونه من حطام الدنيا هو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها قال اليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا في الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم أنهم مع أقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه (ويقولون سيعفوننا) يعنى ذنوبنا فيتمنون على الله الامانى الباطلة الكاذبة عن شدة ابن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وقتى على الله الامانى أخرجه الترمذى وقال في قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعنى حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وقتى على الله الامانى لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيعفوننا وهذا هو التمنى بعينه وقوله تعالى (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم اذا أتاهم شئ من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما فيتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقصون قاضي الارثى في الحكم فيقال له ما بالك ترتشى فيقول سيعفوننى فيقطع عليه الآخرون فاذا مات أوزع من الحكم وجعل مكانه آخر فن كان يقطع عليه ارتشى أيضا يقول الله عز وجل وان يأت الآخرون عرض الدنيا يأخذوه (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعنى لم يؤخذ على هؤلاء المرتضىين في أحكامهم اليهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة (أن لا يقولوا على الله الا الحق) يعنى ان أخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل وخافوا أمر الله وهو قوهم سيعفوننا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع اليهودى ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعنى ما في الكتاب والمعنى أنهم ذكروا لما أخذ عليهم من اليهود والمواثيق في الكتاب لانهم درسوا لم يتركوه ولا كن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعنى وما في الدار الآخرة مما أعد الله لوليائه وأهل طاعته الاماميين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام (خيل للذين يتقون) يعنى يتقون الله ويخافون عقابه (أفلا

يعقلون

وهو عطف على لم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (الذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا

يعلمون) انه كذلك وبالثناء مدني وحفص (والذين عسكون بالكتاب) عسكون أبو بكر والامساك ١٤٣ والتسليك والتسك الاعتصام

والتعلق بشئ (وأقاموا الصلاة) خص الصلاة مع ان التسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عبادات من الذين مبتدأوا الخبر (انا لانضيع أجر المصلحين) أي انا لانضيع أجرهم وجاران يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لانضيع اعتراض (واذنتقنا الجبل فوقهم) واذكر اذقلعناه ورفعناه كقوله ورفعناه فوقكم الطور (كانه ظلة) هي كل ما أظلك من سقفة أو سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبو أن يقولوا أحكام التوراة لغلطها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظر والى الجبل خزل رجل منهم ساجدا على حاجبه اليسر وهو ينظر بعينه الى الجبل فرقامن سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه اليسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) وعز على احتمال مشاقه وتكليفه (واذكروا ما فيه) من الاوامر والنواهي ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما أنتم عليه (واذا خذركم من بني آدم)

يعلمون) يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن مافي الآخرة خير وأبقى لانها دار المتقين (والذين عسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشيء عسكت به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتسك بالكتاب العمل بحججه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتسك باحكامه نزات هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لانهم عسكوا بالكتاب الاول ولم يحترقوه ولم يغيروه فأذاهم ذلك التسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن (وأقاموا الصلاة) يعني ودأبوا على اقامتها في مواقيتها وانما أفردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلية في التسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانما أعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله (انا لانضيع أجر المصلحين) قوله عز وجل (واذنتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) يعني واذكر يا محمد اذقلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كأنه ظلة يعني جعلناه فوقهم كأنه ظلة والظلة كل ما علا الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أي وعلموا أو يفتنوا (انه واقع بهم) يعني الجبل (خذوا) يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب (ما آتيناكم) يعني التوراة (بقوة) يعني بجدة واجتهاد (واذكروا ما فيه) يعني واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما أبوا أن يقولوا أحكام التوراة لما فيها من التكليف الشاق أمر الله عز وجل جبريل برفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كأنه ظلة فلما نظر والى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فمسح كل واحد منهم على خده وحاجبه اليسر وجعل ينظر بعينه الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسر قوله تعالى (واذا خذركم من بني آدم من ظهورهم ذريهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريهم الآية قال سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء النار وبعمل أهل النار يعملون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذ خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذ خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار أخرجه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان ويصان نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فإبى به ويص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زد من عمرى أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الاربعين جاءه ملك الموت فقل آدم أولم يدق من عمرى أربعين سنة قال أولم تعطها ابنك داود فجعد آدم فجعد ذريته ونسي آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطى نخطت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك يعني واذ كر يا محمد اذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم يعني من ظهور بني آدم وانما لم يذكر ظهور آدم وان كان الله سبحانه وتعالى اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الانباء من الآباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بني آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهور آدم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهور آدم استثناء ثم للعلماء في تفسير هذه الآية مذهبان أحدهما هو مذهب أهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيمار وي عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه

أي واذكر اذ أخذ (من ظهورهم) يدل من بني آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بني آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذريتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)

الطبري بأسانيد فمنهم من سعيدين جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر
 آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراً هافنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قديلاً وقال ألسنت بر بكم
 قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه الآية قال مسح ربك
 ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ من ميثاقهم ألسنت
 بر بكم قالوا بلى شهدنا عن ابن عباس أيضاً قال إن أول ما أهبط الله آدم إلى الأرض أهبطه بهدناً أرض الهند
 فمسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى يوم القيامة ثم أخذ من ميثاقهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم
 ألسنت بر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية عنه خفف القلم بما هو
 كائن إلى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ من ميثاقه أنه به وكتب رزقه وأجله ومصابيه
 واستخرج ذرئته كالذر وكتب أرزاقهم وآجالهم ومصائبهم وفي رواية عنه قال إن الله عز وجل مسح صلب
 آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم
 بالآرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من أعطى الميثاق يومئذ فن أدرك منهم الميثاق
 إلا تخرف في به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق إلا تخرف لم يف به لم ينفعه الأول ومن مات صغيراً ولم يدرك
 الميثاق إلا تخرف مات على الميثاق الأول على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى قالت الملائكة
 شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس أخرجه ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله
 وأنطقهم فقال ألسنت بر بكم قالوا بلى ثم أعادهم في صلبه فليس أحد من الخلق إلا وقته فكلمهم فقال ربنا الله وإن
 القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه وقال السدي أخرجه الله آدم من الجنة ولم يهبطه
 من السماء ثم أنه مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه كهية الذر بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح
 صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهية الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب
 اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألسنت بر بكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين
 على وجه التبعية زاد في رواية وذلك حيث يقول وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وقال محمد بن
 كعب القرظي أقرله بالآيمان والمعرفة الأرواح قبل خلق أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم
 اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهية الذر يتختركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء
 كهية الذر يتختركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى فقال البيضا هؤلاء في الجنة
 برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسوداء هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعاً على صلب
 آدم فاهل القبور محموسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعاً وروى أن الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعاً اعلما
 أنه لا إله إلا أنا ربكم لا رب لكم غيري وأنار بكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فاني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي وإني
 مرسل اليكم رسلا يدركونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتاباً فتكلموا جميعاً وقالوا شهدنا أنك ربنا لا رب لنا
 غيرك فأخذ بذلك موثيقهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم عليه السلام فرأى منهم
 الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلاست ببيت بينهم فقال إني أحب أن أشكر فلما قرروهم
 بتوحيده وأشهدهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق
 وقال الزجاج وجاز أن يكون الله سبحانه وتعالى جعل لأمثال الذر عقلاً وفهماً تعقل به كما قال تبارك وتعالى في
 النمل قالت غلام يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير تسبح
 الأنباري مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله تعالى أخرجه ذرية آدم من صلبه
 وأصـلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعه فاعتزوا بذلك وقبـلوه
 وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولاً حتى خوطبوا بقوله يا جبال
 أو بى معه وكما جعل للبعير عقلاً حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حتى سمعت لأمره وانقادت
 ومعنى قوله ألسنت بر بكم على هذا التفسير قال الله سبحانه وتعالى للذرية ألسنت بر بكم فهو إيجاب للربوبية
 عليهم

عليهم قالوا بلى يعني قامت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب منسمله واقرار منسمله بالربوبية واعتراف على
 أنفسهم بالعبودية (شهدنا) نية قولان أحدهما أنهم لما أقرروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا
 قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع
 وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على
 أنفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله سبحانه وتعالى (أن يقولوا) وقرئ
 بالياء على خطاب الذرية ومعناه لما لا تقولوا أي الذرية (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) يعني الميثاق (غافلين)
 وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لما لا تقولوا أي الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في
 معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد أن كانوا
 نطفات في أصلاب الآباء وهم أولاد بني آدم فأخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود وأشهدهم على
 أنفسهم بمراتب فهم من العقول وأراهم عجائب خلقه وغرائب صنعته ودلائل وحدانيته فهذا الاشهاد
 صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنفسهم أنهم أنهر بهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التي
 تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم ورازقهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق
 بوحديته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على أنفسنا أنك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى
 شهدنا على أنفسنا على المحال على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل
 من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف
 فيكون معنى الآية وماذا يأخذ ربك من بني آدم ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به
 الذم والتكليف الذي به يرتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة **فان قلت** في هذا المختار من هذين
 المذهبين في تفسير هذه الآية **قلت** المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف
 وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **فان قلت** اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب
 السلف في ذلك وأن الله تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أضاف كيف
 يحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول **قلت** قد صرح الحديث بأن الله مسح ظهر آدم فأخرج ذريته
 وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم
 من ظهره على سبيل التولد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم أجبعهم من من ظهر آدم الذي هو أصلهم
 فهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث اذ ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه
 وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمع بين الآية والحديث وحكي
 الواحدى عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه
 ذريته وبين الآية اخذ لاف بحمد الله لانه تعالى اذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته
 لان ذرية آدم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وتحصل الفائدة بهذا الفصل بأنه تعالى أثبت الحجية على
 كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجية بالآيات والدلائل التي
 نصبها بالرسول المنفذة لهم مبشرين ومنذرين وبالواعظ وقال غيره فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أن
 من مات منهم صغير أدخل الجنة بأقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان أطفال المشركين
 يدخلون الجنة اذا ماتوا صغاراً فأمّا من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من أهل الشقاوة من الذرية
 السوداء وانما أقرروا بالعبادة كرها فلم ينع عنهم ذلك شيئاً ومن بلغ وعقل لم ينع عنه اقراره بالميثاق الاول
 شيئاً حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بأن الله به وخالقه ويصدق رسوله فيما جاؤ به من عنده وانما
 فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق أو الایمان بأن الله ربنا غافلين أو لئلا تقول أحد لا فهم
 انما أشرك آبائنا ونحن نسبهم على آثارهم ظننا منهم أن الحق ما كانوا عليه **فان قلت** ان ذلك الميثاق
 لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يدكرونها يوم القيامة حتى يحجج عليهم
 به **قلت** لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب

شهدنا) هذا من باب التمثيل
 ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة
 على ربوبيته ووحدانيته
 وشهدت بها عقولهم التي ركبها
 فيهم وجعلها بمنزلة بين الهدى
 والضلالة فكانت أشهدهم
 على أنفسهم وقرروا بهم وقال
 لهم ألسن بركم وكانهم قالوا
 بلى أنت ربنا شهدنا على
 أنفسنا وأقرروا بوحديتك
 (ان يقولوا) مفعول له أى
 فعلنا ذلك من نصب الادلة
 الشاهدة على صحتها العقول
 كراهة أن يقولوا (يوم
 القيامة انا كنا عن هذا
 غافلين) لم تنبه عليه

يقولوا (إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقصد بنيانهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والافتداء بالآباء كما لا عذر لأبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (أفتلكننا بفعل المبطلون) أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلمهم يرجعون) عن شركهم ففصلها إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشري وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألسنت بربكم فأجابوه ببلى قالوا هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما أخرج الله من ظهر آدم ذرية وأراه إياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقل هؤلاء ولدك أخذ عليهم الميثاق أن يعبدوني قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل في الجنة والخجة للآولين أنه قال من بنى آدم من ظهرهم ولم يقل من ظهر آدم ولا نالت ذلك فاني يصير حجة ذرية ياتهم مدني وبصري وشامي أن تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (واتل عليهم)

آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لا قضاء الحكمة الإلهية نسيانهم له ثم ابتدأهم بالخطاب على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكرا الذي دارت تكليف وامتحان ولولم ينسوه لا تمتقت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لا مدادهم بالرسول وأعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم أيضا يوم القيامة لاخبار الرسل إياهم بذلك الميثاق في الدنيا فن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولم تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمجترات الباهرات وقوله تعالى (أو يقولوا) يعني الذرية (إنما أشرك آبائنا من قبل) يعني أخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون إنما أشرك آبائنا من قبل (وكنا ذرية من بعدهم) يعني وكنا أتباعا لهم فاقصد بنيانهم في الشرك (أفتلكننا) يعني أفتعذبنا (بما فعل المبطلون) قال المفسرون هذا قاطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة إنما أشرك آبائنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم وافتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميع الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيامة وأما الذين جملوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب أهل النظر قالوا معناه أن الله نصب هذه الدلائل وأظهرها للعقول لئلا يقولوا إنما أشركنا على سبيل التقليد لا بآئنا لأن نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء في الشرك وقوله تعالى (وكذلك نفصل الآيات) يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا إلى الحق واليمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (ولعلمهم يرجعون) يعني عن الشرك إلى التوحيد وقيل معناه ولعلمهم يرجعون إلى الميثاق الأول فيذكرونه ويعملون بوجبه ومقتضاه قوله عز وجل (واتل عليهم) يعني واقرأ على قومك يا محمد (نبأ) يعني خبر (الذي آتينا آياتنا) اختصوا فيه فقال ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعوراء قال ابن مسعود هو بلعم بن ابراهيم قال ابن عباس أنه كان من بني إسرائيل وفي رواية أخرى عنه أنه كان من الكنعانيين من بلاد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدي وغيرهم من أصحاب الاخبار والسيرة قالوا أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وأنه قد جاء يخبر جنابنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعوه عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وإن فعلت هذا ذهبت دنياي وأخرتي فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدعوه حتى يؤامر ربه في المنام فأتى في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه أتى قد أمرت ربي فنهاني أن أدعوه عليهم فأهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أوامر ربي فأمرهم بوجع اليه شيء فقال قد أمرت ربي فلم يوح إلى شيء فقالوا له لو كره ربك أن تدعوا عليهم أنها لك كائنالك أول مرة فلم يزلوا يضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناه متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على أتاناه غير بعيد ربض فتزل عنها وضربها فقامت وركبها فلم تسره كثير حتى ربضت فضر بها حتى قامت فركبها فلم تسره كثير حتى ربضت فضر بها حتى أزلقها فأذن الله عز وجل لها في الكلام وأنطقها له فكأتمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام أتدري أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي يردوني عن وجهي هذا ويحك أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين فدعوا عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل يدعوه فلم يدع شيئا إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعوه لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل فقال له قومه يا بلعام أتدري ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا مالا أملكه هذا شيء قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم

يبقى الى الا المكرو والحيلة فسأ مكر لكم وأحتال ثم قال جلوا النساء وزيهون واطوهن السلع ثم ارسلوهن
 الى عسكر بني اسرائيل لبيعنهن عليهم ومروهن ان لاتنزع امرأة نفسها من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم
 بواحدة منهم كقيمتهوهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مررت امرأة من الكنعانيين اسمها كسقي
 بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمرى بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام
 الى المرأة وأخذ يدها حين أعجبه بجمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال انى لا ظنك
 أنك تقول هذه حرام عليه فقال أجل هي حرام عليك لا تقر بها قال والله انى لا أطيعك فى هذا ثم قام ودخل بها
 الى قبته فوقع عليها فأرسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل فى ذلك الوقت وكان فخصاص بن العيزار بن
 هرون وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا قظا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائباً حين
 صنع زمرى بن شلوم ما صنع فجاء الطاعون ويجوس فى بني اسرائيل فاخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد
 كلها ثم دخل عليها القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانظمهما ثم خرج بهما وهما الى السماء
 وقد أخذ الحربة بذراعاه واعتمد برقبته على خاصرته وأسند الحربة الى لحيةه وكان بكر العيزار وجعل يقول
 اللهم هكذا فعل عن عصاك ورفع الطاعون من بني اسرائيل فحسب من مات منهم فى ذلك الطاعون فيما بين
 ان أصاب ذلك الرجل المرأة الى أن قتله فخصاص فوجدوه قد هلك سبعون ألفاً فى ساعة واحدة من النهار فن
 هنالك يعطى بنو اسرائيل لولد فخصاص من كل ذبيحة يذبحونها القشة والذراع والسخى لاعتماده بالحربة على
 خاصرته وأخذها ياها بذراعه واسناده اياها الى لحيةه ويطوهم البكر من كل أمواهم لانه كان بكر العيزار وفى
 بلعام أنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآيات وقال مقاتل ان ملكا البلقاء قال لبلعام ادع الله
 على موسى فقال بلعام انه من أهل ديني ولا أدعو عليه فتصب له خشبة ليصلي به عليها فلما رأى ذلك خرج على
 أنان له ليدعو على موسى فلما عين عسكرهم وقفت به الاثان فضر بها ففالت لم تضربني وأنا مأمورة وهذه
 نار أمانى قد منعتني ان أمشى فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه أولاً صلبك فدعا على موسى
 بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل فى التيه بدعاء بلعام
 عليه فقال موسى يا رب بأى ذنب وقعت فى التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه
 فدعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فتزع الله سبحانه وتعالى منه المعرفة وسلطه منها
 فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فان قلت هذه القصة
 ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعا على بلعام بأن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان
 وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه فى النبوة ان يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان أو يرضى له
 بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى
 ما يسطره أهل الاخبار اذا خالف الأصول الوجه الثانى ان سبب وقوع بني اسرائيل فى التيه هو عبادتهم
 الجمل أو قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا إلها فكان ذلك هو سبب وقوعهم فى التيه لادعاء بلعام عليهم
 الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع
 عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وإيثاره الحياة الدنيا فدعا عليه
 مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيهه من صب النبوة عما ينقله
 أصحاب الاخبار فى كتبهم من غير نظريه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعد بن
 المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية فى أمية بن أبى الصلت الثقفى وكانت قصته انه كان قد قرأ الكتب
 القدعة وعلم ان الله سبحانه وتعالى مرسل رسولاً فربما أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه
 وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما
 رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباء فلما مات أمية أتت أخته
 فآزعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة أخيها فقالت بيناهما وقد

(فانسلخ منها) فخرج من
الآيات بأن كفر بها وبذها
وراء ظهره (فأتبعه
الشيطان) فلحقه الشيطان
وأدركه وصار قريئاً له (فكان
من الغاوين) فصار من
الضالين الكافرين روى أن
قومه طلبوا منه أن يدعو على
موسى ومن معه فأبى فلم يزلوا
به حتى فعل وكان عنده اسم الله
الاعظم (ولوشئالرفعناه) إلى
منازل البرار من العلماء (بها)
بتلك الآيات (ولكنه أخذ
إلى الأرض) مال إلى الدنيا
ورغب فيها (واتبع هواه) في
إثارة الدنيا ولذا أتم على الآخرة
ونعيمها (فثله كمثل الكلب
أن تحمل عليه) أي تزجره
وتطرده (يلهث أو تتركه)
غير مطرود (يلهث) والمعنى
قصته التي هي مثل في الخسة
والضعة كضعة الكلب في
أخس أحواله وأذلها وهي
حال دوام اللهث به سواء حمل
عليه أي شد عليه وهيج فطرد
أو ترك غير متعرض له بالمثل
عليه وذلك أن سائر الحيوان
لا يكون منه اللهث إذا
حرك أما الكلب فيلهث
في الحالين فكان مقتضى
الكلام أن يقال ولكنه أخذ
إلى الأرض فخططناه ووضعناه
مترلته فوضع هذا التمثيل
موضع فخططناه أبلغ حظ
ومحل الجملة الشرطية النصب
على الحال كأنه قيل كمثل
الكلب ذليلاً دائماً الذلة لا هنا
في الحالين وقيل لما دعا بلع
على موسى خرج لسانه فوق
على صدره وجعل يلهث كما

أنه اثنتان فكشفاه قف الميت ونزلاً فقعداً أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي
عند رأسه أوعى قال أوعى قال أذكي قال أبي قالت فسألتها عن ذلك فقال خـ يرأري في فصرف عني ثم غشي
عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهرنا * صائر مرة إلى أن يزولا * ليتنى كنت قبل ما قد بدلى
في قلال الجبال أرى الوعولا * ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوم أثقيل
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدني من شعرا خيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم آمن شعرة وكفر قلبه فأنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فأنسلخ منها الآية وفي
رواية عن ابن عباس أنه أنزلت في السوس وهو رجـل من بني إسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات
مستجابات وكانت له امرأة له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعة فقال لك منها واحدة كما تريدن قالت
ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا لها فصارت أجمل النساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني
إسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعا عليها فصارت كلبة نباحه فذمت فيها دعوتان فجاء بنوها إلى أبيهم
وقالوا ليس لنا على هذا الأمر قرار قد صارت أمنا كلبة نباحه والناس تغير بنا بذلك فادع الله أن يردّها إلى حالها
الأول فدعا الله فعدت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعاً والقولان الأولان أشـهر وقال الحسن وابن
كيسان نزلت في منافق أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنبوته وصفته كما يعرفون
أبناءهم ثم أنكروه وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتينا آياتنا
قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الأكبر وقال ابن زيد كان لا يدعى الله شيئاً إلا أعطاه وقال السدي كان يعلم اسم
الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أوتي كتاباً وقيل إن الله أتاه حجة وأدلة وهي الآيات التي أوتيتها
(فانسلخ منها) يعني فخرج من الآيات التي كان الله أتاه إياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع
منه العلم (فأتبعه الشيطان) يعني لحقه وأدركه وصيره الشيطان تابعاً لنفسه في معصية الله يخالف أمر ربه
ويطيع الشيطان وهو الهوى قوله تعالى (فكان من الغاوين) يعني من الهالكين الضالين بما خالف ربه وأطاع
هواه وشيطانه وقوله سبحانه وتعالى (ولوشئالرفعناه بها) يعني رفعنا درجته ومترلته بتلك الآيات التي أوتيتها
وقال ابن عباس رفعناه بعمله بما أوفى مجاهد وعطاء معناه ولوشئالرفعناه الكفر وعصمناه بالآيات (ولكنه
أخذ إلى الأرض) يعني ولكنه سكن إلى الدنيا ومال إليها ورزى بها وأصله من الخطو وهو الدوام والمقام
والأرض هنا عبارة عن الدنيا لان الأرض عبارة عن المفاوز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات
ومنها يستخرج ما يعيش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الأرض (واتبع هواه) يعني أنه أعرض عن التمسك بما
أتاه الله من الآيات واتبع الهوى ففسد دينه وآخرته ووقع في هوانية الردى والهلاك وهذه الآية من أشد
الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لأن الله عز وجل
خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الأعظم وجعل دعاءه مستجاباً ثم أنه لما اتبع هواه وركن إلى
الدنيا ورزى بها عوَضَ عن الآخرة نزع منه ما كان أعظمه وانسلخ من الدين ففسد الدين والآخره ومن الذي
يسلم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى الآمن عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره ببغوب نفسه عن كعب بن
مالك الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذنبان جائعان أرسلاني في غم بافسد لهما من حرص المرء
على المال والسرف لدينه أخرجه الترمذى * ثم ضرب الله عز وجل مثلاً لذي الرجل الذي آتاه آياته فأنسلخ
منها واتبع هواه فقال تعالى (فثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يقال لهث الكلب
يلهث إذا دلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الأعياء والتعب وهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن آتاه
آياته وحكمته فتركها وعاد إلى هواه وترك آخرته وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب
في أخس أحواله وهو اللهث لأن الكلب في حال لهثه لا يدر على نفع نفسه ولا ضررها كذلك العالم الذي
يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضررها في الآخرة لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال إن حملت عليه

يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعطأ وترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبع ان طرد أو ترك (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما قرأنا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المجز ومافيه وبشر والناس باقتراب مبعثه (فأقص القصص) أي قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم (اعلمهم يتذكرون) فيحذرون ١٤٩ مثل عاقبة اذا سار وانحون سيرته

(سواء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي مثل القوم مخدّف المضاف وفاعل سواء مضمراً أي سواء المثل مثلاً وانتصاب مثلاً على التمييز (وأَنفُسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا فيدخل في حيز الصلة أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أَنفُسهم أو منقطع عن الصلة أي وما ظلموا إلا أَنفُسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أي وخصوصاً أَنفُسهم بالظلم لم يتعد إلى غيرها (من يهد الله فهو المهتدى) حمل على اللفظ (ومن يضلل) أي ومن يضله (فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لا يستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لا هدى كما هدى المؤمن (ولقد ذرأنا للجهنم كثير من الجن والإنس) هم الكفار من الجن والإنس) ثابت في حق الفريقين فدل أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لا هدى كما هدى المؤمن (ولقد ذرأنا للجهنم كثير من الجن والإنس) هم الكفار من الجن والإنس) المعروضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافي بين هذين قوليه

أو تركه كان لاهثاً وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبته على الله تعالى كذا في ذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند أهلها ويدلج لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش الى الفوز بعطوبه من الدنيا فكانت حالته شبهة بحالة الكلب الذي أدلج لسانه من الله في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي ان شددت عليه وأهيجته لث وان تركته على حاله لث لان الله طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحرص على الدنيا ان وعظاته فهو حرص لا يقبل الوعظ ولا ينصع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حرص أيضاً لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة مثله لازمة كما ان الله طبيعة لازمة للكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان المثل الذي ضربناه للذي آتينا آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وبجدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا أيضاً بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فأقص القصص) وهذا اخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فأقص القصص يا محمد على قومك أي اخبار من كفر بآيات الله (اعلمهم يتذكرون) يعني فيمتعتون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يفتنون هادياً يهدوهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى (سواء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني بش مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا (وأَنفُسهم كانوا يظلمون) يعني بتكذيبهم بآياتنا قوله عز وجل (من يهد الله فهو المهتدى) يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدى (ومن يضلل) يعني ومن يتول الضلالة (فأولئك هم الخاسرون) يعني في الآخرة وفي الآيات دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادى المضل وقوله سبحانه وتعالى (ولقد ذرأنا) يعني خلقنا للجهنم كثير من الجن والإنس) أخبر الله سبحانه وتعالى انه خلق كثير من الجن والإنس للنار وهم الذين حققت عليهم الكرامة الزلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البهوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول طوبى له هذا عصفور من عصفائر الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلا بآياتهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلا بآياتهم أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لا نه ليس مكلفاً وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به حديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بأنه لعلة صلى الله عليه وسلم نهاه عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما أنكره على سعد بن أبي وقاص لفظه أنى لا راءه مؤمناً فقال أو مسلماً الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم ان أطفال المسلمين في الجنة فلما علم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الأول أنهم يثرونهم في النار تبعالاً بآياتهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويستدل به بأشياء منها خبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس فقالوا يا رسول الله هؤلاء المشركين قال أولاد المشركين رواه البخارى في صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه

وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون لانه اتما خلق من عليم انه يعبدوه وأما من علم انه يكفر به فاعلم خلقه ما علم انه يكون منه فالخاص بل ان من علم منه في الازل انه يكون منه العباد خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكمن عام راديه الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لافرار عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر

(لهم قلوب لا يفقهون بها)
الحق ولا يتفكرون فيه
(ولهم أعين لا يبصرون بها)
الرشد (ولهم آذان لا يسمعون
بها) الوعظ (أولئك كالانعام)
في عدم الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتفكير (بل هم
أضل) من الانعام لانهم
كبار والعقول وعاندوا الرسول
وارتكبوا الفضول فالانعام
تطلب منافعها وتهرب
عن مضارها وهم لا يعلمون
مضارهم حيث اختاروا
النار وكيف يستوى
المكاف المأمور والمحلى
المعذور فالآدمي روحاني
شهواني سماري أرضي فان
غلب روحه هو اهواء فاق
ملائكة السموات وان غلب
هو اهواء روحه فاقته بهائم
الارض (أولئك هم الغافلون)
الكاملون في الغفلة (ولله
الاسماء الحسنى) التي هي
أحسن الاسماء لانها تدل على
معان حسنة فغناها يستحقه
بحقائقه كالقديم قبل كل
شيء والباقي بعد كل شيء
والقادر على كل شيء والعالم
بكل شيء والواحد الذي ليس
كثله شيء ومنهما ما يستحسنه
الانفس لانها كالغفور
والرحيم والشكور والحليم
ومنها ما يوجب التخلق به
كالفضل والعفو ومنها
ما يوجب مراقبة الاحوال
كالسميع والبصير والمقدر
ومنها ما يوجب الاجلال
كالعظيم والجبار والمتكبر

على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله أعلم وفي الآية دليل
وحجة واضحة المذهب أهل السنة في ان الله خالق أعمال العباد جميعها خيرا وشرا لان الله سبحانه وتعالى
بين بصريح اللفظ انه خلق كثير من الجن والانس النار ولا تريد على يمين الله عز وجل لان العاقل لا يختار
لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم أن له من يضطره الى ذلك العمل الموجب الى
دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في جهنم العاقبة أى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى (لهم قلوب
لا يفقهون بها) يعنى لا يفقهون بها ولا يعتقدون بها وأصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالنسبة ثم صار علم على
اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب
لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لا عراضهم عن الحق وتركهم قبوله
(ولهم أعين لا يبصرون بها) يعنى لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في آيات الله وأدلة
توجيهه (ولهم آذان لا يسمعون بها) يعنى لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال أهل المعاني ان
الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدينا ولهم أعين يبصرون بها المراتب وأذان يسمعون بها
الكلمات وهذا لا يشك فيه وما وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود
هذه الحواس الدراكة علم بذلك أن المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين ومفاهيمه ففهم في الآخرة وحاصل هذا
الكلام أنهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن
ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صمت عنها * وانى ان أشاء بها سميع

فانه أثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيا من أمر الآخرة ولهم أعين
لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال سبحانه وتعالى (أولئك كالانعام)
يعنى ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حققت عليهم الكرامة الزايلة كالانعام وهى البهائم التى لانفهم ولا
تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتهة تكون في هذه الحواس الثلاثة التى هى القلب والبصر
والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل
والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التى لا تدرك شيئا قال تعالى
(بل هم أضل) يعنى بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف
ذلك فصار أضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد أعطاها فاذا لم يستعمل العقل فيما
ينفعه صار أخس حالا من الانعام وقيل ان الانعام مطبوعة لله عز وجل والكافر غير مطبوع لله عز وجل
فصارت الانعام أفضل منه ثم قال تعالى (أولئك هم الغافلون) يعنى عن ضرب هذه الامثال لهم قوله سبحانه
وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلواته ودعا الرحمن فقال بعض مشركى مكة قال
ابن الجوزى هو أبو جهل ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فبال هذا يدعون اثنين فأثرت الله
هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة
كلها حسنى وليس المراد ان فيها ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد
الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معان فهى انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك
وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة في نوعين أحدهما عدم افتقاره الى غيره
الثاني افتقاره غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماء من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من أحصاها وفى رواية
أخرى لله تسعة وتسعون اسماء مائة الا واحد لا يحفظها أحد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخارى
أحصاها حفظها وفى رواية الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماء من
أحصاها دخل الجنة هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن

العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض
 الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم
 الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المحيب الواسع
 الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي
 المعيد المحي المميت الحي القيوم الواحد المسجد الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر
 الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك
 ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي
 الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث
 صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية
 ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
 في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيي
 الدين النووي رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى
 وليس معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة
 والتسعين اسماء من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها الا الاخبار بحصر الاسماء
 ولهذا جاء في الحديث الآخر سألك بكل اسم سميت به نفسك أو لم تأت به في علم الغيب عندك وقد ذكر
 الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه
 وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين وبعضهم
 الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العد أي عدّها في الدعاء بها وقيل معناه
 من أطاقتها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل
 معنى احصاها أحضر بياله عند ذكرها معناه وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا إذا كرر أثارها بما معظمها
 لها ولما هو مقدس الذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله
 وترى رب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى أنه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر
 في الاعمال لان أكثر الطاعات وتروفيه دليل على أن شهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه
 فيقال الرؤف والكريم واللطيف من اسماء الله ولا يقال من اسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل
 ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال أبو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره
 لكانت الاسماء لغيره وقد قال والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين الرازي دلت الآية على
 ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما
 فوقها ثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلم يقطع بأن الاسم غير المسمى وأيضا قوله سبحانه
 وتعالى والله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشيء الى نفسه محال وقال غيره الاسم
 عبارة عن اللفظ الدال على الشيء المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى
 لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء
 والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وما يجب تنزيهه الله عن جميع النقائص
 فكذلك يجب تنزيه اسمائه أيضا وقوله سبحانه وتعالى (فادعوه بها) يعني ادعوا الله باسمائه التي سمي بها نفسه
 واسمائه بها رسوله ففيه دليل على ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول
 ويؤكد أنه يجوز أن يقال يا جواد ولا يجوز أن يقال يا سخي ويجوز أن يقال يا عالم ولا يجوز أن يقال يا عاقل
 ويجوز أن يقال يا حكيم ولا يجوز أن يقال يا طيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء

(فادعوه بها) فسموه بتلك
 الاسماء

أسمائه) واتركوا تسمية الذين
يميلون عن الحق والصواب فيها
فيسمونه بغير الاسماء الحسنی
وذلك ان يسموه بما لا يجوز
عليه نحو أن يقولوا يا سخي
يا رفيق لانه لم يسم نفسه بذلك
ومن الالحاد تسميته بالجسم
والجوهر والعقل والعلّة
يلحدون حزمة لحدوا لحدمال
(سيجزون ما كانوا يعملون
ومن خلقنا) للجنة لانه في
مقابله ولقد ذرأنا لجهنم (أمة
يهدون بالحق وبه يعدلون) في
أحكامهم قيل هم العلماء
والدعاة الى الدين وفيه دلالة
على ان اجماع كل عصر حجة
(والذين كذبوا بآياتنا
سنستدرجهم) سنستدرجهم
قليل اقليل الى ما يهلكهم (من
حيث لا يعلمون) ما يرادهم
وذلك ان ياتوا الله نعمه عليهم
مع انهم ما كرم في الغي فكما
جدد الله عليهم نعمة ازدادوا
بطرا وجسدوا معصية
فيتدرجون في المعاصي
بسبب ترادف النعم طائنين ان
ترادف النعم أثره من الله تعالى
وتقريب وانما هو خذلان
منه وتبعيد وهو استفعال من
الدرجة بمعنى الاستعداد
والاستنزال درجة بعد درجة
(وأملى لهم) عطف على
سنستدرجهم وهو داخل في
حكم السين أي أمهلهم (ان
كيدى متين) أخذى شديد
سماء كيد الانه شبيه بالكيد من
حيث انه في الظاهر احسان
وفي الحقيقة خذلان ولما
نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم
الى الجنون نزل (أولم يتفكروا

التي يدعونهم او يستحضروا في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم
والتجليل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجا الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه
بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) معنى
الاحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت المحدث العادل عن الحق المداخل
فيه ما ليس منه يقال ألحد في الدين الحادا اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الاحاد يقع في أسماء الله
تعالى على وجوه أحدها اطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سمو أصدانهم بالالهة
واشتهقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فيسموا اللات والعزى ومناة واشتهق اللات من الاله والعزى من
العزى ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول أهل المعاني ان الاحاد في
أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها
توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله بأسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على
وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة
على الانفراد بل يقال يا ضار يا مانع يا معطي يا خالق الخلق الوجه الرابع أن لا يسمى الله العبد باسم لا يعرف
معناه فانه بما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة
وقوله سبحانه وتعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) يعني في الآخرة فنيه وعيدوته مبدلن ألحد في أسماء الله عز
وجل قوله عز وجل (ومن خلقنا أمة) يعني جماعة وعصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس يريد
أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قل قتادة بلغنا أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون
بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخاطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من
أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرتهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي الآية
دليل على انه لا يتجاوز زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدي اليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين
بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والاول أولى لان صيغة العموم تتناول الكل الامدل
الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث
لا يتحسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يفتبطون به ويركنون اليه ثم يأخذهم على
غرتهم أغفل ما يكونون وقيل معناه سنقتربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يرادهم
لانهم كانوا اذا أتوا بحرم أو أقدموا على ذنب فحج الله عليهم من أبواب الخير والنعم في الدنيا يزدادون بذلك
تغاديا في الغي والضلال ويندرجون في الذنوب والمعاصي فآخذهم الله آخذة واحدة أغفل ما يكونون عليه
وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال السكاكي زين أعمالهم ثم تلهكهم بها وقال سفيان
الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما حل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني
أعوذ بك ان أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعاني
الاستدرج ان يتدرج الشيء الى الشيء في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي
ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء (وأملى لهم) يعني وأمهلهم وأطيل مدة أعمارهم والاملاء في اللغة
الامهال واطالة المدة والمعنى اني أطيل مدة أعمارهم لئيمادوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا
أفتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعني ان أخذى شديد والمتين من كل شيء هو القوى الشديد وقال ابن
عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك ان الله سبحانه
وتعالى أمهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وان الله سبحانه
وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم يستلون قوله سبحانه وتعالى (أولم يتفكروا

ما بصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم (من جنه) جنون (ان هو
الانذير مبين) منذ من الله موضح انذاره (أولم ينظروا) نظرا استدلال (فى ملكوت السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وما خلق الله
من شئ) وفيما خلق الله ما يقع عليه اسم الشئ من اجناس لا يحصرها العدد (وأن عسى) ١٥٣ أن تخففه من الثقيلة وأصله وأنه عسى

ما بصاحبهم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنه) يعنى من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعوق ريشا فخذ ايا نبى فلان يابى فلان انى لكم نذير مبين وكان
يحذرهم بأس الله وقائه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا الجنون بات يصوت الى الصبح فأترل الله عز وجل
أولم يتفكروا والتفكر التأمل واعمال الخاطر فى عاقبة الامر والمعنى أولم يتفكروا فاعلموا ما بصاحبهم يعنى
محمد صلى الله عليه وسلم من جنه والجنه حالة من الجنون وادخال لفظة من فى قوله من جنه يوجب أن
لا يكون به نوع من أنواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى عنه لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم
خالفهم فى الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذا اتهموا قبل على الآخرة ونعيمهم امشيت غللا بالدعاء الى
الله عز وجل وانذارهم بأسه ونقمته ليللا ونهارا من غير ملال ولا خجل فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله
سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (ان هو) يعنى ما هو (الانذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى الى العلم
بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى (أولم ينظروا) يعنى نظرا اعتبارا واستدلال (فى ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شئ) والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية وجود الصانع القديم غير مقصورة
على ملك السموات والارض بل كل شئ خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه
وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلكم والمعنى ولعل أجلكم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان
يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر
المؤدى الى الفوز بالنعيم المقيم (فبأى حديث بعده) يعنى بعد القرآن (يؤمنون) يعنى يصدقون والمعنى فبأى
كتاب بعد الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه
خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لا نقطع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان
فقال سبحانه وتعالى (من يضل الله فلا هادى له) يعنى ان اعراض هؤلاء عن الايمان لا ضلال الله اياهم فلو
هداهم لا آمنوا (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) يعنى ويتركهم فى ضلالهم وتمادىهم فى الكفر يترددون
متمسكين لا يهتدون سبيلا قوله عز وجل (يستألفونك عن الساعة أيا نمرساها) قال قتادة قالت قريش
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمتنا وبينك قرابة فأستألفنا الساعة فأترل الله تعالى هذه الآية وقال
ابن عباس قال جبل بن أبى قيسير وشمول بن زيد وهما من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى
الساعة ان كنت نبيا كما تقول فاننا نعلم متى الساعة فأترل الله عز وجل يستألفونك عن الساعة يعنى عن خبر
القيامة سميت ساعة لانها تقوم فى ساعة غفلة وبغفلة أولان حساب الخلائق ينقضى فيها فى ساعة واحدة
أبان سؤال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعنى منتهاهأى
متى وقوعها قالوا والساعة الوقت الذى تموت فيه الخلائق وأصل الارساء الثبات بقول رسا رسوا اذا ثبت
(قل) أى قل لهم يا محمد (انما علمها عند ربى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع
عليه أحد او مر حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرنى عن
الساعة قال ما المسئول عنها أعلم من المسائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد
ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها
فيكون ذلك أدعى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجرهم عن المعصية (لا يجليها لوقتها الا هو) قال مجاهد لا يأتى بها

بالساعة لوقوعها بغفلة أو لسرعة حسابها أولانها عند الله على طولها كساعة من الساعات
عند الخلق (أبان) متى واشتقاقه من أى فعلان منه لان معناه أى وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل يعنى الادخال أو وقت
ارسائها أى اثباتها والمعنى متى يرسيها الله (فن اعلمها عند ربى) أى علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبره أحد من ملك مقرب
ولا نبى مرسل ليكون ذلك أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعاصى كما خفى الاجل الخاض وهو وقت الموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو)

أهمه شأن الساعة ويثني
أن يتجلى له علمها ويشق
عليه خفاؤها وثقل عليه
أو ثقلت فيها لأن أهلها
يخافون شدائد ها وأهوالها
(لا تأتيمك الابغته) فجأة
على غفلة منكم (يسألونك
كأنك حفي عنها) كأنك
عالم بها وحقيقة - كأنك
بليغ في السؤال عنها لأن
من بالغ في المسئلة عن الشيء
والتمفير عنه استحكم علمه
فيها وأصل هذا التركيب
المبالغه ومنه احفاء الشارب
أو عناصه تعلق بيس - سألونك
أي يسألونك عنها كأنك
حفي أي عالم بها (قل انما علمها
عند الله) وكرر يسألونك
وانما علمها عند الله للتأكيد
ولزيادة كأنك حفي عنها
وعلى هذا تكرير العلماء
في كتبهم لا يخالون الذكر
من فائدة منهم محمد بن الحسن
رحمه الله (ولكن أكثر
الناس لا يعلمون) انه المختص
بالعلم بها (قل لا أملك لنفسي
نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله)
هو اظهار العبودية وبراءة
علم المختص بالربوبية من
علم الغيب أي أنا عبد ضعيف
لا أملك لنفسي اجتلاب
نفع ولا دفع ضرر كما يلبث
الاماء ما يحب من النفع
لي والدفع عني (ولو كنت
أعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مني السوء) أي
لكنني حالي على خلاف ما هي

الا هو وقال السدي لا يرسلها الوقتها الا هو والتجلية اظهرها الشيء بعد خفاءه والمعنى لا يظهرها الوقتها المعين
الا الله ولا يقدر على ذلك غيره (ثقلت في السموات والارض) يعني ثقل أمرها وخفي علمها على أهل السموات
والارض فكل شيء خفي فهو ثقل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض
وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقل على القلوب (لا تأتيمك الابغته) يعني فجأة على حين غفلة
من الخلق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
بينهما فلا ينبيأ بعانه ولا يطاويانه وانه تقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحة فلا يطعمه - مه ولتقوم
الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها - اللقحة بفتح
اللام وكسر ها الناقة القرية العهد بالنتاج قوله يلبط حوضه ويروي يلبط حوضه يعني يطعمه ويصلحه
يقال لاط حوضه يلبطه أو يلبطه اذا طينه وأصله من اللصوق والا كلة بضم المهملة المقمة وقوله سبحانه
وتعالى (يسألونك كأنك حفي عنها) يعني يسألوك قومك عن الساعة كأنك حفي بهم يعني ياتهم شفيق
عليهم فعلى هذا القول فيه تة - ديم وتأخير تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كأن
يبتك وبينهم مودة وكأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة
سألوه سؤال قوم كأنهم يرون ان محمد صلى الله عليه وسلم حفي بهم فأوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده
استأثر بعلمها فلم يطلع عليها كما ولا رسولا وقيل معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها من قولهم
أحفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعني قل يا محمد (انما علمها عند الله) يعني استأثر الله
بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل * فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسألونك عن الساعة أيا من رساها
وقوله سبحانه وتعالى ثانيا يسألونك كأنك حفي عنها فيسه تكرار * قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول
سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوالها من ثقلها وشداها فلم يلزم التكرار * فان
قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله تعالى
علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين * قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول
واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني
واقعا عن أحوالها وشداها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى علمها عند الله لانه أعظم الاسماء
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألو عنه وقيل
ولكن أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من أجله أخفي علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قوله سبحانه
وتعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد لا يخبرك ربك بالسعر
الرخيص قبل ان يغلو فتشترى به فتربح فيه عند الغلاء وبالارض التي يريدان تجذب فترحل عنها الى ما قد
أخصبت فأترل الله عز وجل قل لا أملك أي قل يا محمد لا أملك ولا أقدر لنفسي نفعا أي اجتلاب نفع بأن
أربح فيما أشتريه ولا ضرا يعني ولا أقدر ان أدفع عن نفسي ضرا انزل بها بأن أرتحل الى الارض الخصبة وأترك
الجدبة (الا ما شاء الله) يعني ان أملكه وأقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) يعني ولو كنت
أعلم وقت الخصب والجذب لاستكثرت من المال (وما مني السوء) يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن
جرير معناه لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب يريد وقت الموت
لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه أنا لا أدعي علم الغيب حتى أخبركم عن وقت قيام
الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب * فان قلت قد أخبر
صلى الله عليه وسلم عن الغيبات وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك وهو من أعظم مآثراته صلى الله عليه وسلم
فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير * قلت يحتمل أن يكون قاله صلى الله

عليه من استكثرا الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسي شيء منها ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب
وقيل الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لا استكثرت لاعتدت من الخصب للجدب والسوء الفقر وقد رد

(ان انا الانذير وبشير) ان انا الاعبد ارسلت نذير او بشير او ما من شأني ان أعلم الغيب واللام في (لقوم يؤمنون) يتعلق بالنذير والبشير لان
الندارة والبشارة انما ينفعان فيهم او بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أي الانذير ١٥٥ للكافرين وبشير لقوم يؤمنون

(هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها من جسده آدم من ضلع من أضلاعه (ليسكن اليها) ليطمئن ويحبل لان الجنس الى الجنس أميل خصوصا اذا كانت بعضها منه كما يسكن الانسان الى ولده ويحبسه بحبة نفسه لكونه بضعة منه وذو كرى يسكن بعدما أنث في قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا الى معنى النفس لبيبان المراد بها آدم (فلما تغشاها) جامعها (جملت جلا خفيها) خف عاينها ولم تلاق منه ما يلقي بعض الحبالي من حملهن من الكبر والاذى ولم تستعقله كما يستعقلنه (فقرت به) فقت به الى وقت ميلاده من غير اخراج ولا ازلاق أو جملت جلا خفيها يعني النطفة فقرت به فقامت به وقعدت (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربها) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بان يعدي ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدينه أو ولدا ذكر لان الذكورية من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير

عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب الا أن يطلعني الله عليه ويقدريه لي ويحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما أطلعه الله عز وجل أخبره كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول أو يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهر الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فأخبر عن اليكون ذلك مجزؤه ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك أنهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى أصير بحيث لا يسني السوء وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لأعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبياً أعلمت متى تقوم الساعة (ان انا الانذير) يعني ما انا الرسول أرسلني الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه لم تؤمنوا (وبشير) يعني وأبشر بنوابة (لقوم يؤمنون) يعني يصدقون قوله عز وجل (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (وجعل من مزارعها زوجها) يعني وخلق منها زواجا حواء قد تدم كيفية خلق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء (ليسكن اليها) يعني ليأمنس بها ويأوي (فلما تغشاها) يعني وواقعها وجامعها كنى به عن الجماع أحسن كناية لان الغشاء بين اثنين الرجل المرأة وقد غشها وتغشاها اذا علاها وتجلها (جملت جلا خفيها) يعني النطفة والتي لان أول ما تحمل النطفة وهي حقيقة عليها (فقرت به) يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما أثقلت) أي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل وذنبت مدة ولادتها (دعوا الله ربها) يعني ان آدم وحواء دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا يعني لئن أعطينا بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما أهبط آدم وحواء الى الارض ألقيت الشهوة في نفس آدم فأصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد أنهاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال اني أخاف أن يكون به حية أو كلباً أو خنزيراً أو ثورين في الارض الا بهيمة أو نوحها قالت اني أخاف بعض ذلك قال وما يدريك من أن يخرج آمن دبرك أو من فيك أو يسبق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لا آدم فلم ير الا في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء لآدم عليه السلام فقال له له صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس فلم يرلهم ما حتى غرهما فلما ولدت تسمياه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبد الله وعبد الرحمن فسميهم الموت فأتاها ابليس فقال ان سر كان يعيش لك ولدت فيسمياه عبد الحرث فولدت فيسمياه عبد الله وعبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقدر واه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحي الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعها امرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولده أول ولد أتاه ابليس فقال اني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث وكان اسمه في السماء الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعة لك اني أطعتك في أكل الشجرة فاخرجتني من الجنة قلن أطعك فأت ولدته ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعني والامات كإمات الاول فعصا مافات ولده فقال لا زال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يرلهم حتى سمياه عبد الحرث فذلك قوله تعالى (فلما أتاهما صالحا جعلاه شركاء فيما آتاها) قال ابن عباس أشركاه في طاعته في غير عبادة ولم يشركا بالله ولكن أطاعاه وقال قتادة أشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لها مولد فاتاها الشيطان فقال ان سر كان يعيش لك ولدت فيسمياه عبد الحرث فهو

في آتيتنا ولنكونن لهما مولد ككل من يتناسل من ذريتهما (فلما أتاهما صالحا) أعطاهما ما طمأناه من الولد الصالح السوي (جعلاه شركاء) أي جعل أولادهم شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاها) أي آتى أولادهم دليله

(فتمعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء برثان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى
وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك ١٥٦ مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهم آل
قصي أى هو الذى خلقكم من
نفس واحدة قصي وجعل
من جنسه از وجها عريية
قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما
ما طلبا من الولد الصالح
السوى جعله لهما شركاء فيما
آتاهما حيث سميا أولادهما
الاربعة بعبد مناف وعبد
العزى وعبد قصي وعبد
الدار والضمير فى أيشركون
لهم والاعقابهم الذين اقتدوا
بهم فى الشرك شركا مدين
وأبو بكر أى ذوى شرك وهم
الشركاء (أيشركون ما لا يخلق
شيأ) يعنى الاصنام (وهم
يخلقون) أخرجت الاصنام
مجرى أولى العلم بناء على
اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها
آلهة والمعنى أيشركون ما لا
يقدر على خلق شئ وهم
يخلقون لان الله خالقهم أو
الضمير فى وهم يخلقون
للعابدين أى أيشركون ما لا
يخلق شيأ وهم مخلوقو الله
فلم يعبدوا خالقهم أولالعابدين
والتعبدون وجعهم كأولى
العلم تعليما للعابدين (ولا
يستطيعون لهم لعبدتهم
نصرا ولا أنفسهم ينصرون)
فيدفعون عنها ما يعترهم من
الحوادث كالسكر وغيره
بل عبدهم هم الذين يدفعون
عنهم (وان تدعوهم) وان
تدعو هذه الاصنام (الى
الهدى) الى ما هو هدى

قوله تعالى جعله لهما شركاء فيما آتاهما قرئ شركاء بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركاء وقال أبو عبيدة معناه
حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المذمع شركاء يعنى ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعله لهما
شركاء كذا سميا ولما عبد الحارث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولا أن الحارث رب لهما لان آدم عليه
الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحارث ان الحارث كان سبب
نجاه الولد وسلامته وسلامته أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر
* وانى لعبد الضيف ما دام ناويا * أخبر عن نفسه أنه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد
بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب
بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام لعزى نصرانه ربى أحسن مثواى أراد به
التربية ولم يرده انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وانما أخبر عن آدم عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى جعله
شركاء فيما آتاهما لان حسنات الابرا سنيات المقربين ولان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلىها فاعتابه
الله على ذلك لانه نظرا الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله أعلم بمراده واسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم
الكلام عند قوله فيما آتاهما ثم ابتدأ فى الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتمعالى الله عما يشركون) نزه نفسه
سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه
وتعالى فتعالى الله عما يشركون على التثنية لا على الجمع وقال بعض أهل المعانى ولو أراد به ما سبق فى معنى الآية
فستقيم أيضا من حيث انه كان الاولى بها أن لا يفعلا ما أتياه من الاشراك فى التسمية فكان الاولى أن
يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفى معنى الآية قول آخر وهو أنه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو
قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل أولادهم لهما شركاء فحذف ذكر الاولاد وأقامهم مقامهم كما أضاف فعل
الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم الجبل وذقتلتم نفسا فعبه اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبى صلى
الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من
نفس واحدة أى خلق كل واحد من آبيه وجعل مناز وجهها أى وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله
وهذا قول حسن الا ان القول الاول أصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم
من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا
فهو ذوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سمو أولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو
ذلك وقوله سبحانه وتعالى (أيشركون) قرئ بالنساء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة (ما لا يخلق
شيأ) يعنى ابليس والاصنام (وهم يخلقون) أى وهم مخلوقون * فان قلت كيف وحدهم يخلقون فجمع فقال وهم
يخلقون * قلت ان لفظة ماتقع على الواحد والاثنتين والجمع فهى من صيغ الواحدان بحسب ظاهر اللفظ
وحتملة للجمع بحسب المعنى فوحدهم قوله ما لا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية
لجانب المعنى * فان قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس * قلت لما اعتقد
عابدا والاصنام انه اتعقل وتميز وورد هذا الجمع بناء على ما اعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم
نصرا) يعنى ان الاصنام لا تقدر على نصر من أطاعها وعبدها ولا نصر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء
والمعنى ان المعبود الذى يجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضرر وهذه الاصنام ليست كذلك
فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها ثم قال تعالى (ولا أنفسهم ينصرون) يعنى ولا يقدر على أن يدفعوا عن
أنفسهم مكروها فان من أراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه
وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى) يعنى وان تدعواهم المؤمنين المشركين الى الهدى (لا يتبعوكم) لان الله
سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم أذعوتوهم) الى الدين والهداية (أم أنتم

صامتون)

ورشادوا الى أن يهدوكم أى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخبير والهدى (لا يتبعوكم)
الى مرادكم وطاعتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم تابع (سواء عليكم أذعوتوهم أم أنتم

صامتون) عن دعائهم في أنه

لا فلاح معهم ولا يحييونيكم
والعدول عن الجملة الفعلية إلى
الاسمية لرؤس الآي (أن
الذين تدعون من دون الله)
أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة
(عداد أمثالكم) أي مخلوقون
مما تكون أمثالكم (فادعوهم)
لحلب نفع أو دفع ضرر
(فليستحييواكم) فليحييوا
(ان كنتم صادقين) في انهم
آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا
أمثالهم فقال (ألهم أرجل
يمشون بها) مشيكم (أم لهم أيدي
يبطشون بها) يتناولون بها
(أم لهم أعين يبصرون بها) أم
لهم أذان يسمعون بها) أي فلم
تعبدون ما هو دونكم (قل
ادعوا شركاءكم) واستعينوا
بهم في عداوتي (ثم كيدهم)
جميعاً أنتم وشركاؤكم وبالبيان
يعقوب وافقه أبو عمرو في
الوصل (فلا تنتظرون) فاني
لا أبالي بكم وكانوا قد خوفوه
آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك
وبالبيان يعقوب (ان ولي)
ناصرى عليكم (الله الذي نزل
الكتاب) أوحى إلى وأعزني
برسالته (وهو يتولى
الصالحين) ومن سنته ان
ينصر الصالحين من عباده
ولا يخذلهم (والذين تدعون
من دونه) من دون الله (لا
يستطيعون نصركم ولا
أنفسهم ينصرون وان
تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوها
وتراهم ينظرون اليك)
يشبهون الناظرين اليك
لانهم هم صور وأصنامهم
بصورة من قلب حدقه
إلى الشيء ينظر إليه (وهم
لا يبصرون) المرئي

صامتون) أي ساكتون عن دعائهم فهم في كلال الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين في
الآية المتقدمة بحجز الاصنام بين هذه الآية أنه لا علم لها بشئ البتة والمعنى أن هذه الاصنام التي يعبدوها
المشركون معلوم من حالها أنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها إلى خير وهدي ثم قوى هذا المعنى بقوله
سبحانه وتعالى سوا عليهمكم ادعوا عوهم أم أنتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلاء
تضرعوا للاصنامهم فاذ لم تكن لهم إلى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقبل لهم لافرق بين دعائكم للاصنام
أو سكتوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال قوله سبحانه وتعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) يعني
ان الاصنام التي يعبدوها هؤلاء المشركون انما هي مملوكة لله أمثالهم وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما أنتم
مسخرون مذللون قال مقاتل في قوله سبحانه وتعالى عباد أمثالكم انهم الملائكة والخطاب مع قوم كانوا
يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بأنها عباد مع انها جاد والجواب ان
المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاعلموا فور دت هذه الالفاظ على
وفق معتقدتهم بتكيتها لهم وتوحيها وذلك قال عز وجل (فادعوههم فليستحييواكم ان كنتم صادقين) في كونها
آلهة وجواب آخر وهو ان هذا اللفظ اغاور في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام
التي تعبدونها أحياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد لله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم يدعوهم وجعلتموهم
آلهة وجعلتم أنفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالحجز فقال تعالى (ألهم أرجل يمشون بها) أي يبطشون بها أم
لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح
الاربعة فانها آلات يستعين بها الانسان في جميع أموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح
شئ فهم مفصلون عليها هذه الاعضاء لان الرجل المشاة أفضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد
الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة أفضل من العين العاجزة عن الادراك
والاذن السامعة أفضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان أفضل من هذه الاصنام
العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة ولا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق
بالانسان العاقل الافضل أن يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع
فامتنع هذه الجملة كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى (قل ادعوا شركاءكم) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين ادعوا
شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين بحجزها (ثم كيدهم) يعني أنتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله
في استحكال الحجج عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرر ولا نفع اقبل ل محمد صلى الله عليه وسلم قل ان
معبودى تلك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كد لي لم تصلوا إلى ضرى لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا
يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدهم (فلا تنتظرون) أي لا تتهلون واعجلوا في كيدى
أنتم وشركاؤكم (ان ولي الله) يعني ان الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله (الذي نزل الكتاب) يعني
القرآن والمعنى كما أنذني بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظي وينصرني (وهو يتولى الصالحين) يعني
يتولاهم ينصرهم وحفظه فلا تضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم
بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شياً ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه
الله يحفظه فلا يضره شئ قوله عز وجل (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم
ينصرون) هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها ان الآية الاولى مذكورة على جهة التقديم
والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين
بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهي ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله سبحانه وتعالى (وان
تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوها وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون
ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الهدى لا يسمعوها دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق
وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر قلوبهم وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية

أيضا وارادة في صفات الاصنام لانها جاد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى (خذ العفو) العفو
 هنا النضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك
 فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسس وذلك
 مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو التساهل في كل شيء (خ) عن عبد الله بن الزبير قال
 ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ
 العفو من أقوال الناس وكذا في جامع الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحمدى قال أمر الله نبيه صلى الله
 عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من أموالهم فأتواك
 به من شيء فخذ وكان هذا قبل ان تنزل براءة براءت الصدقات وتنصليها وما انتهت اليه وقال السدي خذ
 العفو أي الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل ان تفرض
 الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعني وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحى من الله عز وجل
 وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا إله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه
 صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الأمر
 بالأعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد نسخ
 أولها أخذ الفضل من الأموال فتسخ بفرض الزكاة والأمر بالعرف ومحكم والأعراض عن الجاهلين منسوخ
 بآية القتال روى انه ما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا أدري حتى
 أسأل ثم رجع فقال ان ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي
 غير سند وقال جعفر الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية
 أجع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا
 سخافا في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن
 جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتتمام محاسن الافعال قوله عز
 وجل (واما ينزعك من الشيطان نزغ) قال ابن زيد ما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف
 وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فأنزل الله عز وجل (واما ينزعك من
 الشيطان نزغ) فاستعذ بالله انه سمع عليم ونزع الشيطان عبارة عن وسوسة ونخسة في القلب وقيل النزغ
 الانزعاج وأكثر ما يكون عند الغضب وأصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا
 أفسدت بينهم وقال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة والمعنى (واما يصيبك يا محمد
 ويعرض لك من الشيطان وسوسة أو نخسة) فاستعذ بالله (يعني فاستعجرب بالله والجأ اليه في دفعه عنك) انه
 سميع (يعني لدعائك) (عليم) بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة
 الغضب والغيط فأمر الله بالالتجاء اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض
 وفصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الآية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه
 سبيل حتى يتزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الأول ان معنى الكلام ان حصل
 في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك له البتة فهو كقوله لئن أشركت وهو يرى من
 الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكان الله عز وجل عصم نبيه صلى
 الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها في قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من
 أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله أعانني
 عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير قال الشيخ محي الدين النووي يروى فأسلم بفتح الميم وضمها فن رفع قال معناه
 فأسلم أنا من شره وقتنته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعني صار مؤمنا لا يأمرني الا بخير
 قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يأمرني الا بخير

(خذ العفو) هو ضد الجهد
 أي ما عفا لك من أخلاق
 الناس وأفعالهم ولا تطالب
 منهم الجهد وما يشق عليهم
 حتى لا ينفروا كقوله عليه
 السلام يسروا ولا تعسروا
 (وأمر بالعرف) بالعرف
 والجميل من الافعال أو هو
 كل خصلة يرتضها العقل
 ويقبلها الشرع (وأعرض
 عن الجاهلين) ولا تكافئ
 السفهاء بمثل سفههم ولا
 تنازهم واحلم عليهم وفسرها
 جبريل عليه السلام بقوله
 صل من قطعك واعط من
 حرمك واعف عن ظلمك وعن
 الصادق أمر الله نبيه عليه
 السلام بمكارم الاخلاق
 وليس في القرآن آية أجع
 لمكارم الاخلاق منها (واما
 ينزعك من الشيطان نزغ)
 واما ينخسك منه نخس أي
 بأن يحمالك بوسوسته على
 خلاف ما أمرت به (فاستعذ
 بالله) ولا تطعه والنزغ النخس
 كما نه ينخس الناس حين
 يغريهم على المعاصي وجعل
 النزغ نازعا كما قيل جد جده
 أو أريد بنزع الشيطان
 اعتراء الغضب كقول أبي بكر
 رضي الله عنه ان لي شيطانا
 يعتريني (انه سميع) لنزغه
 (عليم) بدفعه

(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان طيف مبكى وبصرى وعلى أية له منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاوعن أبي عمروهما واحدهوى الوسوسة وهذاتأ كيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند ترغ الشيطان وان عادة المتقين اذا أصابهم أدنى ترغ من الشيطان والمأم بالسوسة (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فأذا هم مبصرون) فأبصر والسداد ودفعوا وسوسته وحقيقته أن يفترأ منه الى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالآية (واخوانهم) وأما اخوان الشياطين من شياطين الانس فان الشياطين (يعتدونهم في الغي) أن يكونون مدد لهم فيه ويعضدونهم ويعدونهم من الامداد مدنى (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يبصروا ولا يرجعوا وجزاء يراى بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول وجه لان اخوانهم في مقابل الذين اتقوا وانما جاع الضمير في اخوانهم والشياطين مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبتنا) هلا اخترتنا أى اختلقنا كما اختلقت ما قبلها (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدى ورجعه لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)

قال القاضي عياض واءلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين وسوسته واغوائه أعلمنا انه معنا لنخترز عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه وما ينزغك أيها الانسان من الشيطان ترغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) وقرئ طيف (من الشيطان) وهما الغتان وهما الشئيل بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللهم والمس وقال الازهرى الطيف فى كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضب ان يشبه الجنون وقيل سمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لان له من الشيطان تشبه له الخيال فذكر في الآية الاولى الترغ وهو أخف من الطيف المذكور في هذه الآية لان حالة الشيطان مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم (تذكروا) يعنى عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيدته قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويده (فأذا هم مبصرون) يعنى انهم يبصرون مواقع الخطايا التذكروا والتفكر وقال السدى اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه ترغ من الشيطان تذكروا عرف انه معصية فأبصر وترغ عن مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعنى واخوان الشياطين من المشركين (يعتدونهم) أى يدعونهم الشياطين (في الغي) قال السكاكى لكل كافر أخ من الشياطين يدعونهم أى يطيلون لهم فى الاغواء حتى يستمرأوا عليه وقيل يزيدونهم فى الضلالة (ثم لا يقصرون) يعنى لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان تذكروا عرف ذلك فترغ عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر فى ضلالته لا يتذكر ولا يرجعوى وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يسكنون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل (واذا لم تأتهم بآية) يعنى واذا لم تأت المشركين يا محمد بآية ومهجرة باهرة (قالوا) يعنى قال المشركون (لولا اجتبتنا) يعنى افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال السكاكى كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تعنتا فاذا تأخرت عنهم وقالوا لولا اجتبتنا يعنى هلا أحدثنا أو أنشأتنا من عندك (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألو الآيات (انما أتبع ما يوحى الى من ربى) يعنى القرآن الذى أنزل على وليس لى أن أقترح الآيات والمجربات (هذا بصائر من ربكم) يعنى هذا القرآن حجج وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظاهر والشئ حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سببا للبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم السبب (وهدى) يعنى وهو هدى (ورجعه) يعنى وهو رجعة من الله (لقوم يؤمنون) وهما الطيفة وهى الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون فى درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية فى علم التوحيد حتى صار كالمنشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن فى حق الاولين وهم السابقون بصائر وفى حق القسم الثانى وهم المستدلون هدى وفى حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رجعة قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورجعة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعنى اصغوا اليه باسماكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواضعه وأنصتوا يعنى عند قراءته والآنصت السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت وأنصت بمعنى واحد واختلف العلماء فى الحال التى أمر الله عز وجل بالاستماع لتقارئ القرآن والآنصت له اذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فقتضاء أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء فى ذلك

أقوال القول الاقول وهو قول الحسن وأهل الظاهر ان تجرى هذه الآيات على العموم ففي أي وقت رأى موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت والقول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن أبي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بجوا مجهم فأمر بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كئنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقولون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله وقال السكبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد اغتوت أخرجاه في الصحيحين واختلاف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء أجهرا الامام بالقراءة أو أسر يروي ذلك عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهر الامام فيه يروي ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد واسحق وذهب قوم الى انه لا يقرأ سواء أسر الامام أو جهر يروي ذلك عن جابر وابيه ذهب أصحاب الرأى حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهرها هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعنا بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الآية الواردة في غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا وإذا قرأ الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينادي في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روى عن عبادة ابن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال أراكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله أي والله قال لا تفعلوا الا بأمر القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بما أخرجه الترمذي بطوله وأخرجاه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلثا غير تمام فقليل لا يهريرة انا انكون وراء الام قال اقرأهم في نفسك هذا الحديث وقوله سبحانه وتعالى (عليكم ترجون) يعني لكي يرجعكم ربكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه قوله عز وجل (وإذا كررك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أئمة لا نه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يريد اقرأهم في نفسك والنافذة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر اغناكم اذا وقع الذكركم بهذه الصفة لان ذكر النفس أقرب الى الاخلاص والصدق الى الله وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور وجل جلاله وإذا كان الذكر باللسان طارعا من ذكر القلب كان عديم الفائدة لان الفائدة الذكركم حضور القلب واستشعار عظمة المذكور من وجب (تضرعا) يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان الخبيث (ونحن قومون الجهر من القول) يعني وخوفا والمعنى تضرع الى وخف عذابي وقال مجاهد وابن جرير امر ان يذكره في السجود بالخضوع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا الطبيعة وهي ان قوله سبحانه وتعالى وإذا كررك في نفسك في

عليكم ترجون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع الموثم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (وإذا كررك في نفسك) هو عام في الذاكر من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتكبير وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلمها كالاما دون الجهر لان الاخفاء أدخل في الاخلاص وأقرب الى حسن التمسك

اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالترسية والرجة والفضل
والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم أتبعه بقوله تضرع
وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد ادعية الخوف والرجاء قوى ايمانه والمستحب أن يكون
الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا آخر أجله فيستحب ان يغلب رجاءه على
خوفه عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال
أرجو الله يا رسول الله وانى أخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل
هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو ومنه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع
غدوة (والأصل) جمع أصل وهى ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالكبر والعشيات
وتماخص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذى هو أخو الموت فاستحب له أن
يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكريه **ك**ون أول أعماله ذكر الله عز
وجل وأما وقت الأصل وهو آخر النهار فان الانسان يريد أن يستقبل النوم الذى هو أخو الموت فيستحب
له أن يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النوم فيكون موته على ذكر الله عز وجل
وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تكن من الغافلين) يعنى عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان أعمال
العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب
فاستحب له الذكريه هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختمه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد
صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكرهه استحب للعبد أن يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقاته
مشتغلاً بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة أو ذكر قوله عز وجل (ان الذين عند ربك) يعنى الملائكة
المقربين لما أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبرنا
الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرافهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده
خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعنى وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان
ربنا (وله يسجدون) لا لغيره * فان قلت التسبيح والسجود اخلاق في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته
لانهم من جملة العبادة فكيف أفرد بها بالذكر * قلت أخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون
لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم أنهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الأعمال
تنقسم الى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هى تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد
القالى عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود
القرآن فيستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عباداتهم
(ق) عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ويسجد
معها حتى ما يجد بعضنا موضع السجدة فيسجد في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتنا أمرنا أن نركع بالسجدة فسجد وله
الجنة وأمرنا بالسجدة فأبيت فى النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط
عنك بها خطيئة والله أعلم بمراده وأمرار كتابه

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهى من قوله سبحانه وتعالى واذيكر ربك الذين كفروا الى آخر سبع
آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة وهى خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون كلمة
وخمسة آلاف وثمانون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

(بالغدو والأصل) (بالغدو) (لفضل
هذين الوقتين وقيل المراد
ادامة الذكر بالسهة مقامه
الفكر ومعنى بالغدو بأوقات
الغدو وهى الغدوات
والأصل جمع أصل والأصل
جمع أصيل وهو العشى (ولا
تكن من الغافلين) من الذين
ينفلون عن ذكر الله ويلهون
عنهم (ان الذين عند ربك)
مكانة ومنزلة لا م كانوا منزلاً
يعنى الملائكة (لا يستكبرون
عن عبادته) لا يتعظمون عنها
(ويسبحونه) وينزهونه عما
لا يليق به (وله يسجدون)
ويتخصصونه بالعبادة لا
يشركون به غيره والله أعلم

سورة الانفال مدنية
وهى خمس وأست وسبع
وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى (يسألونك عن الانفال) (ق) عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيل فله كذا وكذا فتسارع المشركون في طلب الغنائم تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به وتناولوا تستأثروا به علمينا فانا كنا ردناكم ولو انكسفتكم اليه افتنازعوا فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير يرقم أبو اليسر بن عمرو الانصارى أخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيل فله كذا وكذا وانما قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين وقام سعيد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعرى مصافك قطعك عليك خيل من المشركين فيصيبونك فأعرض عنهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعيد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعطى هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لأصحابك كبير شيء فنزلت هذه الآية يسألونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أصاب في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولو لا نحن ما أصبحوه وقال الذين يجرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر أن نقاتل العدو ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم غرة العدو فقمنا دونهم فما أنتم باحق منا فنزلت هذه الآية وروى مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا عشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساعت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بوء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وعن سعيد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفي صدرى من المشركين وأخو هذا هبلى هذا السيف فقال هذا ليس لي ولالك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلى بلائى فجاءنى الرسول فقال انك سألتنى وليس لى وانه قد صار لى وهولك فنزلت يسألونك عن الانفال الآية أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذ فيها سيف فأخذته فأتيته به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نلتنى هذا السيف فأنا من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فانطلقت به حتى أردت ان ألقيه في القعبس لا متنى نفسى فرجعت اليه فقلت أعطينيه قال فشد على صوته رده من حيث أخذته فأنزله الله عز وجل يسألونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء وما أصاب سرايا المسلمين من سبي أو ثوبه فن حبس منه ابرة أو سدا كاهو غول وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى يسألونك عن الانفال استفتاء يعنى يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال أى من الانفال وعن يعنى من وقيل عن صلة أى يسألونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص وأكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وقال عطاء هي ماشية ذعن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو امرأة أو متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء (قل الانفال لله والرسول) أى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها الله ورسوله يقسمها كما يشاء واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالجس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولين شاء ثم نسخها الله بالجس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجهه منسوخة من وجهه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع

(يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فاسألوا رسول الله كيف نقسم ولين الحكم في قسمتها المهاجرين أم الانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مقصورا الى رأى أحد

أنيساهم فاباحها الله لهذه الأمة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقال عبد
 الرحمن بن زيد إنها محكمة وهي إحدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفصال لله
 والرسول بضعة واحدة أمره الله وقدين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة
 وللرسول الآية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا بلا فإصاب
 كل واحد منا اثني عشر بعيراً وقلنا بعير ابغبر أخرجه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللإمام أن
 ينقل من شاء من الجيش ماشاء قبل الخمس (فاتقوا الله) يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفة ما أمر الله به
 المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحو ذات بينكم) أي اصلحو الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة
 وينسب أمر الغنائم إلى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمركم به وينهاكم عنه (إن كنتم مؤمنين)
 يعني إن كنتم مصدقين بوعده الله ووعده قوله سبحانه وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)
 لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك إن كنتم مؤمنين لأن
 الإيعان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى (إنما المؤمنون
 ولقطة أنما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم
 الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خضعت وخافت ورقبت قلوبهم وقيل إذا خوفوا بالله انقادوا وخوفوا من
 عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة
 وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه
 فالمؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله * فإن قلت أنه سبحانه وتعالى قال في هذه
 الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت
 لا منافاة بين هاتين الحالتين لأن الوجه هو خوف العقاب والاطمئنان أنما يكون من ثلج اليقين وشرح
 المصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمع في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى
 تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من
 خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمنين ثم قال تعالى
 (وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً) يعني وإذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقاً قاله ابن عباس والمعنى
 أنه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فزادوا بذلك إيماناً وتصديقاً لأن زيادة الإيمان بزيادة التصديق
 وذلك على وجهين الوجه الأول وهو الذي عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحد أن كل من كانت
 الدلائل عنده أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأن عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين
 فتكون معرفته بالله أقوى فزاد إيمانه الوجه الثاني هو أنهم بصدد قون بكل ما يتلى عليهم من عند الله
 ولما كانت التكليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما تجد تكليف صدقائه فزادوا
 بذلك الإقرار بتصديق إيماناً ومن المعلوم أن من صدق إنساناً في شئ كان أكبر من صدقه في شئ واحد
 فقوله تعالى وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً معناه أنهم كلما سمعوا آية جديدة أو بأقرار جديد وتصديق
 جديد فكان ذلك زيادة في إيمانهم واختلف الناس في أن الإيمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا
 أن الإيمان عبارة عن التصديق القلي قالوا لا يقبل الزيادة لاجتماع أهل اللغة على أن الإيمان هو التصديق
 والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال أن الإيمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق
 بالقلب والأقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما
 أن قوله زادتهم إيماناً صريح في أن الإيمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق فقط لما قبل
 الزيادة وإذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني أنه لما ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من
 أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف
 داخلة في معنى الإيمان وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بنضع وسبعون

(فاتقوا الله) في الاختلاف
 والمخاصمة وكوناً متآخين
 في الله (وأصلحو ذات بينكم)
 أحوال بينكم يعني ما بينكم
 من الأحوال حتى تكون
 أحوال الفة ومحبة واتفاق
 وقال الزجاج معنى ذات بينكم
 حقيقة وصلكم واللين الوصل
 أي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين
 على ما أمر الله ورسوله به قال
 عبادة بن الصامت رضي الله
 عنه نزلت فينا يا معشر أصحاب
 بدر حين اختلفنا في النفل
 وساءت فيه أخلاقنا فترعه الله
 من أيدينا فجعله لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقسمه بين
 المسلمين على السواء (وأطيعوا
 الله ورسوله) فيما أمرتم به
 في الغنائم وغيرها (إن كنتم
 مؤمنين) كالملي الإيعان (إنما
 المؤمنون) إنما يكاملون
 الإيمان (الذين إذا ذكر الله
 وجلت قلوبهم) فزعت
 لذكره استعظامه وتهيباً
 من جلالة وعززه وسلطانه
 (وإذا نلت عليهم آياته) أي
 القرآن (زادتهم إيماناً)
 ازدادوا إيماناً وطمأنينة
 لأن تظاهروا بالدلائل أقوى
 للدلول عليه وأثبت لقدمه
 أوزادتهم إيماناً بتلك الآيات
 لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل

(وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يتحسبون ولا يرجون إلاياه (الذين يقيمون الصلوة وعما رزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل ١٦٤ والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون

حقا) هو صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيماناً حقيقياً وهو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقاً أي حق ذلك حقاً وعن الحسن رحمه الله أن رجلاً سأله أمؤمن أنت قال إن كنت تسألني عن الإيمان بالله ولائك كنهه وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إنما المؤمنون الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقاً ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أي لا يقطع بحبائه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً وهذا يتشبه من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله يقول ذلك وقال لقنادة لم تستثنى في إيمانك قال أتباعاً لأبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى وعن إبراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقاً فإن صدقت أثبت عليه وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يكن منافقاً فهو مؤمن حقاً وقد

شعبة أعلها شهادة أن لا إله إلا الله وأنها المأطاة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن الإيمان فيه أعلى وأدنى وإذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقص قال عمر بن حبيب وكانت له حجة أن للإيمان زيادة ونقصاً ناقيل له فإن يادته قال إذا ذكرنا الله وحده فذلك زيادته وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي أن للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدود وأوسنفاً استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم إليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم أن المؤمن إذا كان وانقاداً عبد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومربية شريفة لأن الإنسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أمور إلا على الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعنى الوجل عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلوة وعما رزقناهم ينفقون) يعني يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها وأركانها في أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر والقربات ثم قال تعالى (أولئك) يعني من هذه صفاتهم (هم المؤمنون حقاً) يعني يقيناً لا شك في إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الإيمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقاً إلا أن الله سبحانه وتعالى أنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسألة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلقوا في أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقاً لا فقال أصحاب الإمام أبي حنيفة الأولى أن يقول أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين الأول أن المتحرر لا يجوز أن يقول أنا متحرر إن شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسألة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمناً حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقاً فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقاً وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله واحتجوا بصحة هذا القول بوجوه الأول أن الإيمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والإقرار والعمل وكون الإنسان آتياً بالأعمال الصالحة المقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وإن كان اعتقاده وإقراره صحيحاً وعند أصحاب أبي حنيفة أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الإيمان فلم يلزم حصول الشك الوجه الثاني أن قولنا أنا مؤمن إن شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن إذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال إن شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار روى أن أبا حنيفة قال لقنادة لم استثنيت في إيمانك فقال قتادة أتباعاً لأبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى فاقطع قتادة قال بعضهم كان لقنادة أن يقول إن إبراهيم قال بعد قوله بلى ولكن لم طمئن قلبي فطلب مزيد الطمأنينة الوجه الثالث أن الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية إنما المؤمنون ولقطة التأكيد الحصري يعني إنما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصافاً خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والالتيان بالصلوة كما أمر الله سبحانه وتعالى وآياته الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقاً يعني أن من أتى بجميع هذه الأوصاف

(لهم درجات) مراتب بعضها

فوق بعض على قدر الأعمال

(عند ربهم ومغفرة) وتجاوز

لسيئاتهم (ورزق كريم)

صاف عن كذا الاكتساب

وخوف الحساب الكاف في

(كما أخرجك ربك) في محل

النصب على أنه صفة مصدر

الفعل المقدر والتقدير قل

الانفال استقرت لله والرسول

وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل

ثبات اخراج ربك يا لك من

بيتك وهم كارهون (من

بيتك) يريد بيته بالمدينة أو

المدينة نفسها لانهم مهاجرة

ومسكنه فهي في اختصاصها

كاختصاص البيت لساكنه

(بالحق) اخرجوا ملتبسا

بالحكمة والصواب (وان

فريقان من المؤمنين لكاهون

في موضع الحال أي أخرجك

في حال كراهتهم وذلك ان غير

قريش أقبلت من الشام فيها

تجارة عظيمة ومعها أربعون

راكبا منهم أبو سفيان فأخبر

جبريل النبي عليه السلام

فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقى

الغير لكثرة الخير وقوله القوم

فلما خرجوا علمت قريش بذلك

فخرج أبو جهل بجميع أهل

مكة وهو النفي في المثل السائر

لا في العير ولا في النغير فقبل

له ان العير أخذت طريق

الساحل ونجت فأبى وسار بمن

معه الى بدر وهو ما كانت

العرب تجتمع فيه لسوقهم

يوماني السنة ونزل جبريل

عليه السلام فقال يا محمد ان

الله وعدكم احدي الطائفتين

اما العير واما قريشا فانتصاف

كان مؤمنا حقولا لا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول أنا مؤمن ان شاء الله وقال ابن أبي نجيج سأله رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن ان كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت سألتني عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كنا في سفر فلقنا قوم فقلنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون فقلنا ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا قال فاردت انهم يعلمون شيئا قل هلا قلتم لهم أمن أهل الجنة أنتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم أنه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر الوجه الرابع ان قولنا أنا مؤمن ان شاء الله التبرك لا الشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لا يحقون مع العلم القطعي انه لا حق بأهل القبور الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقول أنا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم أصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول أنا متحرك ان شاء الله بأن الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا كان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للوصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا بتلك الاوصاف الخمسة ولا يقدر أحد ان يأتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا ان من أتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى (لهم درجات عند ربهم) يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لا درجات الجنة على قدر الأعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها بأعمالهم وقال الربيع بن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمهر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لو سعتهم (ومغفرة) يعني ولهم مغفرة لذنوبهم (ورزق كريم) يعني ما أعدهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه حاصلة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله سبحانه وتعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) اختلافوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لا ممر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لا ممر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحو اذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منهم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعده تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كرهه فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أي امض على الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذ كريا محمدا اذ أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحى لطلب المشركين (وان فريقان من المؤمنين لكاهون) يعني للقتال وانما كرهوه لقلته عددهم وقلة سلاحهم وكثرة

الذي صلى الله عليه وسلم أحجابه وقال العير أحب اليكم أم النغير قالوا بل العير أحب اليها من أقاء العدو وتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو وقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنهما ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد ١٦٦ ابن عمر وامض لما أمرك الله فانامعك حيث أحبيت لا تقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى

اذ هب أنت وربك فقاتلانا انا ههنا فاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلانا معك مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله ما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر نخضته لخصناه معك ما تخاصف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول أسير وافان الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكافي الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل ان يكونوا مختلصين وان يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهبين له (يجادلونك في الحق) الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النغير لا يثارهم عليه تلقى العير (بعد ماتين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون وجداهم قو لهم ما كان خروجنا الى العير وهلاكنا لنستعد ذلك اكراهتهم القتال) كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم في فرط فرغهم وهم يسار بهم الى الضفر والغنمة بحال من يعتدل الى القتل ويساق الى الموت وهو مشاهد لا سبابة ناظر اليه الا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقله العدو وانهم كانوا رجالا وما كان فهم الا فارسا (واذ بعدكم الله إحدى الطائفتين) اذ منصوب باذكروا إحدى مقول ثان (أنهم لكم) بدل من إحدى الطائفتين وهما العير والنغير والتقدير واذا بعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم

لا ما كان خروجنا الى العير وهلاكنا لنستعد ذلك اكراهتهم القتال) كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم في فرط فرغهم وهم يسار بهم الى الضفر والغنمة بحال من يعتدل الى القتل ويساق الى الموت وهو مشاهد لا سبابة ناظر اليه الا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقله العدو وانهم كانوا رجالا وما كان فهم الا فارسا (واذ بعدكم الله إحدى الطائفتين) اذ منصوب باذكروا إحدى مقول ثان (أنهم لكم) بدل من إحدى الطائفتين وهما العير والنغير والتقدير واذا بعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم

لا تعرضن له فان عادلا فكيف يمكنه قال فعدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أني قد
فأنتي أي أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت به فوالله اني لا مترنحوه أترضه ليعود لبعض ما قال
فأقع به وكان أبو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يستد قال
العباس فقلت في نفسي ماله لعنسه الله كل هذا فراقني أن أشاقه قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت
ضمضم بن عمرو وهو يصرخ بطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو
يقول ياه مشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أمو الكيم مع أي سفينان وقد عرض لها محمدي في أصحابه ولا أرى ان
يدركوها الغوث الغوث قال فشق غلتي عنه وشغلته عني ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سرا ولم يتخلف من
أشراف قريش أحد الا أن أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش
للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا لخنسي ان يا تونانم خلقتنا فكد
لكم من أن تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سرا وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أصحابه لليل مضت من شهر رمضان حتى بلغ وادي يقال له ذا قرد فأماه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا
عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عليه اللقوم فأخبره بخبرهم وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفه اللانصار يدعي أريقط فأماه بخبر القوم وسبقت العير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدهم إحدى الطائفتين أنهنالكم اما العير
واما قريش وكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير ورحب النغير
فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله
فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن
نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد دعي مدينة
الحبشة لجاد لنا معك من دونه حتى نبغله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعاه ليجير ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عدد الناس وانهم حين يابعدوه
بالعقبه قالوا يا رسول الله انابرأمن ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصات النفاقنت في ذمامنا فممنعك مما
منع منه أبناءنا ونساءنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرتي
الا من دهم بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنت تريد يا رسول الله قال أجل قال قد آمنابك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدونا وموئنا بقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول
الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد
وما نكره ان تلقى بنا عدونا وعذوك انا الصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا
ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سعد ونشطه ذلك فقال
سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع
القوم (م) عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء
الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطوا الحدود التي حدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في أثر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد
وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساد الأرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول
منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا فلذلك قوله سبحانه وتعالى وايدعكم الله إحدى الطائفتين

(وتؤدون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أي العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفر لعدهم وعدتهم أي تمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التي ١٦٨ لاسلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله أن يحق الحق) أي يثبت ويعلمه (بكلماته)

أنها لكم يعني طائفة أي سفين مع العير وطائفة أي جهل مع النفر (وتؤدون) أي تريدون وتمنون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) والمعنى وتمنون أن العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح (ويريد الله أن يحق الحق) أي يظهر الحق ويعلمه (بكلماته) يعني بأمره أياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه (ويقطع دابر الكافرين) أي ويستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعني ليثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعني وينفي الكفر (ولو كره المجرمون) يعني المشركين وفي الآية سؤال الأول ان قوله ويريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فاما معناه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعدني هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد الثاني تقوية القرآن والدين واظهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سبباً لا عزال الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فالمراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كونه ذلك الحق حقاً والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كونه ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته ووقع رؤساء الباطل وقهرهم قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم) أي واذا كرم يا محمد اذ تستغيثون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبلني النبي صلى الله عليه وسلم القبلة ثم متديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم أنجز لي ما وعدتني الأرض فما زال يهتف بربه ما تديده حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم) أي بمدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمد الله بالملائكة قال سمك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتمني اثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالصوت فوفقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك أمامه خرم مسمة تلقيا فظفر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسر واسبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاءكم أي بمدكم بألف من مددكم أي مرسل اليكم مدداً وورداً لكم بألف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضاً يعني يتبع بعضهم بعضاً روى انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهده وقال أبو بكر ان الله سينجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انقبه فقال يا أبا بكر نال نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناباه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سيم الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقابل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونوا فيما سواه عدداً ومداً وروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدر انه قال بعد ما ذهب بصبره لو كنت معكم اليوم لبدر ومعى بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام

بآياته المنزل في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قلب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا دبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وستساق الامور والله تعالى يريد معالي الامور ونصرة الحق وعلاو الكرامة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسرت قوتهم بضعفكم واعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو محذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليد الاختصاص أي ما فعله الاله ما هو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غير هالهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) اشركون ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يدعكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي

ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغناؤهمي طلب الغوث وهو الخلد من المكروه (فاستجاب لكم) فاجاب وأصل (أي بمدكم) بأنني بمدكم فخذني الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله (بألف من الملائكة مردفين) مدني غير بتكرار الدال وفتحها قال كسر على أنهم أردفوا غيرهم والفتح على انه أردف كل ملك ملكاً آخر يقال ردفة اذا تبعه وأردفته اياه اذا تبعته في

(وما يجعله الله) أى الامداد الذى دل عليه محمدكم (الابشرى) الابشارة لكم بالنصر (ولتظم من به قلوبكم) يعنى أنكم استغنتم وضرعتم لقلوبكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكيناً منكم ووربطاً على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله

يوم بدر فقبل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها على رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذناهم أبين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين يأتي هذا الضرب ولا ترى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لأنتم وقيل لم يقاتلوا وأما كانوا يكثر من السوداوي يثبتون المؤمنين والا فذلك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا (إن الله عزيز) بنصر أوليائه (حكيم) بقهر أعدائه (أذيعساكم) بدل ثان من أذيعساكم أو منصوب بالنصر أو بأضمار اذكريعشيك مدني (النعاس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يعساكم النعاس مكي وأبو عمرو (أمنسة) مفعول له أي اذنتعسون أمنسة بمعنى أمنا أي لا منكم أو مصدر أي فامنتم أمنسة فالنوم يريح الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أي أمنسة حاصلة لكم من الله

في سورة آل عمران هل قالت الملائكة أم لا والصحيح أنهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضرب به بالسوط فخطم أنفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مدد أو عونا وقيل أنهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثر واسود المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعل الله إلا بشرى) (ولتطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق أنهم اغتزلوا ذلك للقتال والصحيح هو الأول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الأيام وقوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله) يعني أن الله هو نصركم أي المؤمنون فنقموا بنصره ولا تتكلموا على قوتكم وشدة بأسكم وفيه تنبيه على أن الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل إلا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والأعانة (إن الله عزيز) يعني أنه تعالى قوى منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه (حكيم) يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده قوله سبحانه وتعالى (اذيعشاكم النعاس أمنة منه) أي واذا كروا ذليقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أي أمننا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الأمن وإزالة الخوف وقيل أنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقله المسلمين وقله عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقي عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم السكال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيا بحيث لو قصدتهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقد روي على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كن أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهم هذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المحزنة لانه أمر خارق للعادة وقوله سبحانه وتعالى (وينزل عليكم من السماء ماء) يعني المطر (ليظهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثير من أرض أعقر تسوخ فيه الاقدام وخواف الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعجون أنفسكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محمدنين ومجنيين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنين واعتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملأوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر بذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الأحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني وسوسته التي ألقاها في قلوبكم (وليربط على قلوبكم) يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الالة متعلآ فيكون المعنى ان القلوب امتدت من ذلك الربط حتى كانت تعلوها وارفع فوقها (ويثبت به الاقدام) يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه الاقدام وخواف الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفتر ويهرب عند اللقاء

٢٣ خازن في (وينزل) بالتخفيف مكى وبصرى وبالتشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطر (اليطهركم به) بالماء من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويقه اياهم من العطش أو الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وقوسوسهم ان لا نصرمة مع الجنابة (وليربط على قلوبكم) بالصبر (ويثبت به الاقدام) أى بالماء اذا اقدام كانت تسوخ في الرمل أو بالربط لان القلب اذا تمكّن فيه الصبر يثبت القدم في مواطن القتال

(اذيوحى) ببل ثالث من
اذيعدكم أو منصوب ببثبت
(ربك الى الملائكة أنى معكم)
بالنصر (فثبتموا الذين آمنوا)
بالشورى وكان الملك يسير
أمام الصف في صورة رجل
ويقول أبشروا فان الله ناصركم
ناصركم (سألقى في قلوب
الذين كفروا الرعب) هو
امتلاء القاب من الخوف
والرعب شامى وعلى
(فاضربوا) أمر للمؤمنين
أولاً لئلا يثبته وفيه دليل على
أنهم قاتلوا (فوق الاعناق)
أى أعلى الاعناق التى هى
الذابح تطير الرأس أو
أراد الرأس لأنها فوق
الاعناق يعنى ضرب الهام
(واضربوا منهم كل بنان)
هى الاصابع يريد الاطراف
والمعنى فاضربوا المقاتل
والشورى لان الضرب امان
يقع على مقتل أو غير مقتل
فأمرهم ان يجمعوا عليهم
النوعين

وقوله سبحانه وتعالى (اذيوحى ربك الى الملائكة أنى معكم) يعنى ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى الملائكة الذين
أمرتهم النبي صلى الله عليه وسلم وأحياه فى معكم بالنصر والمعونة (فثبتموا الذين آمنوا) أى قوا وأقوهم
واختلفوا فى كيفية هذه التقوية والتثبيت فقبيل كان للشيطان قوة فى القاء الوسوسة فى قلب ابن آدم بالشورى
فكذلك للملك قوة فى القاء الالهام فى قلب ابن آدم بالخبر ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقى الملك الهام
والهامافهـ ذاهو التثبيت وقبيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أى بنوهم
بقواتهم معهم المشركين وقبيل معناه بشر وهم بالنصر والظفر فكان الملك يشى فى صورة رجل أمام الصف
ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) يعنى الخوف وكان ذلك نعمة من
الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف فى قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الاعناق) قبيل هو خطاب
مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلاً بما قبله قال ابن الأثير
ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بنى آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعنى
الرؤس لأنها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على
الاعناق فتكون فوق يعنى على (واضربوا منهم كل بنان) يعنى كل مفصل وقال ابن عباس يعنى الاطراف
وهى جمع بنانة وهى أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التى يمكن الانسان ان يبين
ما يريد ان يعمل به يديه وانما خصت بالذكور من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك
السلاح فى الحرب وقيل لانه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء
وبضرب البنان وهو أضعف الاعضاء فيدخل فى ذلك كل عضو من الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه
هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان البنان يتمكن من مسك
السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن أبى داود المازنى وكان شهيداً قال انى
لا تبع رجلاً من المشركين لا ضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيرى وعن سهل
ابن حنيف قال لقد رأيت يوماً بدر وان أحداً ليسير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل
اليه السيف وروى عكرمة عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاماً للعباس بن عبد
المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا أهل البيت فأسلمت أم الفضل وأسلمت
وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكره اسلامه وكان ذاملاً كثير مقتري فى قومه وكان عدو الله
أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب بدر كتبته الله
وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا قال أبو رافع وكتب رجلاً ضعيفاً عمل القداح وأنحنت فى حجرة زمزم
فوالله انى لجالس أنحنت القداح وعندى أم الفضل جالسة اذا قبل الفاسق أبو لهب يجتر رجليه حتى جلس
على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب
قد قدم فقال أبو لهب الى يا ابن أخى فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخى
أخبرني كيف كانت أحوال الناس قال لا شئ والله أن كان الان لقيناهم فخنناهم أكننا فقتلونا
ويأسرونا كيف شأوا وAIM الله مات الناس لقينار جالسا على خيل بلق بين السماء والارض والله
لا يتلقاهم شئ ولا يقوم لهم شئ قال أبو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي وقلت تلك والله الملائكة ترفع أبو
لهب يده فاضرب وجهي ضربة شديدة فتأورته فاحتملني فاضرب بي الارض ثم برك على صدري وكتب رجلاً
ضعيفاً فقامت اليه أم الفضل بعمود من عمد الحجرة فاضربت به ضربة فلقط رأسه شجرة منكورة وقالت
تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام مولى اذلى فوالله ما عاش الاسبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله
وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بنى سمية وكان أبو اليسر
رجلاً مجموماً وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني اليسر كيف أسر العباس
قال يا رسول الله لقد أعاني عليه رجل ماراً بته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله

(ذلك) إشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبنة أخبره (بأنهم شاقوا والله ورسوله) أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مخالفتهم أى مخالفتهم وهى مشقة من الشق لان كلا المتعادين فى شق خلاف شق ١٧١ صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا فى عدوة وخصم أى

هـ- ذافي عدوة وخصم أي
جانب وذافي عدوة وخصم
(ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب)
والكاف في ذلك الخطاب
الرسول أول كل أحد وفي
ذلك للكفرة على طريقة
الالتماع ومحله الرفع على
ذلك العقاب أو والعقاب
(ذلك فذوقوه) والوافي
(وأن للكافرين عذاب النار)
بعني مع أي ذوقوا هذا
العذاب العاجل مع الأجل
الذي لكم في الآخرة فوضع
الظاهر موضع الضمير
(يا أيها الذين آمنوا اذقيتم
الذين كفروا زحفا) حال
من الذين كفروا والزحف
الجيش الذي يرى لكثرة
كأنه يزحف أي يدب ديبا
من زحف الصبي اذا دب
على استه قله لاقبل لا يمشي
بالمصدر (فلا تولوهم
الادبار) فلا تنصرفوا عنهم
منهم من أي اذقيتموهم
للقاتال وهم كثير وأنتم
قليل فلا تنفروا فاضل ان
تدافوهم في العدد أو تساووا
أو حال من المؤمنين أو من
الفرقة أي اذقيتموهم
متزاحقين هم وأنتم (ومن
يولهم يومئذ برة الا من حترقا)
مائلا (لقتال) وهو الأكثر
بعد الفريضة بل عدوه انه
منهم ثم يعطف عليه وهو

عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صليحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعني الذي وقع من القتل والأسرى يوم بدر (بأنهم شاقوا الله ورسوله) يعني بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبية كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) يعني أن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسرى قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى (ذلكم) إشارة إلى القتل والأسرى الذي نزل بهم (فدوقوه) يعني عاجلوا في الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعدّه الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله (وأن للكافرين عذاب النار) يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالغير ليس من دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلحك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا القيم الذين كفروا زحفا) يعني مجتمعين متراحفين بعضهم إلى بعض والتراخف التذاني في القتال وأصل الزحف مشي مع جتر الرجل كنبعات الصبي قبل أن يمشى وسمى المشي الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفا لأنها تمشي كل طائفة إلى صاحبته تمشي يارويد وذلك قبل التذاني للقتال وقال ثعلب الزحف المشي قليلا قليلا إلى الشيء (فلا تولوهم الأدبار) يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال (الا متحرّفا لقتال) يعني الامتنعوا عن القتال يرى عدوّه من نفسه الانهزام وقصد طلب المكثرة على العدو والعود إليه وهذه أحوال أبواب الحرب وخدعها ومكايدها وقوله تعالى (أو متحيزا إلى فئة) يعني أو متضاوما صائرا إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال (فقد باء بغضب من الله) يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (ومأواه جهنّم وبئس المصير)

فصل في حكم هذه الآية باختلاف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدري هذا في أهل بدر خاصة لأنه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يختصون بها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولم ولو انحاز وانحازوا إلى المشركين ولا نهأ أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فثبت ذلك عليهم أمر الانهزام وحرمة عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فإن المسلمين بعضهم فئة وبعض فيكون القارم مختبزا إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن قتر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عقاب الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كُنَّا فِي جَيْشٍ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَاصَ النَّاسَ حَيْصَةً فَأَنهَزْنَا فَقَتَلَنَا رَسُولُ اللَّهِ نَحْنُ الْفَرَارُونَ قَالَ لِأَبِي أَنْتُمْ الْكَثَرَارُونَ أَنَا فِئَةُ الْمُسْلِمِينَ قَوْلُهُ فَخَاصَ النَّاسَ حَيْصَةً يَعْنِي جَالِ النَّاسِ جَوْلَةً يَطْلُبُونَ الْفَرَارَ مِنَ الْعَدُوِّ وَالْحَيْصُ الْمَهْرَبُ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ لِمَا قَتَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ جَاءَ الْخَبْرَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَوْ أَنَحَازَ إِلَى كُنْتُمْ لَهُ فِئَةٌ أَنَا فِئَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ حُكْمُ الْآيَةِ عَامٌ فِي حَقِّ كُلِّ مَنْ وَلِيَ ظَهْرَهُ مِنْهُمْ مَا بَدَّلِيلُ قَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَذَا خُطَابٌ عَامٌ فَيَتَوَلَّى جَمِيعُ الصُّوَرِ وَأَنَّ كَانَتْ الْآيَةُ تَرْتَلُفُ فِي غَزَاةٍ بَدْرٍ لَكِنَّ الْعَبْرَةَ بَعْدُ مَوْجُودُ الْفَلْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبُكَارِ الْفَرَارُ مِنَ الزَّخْفِ وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَاحٍ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى الْآنَ خُفِّ اللَّهُ عَنْكُمْ فَلَيْسَ لِقَوْمٍ أَنْ

من خلع الحرب (أو متحيزا) منضمًا (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى القصة التي هو فيها وأما حالان من ضمير الفاعل في يومهم (فقدبا) بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) ووزن متحيز متفعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخروا قلت وأسرت قيل لهم

جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فرمى بها في وجوههم
وقال شأهت الوجوه فلم
يبق مشرك الا شغل بعينه
فانهز مواقيل (ومارميت)
يا محمد اذ رميت ولكن الله
رى (يعنى ان الرمية التي
رميتها انت لم ترها انت على
الحقيقة لانك لو رميتها لما
بلغ اثرها الا ما يبلغه أثر رمي
البشر ولكنها كانت رمية الله
حيث أثرت ذلك الاثر العظيم
وفي الآية بيان ان فعل العبد
مضاف اليه كسبا والى الله
تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية
والمعتزلة لانه أثبت الفعل من
العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه
عنه وأثبت لله تعالى بقوله
ولكن الله رى ولكن الله
قتلهم ولكن الله رى بتخفيف
لكن شامى وجه نزوع الى
(وليبلى المؤمنين) وليعطيهم
(منه بلا عسنا) عطاء جيلا
والمعنى وللأحسن الى
المؤمنين فعل ما فعل وما فعل
اللا ذلك (ان الله سميع)
لدعائهم (عليهم) باحوالهم
(ذلكم) اشارة الى البلاء
الحسن ومحله الرفع أى الامر
ذلكم (وان الله موهن كيد
الكافرين) معطوف على
ذلكم أى المراد بلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين
موهن كيد شامى وكوفى غير
حفص موهن كيد حفص
موهن غيرهم (ان تستفتحوا

يفتر وامن مثلهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر
من عدوهم لا يجوز لهم ان يفتر وامنهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المؤمنين جاز لهم ان يفتر
منهم قال ابن عباس من قرمن ثلاثة لم يفتر ومن قرمن اثنين فقد قر قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم) قال مجاهد سب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل يقول أنا قتلت فلانا
ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فترت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بمعنى نصره اياكم
وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم
تقتلوهم جواب بشرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم (ومارميت
اذ رميت ولكن الله رى) قال أهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا
حتى نزلوا بدر او وردت عليهم روايا قر يش وفهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن
سعد فأخذوهما وأتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين قر يش
قالا هم وراء الكتيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكتيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم
القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا ندرى قال كم يحضرون كل يوم قالوا يوم عشرة ويوم تسعة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قر يش قالوا عتبة بن ربيعة
وشببة بن ربيعة وأبو الجثري بن هشام وحكيم بن خزام والحريث بن عاص وطعمة بن عدى والنضر بن الحرث
وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وصهيل بن عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه مكة قد ألفت اليكم أفلا ذكبداهما فلما أقبلت قر يش وراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من
العقنقل وهو الكتيب الرمل جاء الى الوادى فقال اللهم هذه قر يش قد أقبلت بخيلائها وخرها اتحادك
وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتني فانه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما اتقى الجمع تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاما من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال
شأهت الوجوه يعنى قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينيه وفه ومنخريه من ذلك التراب شئ
فانهز مواوتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد كزلنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في مينة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم
وقال شأهت الوجوه فانهز موا ذلك قوله عز وجل ومارميت اذ رميت ولكن الله رى اذا يس فى وسع أحد
من البشر أن يرى كفاما من الحصى فى وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شئ فصوره الرى
صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح التنفى والاثبات
وقيل فى معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل ومارميت بالرعب فى قلوبهم اذ رميت
بحصياتك ولكن الله رى بالرعب فى قلوبهم حتى انهزموا (وليبلى المؤمنين منه بلا عسنا) يعنى ولينعم على
المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والا اجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء هنا يعنى النعمة
(ان الله سميع) يعنى لدعائكم (عليهم) باحوالكم وقوله تعالى (ذلكم) يعنى الذين ذكرت من أمر القتل
والرى والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلمنا ذلك الذى فعلنا (وان الله) يعنى واعلموا ان الله مع ذلك
(موهن) أى مضعف (كيد الكافرين) يعنى مكروهم وكيدهم قوله عز وجل (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)
هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان أباجهه قال يوم بدر لما
التقى الجمع اللهم أينما كان أختر يعنى نفسه ومحمد صلى الله عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال
اللهم أينما كان خير عندك فأنصره وقيل قال اللهم انصر أهدي الفتنتين وخير الفريقين وأفضل الجمع اللهم
من كان أجبر وأقطع لرحه فأحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستحكموا الله على
أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفتنتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة

فقد جاءكم الفتح (ان تستفتحوا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين أرادوا ان يفتر وارتفعوا باستار المظلوم
الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فأنصره وان كنا على الحق فأنصرنا وقل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان انتهوا الكافرين أى

الظالم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في
 الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا أنا بجلالين من الانصار حديثه أسنانهم اقمتميت ان أكون
 بين أضلع منهن ما فغمزني أحدهما فقال أي عم هل تعرف أباجهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخي قال
 أخبرني انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى
 يموت الا بعجل منافتي فجمبت لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت الى أبي جهل يقول في
 الناس فقلت ألا تريان هذا صاحبكم الذي تسألاني عنه قال فاستدراه بسيفه فما ضرب به حتى قتلاه ثم انصرفا
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما ما أنا قتله فقال هل مسحتما
 سيفكما فقال لا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاهما قتله وقضى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بسلبه لهما والرجل لان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفراء (ق) عن أنس بن مالك قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبوجهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرب به ابنا عفراء
 حتى برد قال فأخذ بحميته فقال أنت أبوجهل وفي كتاب البخاري أنت أباجهل هكذا قاله أنس فقال وهل
 فوق رجل قتلتموه أو قال قتله قومه وفي رواية فقال أبوجهل فلو غيرا كارفتلني عن عبد الله بن مسعود قال
 هربت فاذا أبوجهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أباجهل قد أخزى الله الآخر قال ولا أهابه
 عند ذلك فقال أحمد من رجل قتله قومه فضر به بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط بسيفه من يده
 فضر به حتى برد آخرجه أبو داود وأخرجه البخاري مختصرا قال انه أتى أباجهل يوم بدر وبه رمق فقال هل
 أحمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فأنزل
 الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان
 المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على
 الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني
 ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لأهدى الفئتين وهم أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجوح لما فرغ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام أن يلتصق في القتلى فقال اللهم لا يجرؤ فلما سمعها
 جعلته من سألني فجمدت نحوه فضر به ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضر بني ابنه عكرمة على عاتقي
 فطرح يدي فعلق بجلده وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامية يومى وانى لا أصبح اخلفي فلما أذنتني جعلت
 عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عظيم معاذ بن عفراء فضر به حتى أثبتته وتركه وبه
 رمق فخر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخر رمق ففرقته فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل
 أخزأك الله يا عدو الله قال وبأذا أخزاني أحمد من رجل قتلتموه أخبرني ابن الدبرة قلت لله ولرسوله روى عن ابن
 مسعود انه قال قال لي أبوجهل لقد ارتقيت يارويعي الغم مرتقي صعبا ثم احتزرت رأسه ثم جئت به الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال آله الذي لا إله غيره فقلت
 نعم والذي لا إله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال أبي بن كعب هذا خطاب
 لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا أي تستنصروا فقد جاءكم
 الفتح أي النصر (خ) عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده له في
 ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصرونا ألا تدعولنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل
 فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مадون لحمه وعظمه ما يصدده
 ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب
 على عنقه ولا كنكم تستجهلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسر به أبي بن كعب الآية وفيه نظر
 لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بحكمة والآية مدنية فلا تعلق للحديث بنفسه سيرا الآية والله أعلم

(وان تنتهوا) عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) أى الانتهاء (خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) محاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تغنى
عنكم فتكم) جمعكم (شيئاً ولو كثرت) عدداً (وان الله مع المؤمنين) بالفتح مدنى وشاى وحض أى ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك
وبالنكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبد الله وان الله مع المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا الله ١٧٤ ورسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد من يطع
الرسول فقد أطاع الله فكان
رجوع الضمير الى أحدهما
كرجوعه اليهما كقولك
الاحسان والالجال لا ينفع في
فلان أو يرجع الضمير الى الأمر
بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا
الأمر وامتناله وأصله ولا
تتولوا خذف احدى التاءين
تخصيها (وأنتم تسمعون) أى
وأنتم تسمعون أو ولا تتولوا
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم
تسمعون أى تصدقون
لانكم مؤمنون لستم كالصم
المكذبين من الكفرة (ولا
تكونوا كالذين قالوا سمعنا
أى ادعوا السماع وهم
المنافقون وأهل الكتاب
(وهم لا يسمعون) لانهم
ليسوا بصديقين فكأنهم غير
سامعين والمعنى انكم تصدقون
بالقرآن والنبوة فاذا توليت
عن طاعة الرسول في بعض
الأمر من قسمة الغنائم
وغيرها أشبه سماعكم سماع
من لا يؤمن ثم قال (ان شر
الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون) أى ان شر
من يدب على وجه الارض
البهائم وان شر البهائم الذين
هم صم عن الحق لا يعقلونه
جعلهم من جنس البهائم

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله بيده وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين وألح في الدعاء
والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيباً له ان تستفتحوا يعنى تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم
الله به فقد جاءكم الفتح يعنى فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز
ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين وهذا اذا قسرنا الفتح بالنصر
والظفر على الاعداء أما اذا قسرناه بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى (وان
تنتهوا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعنى وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن نكذبه فهو
خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص
من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر (وان تعودوا نعد) يعنى وان تعودوا القتال محمد
صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم (ولن تغنى عنكم فتكم) يعنى جماعتكم (شيئاً) يعنى لا تغنى
عنكم شيئاً (ولو كثرت) يعنى جماعتكم (وان الله مع المؤمنين) يعنى بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار قوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) يعنى في أمر الجهاد لان فيه بديل المال والنفس (ولا تولوا
عنه) يعنى عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولى لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لاني حق
الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معاونته ونصرته في الجهاد (وأنتم تسمعون) يعنى القرآن يتلى عليكم
(ولا تكونوا كالذين قالوا) بالأسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعنى وهم لا يعظون ولا ينتفعون بما سمعوا
من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعنى ان شر من دب على وجه الارض
من خلق الله عند الله (الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعنى
لا يفهمون عن الله أمره ونهيهم ولا يقبلونه وانما سمعناهم دواب لقللة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس
هم نفر من بني عبد الدار بن قضى كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعاً
يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة (ولو علم الله فيهم
خير الا سمعهم) يعنى سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان
حاصلاً فيجب أن يعلم الله عدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه
بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير الا سمعهم الله الخج والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو
أسمعهم) يعنى بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتتولوا وهم
معرضون) يعنى لتتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وبحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم
كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احى لنا قصص ما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتتولوا وهم
فقال الله سبحانه وتعالى ولو أحييهم قصص ما سمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون قوله عز وجل (يا أيها
الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) يعنى أجيئوا بها بالطاعة والانقياد لأمرهما (اذا دعاكم) يعنى الرسول صلى
الله عليه وسلم وانما واحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى
وانما ذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الأمر للوجوب لان
كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل
مادعا الله ورسوله اليه (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم
ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابر وابتعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خير) صدقاً ورغبة
(لا سمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسمعوهم سماعاً مديقاً (ولو أسمعهم لتولوا) عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا
(وهم معرضون) عن الايمان (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وخذ الضمير أيضاً كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالادعوة البعث والتحريض

فلم أجبه ثم أتته فقلت يا رسول الله اني كنت أصلي فقال صلى الله عليه وسلم لم يقل الله استحيوا الله والرسول
 اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب وهو يده على
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبي قال قلت أبي ولم يجبه ووصلني أبي وخفف ثم انصرف الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام ما منعك
 يا أبي أن تبيني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله
 الي استحيوا الله والرسول اذا دعاكم لما يحميمكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذي
 وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع
 صلاته لدعاء أحد آخر وقيل لودعاه أحد لا همهم لا يتأمل التأخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى (ما
 يحميمكم) يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة
 هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو
 الجهاد لان الله أعز به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون (واعلموا ان الله
 يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين
 الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا
 يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا بذاته وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات
 ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله
 سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد
 يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس
 ان مالكا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول
 الله قد أمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف
 شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يترفع على ما جاء مع الاعتقاد
 الجازم بتزيه الله تعالى عن الجارية والجسم وقيل في معنى الآية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى
 لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد كانوا في غاية الضعف والقلية خافت
 قلوبهم وضائق صدورهم فقبل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا
 والجن جراءة وقوله تعالى (وأنه اليه تحشرون) يعني في الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيمضي المحسن ويعاقب
 العاصي قوله سبحانه وتعالى (وانتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لما أخبر الله عز وجل انه يحول
 بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان تزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل
 تمتد الىكم جميعا وتصل الى الصالح والاطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقدمه ورائه وانتقوا فتنة ان
 لم تمتقوها أصابكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن تزلت هذه الآية في علي وعمار وطهجة والزبير قال الزبير
 لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى انما من أهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي
 ومجاهد والضال وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابهم الفتنة يوم الجمل
 وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقرروا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب فيصيب
 الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم
 وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في
 جامع الاصول عن عدي بن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان
 من شهدها فأفانكرها كن غاب عنها ومن غاب عنها فافرضها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود عن جرير بن عبد

(ما يحميمكم) من علوم الديانات
 والشرائع لان العلم حمة كما
 أن الجهل موت قال الشاعر
 لا تبين الجهول حلة
 فذلك ميت وثوبه كفن
 أو لمجاهدة الكفار لانهم
 لورفضوها الغلبوهم وقتلواهم
 أول الشهادة لقوله تعالى بل
 أحياء عند ربهم (واعلموا ان
 الله يحول بين المرء وقلبه) أي
 يمتهن فتقوته الفرصة التي
 هو واجدها وهي التمكن
 من اخلاص القلب فاعتصموا
 هذه الفرصة وأخلصوا
 قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو
 بينه وبين ما تمناه بقلبه من
 طول الحياة فيفسخ عزائه
 (وأنه اليه تحشرون) واعلموا
 انكم اليه تحشرون فمثمكم
 على حسب سلامة القلوب
 واخلاص الطاعة (وانتقوا
 فتنة) عذابا (لا تصيبن الذين
 ظلموا منكم خاصة) هو
 جواب لامر أي ان أصابكم
 لا تصب الظالمين منكم خاصة
 ولكن اتعممكم وجاز أن تدخل
 النون المؤكدة في جواب
 الامر لان فيه معنى النهي
 كما اذا قلت أنزل عن الدابة
 لا تطرحك وجاز لا تطرحك
 ومن في منكم للتبعيض

(واعلموا أن الله شديد العقاب) إذا عاقب (واذكروا إذا أنتم قليل) اذمفعول به لا ظرف أي واذكروا وقت كونكم أقله أذلة (مستضعفون في الأرض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يخطفكم الناس) لأن الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فأواكم) إلى المدينة (وأيدكم بنصره) بظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم (علمكم تشكرون) هذه النعم (بأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بأن تعطوا فرائضه (والرسول) بأن لا تستنوبوه (وتخونوا) جزم عطف على لا تخونوا أي ولا تخونوا (أماناتكم) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعه ذلك وبالله أو أنتم تعلمون أنكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن نعمة لا عن سهو أو أنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كان معنى الايفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه

الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي بقدر وون على ان يعبروا عليه ولم يعبروا الا اصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد مبلغاً أو معاذاً فليعذبه * فان قلت ظاهراً قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب * قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عن غما فعل وهم يستسلمون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية أولا انه تعالى علم اشتمال ذلك على أنواع من أنواع المصلحة والله أعلم بمراده وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا ان الله شديد العقاب) فيه تحذير ووعد لمن واقع الفتنة التي حذر الله منها وقوله عز وجل (واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض) لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين إذا أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الأرض يعني في أرض مكة في ابتداء الاسلام (تخافون أن يخطفكم الناس) يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم (علمكم تشكرون) يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من النضير على أن يسيروا الى اخوانهم الى أذرع وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل النينا بألبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله ولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار أبو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تقبلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم خبره قال ألم ألوأجاني لا استغفرت له أما فعل ما فعل فاني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه فقلت سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرم مغشياً عليه ثم ناب الله عليه فقبل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لي هو الذي يحلني فجاهد فخله بيده ثم قال أبو لبابة ان تمام توبتي أن أهجرد أرقوى التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به فتزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي صلى الله عليه وسلم فينقلونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله ان أباسقيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أباسقيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحياه ان أباسقيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه وانكموا قال فكذب رجل من المنافقين اليه ان محمد يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا أماناتكم) ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم (وأنتم تعلمون) يعني انها أمانة وقيل معناه وأنتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنت أماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس

(واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة) أي سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب أو محنة من الله ليهيئ لكم كيف تحافظون فهم على حدوده (وأن الله عنده أجر عظيم) فعلمكم أن تحرصوا على طلب ذلك وترهبوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يا أيها الذين آمنوا انتم والله يجعل لكم فرقانا) نصر الله يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بالذلال خربه والاسلام باعزاز أهله أو يبيننا وظهورا وشهرا أمركم ويثبت صيتكم وأثركم في أقطار الأرض من قولهم سطع الفرقان أي طلع الفجر وأخرجهم من الشبهات وشرح الصمدون أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة ١٧٧ (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي الصغائر (ويعفركم) ذنوبكم أي الكبائر (والله ذو الفضل العظيم) على عبادِهِ (واذعبركم الذين كفروا) لما فتح الله عليه ذكركم مكر قريش به حين كان بمكة ليسكر نعمته الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذا ذكر اذعبركم بذكر ذلك ان قريشا لما أسلمت الانصار فارقوا ان يتفارقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابيس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجدة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت ان أحضركم ولن تعدوا معي رأيا ونصحا فقال أبو الجحري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشددوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طهارة وشرابه منها وتتر بصوابه رب المنون فقال ابيس بش الرأي بأيتكم من يقاتلكم من قومهم ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنعوا واسترحم فقال ابيس بش الرأي يفسد

هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله أمانة فآذوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمن به عليها ومنه الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذا الامانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل (واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة) قيل هذا مما نزل في أبي لباة وذلك لان أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال وخوفناهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة هو حب المال والولد لله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصير به محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال اما انهم مجلبة تجبنه وانهم لمن ربحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ذات يوم وهو محتمض أحد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ربحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة قوله لمن ربحان الله أي لمن رزق الله والربحان في اللغة الرزق وقوله تعالى (وأن الله عنده أجر عظيم) يعني لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا انتم والله يجعل لكم فرقانا) يعني يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نوراً وتوقيفاً فلو كنتم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشئين لكنه أبلغ من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجاً في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حكمكم ويظهر باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعلم به ويبطل الكفر ويوهنه (ويكفر عنكم سيئاتكم) يعني ويحجب عنكم ماسلف من ذنوبكم (ويعفركم) يعني ويستتر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفيه قيل انه يتفضل على الخائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بعفوان السيئات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله سبحانه وتعالى (واذعبركم الذين كفروا) لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذا كنتم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر إلى المدينة والمعنى واذا كرى يا محمد اذعبركم الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل النفس يرقا لواجب ما ان قريشا فرقوا لما أسلمت الانصار ان يتفارقوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبوسفيان

٢٣ خازن في قوم غيركم ويقايلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتطعموه سيفاً يضربوه ضرباً رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بشوهاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال العيينه صدق هذا الذي هو أجودكم رأياً ففرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له الله في الهجرة فأمره علياً فانام في مضجعه وقال له انشعب يبرئني فانه لن يخلص اليك أمر نكرهم وبا توأمة ترصد في فأصبحوا آثاراً الى مضجعه فأبصر واعيا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم

وطعمة بن عدى والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن خزام ونبيه ومنبه ابن
الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم أبليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت
باجتماعكم فأردت أن أحضركم وإن تعدوا مني رأيا ونجحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى
أن تأخذوا محمد أو تحبسوه في بيت مقيد أو تشددوا وثاقه وتسددوا أبواب البيت غير كوة تلقون منها طعامه
وشرا به وتربصوا به رب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله أبليس وهو الشيخ
النجدى وقال بنس الرأى رأيت لمن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الداب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه
فيوشك أن يثبوا عليكم فيمقتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقام هشام بن عمر ومن
بنى عامر بن أموى فقال أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأن
وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال أبليس اللعين ما هذا اليك برأى تدعون إلى رجل قد أفسد أحلامكم
فتخرجونه إلى غيركم فيفسد هم ألم تروا إلى حلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه
والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق
الشيخ النجدى فقال أبو جهل والله لا شئ برأى عليكم برأى ما أرى غيره أنى أرى أن تأخذوا من كل بطن من
قريش شابا نسيما وسطا فتيا ثم تعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضرب رجل واحد فاذا قتلوه تفرق
دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم إذا أرادوا ذلك قالوا
العقل فتؤدى قريش دية فقال أبليس اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا والعقول ما قال لا أرى غيره
فتتفرقوا على قول أبى جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره
بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذى كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عنه بذلك بالخروج إلى المدينة
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يبيت في مضجعه وقال له الشيخ يبرق فانه لن يتخاص
اليك منهم أمر تكبره ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل
أبصارهم عنه فخرج وجعل يثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ أنا جعلنا فى أعناقهم أغصلا لا إلى قوله فهم
لا يبصرون ومضى إلى الغار من ثور وهو أبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى قبلها وكانت
الودائع توضع عنده لصدقة وأمانته قالوا أبواب المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا إليه لبيعة لوه فرأوه عليا فقالوا له أين صاحبك
قال لا أدري فافتقروا أثره وأرسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابها نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن
لنسج العنكبوت على بابها أثر فكت فى الغار ثلاثا ثم خرج إلى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى واذكركم
الذين كفروا وأصل المكر احتيال فى خفية (ليمتلوك) أى ليحبسوك ويوتقوك لأن كل من شئ شيئا وثقه
فقد أثبت له لا يقدر على الحركة (أو يقتلوك) يعنى كما أشار عليهم أبو جهل (أو يخرجوك) يعنى من مكة
(ويكفرون) يعنى ويحتالون ويدبرون فى أمرك (ويكفرون) يعنى ويحاربهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء
مكرا لأنه فى مقابله وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله تعالى التدبير
بالحق والمعنى أنهم احتالوا فى إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أظهره وقواه ونصره
فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره (والله خير الماكرين) * فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى
والله خير الماكرين ولا خير فى مكرهم * قلت يحتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين فوضع خير موضع
أقوى وفيه تنبيه على أن كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد أن مكرهم فيه خير بزعمهم فقال
سبحانه وتعالى فى مقابله والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفصيل بل أن فعل الله خير مطلقا قوله عز
وجل (واذا تنلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونساء لقلنا مثل هذا) نزلت فى النضر بن الحرث بن علقمة من بنى
عبد الدار وذلك أنه كان يختلف إلى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رسم واسه تدبير وأحاديث
الجهنم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون

(ليمتلوك) ليحبسوك
ويوتقوك (أو يقتلوك)
بسيوفهم (أو يخرجوك)
من مكة (ويكفرون) ويخفون
المكايده (ويكفرون) ويخفي
الله ما عدهم حتى يأتهم
بغته (والله خير الماكرين)
أى مكره أنفذ من مكر غيره
وأبلغ تأثيرا كان عليه السلام
يقرأ القرآن ويدكر أخبار
القرون الماضية فى قراءته
فقال النضر بن الحرث لو شئت
لقلت مثل هذا وهو الذى
جاء من بلاد فارس بنسخة
حديثة رسم وأحاديث
الجهنم فتنزل (واذا تنلى عليهم
آياتنا) أى القرآن (قالوا قد
سمعنا لونساء لقلنا مثل هذا

(واذ قالوا اللهم ان كان هذا
أى القرآن (هو الحق من
عندك) هذا اسم كان وهو
فصل والحق خبر كان روى
ان النضر لما قال ان هذا الاساطير الاولين قال له النبي
عليه السلام ويك هذا كلام
الله فرفع النضر رأسه الى
السماء وقال ان كان هذا هو
الحق من عندك (فأما طر
علينا بحجارة من السماء) أى
ان كان الله - رآن هو الحق
فعاقبا على انكاره بالسجيل
كما فعلت بأصحاب الفيل (أو
اثنتا بعذاب أليم) بنوع آخر
من جنس العذاب الاليم
فقتل يوم بدر صبورا وعن
معاوية انه قال لرجل من
سبأ ما أجهل قومك حين
ملكوا عليهم - م امرأة قال
أجهل من قومي قومك
قالوا الرسول الله عليه السلام
حين دعاهم الى الحق ان
كان هذا هو الحق من عندك
فأما طر علينا بحجارة من السماء
ولم يقولوا ان كان هذا هو
الحق فاهدنا له (وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم) اللام
لما كيد النبي والدلالة على ان
تعذيبهم وأنت بين أظهرهم
غير مستقيم لانك بعثت رجلا
للعالمين وسنته ان لا يعذب
قوما عذابا استصال مادام
بينهم بين أظهرهم وفيه اشعار
بأنهم مرصدون بالعذاب
اذا هاجروا عنهم (وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون)

ويمكنون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلى فقال النضر بن الحرث قد
سمعنا يدعى مثل هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا فاذقهم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم
الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدى وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدر واما متخلفوا عنه وهم أهل
النصاحه وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (ان هذا الاساطير الاولين)
يعنى أخبار الماضين قوله سبحانه وتعالى (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأما طر علينا بحجارة
من السماء أو اثنتا بعذاب أليم) نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه
وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان
محمد صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا إله الا الله قال
وأنا أقول لا إله الا الله ولكن هذه بنات الله يعنى الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعنى القرآن الذى
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى ان كان الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم لم من أمر التوحيد وادعاء
النبوة وغير ذلك هو الحق فأما طر علينا بحجارة من السماء يعنى كما أما طرته على قوم لوط أو اثنتا بعذاب أليم
يعنى مثل ما عذبت به الامم الماضية وفى النضر بن الحرث نزل سائل بعذاب واقع قال عطاء الله - د نزل في
النضر بن الحرث بضعة عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعime بن عدي وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث وروى أنس
ابن مالك ان الذى قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فأما طر علينا بحجارة من السماء الآية فقتلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجه نزات وما لهم
ألا يعذبهم الله وهم يصتدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في
معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية متصلة عما قبلها وهى حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا
ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفروا ولا يعذب أمة وتبينها معهما فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لذكره
جهالتهم وغرورهم واستغفرتهم على أنفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم ألا يعذبهم الله وان
كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصتدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف
يقول الله عز وجل اخبار عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلقوا في معناه فقال
أضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم بمقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فأمر الله عز وجل
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة
فهو العذاب الذى وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق
بميت أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المسلمين
فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا
يقولون بعد فرغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فأما طر علينا بحجارة من السماء فلما أمسوا اندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله
تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
أى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقرروا بالذنب واستغفروا والله لكانوا مؤمنين وقيل هذا
دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعمري لا أعاقبك وأنت تطيعنى أى أطعنى
حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أى يسلمون يعنى لو أسلموا الماعذوا وقال ابن عباس
وفيه من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوا بن أمية وعكرمة بن

هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أى ولو كانوا من يؤمن ويستغفرون من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان
الله معذبهم وفيهم من يستغفرون وهم المسلمون بين أظهرهم بمن تخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين

(وما لهم ألا يعذبهم الله) أي
وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم
وما لهم ألا يعذبهم الله (وهم
يصدون عن المسجد الحرام)
وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم
يصدون عن المسجد الحرام
كما صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الحديبية
وأخراجهم رسول الله
والمؤمنين من الصدوقا
يقولون نحن ولادة البيت
والحرم قصده من نشاء وتدخل
من نشاء فقيس (وما كانوا
أولياءه) وما استحقوا مع
أشراكهم وعداوتهم للدين
أن يكونوا ولادة أمر الحرم
(أن أولياؤه الالمتقون)
من المسلمين وقيل الضمير
راجعان إلى الله (ولكن
أكثرهم لا يعلمون) ذلك كانه
استثنى من كان يعلم وهو يعاند
أو أراد بالأكبر الجميع كما يراد
بالقلة العدم (وما كان صلاتهم
عند البيت الامكاء) صفرا
كصوت المكاء وهو طائر ملج
الصوت وهو فعال من مكأ
يمكوا إذا صفر (وتصدية)
وتصفيقاة فعلة من الصدى
وذلك أنهم كانوا يطوفون
بالبيت عزاة وهم مشبكون
بين أصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وكانوا يفعلون
نحو ذلك إذا قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صلاته
يخطون عليه

أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن خزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي أصلهم من يستغفرون
وقيل في معنى الآية أن الكفار لما بالغوا وقالوا أن كان محمد محقا في قوله فأمر طر علينا حجارة من السماء أخبر الله
سبحانه وتعالى أن محمد الحق في قوله وأنه مع ذلك لا يعطر على أعدائه ومنكرى نبوته حجارة من السماء ما دام بين
أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا أنه إذا كانت إقامة مانعة من نزول العذاب بهم
فكيف قال في غير هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فالجواب أن المراد من العذاب الأول هو عذاب
الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبي
والأسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دلت هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من
العذاب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أنزل على أمانين لا ممتي وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم
القيامة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله) يعني أي شيء يمنعهم من أن يعذبهم
يعني بعد خروجك من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين في الآية الأولى أنه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين
أظهرهم وبين في هذه الآية أنه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والأسر يوم بدر وقيل
أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب الثاني العذاب بالسيف
وقيل أراد بالعذاب الأول عذاب الدنيا وهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الأولى وهي قوله
تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وفيه بعد لان الأخبار لا يدل عليها النسخ ثم
بين ما لا جله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون عن المسجد الحرام) يعني وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف
بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وما كانوا
أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعني
ليسوا أولياء المسجد الحرام (أن أولياؤه الالمتقون) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم)
يعني المشركين (لا يعلمون) ذلك قوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) لما ذكر الله
عز وجل أن الكفار ليسوا بأولياء البيت الحرام ذكر عقبه السبب في ذلك وهو أن صلاتهم عنده كانت مكاء
وتصدية والمكاء في اللغة الصغير يقال مكأ الطير يمكوا إذا صفر والمكاء اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صغير
وقيل هو طائر يألف الرف سمى بذلك لكثرة مكأته يعني صغيره والتصدية التصفيق وفي أصله واشتقاقه
قولان أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالجيب للكام ولا يرجع إلى شيء الثاني
قال أبو عبيدة أصله تصددة فأبدلت الياء من الدال قال الأزهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله
سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمر بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت
* صلاتهم التصدى والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عزاة يصفرون ويصفقون
وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهنون به
ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفقون فالكاء جعل الأصابع في الشدق والتصدية الصغير وقال
جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكاء وتصدية فجمع كفيه ثم فتح فيهما صفرا وقال
مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفغان ورجلان عن يساره
يصفقان ليخطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء
والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله
سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة * فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة * قلت أنهم كانوا
دعاة دون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن كان
المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير
التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فلي هذا التصدي من الصدوق وهو المنع

(فذوقوا العذاب) عذاب القتل والاسير يوم بدر (عما كنتم تكفرون) بسبب كفركم وتزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً وكفهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر خزور (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ١٨١ ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع

محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندامة وحسرة فكان ذاتها تصير ندامة وتقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أي من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بحشرون ليميز حزة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجمعه (فيجعل في جهنم) أي الفريق الخبيث (أولئك) إشارة الى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أي أبي سفيان وأصحابه (ان ينتهوا عما هم عليه من عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يعفروا ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الاولين) بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقي

وقوله سبحانه وتعالى (فذوقوا العذاب) يعني عذاب القتل والاسير في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب (عما كنتم تكفرون) يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقبا بعبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة وقال الكاكي ومقاتل تزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبية ومنبه ابنا الحجاج وأبو الجعثري ابن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن خزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر خزور أسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن خزام وقال الحكمين عتبة تزلت في أبي سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن أبي سفيان يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره الى مكة فمضى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آبائهم وأبناءهم وأخوانهم يوم بدر فكمالوا بأبائهم بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمد قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربنا لعلنا ندرك منه ثاراً عن أصيب منافقهم تزلت ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليمتقوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسينفقونها) يعني أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) يعني ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) يعني منهم لان فهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنافقين أموالهم (الى جهنم يحشرون) يعني يساقون الى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فإنه قال عير أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعني بعضه فوق بعض (فيركه جميعا) يعني فيجمعه جميعا ويضع بعضه الى بعض حتى يتركم (فيجعل في جهنم) يعني الخبيث (أولئك) إشارة الى المنافقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث (هم الخاسرون) يعني أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله سبحانه وتعالى (قل) يعني قل يا محمد (للذين كفروا ان ينتهوا) يعني عن الشرك (يعفروا ما قد سلف) يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين) يعني في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتزموا شرائع عفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصر وأعليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساقط اسلامه كيوم ولدته أمه يعني بذلك أنه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفر فأرجو أن لا يجز عن هدم ما بعده من ذنب (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال ابن عباس يعني حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء (ويكون

أومعناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا عفوهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى ان لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون

الدين كله لله) يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا إله الا الله عليها
 قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليه ادعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
 الدين كله لله يعني لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من
 الانداد والشركاء (فان انتهوا) يعني عن الشرك واقتان المؤمنين وايدائهم (فان الله بما يعملون بصير)
 يعني فان الله لا يخفي عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم (وان تولوا) يعني وان أعرضوا
 عن الايمان وأصر وأعلى الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايدائهم (فاعلموا) يعني أيها المؤمنون (ان الله
 مولاكم) يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو نعم
 المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلالة فهو له نعم المولى ونعم النصير قوله عز وجل (واعلموا ان
 ما غنمتم من شيء فان الله خمسه وللرسول) الغنم الفوز بالشيء يقال غنم غنم يغتم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل
 الغنمة والفي اسمان لمسي واحد أم يختلفان في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنمة ما ظهر المسلمون عليه
 من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهي في وقال سفيان الثوري الغنمة ما أصاب المسلمون من
 مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهد الواقعة والفي مما صولحو عليه بغير قتال وليس
 فيه خمس فهو ان سمي الله وقيل الغنمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفي مما لم يوجف
 عليه بجيول ولا ركاب كالعشور والخزيرة وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفي والغنمة معناه ما واحد وما
 اسمان لشيء واحد والصحيح أنهم ما يختلفان فالفي مما أخذ من أموال الكفار بغير احتياج خيل ولا ركاب
 والغنمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة باحتياج خيل ولا ركاب فذكر الله سبحانه وتعالى في
 هذه الآية حكم الغنمة فقال تعالى واعلموا أن ما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى الخيط والخيط فان الله
 خمسه وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء ان قوله الله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما أضافه
 لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهمه من الله مفرد الان الدنيا والاخرة
 كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنمة تقسم
 خمسة أخماس أربعة أعلاها وأحرزها والخمس الباقى الخمسة أصناف كذا ذكر الله عز وجل
 للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم
 سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقرى الاول أصبح أي ان خمس الغنمة يقسم على خمسة أسهم سهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول
 الشافعي وأحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي
 صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد
 موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين في الآية وهم ذو القربى واليتامى
 والمساكين وابن السبيل وقوله سبحانه وتعالى (ولذي القربى) يعني ان سهمهم من خمس الخمس لذوي القربى
 وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل
 لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو
 المطلب وليس ابني عبد شمس ولا ابني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم
 قال جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا
 ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية
 أعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد
 شمس ولا لبني نوفل شيئا أخرجه البخاري وفي رواية أبي داود ان جبير بن مطعم جاءه هو وعثمان بن عفان
 بكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله قسمت
 لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم

الذين كله لله) ويضمحل عنهم
 كل دين باطل ويبقى فهم دين
 الاسلام وحده (فان انتهوا)
 عن الكفر وأسلموا (فان الله
 بما يعملون بصير) يشهم على
 اسلامهم (وان تولوا) أعرضوا
 عن الايمان ولم ينتهوا (فاعلموا
 ان الله مولاكم) ناصركم
 ومعينكم فتقوا بولايته
 ونصيرته (نعم المولى) لا يضيع
 من تولاه (ونعم النصير)
 لا يقلب من نصره والمخصوص
 بالمدح محذوف (واعلموا ان
 ما غنمتم) ما جمع في الذي ولا
 يجوز أن يكتب الامفصولا
 اذ لو كتب موصولا لوجب
 ان تكون ما كافه وغنمته صلاته
 والعائد محذوف والتقدير
 الذي غنمتموه (من شيء) بيانه
 قيل حتى الخيط والخيط (فان
 لله خمسه) والفاء انما دخلت
 لما في الذي من معنى المجازاة
 وان وما علمت فيه في موضع
 رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره
 فالحكم ان لله خمسه (والرسول
 ولذي القربى

وبنو المطلب شي واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى
القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا النبي
صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال
أخواننا بني المطلب أعطيهم وتركنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أنا وبني المطلب
لا نفتقر في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شي واحد وشك بين أصابعه واختلف أهل العلم في سهم ذوى
القربى هل هو ثابت اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقرائهم وأغنياءهم من خمس
الغنم للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب أبو حنيفة وأصحاب الرأى الى أنه غير ثابت
قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنمة على ثلاثة أصناف
اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الأصناف دون أغنيائهم وحجة
الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد
المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وألحقه الشافعي بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير
أنهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهم واحد وقوله سبحانه
وتعالى (اليتامى) جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الخمس لليتامى الذى له سهم في الخمس هو الصغير
المسلم الذى لا أب له فيعطى مع الحاجة اليه (والمساكين) وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين (وابن
السبيل) وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنمة
ويقسم أربعة أخماسها الباقية بين الغانين الذين شهدوا الواقعة وحازوا الغنمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم
سهم له وسهمان لفارسه ويعطى الراجل سهم واحد الماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسم في النفل للفارس سهمين وللراجل سهم واحد وفي رواية نحوه بأسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى ومسلم وفي
رواية أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسهم للرجل وفارسه ثلاثة أسهم سهم ماله وسهمين لفارسه
وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد واسحق وقال
أبو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للبعيد والنسوان والصبيان اذا حضر والقتال ويقسم
العقار الذى استولى عليه المسلمون كما نقول وعند أبي حنيفة يتخير الامام ان ينفل بعض الجيش من الغنمة
ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا
في القتال يستحق سلبه من رأس الغنمة الماروى عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل
قتيلا له عليه بيعة فله سلبه أخرجه الترمذى وأخرجه البخارى ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون
على المقتول من ملبوس وسلاح والفارس الذى كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنمة
لزيادة عناؤه ولا يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سائر الغنمة
(ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من سرايا لانفسهم خاصة سوى
غامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربيع في البداة
والثلث في الرجعة أخرجه أبو داود واختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس
من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى
الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير
فقال يا أيها الناس انه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الانجس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائي
وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افران الخمس كسهم الغزاة وهو قول أحمد واسحق وذهب قوم الى
أن النفل من رأس الغنمة قبل التخميس كالسلب للقتال وأما النفل وهو ما أصابه المسلمون من أموال
الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بأن صالحهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما أخذ من أموالهم اذا

واليتامى والمساكين وابن
السبيل) فالخمس كان في
عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم على خمسة أسهم
سهم لرسول الله وسهم لذوى
قرباته من بني هاشم وبني
المطلب ودون بني عبد شمس
وبني نوفل استحقوه حينئذ
بالنصرة لقصة عثمان وجبير
ابن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى
والمساكين وابن السبيل وأما
بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسهمة ساقط بموته
وكذلك سهم ذوى القربى
وانما يعطون لفقرهم ولا
يعطى أغنياءهم فيقسم على
اليتامى والمساكين وابن
السبيل وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه كان على
سنة لله والرسول سهمان
وسهم لا قاربه فأجرى أبو بكر
رضي الله عنه الخمس على
ثلاثة وكذا عمر ومن بعده
من الخلفاء رضي الله عنهم
ومعنى لله والرسول رسول
الله كقوله والله ورسوله
أحق أن يرضوه

(ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا به وارضوا بهذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وما أنزلنا) معطوف على بالله أي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا يوم الفرقان) يوم بدر (يوم التقى الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل ١٨٤ من يوم الفرقان (والله على كل شيء قدير) يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر

دخلوا دار الاسلام للتجارة أو عوت أحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله في أموال التي كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمران الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا التي بنيت لم يخص به أحد غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي يجعله مال الله في الكراع والسلاح واختلف أهل العلم في مصرف التي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأئمة بعده وللإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه للقاتلة الذين أثبتت أسماء وهم في ديوان الجهاد لأنهم هم القاتعون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في إرهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس التي فذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه الى انه يخمس وخمسه لأهل الخمس من الغنمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصر فواحدوا وجميع المسلمين فيه حق * عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوم ما التي فقال ما أنا حق بهذه التي عنكم وما أحد منا حق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الأرض مسلم الا له في هذا التي عني الا ما ملكت أيمانكم وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعني واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنمة مصرف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه أطعامكم واقنعوا بأربعة أخماس الغنمة ان كنتم آمنتم بالله وصدة تم بوحدة أئمتهم (وما أنزلنا على عبدنا) يعني وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه إضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسئلونك عن الانفال الآية (يوم الفرقان) يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر ففرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو لسبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمانمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعة مائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك (والله على كل شيء قدير) يعني على نصركم أيها المؤمنون مع قتلهم وكثرة أعدائكم قوله سبحانه وتعالى (اذ أنتم) أي اذ كنتم وانعمة الله عليكم بامعشر المسلمين اذ أنتم (بالعدوة الدنيا) يعني بشفير الوادي الأدنى من المدينة والديار هنا تأنيث الأدنى (وهم) يعني المشركين (بالعدوة القصوى) يعني بشفير الوادي الأقصى من المدينة تسمى إلى مكة والقصوى تأنيث الأقصى (والركب أسفل منكم) يعني أباسفيان وأصحابهم غير قريش التي خرجوا لإجهاها وكانوا في موضع أسفل من موضع المؤمنين إلى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر (ولو تواعدتم) يعني أنتم والمشركون (لاختلفتم في الميعاد) وذلك لان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوا هامن المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم والكفار على القتال لاختلتم أنتم وهم اقتحم وكثرة عدوكم (ولكن) يعني ولكن الله جمعكم على غير ميعاد (ليقضى الله أمرا) كان مفعولا يعني من نصر أوليائه وأعز دينه واهلاك أعدائه وأعداء دينه (لهلاك من هلك عن بينة) يعني ليموت من مات عن بينة رآها وعبره عاينها ووجه قامت عليه (ويحيى من حي عن بينة) يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبره شاهدها ووجه قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه

(اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان أو التقدير اذ كنتم اذ أنتم (بالعدوة) شط الوادي وبالشكر فهم امكي وأبو عمرو (الدنيا) القربى الى جهة المدينة تأنيث الأدنى (وهم بالعدوة القصوى) البعدي عن المدينة تأنيث الأقصى وكنناهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو يا كالعليا تأنيث الأعلى وأما القصوى فكانت قودي مجيئة على الاصل (والركب) أي العير وهو جمع راكب في المعنى (أسفل منكم) نصب على الظرف أي مكانا أسفل من مكانكم يعني في أسفل الوادي بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدأ (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواعدتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم في الميعاد) لخالق بعضكم بعضا فبسطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق بكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلاميعاد (ليقضى الله أمرا) كان مفعولا من أعز دينه وأعلى كلمته واللام تتعلق بحذف أي ليقضى الله

أمرا كان ينبغي ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه بذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أي ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا أوليته أمرا كان قد أراد وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وخزبه ويتعلق بمقتضى (لهلاك من هلك عن بينة) حي نافع وأبو عمر فلا دعاما للقاء المثلين والظاهر لان حركة الثاني غير

لازمه لانك تقول في المستقبل يحيا والادغام اكثر استعير الهلاك والحياة لكفر والاسلام أي ليس در كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالطة شبهة حتى لا يبقى له على الله وجه ويصدر اسلام من أسلم أيا ضاعن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكارب النفس مع الطاهات والهاؤ هذا ذكر فيها مرا كثر الفرقين وان العير كانت أسفل منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة لمعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدو القصى التي أناسهم المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار ١٨٥ تسوخ فيها الارجل ولا عشي فيها الا بتعب ومشقة وكان

العير ورأى ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لا قوا لهم (عليهم) بكفر من كفر وعقاب وبإيمان من آمن وثوابه (اذير يكهم الله) نصب باضمار اذ كره أو هو متعلق بقوله لسميع علم أي يعلم المصالح اذ قلهم في عينك (في منامك قليلا) أي في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراهم كثير الفسليم) الجنة وهبتم الاقدام (ولتنازعتم في الامر) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) وأنتم بالسلامة من القتل والتنازع والاختلاف (انه علم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة واللين والصبر والجزع (واذير يكهم الله) الضمير ان مفعول أي واذا تبصرتم اياهم (اذالتيقيمتم)

للكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة (وان الله لسميع علم) يعني يسمع دعائكم ويعلم نيائكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز وجل (اذير يكهم الله) يعني واذا كره يا محمد نعمة الله عليك اذير بك المشركين (في منامك) يعني في نومك (قليلا) قال مجاهد أراهم الله في منامه قليلا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان ذلك تهيئة وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بما تخوف عليهم من ضعفهم لعلهم بما فهم وقيل لما أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قرش في منامه قليلا فأخبر بذلك أصحابه قال الوار ويا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراة كانت في البيضة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو أراهم كثير الفسليم) يعني الجنة والاعني ولو أراهم كثير اذ كرت ذلك لأصحابك لفسلوا وجبنوا عنهم (ولتنازعتم في الامر) يعني اختلفتم في أمر الاقدام عليهم أو الالحاجم عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي تكون معه الخصامة ومجادلة ومجادبة كل واحد الى ناحية والمعني لا اضطرب أمركم واختلقت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والقتل (انه علم بذات الصدور) يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة واللين والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه علم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل (واذير يكهم الله) اذالتيقيمتم في أعينكم قليلا) يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في البيضة ما أراه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قاتل رجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة فأشربنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا (ويقللهم في أعينهم) يعني ويقللهم يا محمد عشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذير زلكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما محمد وأصحابه أكلة جزور يعني لقلتهم في عينيهم ثم قال فلا تقتلوههم واربطوهم في الجبال يقول من القدرة التي في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وترداد جرأتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يهزبوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يهزبوا في الغواني الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم قال قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قال قلت ذلك يمكن في القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات فلا يشكر ذلك (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعني أمرا كان مفعولا بآلاء الله صلى الله عليه وسلم وأهل كلة الشرك وخذلان أهله قال قلت قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ليقضى الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعانيو اما أخبرهم به فيزاد يقيمهم ويحدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قاتل رجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللهم في أعينهم) حتى قال قاتل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثروهم فيها بعده ليحترقوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيهم واوواهم ويجوز ان يبصروا الكثير قليلا بأن يسر الله بعضهم بسائر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالي لا أرى هذين الذي كان أربعة (ليقضى الله أمرا كان مفعولا)

والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شأى وحزرة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اذ القيمت فئت) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار ١٨٦ واللقاء اسم غالب للقتال (فانبتوا) لقتالهم ولا تنفروا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب

أمر اكان مفعولا فبما معنى هذا التكرار بوقلت المقصود من ذكره في الآية المقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك مجزأة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في عين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاهما فاذلك قال ليقتضى الله أمر اكان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعنى في الآخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالحسن باحسنه والمسىء بأسأته أو يغفر قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذ القيمت فئت) يعنى جماعة كافرة (فانبتوا) يعنى لقتالهم وهوان يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوا بها بالتولى (واذكروا الله كثيرا) يعنى كونوا اذا كبرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأوليائه الصالحين بأن يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه وألسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بعبودية الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو وعند اللقاء ثم قال تعالى (لعلكم تفهلون) يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر * فان قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لآية التحرف والتحيز * قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدر في حصول هذا الثبات في المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (وأطيعوا الله وأطيعوا رسوله) يعنى في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو (ولا تنازعوا فتفشلوا) يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى (وتذهب ريحكم) يعنى قوتكم وقال مجاهد نصرتمكم قال وذهب ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي جرائكم وجدتم وقال مقاتل خذتكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتمكم والريح هنا كناية عن نقاذ الامر وجرائه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا قبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذ لم يقاتل من أول النهار آخر القتال حتى تزل الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعنى عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى اذا مال الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تثمروا لقاء العدو وأسألوا الله العافية فاذا القيمتم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثمروا لقاء العدو فاذا القيمتم فاصبروا قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعنى غفراوا ثمرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكثر بها أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (ورثاء الناس) الرياء اظهار الجليل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية (وبصدت عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم غفروا بغنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها

مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (اعلم تفهلون) تظفرون بمرادكم من النصر والمثوبة وفيه اشعار بأن على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبه أو أكثر ما يكون هواؤه ان تكون نفسه مجمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (وأطيعوا الله ورسوله) في الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا فتفشلوا) فتحيينوا وهو منهوب باضمار ان ويدل عليه (وتذهب ريحكم) أى دولتمكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت الدولة ونفذ أمره شهب في نفوذ أمرها وتشتبه بالريح وهبوا وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور (واصبروا) في القتال مع العدو وغيره (ان الله مع الصابرين) أى معينهم وحافظهم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فأتى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمر ونشرب

الجزر وتعرف علمنا القيان ونطمع بها العرب فذلك بطرهم ورياءهم الناس باطعامهم فوافوا هافسقا ونفروا كؤس المنيا مكان الخمر وناحت عليهم النواغ مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طريين مرثين بأعمالهم وان يكونوا من أهل التقوى والكافية والجزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطران تشمله كثرة النعمة عن شكرها (وبصدت عن سبيل الله) دين الله

(والله بما يعملون محيط) عالم وهو وعيد (واذرين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) واذا كراذرين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وسوس اليهم انهم لا يغلبون وغالب مبني نحو لا رجل ولكم في موضع رفع خبر لا تقدره لا غالب كائن لكم (واني جار لكم) أي مجيركم وأهمهم ان طاعة الشيطان مما يجيرهم (فلما تراءت الفئتان) فلما تلاقا الفريقان (نكص) الشيطان هاربا (على عقبيه) أي رجع القهقري (وقال اني بريء منكم) أي رجعت عما صنعت لكم من الامان روى ان ابليس تمثل لهم في صورة سراق بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص فقال له الحرث بن هشام اتخذ لنا في هذه الحالة فقال (اني أرى ما لا ترون) أي الملائكة وانهم زموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراق فبلغ ذلك سراق فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا أما أتيتنا في يوم كذا وكذا فخطب لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله (اني أرى ما لا ترون) قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معجبرا بريد عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ولم وفي يده البجاء بقود الفرس مارا ككب وقال قتادة قال ابليس اني أرى ما لا ترون وصديق وقال اني أخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطاعه اذ التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطعمه وعقل معناه (اني أخاف الله) أعلم صدق وعده لولائه لانه كان على ثقة من أمره وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة (والله شديد العقاب) قيل معناه اني أخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طمحة بن عبد الله بن كرز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدهر ولا أحقر ولا أعظم منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة

ونفخها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان أباسقيان لما رأى انه قد أمر زعيمه أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجحنا الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى ترد بدر او كان في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم به ساق في كل عام قال فنقيم عليها ثلاثا ونحار الجزور ونظم الطعام ونسقي الخجور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهاوننا أبدأ فامضوا زاد غيره قال فلما وافوا بدر ساقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوايح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا يكون من أمركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا الاتماس ما عند الناس ولكن أخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شيء لانه محيط بأعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله سبحانه وتعالى (واذرين لهم الشيطان أعمالهم) يعني اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريدا بليس للمشركين أعمالهم الخبيثة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) قال بعضهم كان تزيينه وسوسة ألقاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراق بن مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريش لما أجمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فبستى لهم ابليس في صورة سراق بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة فقال أنابا رلكم من ان يأتكم من كنانة ثني بكم كرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراق بن مالك بن جعشم فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقه أتزعم انك جار لنا فقال اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجيركم من كنانة (فلما تراءت الفئتان) أي التقى الجمعان رأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم (نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم) يعني رجع القهقري وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال السكبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراق بن مالك بن جعشم وهو أخذ يذيع الحارث بن هشام فذكص عدو الله ابليس على عقبيه فقال له الحرث أفرار من غير قتال وجعل يسكه فدفع في صدره وانطلق فانهم زرم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراق فبلغ ذلك سراق فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا أما أتيتنا في يوم كذا وكذا فخطب لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله (اني أرى ما لا ترون) قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معجبرا بريد عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ولم وفي يده البجاء بقود الفرس مارا ككب وقال قتادة قال ابليس اني أرى ما لا ترون وصديق وقال اني أخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطاعه اذ التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطعمه وعقل معناه (اني أخاف الله) أعلم صدق وعده لولائه لانه كان على ثقة من أمره وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة (والله شديد العقاب) قيل معناه اني أخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طمحة بن عبد الله بن كرز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدهر ولا أحقر ولا أعظم منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة

(أذيقول المنافقون) بالمدينة (والذين في قلوبهم مرض) هو من صفة المنافقين أو أريدوا الذين هم على حرف ليسوا بشائبي الأقدام في الاسلام
(عثر هؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين ١٨٨ اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل
على الله) بكل اليه أمره
(فان الله عزيز) غالب بسلط
القليل الضعيف على الكثير
القوى (حكيم) لا يسوى
بين واهيه وعدوه (ولوترى)
ولو عاينت وشاهدت لان
لوترى المضارع الى معنى
الماضي كما تردان الماضي
الى معنى الاستقبال (اذ)
نصب على الظرف (يتوفى)
الذين كفروا) بقبض
أرواحهم (الملائكة) فاعل
(يضربون) حال منهم
(وجوههم) اذا أقبلوا
(وأدبارهم) ظهورهم
واسم تاههم اذا أدبروا أو
وجوههم عند الأقدام
وأدبارهم عند الانهزام
وقيل في يتوفى ضمير الله
تعالى والملائكة مرفوعة
بالابتداء ويضربون خبر
والأول الوجه لان الكفار
لا يستحقون ان يكون الله
متوفيهم بلا واسطة دليله
قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء
(وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا
معطوف على يضربون (عذاب
الحريق) أى مقدمة عذاب
النار أو ذوقوا عذاب الآخرة
بشارة لهم به أو يقال لهم يوم
القيامة ذوقوا جواب لو
محذوف أى رأيت أمرا فظيها
(ذلك بما قدمت أيديكم) أى
كسبت وهو رد على الجبرية
وهو من كلام الله تعالى أو

وتجاوز الله عن الذنوب العظام الامار أى يرم بدر فانه قدر أى جبريل نزع الملائكة أخرجه مالك في الموطأ
قوله ولا أدحر هو بالذال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطر دمع الاهانة وقوله نزع الملائكة
أى يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصله * فان
قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذ تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت
ان الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر
لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل (أذيقول المنافقون) يعنى
من أهل المدينة (والذين في قلوبهم مرض) أى شك وأرتياب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام
ولم يقولوا اسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم
الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (عثر هؤلاء دينهم) يعنى ان هؤلاء غفروا قلبا وبناؤنا
أضعافهم فقد غترهم دينهم الاسلام على ذلك وجلهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا
يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث
ابن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة
وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا عثر هؤلاء دينهم
ثم قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويتوكل بقضله ويعول على احسانه (فان الله)
حافظه وناصره لانه (عزيز) لا يقبله شئ (حكيم) فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى
أعدائه قوله عز وجل (ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة) يعنى ولو عاينت وشاهدت اذ تقبض
الملائكة أرواح الذين كفروا وعند الموت رأيت أمرا عظيما ومنظر افظيه ما عذا بأشدينا لهم فى ذلك الوقت
(يضربون وجوههم وأدبارهم) اختلقوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه
الكفار وأدبارهم بسيطا من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم
وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا وجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم
بالسيوف واذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جريح يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر
يعنى يضربون جميع أجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعنى وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب
الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محجمة بالنار يضربون بها الكفار فتلتب النار فى جراحاتهم
وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا
عذاب الحريق (ذلك) يعنى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق (بما قدمت أيديكم) يعنى انما حصل لكم
ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي * فان قلت اليد ليست محملا للكفر وانما محمله القلب لان
الكفر اعتقاد والاعتقاد محمله القلب وظاهر الآية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هو اليد وذلك ممنوع * قلت
اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هى المؤثرة فى العمل فاليد كناية عن القدرة وقوله
تعالى (وان الله ليس بظلام للعبيد) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه
لا يظلم أحدا من خلقه وانما فى الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على عصيانه لانه
يتصرف فى ما يملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحتمل نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع
خلقهم كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلماذا قال الله سبحانه وتعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم فى ملكه
وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء قوله تعالى (كذاب آل فرعون) يعنى ان عادة هؤلاء الكفار
فى كفرهم كعادة آل فرعون فى كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزى آل فرعون

من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وما قدمت خبره (وان الله) عطف عليه أى ذلك العذاب بسبب
بسبب كفرهم ومعاصيهم وبان الله (ليس بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للكثير لاجل العبيد وأننى أنواع الظلم
الكافى فى (كذاب آل فرعون) فى محل الرفع أى دأب هؤلاء عمثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه

(والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تنسب لآب آل فرعون (بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم) أن الله قوى شديد العقاب والمعنى حروا على عاداتهم في التكذيب فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب (ذلك) العذاب أو الانتقام (بأن الله لم يك مغررا بنعمة أنعمها على قوم حتى يغير وأما بأنفسهم) بسبب أن الله لم يضح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم ١٨٩ حتى يغير وأما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في إراقة دمه غير وأحاله إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبوا الرسل (علمهم) بما يفعلون (كذب آل فرعون) تكرير للتأكيد أولان في الأولى الأخذ بالذنب ببيان ذلك وهما بين أن ذلك هو الأهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وبحود الحق وفي ذكر الإغراق ببيان الأخذ بالذنب قوله تعالى (إن شر الدواب عند الله) يعني في علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى أن شر الدواب من الناس الكفار المصرون على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الأشرف (الذين عاهدت منهم) قبل من صلح يثرب مع بني قريظة لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والأشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) قال المفسرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهدي يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنفقوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قالوا أنسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ووالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) يعني أنهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع إلى دين وعقل وخرم أن يتقن نقض العهد حتى يسكن الناس إلى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل أن من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فأما ثقتهم في الحرب) يعني فاما تجد هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم في الحرب (فشر دبرهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه قد كل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبيرة أنذر بهم

من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرتين الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) في كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة العذر ولا يبالون بمافيها من العار والنار (فأما ثقتهم في الحرب) فاما تصادفهم وتظفرن بهم (فشر دبرهم من خلفهم) ففرق عن محاربتهك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكابة فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أجد اعتبارا بهم واتعاطا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم

من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرتين الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) في كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة العذر ولا يبالون بمافيها من العار والنار (فأما ثقتهم في الحرب) فاما تصادفهم وتظفرن بهم (فشر دبرهم من خلفهم) ففرق عن محاربتهك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكابة فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أجد اعتبارا بهم واتعاطا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم

تالوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على استواء عندك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من التابذ والتبذ اليهم أي حاصلين على استواء في العلم (ان الله لا يحب الخائنين) المناقضين للعهد (ولا يحسن) بالياء وفتح السين شأى وحزرة ويريد وحفض وبالتاء وفتح السين أبو بكر وبالياء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا واقتلوا من ان يظفر بهم (انهم لا يجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالهم عاجزا عن ادراكهم انهم شأى أي لا يهتمون وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غيران المكسورة على طريقة الاستثنا والمفتوحة تعليل صريح فن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثاني سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره ان سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة أي انهم سبقوا فسد مسد المفعولين أو يكون الفاعل مضمر أي ولا يحسن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حذرة بالقراءة فقيه نظر لما بيننا من عدم تفرد بها وعن الزهري انها نزلت فيمن أثلت من قبل المشركين (وأعدتوا) أيها المؤمنون (لهم) المناقضى

من خفهم وأصل التثريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت هؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتكميل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من ورأهم من أهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يعني لعل ذلك النكاح يمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني واما تعلم يا محمد (من قوم) يعني معا هدين (خيانة) يعني نقض العهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانبذ) أي فاطرح (اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستوي يعني أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهون انك نقضت العهد أو لا ينصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقترب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو برزون وهو يقول الله أكبر الله أكبر فوافاه لا غدر افاداهو عرو بن عتبة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يجلها حتى ينقضى أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بل ازيادة رجل من حير وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة أو فرس واما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد بمن هادنهم الامام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بأمارات تالوح وتوضح له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بالاسقيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه فلهذا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام ان ينبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرا الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى (ولا تحسبن) قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعني فاتوا وانهم زمو ايوام بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يجزون) يعني انهم بهذا السابق لا يجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يجزونهم قوله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة أقوال * أحدها انها جميع أنواع الأسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثاني انها الحصون والمعقل * الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمارواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم (خ) عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوم بدر حين صفقنا القريش اذا أكتبوكم يعني غشوكم وفي رواية أكثر وكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا أكتبوكم فاعلمكم بالنبل (م) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يجزأ أحدكم ان يلهو بأهله (م) عن فقيم الحمصي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذلك قال سمعته يقول من بلغ الرمي ثم تركه فليس مننا أو قد عصي عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من

العهد أو لجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي الحديث ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا على المنبر وقيل هي الحصون

رى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه النسائي والترمذي بعنه وعنده قال عدل رقبته محررة
 وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبه بن عامر بعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
 يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحسب في عمله الخير والراى به والممدية وفي رواية ومنبله
 فارموا واركبوا وأن ترموا أحب الى من ان تركبوا كل له وباطل ليس من الله ومحمودا الا ثلاثة تأديب
 رجل فرسه وملا عبته أهله ورميه بقوسه أى نبه فانه من الحق ومن ترك الرى بعد ما علمه رغبة عنه
 فانها نعمة تركها وكفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا الى نبه (خ) عن سلمة بن الأكوع قال
 قال النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسمعيل
 فان أبائكم كان رمايا رموا أو أنامع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا أو أنامعكم كماكم * القول
 السابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من
 جلة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم ألا ان القوة الرى لا ينفى كون غير الرى من القوة
 فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله اندم توبة فهذا لا ينفى اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور
 من أفضل المقصود وأجله فكذا ههنا يحمل معنى الآية على الله تعالى تعدد القتال في الحرب وجهاد العدو
 بجميع ما يمكن من الآلات كالرى بالنبل والنشاب والسيوف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به
 الا انه من فروض الكفايات وقوله تعالى (ومن رباط الخيل) يعنى اقتناءها وربطها للغزو في سبيل الله
 والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذى يخص بأقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة
 المسلمين بالغزو للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به روى ان رجلا قال لابن سيرين ان
 فلانا وصى بثلث ماله للفرس وقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة
 الحصون ومن رباط الخيل يعنى الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالقيمة للنسل وروى
 ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقله صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة يستحبون
 ذكر الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند الشنات والغارات وقيل رباط الفحول أولى من الاناث لانها
 أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام في تناول الفحول
 والاناث فإى ذلك رباط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة بن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمان الله وتصديق بقاءه فان شبعه ورثه وورثه وبوله في ميزانه يوم القيامة
 يعنى حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر
 وعلى رجل وزر فاما الذى هى له أجر فرجل رباطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج
 أو روضة فإصاب في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولوانها قطعت طيلها فاستنت شرفا
 أو شرفين كانت له آثارها وأوائها حسنات ولوانها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له
 حسنات فهى لذلك الرجل أجر ورجل رباطها تغنيها وتعقلها لم ينس حق الله في رقبها ولا ظهرها فهى
 لذلك الرجل ستر ورجل رباطها خراور ياء ونوا لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر وستر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن الجمر فقال ما أنزل على فيها شئ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
 ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الخيل الذى يشد به الفرس وقت الرى والاستئنان الجرى والشرف
 الشوط الذى تجرى فيه الفرس وقوله تغنيها يعنى استغناءها عن الطلب لسانى أيدي الناس أما حق ظهورها
 فهو أن يحمل عليها منقطعها الى أهله وأما حق رقبها فقيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الحمل عليها فغير
 بالرقبة عن الذات وقوله نوا لاهل الاسلام النوا المعادة يقال نوات الرجل منأوة اذا عاينته وقوله تعالى

(ومن رباط الخيل) هو اسم
 للخيل التى تربط في سبيل
 الله أو هو جمع رباط كفصيل
 وفصال ونخص الخيل من
 بين ما يتقوى به كقوله
 جبريل وميكال

(العزيز) يقهر من يتعدونك (حكيم) ينصر من يتبعونك (يا أيها النبي) حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (الواو) يعني مع وما بعده منصوب والمعنى كفالك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصر أو يجوز أن يكون في محل الرفع ١٩٣ أي كفالك الله وكفالك أتباعك من

المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فترلت (يا أيها النبي) حرض المؤمنين على القتال التحريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن يهيك المرء حتى يشفي على الموت (ان يكن منكم عشر ون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأيمدهم (بانهم قوم لا يفتقهن) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقتل ثباتهم ويعدمون لجهولهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لا يفتروا ويثبت الواحد للعشرة ثم قتل عليهم ذلك ففسخ وخفف عنهم عقاومة الواحد الاثني بقوله (الا تخفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفا من الذين كفروا) كوفي وافقه البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين) باذن الله والله مع الصابرين

والتماسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واثقة قوا على الطاعة وصاروا أنصارا للرسول صلى الله عليه وسلم وأعدوا يقاتلون عنده ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا لما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك مجهزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ألم أجدكم ضالا لا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعاله فأغناكم الله بي وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبيرة أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فترلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكينة كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد بجميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبوعك من المؤمنين قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير وتسهيل الخطبة فيه كأنه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم (يغلبوا مائتين) يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكأنه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الا تخفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى أوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما احسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) لخاصة وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بانهم قوم لا يفتقهن) يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقوهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الا تخفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) فان تكثر منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفا من الذين كفروا (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفتروا احدا من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الا تخفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفتروا مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الا تخفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الا تخفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فقتل ذلك على المؤمنين فنزلت الا تخفف الله عنكم أي المؤمنين وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان تكثر منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنتين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفتروا فاعيا رجلا فتر من ثلاثة فلم يفتروا من اثنين ففدوا (والله مع الصابرين) يعني

٢٥ خازن في وتكرير مقاومة الجماعة لا كثر منها من قبل التحفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذا الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين

(ما كان لنبي أن يكون له أسرى) استقام (أن يكون له أسرى) أن تكون بصرى (حتى يشن في الأرض) الاثنان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر بأشاعة القتل في أهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أتى بسبعة من أسيراهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام أبابكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعن الله يتوب عليهم وخدمهم فـدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدّمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وجزء من العباس ومكني من فلان لنسب له فلم يضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبابكر مثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك عفور رحيم ومثلك يا عمر مثل فأنزل الله على نوح حيث قال رب لا تذرني في الأرض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شئتم قتلوهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية

بأنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى (ما كان لنبي أن تكون له أسرى) روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وحي بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمن بهم لعن الله ان يتوب عليهم وخدمهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم تضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن جزء من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثير الخطب فأدخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نار ا فقال له العباس فاعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبابكر مثل ابراهيم قال فن تبغني فانه مني ومن عصاني فانك عفور رحيم ومثلك يا أبابكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذرني في الأرض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله ابن رواحة كمثل موسى قال ربنا طمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا تفلتن أحد منهم الا بقضاء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإني في يوم أخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهاجرت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يميكان فقلت يارسول الله أخبرني من أي شئ تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجده بكاء بكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يشن في الأرض الآية أخرجهذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره عمر ماترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يارسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكننا فاضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن جزء من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهاجرت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يميكان فقلت يارسول الله أخبرني من أي شئ تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجده بكاء بكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشن في الأرض الى قوله فكلوا مما غنمتم - لا لا طيبا فاحل الله الغنمة لهم ذكره الحميدي في مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معن بن يمين لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يجبس كافر أو در عليه وصار في يده أسير للفداء والمال والأسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى يشن في الأرض) الاثنان في كل شئ عبارة عن قوته وشده يقال أثخنه المرض اذا

(تريدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء عر ضالقة بقاءه وسرعة فناءه (والله يريد الآخرة) ١٩٥ أي ما هو سبب الجنة من اعزاز

الاسلام بالاثخان في القتل
(والله عزيز) بقهر الاعداء
(حكيم) في عتاب الاولياء
(لولا كتاب من الله) لولا
حكم من الله (سبق) أن لا
يعذب أحدا على العمل
بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا
منهم لانهم نظروا في ان
استبقاءهم ربما كان سببا
في اسلامهم وان فداءهم
يتقوى به على الجهاد وخفي
عليهم ان قتلهم أعز للاسلام
وأهيب لمن وراءهم أوما
كتب الله في اللوح أن لا
يعذب أهل بدر او كان
لا يؤخذ قبل البيان
والاعذار وفيما ذكر من
الاستشارة دلالة على جواز
الاجتهاد فيكون حجة على
منكري القياس كتاب
مبتدأ ومن الله صفته أي
لولا كتاب ثابت من الله
وسبق صفة أخرى له وخبر
المبتدأ محذوف أي لولا
كتاب بهذه الصفة في
الوجود وسبق لا يجوز
أن يكون خبرا لان لولا
لا يظهر خبرها أبدا (المسك)
لناكم وأصابكم (فيما أخذتم)
من فداء الاسرى (عذاب
عظيم) روى ان عمر رضي
الله عنه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وأبو بكر يميكان فقال يا رسول
الله أخبرني فان وجدت بكاء
بكاء وان لم أجد بكاء

اشتد قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على
الاسرى فأسارى (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يعنى تريدون أيها
المؤمنون عرض الدنيا بأخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام
فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله يريد
الآخرة) يعنى انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال
ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعنى في تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم
بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى في الاسارى فاما ما بعد وما
فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوههم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا
فادوهم وان شاؤا أعتقوهم قال الامام نضر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما ما بعد وما فداء يزيل
حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلنا الايتين متوافقتان وكلتا هاتين لان على انه لا بد
من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون
درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم
وقد استدل بهذه الآية من يقدم في عصمة الانبياء وبيانهم وجوه الاول ان قوله ما كان انبي
أن تكون له أسرى صريح في النهي عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه
وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلم يقتلوههم بل أسروهم دل ذلك على
صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محترم وذلك ذنب الوجه
الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قد ابيح كان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب
عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يشن في الارض يدل على انه كان
الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر
سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل
جميع الناس فدللت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر
بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار
بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم
والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم حكم بأخذ الفداء وهو محترم فنقول لان سلم ان
أخذ الفداء كان محترما وأما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على
أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحریم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لانهم من أخذه
مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قد ابيح كان لاجل
ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله
عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم قوله عز
وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء
والامم فكانوا اذا أصابوا مغنما جعلوا للقراب فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع
المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعنى لولا قضاء من الله سبق في
اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا
كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحد ممن شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم لم وقال ابن جريج لولا كتاب
من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فلو ابجها له المسك يعنى
لا صابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمر وابه عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين

تبا كيت فقال أبى على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريظة منه
وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجما منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل أحب الى

(فكلا وما غنمتم) روى انه سم أمسكوا عن الغنائم ولم يدعوا أيديهم سم الهافترات وقيل هو اباحه للقاء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبب والسبب محذوف ومعناه قد أحلت ١٩٦ لكم الغنائم فكلا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقاب وهو نصب على الحال

أحمد بن حنبل في الأوامر حب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الأسرى وسعد بن معاذ فإنه قال يا رسول الله كان الاثنان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى (فكلا وما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلا وما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الأولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكلا وما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الأمم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لأحد قبلي ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعني وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعلموا أن الله قد غفر لكم ما أقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله إشارة إلى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم إشارة إلى الحالة الماضية قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة إلى بدر وكان قد خرج معه عشرة من أوقية من ذهب ليطعمهم بها إذ جاءت نوبته فيكون نوبته يوم الواقعة يدر فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقعة الوافل يطعم شيئا وبقيت العشرة من أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرة من أوقية من فداءه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شئ خرجت به لتستعين به علينا فلا تركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقيلا بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركني أن أكف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذي دفنته أم النضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا أدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربى قال العباس أشهد أنك لصديق وأشهد أن لا إله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطعم عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فأسلموا فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الأسرى) يعني الذين أسروهم وهم وأخذت منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايمانوا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعني من الفداء (ويغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني بأهل طاعته قال العباس فأبدلني الله خيرا مما أخذ مني عشرين عمدا كلهم تاجر يضرب عمل كثيرا دناءهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعني الأسارى (خيانتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد وجعلوا إلى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) بيد رحى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده (والله عليم) يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكم بأنه يجازي كل بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغوا رضوان الله وهم المهاجرون الا قولن وجاهدوا يعني وبذلوا أنفسهم في سبيل الله

من الغنوم أو صفة للصدر أي أكل حلالا (طيبا) لذينا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع (واتقوا الله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ما كنتم كائن أيديكم قابضة عليهم (من الأسرى) جمع أسير من الأسارى أو عمرو وجع أسرى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما ان يخلصكم في الدنيا اضعافه أو يثبتكم في الآخرة (ويغفر لكم) والله غفور رحيم روى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ للصلاة الظهر وما صلى حتى فترقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وكان له عشرين عبدا وان أدناهم ليبحر في عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأثناء لي ثقة من الآخر (وان يريدوا) أي الأسرى (خيانتك) نكت ما يبعوك عليه من الاسلام بالردة

أو منع ما ضمتوا من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) فأمكنك منهم أي أظفرك بهم كما رأيت يوم بدر فسميكن منهم ان عادوا إلى الخيانة (والله عليم) بالمال (حكيم) فيما أمر في الحال (ان الذين آمنوا وهاجروا) من مكة حبالة ورسوله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون

(والذين آووا ونصروا) أي آووا وهم إلى دينارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوي القربايات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليهم في الميراث ولايتهم حزة وقيل هما (من شيء حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر من آمن وهاجر ولم يأتى

١٩٧

وكانت الهجرة فريضة
فصاروا بتركها مرتكبين
كبيرة دل أن صاحب
الكبيرة لا يخرج من
الايان (وان استنصركم)
أي من أسلم ولم يهاجر (في
الدين فعليكم النصرة) أي ان
وقع بينهم وبين الكفار قتال
وطلبوا معونة فواجب
عليكم ان تنصروهم على
الكافرين (الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق) فانه
لا يجوز لكم نصرهم عليهم
لانهم لا يبتدئون بالقتال
اذ الميثاق مانع من ذلك
(والله بما تعملون بصير)
تحذير عن تعدي حد الشرع
(والذين كفروا بعضهم
أولياء بعض) ظاهره اثبات
الموالة بينهم ومعناه نهى
المسلمين عن موالة الكفار
وموارثتهم وإيجاب مباحة
ومصارمتهم وان كانوا أقارب
وان يتركوها ويتوارثون
بعضهم بعضا ثم قال (الا
تفعلوه) أي ان لا تفعلوا
ما أمرتكم به من تواصل
المسلمين وتولي بعضهم بعضا
حتى في التوارث تفضيلا
لنسبة الاسلام على نسبة

يعني في طاعة الله ابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من
أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعني
المهاجرين والانصار (بعضهم أولياء بعض) يعني في العون والنصرة دون أقربائهم من الكفار وقال ابن عباس
في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقربائهم هم وذوي ارحامهم
وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما
كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى (والذين
آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شيء) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) يعني
الى المدينة (وان استنصركم في الدين) يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصرة) يعني فعليكم
نصرهم واعانتهم (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير)
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعني في النصرة والمعونة وذلك أن كفار قريش كانوا معادين لله ورسوله فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار
بعضهم من بعض (الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما
أمرتكم به وقال ابن جريج الاتعاونوا وتنصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل
ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الا تتعولوه وهو
ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار
والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا وأولئك
هم المؤمنون حقا) يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس
والمال في نصر الدين (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (ورزق كريم) يعني في الجنة * فان قلت ما معنى هذا التكرار
* قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا
ثم ذكر في هذه الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعاده الشيء مرة بعد أخرى يدل على
مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولا ثم أعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعطسهم شأنهم وعلو درجاتهم وهما ذاهو
الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون
حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين
وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا النوع الثاني
قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتذكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى
لهم مغفرة تامة كاملة سارة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شيء
شرف وعظم في باب قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقا لا تحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل ان
المهاجرين كانوا على طبقات فخرج من هاجر أولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى أرض
الحشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر
الله في الآية الاولى أصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده

القربة ولم يجعلوا قربة الكفار كقربة (تكن فتنة في الارض وفساد كبير) تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين مالم
يصيروا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا وأولئك
هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الال والساكن والانسلاخ من المال
والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامن فيه ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الآية واردة لثناء عليهم مع الوعد الكريم
والاولى بالمرء بالتواصل

(والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة (وهاجروا واجاهدوا معكم) جعلهم منهم تفصيلاً وترغيباً (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض)

أوفي اللوح أوفي القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوى الأرحام (إن الله بكل شئ عليم) فيقضى بين عباده عاشاء من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية كوفي ومائة وثلاثون غيره

لها أسماء راءة التوبة المشقة المبعثرة المشردة الخزية الفاضحة المشيرة الحافرة المنكحة المدممة لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقر من النفاق أى تبرئ منه وتبتر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحررها عنها وتقصصهم وتنكحهم وتشردهم وتخرجهم وتدمم عليهم وفي ترك التسمية في ابتدائها أقوال فعن علي وابن عباس رضى الله عنهم ان بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوا في الموضوع الذى يذكر فيه كذا وكذا وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه

قصة الانفال لان فيها ذكر العهد وفى براءة نبذ العهد فذلك قرنت بينهما وكانتا دعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وترك بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة

وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا واجاهدوا معكم) اختلفوا فى قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجب ان هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فأما من كان من المؤمنين فى بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى (فأولئك منكم) يعنى انهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين لان الله سبحانه وتعالى ألقى المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق وقوله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله)

قال ابن عباس كانوا يوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) فى الميراث فبين هذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله فى كتاب الله يعنى فى حكم الله وقيل أراد به فى اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهى ان قسمة الموارث مذكورة فى سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام أى حنفية هذه الآية فى توريث ذوى الأرحام وأجاب عنه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال فى كتاب الله كان معناه فى حكم الله الذى ينفه فى سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها فى سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم ومابقى فله عصباء وقوله سبحانه وتعالى (إن الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

نفس سورة التوبة

وهى مدنية باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها القاءكم رسول من أنفسكم فانهم نزلت مكة وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفاً وهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذه الاناس مشهوران وهى المشقة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقر من النفاق أى تبرئ منه وهى المبعثرة لانها تبتر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها افضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهى الخزية لان فيها خزي المنافقين وهى المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهى المشردة سميت بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهى المشيرة سميت بذلك لانها اثار مخازى المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهى استارهم عن سعيدين جبر قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة مازالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الا ذلك كرفها قال قلت سورة الانفال قال نزلت فى بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بنى النضير أخرجاه فى الصحيحين

وفصل فى بيان سبب ترك كتابة التسمية فى أول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حكم على على ان عمسدت الى الانفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المشين فقرنت بينهما ولم يكتبوا بطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعوها فى السبع الطوال ما حكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شئ دعا بعض من كان يكتب

فبقول وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وترك بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة

(براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) من لا بداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلية
تأتي قولك برئت من الدين أي هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كاتقول كتاب من فلان إلى فلان أو مبتدأ لتخصيصها
بصفة الخبر إلى الذين عاهدتم كقولك رجل من بني تميم في الدار والمعنى أن الله ورسوله قد برئنا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبذ
إلهم (فسبحوا في الأرض أربعة أشهر) فسبحوا في الأرض كيف شئتم والسبح السيرة على مهل ١٩٩ روى أنهم عاهدوا المشركين من

أهل مكة وغيرهم من العرب
فكتبوا إلى أناس منهم وهم
بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ
العهد إلى الناكثين وأمروا
أن يسبحوا في الأرض أربعة
أشهر آمنين أين شأؤالا
يتعرض لهم وهي الأشهر
الحرم في قوله فإذا انسبح
الأشهر الحرم فاقبلوا المشركين
وذلك لصيانة الأشهر الحرم
من القتل والقتال فيها وكان
نزولها سنة تسع من الهجرة
وفتح مكة سنة ثمان وكان
الأمير فيها عتاب بن أسيد
وأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبابكر على موسم سنة تسع
ثم أتبعه عليا ركب العصابة
ليقرأ أهلها على أهل الموسم
فقتل له لو بعثت بها إلى أبي بكر
فقال لا يؤذي عني الرجل
منى فلما دعا على سمع أبو بكر
الزجاج فوقف وقال هذا رغاء
ناقرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما لحقه قال أمير أو
مأمور قال مأمور فلما كان
قبل التروية خطب أبو بكر
وحثهم على مناسكهم وقام
على يوم النحر عند جرة العقبة
فقال يا أيها الناس اني رسول
الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم
ثلاثين أو أربعين آية ثم قال
أمرت بأربع أن لا يقرب

فبقول ضعوها هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية يقول ضعوها هذه
لا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا كانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر
القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وطفنت انها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها
منها أو من غيرهما من أجل ذلك قربت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعته في السبع الطوال
أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر العهد وفي
براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعنى على بن أبي طالب لم
يكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل
سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد
لم يفتح هذه السورة الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد
ونقض عهد فلذلك لم يفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت إلى
الانفال لشبهها وقيل ان الصحابة اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم
سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانها نزلت في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي
السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة
تركوا بينهما فرجة تنبيه على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيه على قول
من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله ورسوله
وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأه أي انقطعت بينهما العصمة ولم يبق بينهما
علاقة وقبل معناها التباعد مما ذكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك
كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى وأما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ إليهم عهودهم قال الزجاج أي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم
العهد والوفاء بها اذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم الا انه هو الذي عاقدهم وأصحابه بذلك راضون
فكأنهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى (فسبحوا في الأرض) أي فسبحوا في الأرض مقبلين
ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المشركين وأصل السباحة الضرب في الأرض والانساع فيها والبعث
عن مواضع العماره قال ابن الأنباري قوله فسبحوا فيه مضمرا أي قل لهم فسبحوا وليس هذا من باب الأمر
بل المقصود منه الإباحة والاطلاق والاعلام بحصول الأمان وزوال الخوف يعني سبوحا في الأرض وأنتم
آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعني مدة أربعة أشهر واختلاف العلماء في هذا التأجيل وفي
هؤلاء الذين برئ الله ورسوله إليهم من اليهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر
ومن كانت مدته أكثر حطه إلى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده بأربعة أشهر

البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الاكل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي
أبلغ ابن عمك ان قد نبذنا العهد وراءنا ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الاطعن بالرمح وضرب بالسيف والأشهر الاربعه شوال وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وأعوشر من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم آمنوا فيها وحرم
فناهم وقتلهم وأعلى التغليب لان ذا الحجة والمحرم هما الجهور على إباحة القتال في الأشهر الحرم وأن ذلك قد نسخ

ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان وقيل إن المقصود
من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل
فيصير هذا داعيهم إلى الدخول في الإسلام ولئلا ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا
الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر فإما من لم يكن له عهد فإما أجله انسلاخ الأشهر
الحرم وذلك خمسون يوما قال الزهري الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لأن هذه الآية
نزلت في شوال والقول الأول أصوب وعليه الأكثرون وقال السكبي إنما كانت الأربعة أشهر عهد لمن كان
له عهد دون الأربعة أشهر فأتى له الأربعة أشهر فأما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بالغام
عهده بقوله تعالى فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل كان ابتداءه في العاشر من ذي القعدة وأنها
العاشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة
المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار الحديث وقال
الحسن أمر الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله
الذين قاتلوا منكم فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم
يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر إلا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الأجل
لجميعهم أربعة أشهر وأجل دماء جميعهم من أهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الأجل وقال محمد بن اسحق
ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على أن
يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو
بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعاتتهم قريش بالسلاح فلما أظاها بنو بكر قريش
على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
لا هم أني ناشد محمدًا * حلف أئينا وأبيه الأتلا * كنت لنا أبوا * كنا ولدا
ثم أسلمنا ولم ننزع عيدا * فأنصر هذاك الله نصر أبدا * وادع عباد الله يا ثؤام * ددا
فيهم رسول الله قد تجردا * في فيلق كالبحر يجري مرربدا * أبيض مثل الشمس يسمو صعدا
أن شيم خطب وجهه تربدا * أن قريشا أخلقوا الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تنجى أحدا * وهم أزل وأقل عدا
هم يبتون بالخطيم هجدا * وقتلونار كما وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت أن لم أنصركم وتجهز إلى مكة ففكحها سنة ثمان من الهجرة فلما
كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت
عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج
وبعث معه أربعة من آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العضاء ليقرا
على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بركة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم
من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأن شيء
فقال لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك
معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فصار أبو بكر أميراً على الحجاج وعلي بن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان
قبل التروية يوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على
منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يذنب تبيع سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة
قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته
ومن لم يكن له عهد فإجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة النفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد

عامهم هذا في حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أرفد النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معناني أهل منى ببراءة أن لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأكبر الحج إلى الكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الأصغر قال فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه - ه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين يأثم الذين آمنوا أنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية فصل في قديمتهم متوهمهم أن في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على أن أبا بكر لم يزل أميراً على الموسم في تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدمة أن أبا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ أبي داود والنسائي قال بعثني أبو بكر فيمن يؤذن في يوم النحر غني أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الأمير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ليؤذن في الناس ببراءة بأن عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه السيد القبيلة وكبيرها وأرجل من أقارب به وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه ببراءة أراحته لهذه العلة لا يقولوا هذا على خلاف مانعهم من عادتنا في عقد العهد ونقضها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص علياً بتبليغ هذه الرسالة تطييباً لقلبه ورعاية لحاجته وقيل لما بعث علياً في هذه الرسالة حتى يصلي خاف أبي بكر ويكون جاريًا مجري التثنية على امامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميراً على الحاج وولاه الموسم وبعث علياً خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبو بكر الامام وعلي المؤتم وكان أبو بكر الخطيب وعلي المسمع وكان أبو بكر المتولى أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك اعلى فدل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وتفضله عليه والله أعلم وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزي الله) يعني أن هذا الامهال ليس لمجزعكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض أربعة أشهر عاين انكم لا تجزؤون الله بل هو يجزكم ويأخذكم لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف القوت ولا يهزئ شيء (وأن الله مخزي الكافرين) يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل (وأذن من الله ورسوله) الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل (الى الناس يوم الحج الأكبر) اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة وروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذي وقال يروى موقوفاً عليه وهو أصح وعن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر أخرجه أبو داود وروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد أن يوم الحج الأكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الأكبر أيام منى كلها لأن اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صديقين يوم الجمل لان الحروب دامت في تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الأكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد الهمود وعيد النصراني وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فقام ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال

(واعلموا أنكم غير معجزي الله) لا تقوتونه وأن أمهلكم (وأن الله مخزي الكافرين) من ذلك في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذن من الله ورسوله الى الناس) ارتقاعه كارتقاع براءة علي الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايدان وهو الاعلام كان الامان والاعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهدوا ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والتحصير والحلق والرمي ووصف الحج بالأكبر لان العمرة تسمى الحج الأصغر

(أن الله يرى من المشركين) أي بان الله حذف صلة الأذان تخفيفاً (ورسوله) عطف على المنوى في برى، أو على الابتداء وحذف الخبر أي
ورسوله برى، وقرئ بالنصب عطفاً ٢٠٢ على اسم ان والجر على الجوار أو على القسم كقوله لعمر ك وحكى ان اعرابياً مع رجلاً يقرأها

فقال ان كان الله برى ثامن
رسوله فأنا منه برى، فليبه
الرجل الى عمر فبحي الاعرابي
قراءته فعندها أمر عمر بتعلم
العربية (فان تبتم) من
الكفر والغدر (فهو) أي
التوبة (خبر لكم) من
الاصرار على الكفر (وان
توليت) عن التوبة وأثبتتم
على التولى والاعراض عن
الاسلام (فاعلموا أنكم غير
مجزى الله) غير سابقين الله
ولا فائتين أخذه وعقابه
(وبشر الذين كفروا بعذاب
أليم) مكان بشاره المؤمنين
بنعيم مقبب (الذين عاهدتم
من المشركين) استثناء من
قوله فسيحوا في الارض
والعنى براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من
المشركين فقولوا لهم سيحوا
الذين عاهدتم منهم (ثم لم
ينقصوكم شيئاً) من شروط
العهد أي وفوا بالعهد ولم
ينقصوه وقرئ لم ينقصوكم
أي عهدكم وهو أليق لكن
المشهورة أبلغ لانه في مقابلة
التمام (ولم يظاهروا عليكم
أحداً) ولم يعاونوا عليكم عدواً
(فأتوا اليهم عهدهم) فآذوه
اليهم تاماً كاملاً (الى مدتهم)
الى تمام مدتهم والاستثناء
يعنى الاستدراك كأنه قيل بعد
ان أمروا في التناكث ان يكن
الذين لم ينكثوا فأتوا اليهم

مجاهد الحج الا كبر القرآن لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الا كبر الحج والحج
الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لقصان أعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الا كبر لموافقة حجة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في
خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسيء وجميع أحكام الجاهلية وقوله سبحانه وتعالى (أن الله يرى من
المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير وأذان من الله ورسوله بان الله يرى من المشركين وانما حذف الباء
لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمرة والتقدير ان الله يرى من
المشركين ورسوله أيضاً برى، الثاني تقدير برى، الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع
بالابتداء وبرى، خبره ورسوله عطف على المبتدا * فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله يرى من المشركين ورسوله فافائدة هذا التكرار * قلت المقصود
من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاتة الجارية بحج الزجر
والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في أولها براءة من الله ورسوله الى يعنى برى، اليهم وفي الثانية
برى، منهم وقوله تعالى (فان تبتم) يعنى فان رجعتن عن شرككم وكفركم (فهو خير لكم) يعنى من الإقامة على
الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليت) يعنى
أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا أنكم غير مجزى الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بأن الله
سبحانه وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى في الآخرة
ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله سبحانه وتعالى
(الذين عاهدتم من المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين يعنى الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كنانة أمر الله رسوله صلى
الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد سبق من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه أنهم لم ينقصوا
العهد وهو قوله تعالى (ثم لم ينقصوكم شيئاً) يعنى من عهدهم التي عاهدوهم عليها (ولم يظاهروا) يعنى ولم
يعاونوا (عليكم أحداً) يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في
الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا
لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء يعنى
الاستدراك كأنه قيل لهم بعد ان أمروا في التناكث ان يكن الذين لم ينكثوا فأتوا اليهم عهدهم ولا تجروهم
مجرأهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين
القبيلتين يعنى الوافي بالعهد والناكث والغادر فيه قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعنى
فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي
شهور العهد سميت حرماً لحرمه تنقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فأجله
الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوماً وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء
المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوماً ببعض الاشهر الحرم والله
سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فقلت بما كان هذا القدر من الاشهر متصلاً بما مضى أطلق
عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم) يعنى في الحل والحرم وهذا أمر اطلاق يعنى اقتلوه في أى وقت وأى مكان وجدتموهم
(وخذوهم) يعنى وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد أن تحصنوا فاحصروهم

عهدهم ولا تجروهم مجرأهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين
الفرقيقتين فاتقوا الله في ذلك (فاذا انسلخ) مضى أو خرج (الاشهر الحرم) التي أتبع فيها التناكث أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين) الذين ينقضوكم
وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختصاص (واحصروهم) وقيدوهم وامنوهم من التصرف

في البلاد (واقعدوا لهم كل ممرصد) كل ممر ومجاز ترصدونهم به وان تصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
 يخلو اسبيلهم) فأطاعوا عنهم بعد الاسر والحصار وكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والتدبر بالاسلام (رحيم) يرفع
 القتل قبل الاداء بالالتزام (وان احدا من المشركين استجارك فأجره) احدا من تقع بفعل شرط ٢٠٣ مضمر يفهمه الظاهر أي وان
 استجارك احدا استجارك

وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل
 ممرصد) يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشيء ارسده اذا ترقبته والمعنى
 كونوا لهم رصد احتي تأخذوهم من أي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها
 (فان تابوا) يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان (واقاموا الصلوة) يعني وآتوا اركان الصلاة المفروضة
 (آتوا الزكوة) الواجبة عليهم طيبة بها أنفسهم (خفوا اسبيلهم) يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في
 بلادهم (ان الله غفور) يعني ان تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن العصية الى الطاعة (رحيم) يعني
 بأوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين
 والمبر على أذى الاعداء قوله تعالى (وان احدا من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) يعني وان
 استأمنك يا محمد احدا من المشركين الذين أمرتك بقتلهم وقتلهم بعد ان سألوا الشهر الحرام لسمع كلام الله
 الذي أنزل عليك وهو القرآن فأجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب
 ان أصر على الكفر (ثم أبلغه مأمنه) يعني ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه وان
 قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) أي لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون
 الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند
 الله وعند رسوله) هذا على وجه التجب ومعناه الجحد أي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم
 يقدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس
 هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي
 ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزاعة وبنو مدلج وبنو الدليل قبائل من بني بكر كانوا دخلوا في عهد
 قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة (فما استقاموا اليكم) يعني على العهد
 (فاستقيموا لهم) يعني ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خراعة فضرب
 لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا
 بأي بلاد شاءوا فأسلموا بعد الاربعة الأشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بني بكر وهم
 خزاعة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الدليل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض
 العهد الا قريش وبنو الدليل من بني بكر فأمر باتعام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب
 هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول
 لشيء قد مضى فما استقاموا اليكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من
 المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خراعة
 وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعني انه سبحانه وتعالى يحب الذين
 يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه (كيف وان يظهر واعليكم) قيل هذا امر ودود على الآية الاولى تقديره
 كيف يكون لهم عهد وان يظهر واعليكم (لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم
 وهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلموا عليكم لا يرقبوا أي لا يحتفظوا وقيل معناه لا ينتظروا
 وقيل معناه لا يراوفا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة
 الالحاف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كثر التأكيد لاختلاف اللفظين وقال أبو مجلز

فترصدوا أمرهم ولا تقتلوا لهم (فما استقاموا اليكم) ولم يظهر منهم نكث أي فأقاموا على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما شرطية أي
 فان استقاموا اليكم فاستقيموا لهم (ان الله يحب المتقين) يعني ان التبرص بهم من أعمال المتقين (كيف وان يظهر واعليكم) تكرار لاستبعاد
 ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وجاهلهم أنهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم بعد ما سبق لهم
 من تأكيد الايمان والمواثيق (لا يرقبوا فيكم الا) لا يراووا حلفا ولا قرابة (ولا ذمة) وهذا

(يرضونكم بأفواههم) بالوعد بالآيمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقترن لا يستبعد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) ٢٠٤ الآيمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون العهد أو مقترنون في الكفر لا مروءة عنهم

عن الكذب ولا شمائل تردعهم
عن التفتك كما يوجد ذلك في
بعض الكفرة من التفادي
عنهم (استبدلوا
(آيات الله) بالقرآن (ثمنا
قليلًا) عرضا يسيرا وهو اتباع
الاهواء والشهوات (فصدوا
عن سبيله) فعدلوا عنه
وصرفوا غيرهم (انهم ساء
ما كانوا يعملون) أي بس
الصنيع صنعهم (لا يربقون في
مؤمن الا ولا ذمة) ولا تكرار
لان الاقل على الخصوص
حيث قال فيكم والثاني على
العموم لانه قال في مؤمن
(وأولئك هم المعتدون)
المجاوزون الغاية في الظلم
والشرارة (فان تابوا) عن
الكفر (وأقاموا الصلوة
وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم
اخوانكم على حذف المبتدأ (في
الدين) لافي النسب (ونفصل
الآيات) ونبيينها (لقوم
يعلمون) يفهمون فيتفكرون
فيها وهذا اعتراض كأنه قيل
وان من تأمل تفصيلها فهو
العالم بحرمانها على تأمل
ما فصل من أحكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها
(وان نكثوا أيمانهم من
بعد عهدهم) أي نقضوا
العهد المؤكدة بالآيمان
(وطعنوا في دينكم) وعابوه
(فقاتلوا أئمة الكفر)

ومجاهد الا هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلة الكذاب ان هذا
الكلام لم يخرج من اليعنى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يربقون الله فيكم ولا يحفظونه ولا
يراعونه ولا ذمة يعنى ولا يحفظون عهدها (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) يعنى يطيعونكم بألسنتهم بخلاف
ما في قلوبهم (وأكثرهم فاسقون) فان قلت كان الموصوفين بهذه الصفة كفارا والكفر أخبث وأقبح من
الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم
فاسقون * قلت قد يكون الكافر دلا في دينه وقد يكون فاسقا حيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم
فاسقين أنهم نقضوا العهد وبالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون أبلغ في الذم وإن قال
أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلهم هذا قال سبحانه
وتعالى وأكثرهم فاسقون وقوله تعالى (استروا آيات الله ثمنا قليلا) يعنى استبدلوا آيات القرآن والآيمان بها
عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك أنهم نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب
أكلة طعمهم إياها أبو سفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد أطمأ أبو سفيان خلفاء وترك خلقاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصدوا عن سبيله) يعنى منعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس
وذلك ان أهل الطائف أمدهم بالاموال ليقروهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا
يعملون) يعنى من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام (لا يربقون في مؤمن
الا ولا ذمة) يعنى ان هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهد ولا ذمة اذا قدر واعلمه قتالوه فلا تقبلوا منهم
عليهم كالم يبقوا عليكم اذا ظهر واعليكم (وأولئك هم المعتدون) يعنى في نقض العهد قوله عز وجل (فان تابوا)
يعنى فان رجعوا عن الشرك الى الآيمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة
عليهم بجميع حدودها وأركانها (وآتوا الزكاة) يعنى وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم
(فاخوانكم في الدين) يعنى اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات
لقوم يعلمون) يعنى وبين حجج أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية
دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فإلا صلاته وقال ابن زيد أقرضت
الصلوة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأى ان يقبل الصلوة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يعنى
بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما ما يعنى الصلوة
والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر وكفر من كفر من العرب
قال عمر بن الخطاب لا يبرك كيف تقابل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه بالحققة وحسابه على الله عز وجل فقال
أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلوة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لم ينعني عناقا كانوا يؤدونها
وفي رواية عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان
رأيت ان الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله سبحانه وتعالى
(وان نكثوا أيمانهم) يعنى وان نقضوا عهدهم (من بعد عهدهم) يعنى من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلوكم
ولا يظهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) يعنى وعابوا دينكم الذى أنتم عليه وقد حوافيه وثلوه
وفي هذا دليل على ان الذى اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهر الا يبق له عهد والمراد هؤلاء الذين نقضوا
العهد كفار قريش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعنى رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت

فقاتلوا أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هو ابخراج الرسول
وقالوا اذا طعن في دين الاسلام طعننا ظاهرا جازقته لان العهد معقود مدع على ان لا نطعن فاذا طعن فقد نكث عهده ونخرج من الذمة
أئمة هم مرتين كوفي وشامى الباقون هم مرة واحدة غير مدودة بعدها ما يكسورة أصلها أئمة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقل حركة الميم

الاولى الى الممزة الساكنة وأدغمت في النون الاخرى فن حقق الممزين أخرجهما على الأصل ومن قلب الشافعي ياء قد مسرهما (انهم لا يمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم لانه أراد ايمانهم التي أظهر وهاتم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على ان عين الكافر لا تكون عينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون به لان عيهم عين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شأى أى لا اسلام (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أى ليكن غرضكم ٢٠٥ في مقاتلتهم انتهوا وهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظام وهذا من غاية كرمه على المسمى ثم حرض على القتال فقال (ألا تقتاتلون قوما نكثوا ايمانهم) التي حلفوها في المعاهدة (وهو باخراج الرسول) من مكة (وهم يدؤكم أول مرة) بالقتال والبادى أظلم فانيتم من أن تقتاتلوهم وبختم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها وصفهم بما يوجب الحظ عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أنتخسونه) توبخ على الخشية منهم (فان الله أحق أن تخسوه) بان تخسوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فاختسوه أى ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الاربه ولا يسالى عن سواء ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الاربه بقوله (قاتلوهم) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم وتصح نياتهم بقوله (يعذبهم الله بأيديكم) قتلا (ويخزهم) أسرا (وينصرمكم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عية رسول الله صلى

في أبي سفيان بن حرب والحرب بن هشام وسهيل بن عمرو وأبي جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهو اباخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية بعد ولم يأت أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فأنهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا ايمان لهم) جمع بين أى لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهود وقرئ لا ايمان لهم بكسر الميم ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الايمان أى اقتلوهم حيث وجهتوهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينتهون) أى لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى (ألا تقتاتلون قوما نكثوا ايمانهم) يعنى نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا العهد الصلح بالحديبية وأعانوا بنى بكر على خراعة (وهو باخراج الرسول) يعنى من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم يدؤكم) يعنى بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه وقيل أراد به انهم يدؤا بقتال خراعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنتخسونه) يعنى أنتخافونهم أيها المؤمنون فترك كون قتالهم (فان الله أحق أن تخسوه) يعنى في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعدده قوله سبحانه وتعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالتعذيب القتل يعنى يقتلهم الله بأيديكم * فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بأيديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم * قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعنى وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعاً وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعنى الذين نقضوا العهد ويدؤا بقتال فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم وأنقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويخزهم) يعنى ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصرمكم عليهم) يعنى بأن يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا يبالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سبباً للقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدى أراد صدور خراعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خراعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خراعة من بنى بكر حتى أخذوا نارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعنى ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بنى بكر روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة أرفعوا السيف الا خراعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فأسلموا (والله اعلم) يعنى بسر أرباعه ومن سبقته العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام (حكيم) يعنى في جميع أفعاله قوله عز وجل (أم حسبتم أن تتركوا) هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفريق بينه وبين الاستفهام

الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكره وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلاً على صحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً قد أسلم ناس منهم كآبي سفيان وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهى ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم) ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا

ولما علم الله الذين جاهدوا منكم أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم
وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين ولما عاها ٢٠٦ التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك متوقع كان وان الذين لم يتخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين
المخلصين ولم يتخذوا معطوف

على جاهدوا داخل في خبر
الصلة كائنه قليل ولما علم الله
المجاهدين منكم والمخلصين
غير المتخذين وليجة من دون
الله والمراد بنفي العلم نفي
المعلوم كقولك ما علم الله مني
ما قيل في تريد ما وجد ذلك
مني والمعنى أحسبتم أن تتركوا
بلا مجاهدة ولا براءة من
المشركين (والله خبير بما
تعملون) من خير أو شر
فيجازيكم عليه (ما كان
للمشركين) ما صنع لهم وما
استقام (أن يعمر) ومساجد
الله (مسجد الله مكي وبصري
يعني المسجد الحرام وأما جامع
في القراءة بالجمع لانه قبله
المساجد وأما ما هنا فامر
كعمر جميع المساجد ولأن
كل بقعة منه مسجد أو أريد
جنس المساجد وأذا لم يصحوا
لأن يعمر واجنسها داخل
تحت ذلك أن لا يعمر
المسجد الحرام الذي هو صدر
الجنس وهو كذا ذكره
طريق السكينة كما تقول فلان
لا يقرأ كتب الله كتب أنفي
لقراءة القرآن من تصريحك
بذلك (شاهدين على أنفسهم
بالكفر) باعتبار فهم بعبادة
الاصنام وهو حال من الواو
في يعمر وا والمعنى ما استقام
لهم أن يجعوا بين أمرين

الابتداء والمعنى أظننتم أيها المؤمنون أن تتركوا فلا تفرحوا بالجهاد ولا تمتنعوا ليظهر الصادق من الكاذب
(ولما علم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لأن وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عنه بد الله لا جرم
جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدى عن الزجاج أي العلم الذي
يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء
الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يغشون بهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك
خديعة وقال عطاء أولياء يعني لا يتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل
شيء أخذته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة
الرجل من يختصه بخيلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليعة كل ما يتخذ الانسان معتمدا عليه وليس
من قومه فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهى المؤمنين عن موالة
المشركين وان يغشوا بهم أسرارهم (والله خبير بما تعملون) يعني من موالة المشركين واخلاص العمل لله
وحده قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين أن يعمر) ومساجد الله يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله
على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبله المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية
أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليهم ويسلم عليهم ويغيرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب
يؤبى العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعة الرحم فقال العباس ما لكم تكذرون مساوينا
وتكتمون محاسنا فاقبل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب
السكينة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن
يعمر ومساجد الله أو جب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد أعلام تعمر بعبادة الله تعالى وحده
فن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد
بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرتفعاتها فممنع منه الكافر حتى لو أوصى
ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من
دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزروا وان دخل باذن لم يعذر ويبدل على جواز دخول
الكافر المسجد بالأذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد غمامة بن أمية الى سارية من سواري المسجد وهو كافر
والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون
المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديرهم وهم شاهدون فلما حذفت عنهم نصب وقال ابن عباس
شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج
البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عمرة كلما طافوا طوفة سجودا للاصنام فلم يزدوا بذلك
من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال
السدي شهادة عليهم على أنفسهم بالكفر هو ان النصراني يسئله من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول
يهودي والمشرقي يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم
(أولئك حبطة أعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البرمسة مثل قرى الضيف وسقى
الحاج وفك العاني لانهم لم تكن لله فلم يكن لها ثابتر مع الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على
كفره قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل ان الكافر

متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته (أولئك حبطة أعمالهم وفي النار هم خالدون) داغون (انما يعمر
مساجد الله) عمارتهم ما استمر منها وقها وتنظيفها وتبويرها بالمصابيح وصيانتها لم تبين له المساجد من أحداث الدنيا لانها بنيت للعبادة
والذكر ومن الذكر درس العلم (من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله وربه الايمان

ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان
 الايمان بالله شرط فمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع
 أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وأنه حق كأن لان عمارة المسجد لاجل
 عبادة الله وخضائه انما يكون في الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا * فان قلت لم يذكروا
 الايمان برسول الله مع أن الايمان به شرط في صحة الايمان * قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
 داخل في الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله
 واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمد انما ادعى النبوة طلبا للرياسة
 والملك فأخبر الله عز وجل ان محمد اصلى الله عليه وسلم انما ادعى الايمان بالله واليوم الآخر لالطلب الرياسة
 والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (وأقام الصلوة وآتى الزكوة)
 وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلوة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله
 عليه وسلم ولم يعلم ان الاعتبار باقامة الصلوة وآتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام
 الصلوة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلوة فيه ولا يشغل بتعمير المسجد الا اذا كان
 مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة
 الواجبة عليه وقوله تعالى (ولم يخش الا الله) يعني ولم يخش في الدين غير الله ولم يترك أمر الله خشية الناس
 (فعبس أولئك أن يكونوا من المهتمدين) وعسى من الله واجب دعى وأولئك هم المهتمدون المتسكون بطاعة
 الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد
 المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية
 أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد
 أرواح أعد الله في الجنة نزلا كلما غدا أرواح النزل ما يميأ للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا ربتني به وجه الله تعالى بنى الله بيتا في الجنة
 وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا
 كان أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عتبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 من بنى لله مسجدا يذكركم الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه النسائي قوله سبحانه وتعالى (أجعلتم سقاية
 الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل
 مما قلتم فزجرهم عمرو وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولا تكن اذا
 صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأمر الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
 كن آمن بالله واليوم الآخرها وقيل قال العباس حين أسير يوم بدر لئن كنتم سبقتونا بالاسلام
 والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأمر الله هذه الآية وأخبر ان عمارتهم المسجد
 الحرام وقياهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال
 الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطهجة بن أبي
 شبة افتخروا فقال طهجة أنا صاحب البيت يدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليها
 وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأمر الله هذه
 الآية أ جعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقى الحاج وكان العباس بن عبد المطلب
 يمد سقاية الحاج وكان يلهم في الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده وممرته (كن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره

بالرسول لا قتران ما في الاذان
 والاقامة وكلمة الشهادة
 وغيرها أو دل عليه بقوله
 (وأقام الصلوة وآتى الزكوة)
 وفي قوله (ولم يخش الا الله)
 تنبيه على الاخلاص والمراد
 الخشية في أبواب الدين
 بان لا يختار على رضا الله
 رضا غيره لتوقع مخوف اذا
 المؤمن قد يخشى المخاذير
 ولا يتمالك ان لا يخشاها
 وقيل كانوا يخشون الاصنام
 ويرجونها فاريدني تلك
 الخشية عنهم (فعبس أولئك
 أن يكونوا من المهتمدين)
 تبعيد للمشركين عن مواقف
 الاهتمام وحسم لاطماعتهم
 في الانتفاع باعمالهم لان
 عسى كلمة اطماع والمعنى
 انما تستقيم عمارة هؤلاء
 وتكون معتداهم عند الله
 دون من سواهم (أ جعلتم
 سقاية الحاج وعمارة المسجد
 الحرام كن آمن بالله واليوم
 الآخر

وجاهد في سبيل الله لا يستمرون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وغمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجمعتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله وقبل المصدر بمعنى الفاعل يصدق قراءته ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام ٢٠٨ والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم الثابتة وان يسوي بينهم

كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أجمعتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لا يستمرون عند الله) يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب من عندها فقال استسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال استسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لتزلت حتى أضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال مالي أرى بني عمي يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون الذبيذ آمن حاجة بكم أم من يحل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنينا من حاجة ولا يحل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلقه أسامة فاستسقى فأتيته ماء بياض من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجمتم كذا فاصنعوا فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي عزير ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا لال فان غلى وحض حرم قوله عز وجل (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني ان من كان موصوفاً بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الرابع على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة (وأولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعني بسعادة الدنيا والآخرة (يشترهم ربهم) يعني يخبرهم ربهم وبالبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستبشر بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذي يشترهم به فقال تعالى (برحمة منه ورضوان) وهذا أعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعني ان نعيم الجنة دائم غير منقطع أبداً (خالدين فيها) يعني في الجنان وفي النعيم أبداً يعني لا انقطاع له (ان الله عنده أجر عظيم) يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها تزلت في قصة العباس وطهعة وامتاعها من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فنهى من تعلق به أهله وأولاده يقولون نشدك الله أن لا تضعي عنديهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل تزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بكم فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء يعني بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة تزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزولاً والا قرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبصر من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل آباءه وأخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة فالمتؤمن لا يوالى الكافرون كان آباءه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (ان استجبوا للكفر على الايمان) يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد

وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما تزلت جواباً لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعة الرحمة تذكروا ويناوتدع محاسننا فقل أولئك محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيعة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أولئك (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لأنتم والمختصون بالفوز دونكم (يشترهم ربهم) يشترهم جزرة (برحمة منه ورضوان وجنات) تكبير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعرف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبداً) ان الله عنده أجر عظيم لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لانه

ولا خيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فنهى من يسرع الى ذلك ويجهه ومنهم من تعلق به وزوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيق فيجلس معهم ويدع الهجرة فتزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استجبوا الكفر على الايمان) أي أثره واختاره (ومن يتولهم منكم) أي ومن يتول الكافرين (فأولئك هم الظالمون)

ظلم نفسه بخالفه أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين والآنزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان
 نحن هاجروا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فأنزل الله سبحانه وتعالى (قل)
 أي قل يا محمد هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ان كان آبائكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) وقرئ
 على الجمع وعشيرتكم المشيرة هم الذين من أهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم (وأموال
 تفرقتموها) يعني اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) يعني بفرقكم لها (ومساكن ترضونها) يعني
 تستوطنونها راضين بسكنائها (أحب اليكم من الله ورسوله) يعني أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله
 (وجهاد في سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليلقى الدين سليما وأخبر انه ان
 كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندهم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله
 (فترضوها) أي فانتظروا (حتى يأتي الله بأمره) يعني بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد
 ومقاتل يعني بفتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا
 وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز
 وجل (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن كثيرة) يعني أما كن
 كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريرة في حديثه قاتل في
 ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى (لقد نصركم الله في
 مواطن كثيرة) (ويوم حنين) يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى
 نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وخذين اسم واد قريب من الطائف
 بينهما وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي الحجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن
 وتوقف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة
 عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط وكان المشركون أربعة آلاف من
 هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ديايل فلما التقى الجمعان
 قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن تغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كلامه ووكلا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلاهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن
 سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكي ابن جرير الطبري ان القائل لذلك رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واسناد هذه الحكاية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لا نصلى الله عليه وسلم كان في جميع
 أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتي من عند الله عز وجل
 من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلو اعن الذاري ثم تناووا
 بإجماع السواد اذكروا الفضائح فترجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ
 بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن أبي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا
 عمارة فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولي ولا كنه انطلق اخفاء من الناس وحسرت الى هذا الحى
 من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنهم رجل من جراد فأنكشفوا فاقبل القوم الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفيان بن الحرث يقوده بغلته فترل ودعاواسته نصر وهو يقول أنا النبي لا كذب
 أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خزيمة ثم صفعهم قال البراء كنا والله اذا حجر البأس تنقي به
 وان الشباع من الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبي اسحق قال قال رجل للبراء بن
 عازب يا أبا عمارة فررت يوم حنين قال لا والله ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه
 وأخفاؤه حسر ليس عليهم سلاح أو كثيره سلاح فلقوا قوم رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني

قل ان كان آبائكم وأبنائكم
 وأخوانكم وأزواجكم
 وعشيرتكم أقاربكم
 وعشيرتكم أبو بكر (وأموال
 اقترقتموها) اكنسبتموها
 (وتجارة تخشون كسادها)
 فوات وقت نفاقها (ومساكن
 ترضونها أحب اليكم من الله
 ورسوله وجهاد في سبيله
 فترضوها حتى يأتي الله بأمره)
 وهو عذاب عاجل أو عقاب
 آجل أو فتح مكة (والله
 لا يهدي القوم الفاسقين)
 والاية تنعى على الناس ما هم
 عليه من رخاوة عقد الدين
 واضطراب جبل اليقين
 اذا تجدد عند أروع الناس
 ما يستحب له دينه على الآباء
 والابناء والأموال والخطوط
 (لقد نصركم الله في مواطن
 كثيرة) كوقعة بدر وقرينة
 والنضير والحديبية وخيبر
 وفتح مكة وقيل ان المواطن
 التي نصر الله فيها النبي عليه
 السلام والمؤمنين ثمانون
 موطنًا ومواطن الحرب
 مقاماتها ومواقفها (ويوم
 أي واذكروا يوم حنين)
 واد بين مكة والطائف كانت
 فيه الوقعة بين المسلمين وهم
 اثنا عشر ألفا وبين هوازن
 وثقيف وهم أربعة آلاف
 فلما التقوا قال رجل من
 المسلمين لن تغلب اليوم من
 قلة فساء رسول الله عليه
 الصلاة والسلام

نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقوده فنزل ودعا واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي إسحق قال قال البراء أن هوازن كانوا أقوم مارماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهمزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلوا بالسهام فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفرق قولاً ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم السرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذ رمى القوم بأسرهم إلى جهة واحدة رميناً رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا اجترأ البأس يعني اذا اشتدت الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهمز سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمة العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وأمين ابن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أمين أخو أسامة بن زيد لا مه أمهم بركة مولا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء أهدأها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبرين فظفق رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذنا الجحام بغلته رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صريحا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله كأن عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقاتلوا والبيك لميك قال فاقتملوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كلمة طاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فإزالت أرى حدهم قليلا وأمرهم مدبرا قوله حي الوطيس أي اشتدت الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقضيه وأنشأه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم قليلا يعني لا يقطع شيئا (م) عن سلمة بن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شأهت الوجوه فاخلاق الله منهم انسانا لا ملاء عينيهِ تراب تلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبيرة أم هذا النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وروى ابن رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى ابن رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يعقوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فيها ونحن نسوقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا النساء شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهمز منا وركبوا أكتافنا فكانت ايها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقا بل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددوا عنونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني أن شبيعة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطحمة بن عثمان وعثمان بن أبي طلحة وكانا قد قتلنا يوم أحد فاطلع الله

رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسه فالتفت الى وضرب في صدرى وقال أعيذك بالله يا شعبة فأرعدت
فرائصى فنظرت اليه وهو أحب الى من سمعى وبصرى فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أطلعك الله على ما في نفسه فلما هزم الله المشركين ولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم
وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأشعريين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش
فسار الى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبي المسلمون عيال المشركين وهرب
أميرهم مالك بن عوف النصري فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن أخذ وقتل أبو عامر أمير
المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يوم ثمة ستة آلاف صبي ثم إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذوالقعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى
الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم خنسين وأوطاس وتأنف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحرب بن
هشام وسهيل بن عمرو والقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك أن ناسا من الانصار قالوا يوم
خنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من
قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيموفنا قطر من
دمائهم قال أنس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فأرسل الى الانصار فجمعهم في قبة من
أدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقل حديث بلغنى عنكم فقال له
فقهاء الانصار أما ذورأينا يا رسول الله لم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثه أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله
يعطى قريشا ويتركنا وسيموفنا قطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أعطى رجالا حديثي
عهم بدكفرا أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رجالكم برسول الله صلى الله عليه
وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضى بنا قال فانكم تتجددون بعدى اثره
شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الخوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن
عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم خنين قسم في الناس في المولفة
فلو بهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا اذ لم يصبهام أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم
أجِدكم ضلالا فهداكم الله وبى وكنتم متفرقين فألفكم الله وبى وعالة فأغناكم الله وبى كفا قال شيئا قالوا والله ورسوله
أمن قال فامنعكم أن تحيىوا رسول الله كفا قال شيئا قالوا والله ورسوله أمن قال لو شئتم قلتم جئنا كذا وكذا
أترضون ان تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبي الى رجالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار
ولو سلك الناس واديا أو شعبة بالسلك وادى الانصار وشعبهم الانصار شعاع والناس دنار (م) عن رافع بن
خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيمينة بن حصن
والقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نبى ونهب العبيد بين عيمينة والقرع * فما كان حصن ولا حابس

يقولان مرداس فى مجمع * وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفّض اليوم لا يرفع

قال فأتى له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
حين جاءه وفده هوازن مسلمين فسألوهم ان يرتد عليهم ما لهم وسببهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
معى من ترون وأحب الحديث الى أصمد قه فاختروا الاحدى الطائفتين اما المال واما السبى وقد كنت
استأنت بكم وفى رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قتل من
الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الاحدى الطائفتين قالوا اننا نختر سبينا
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء
جاؤا تائبين وانى قدرأيت ان أردت اليهم سببهم فنأحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد
طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم فى ذلك انالاندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع اليها

(اذ) بدل من يوم (انجبتكم كثيرتم) فادرك المسلمين كلمة الاحجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهم موأحي بلغ قاهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مكة ليس معه الا عمه العباس آخذ بالجام دابته وأبوسفیان بن الحرث ابن عمه آخذ بركابه فقال العباس صح بالناس ٢١٢ وكان صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك ونزلت الملائكة

عليهم ثم الثياب البيض على خيول بلق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماه بهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهم زموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك الماشي وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض بما رحبت) مامصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة بريحها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا لقراركم عن أعدائكم فكانها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وخمسة آلاف وأوسنة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذرائر (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وهم

عرفاؤكم أمرهم فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخبروه أنهم قد طيبوا وأذناؤه الذي بلغنا من سبي هو وزن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين (إذا أنجبتكم كثيرتم) يعني حنين فقلت لن تغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) يعني كثيرتم (شيئا) يعني أن الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون نصر الله ومعونته (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) يعني بسعتها وقضائها (ثم وليتم مدبرين) يعني من همز من (ثم أنزل الله سكينته) يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعية من السكون وذلك أن الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال مضطربا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الأمن موجب السكون جعل لفظ السكينة كناية عن الأمن وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان سنا كن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتحذيل المشركين وتجميعهم للقتال لان الملائكة لم تقابل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعني بالاسر والقتل وسبي العمال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعني في الدنيا ثم اذا فوضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعني في هذه الى الاسلام كما فعل عن بقي من هو وزن حيث أسلموا وقد موأحي رسول الله صلى الله عليه وسلم تأبين فن عليهم وأطلق سببهم (والله غفور لمن تاب) (رحيم) بعباده قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سمو النجاسة على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكلمة والخير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليقتلوا ويرى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يفتسلون ويحدون فلا يتوضئون (فلا يقرؤا المسجد الحرام) المراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكدهم قوله تعالى سبحان أسرى بعبد ليس الا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مسلما مناظا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامم في الحرم فلا يذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين البصرة والمدينة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهايم ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلابي حذا الحجاز ما بين جبل طي وطريق العراق سمى حجازا لانه يجز بين تهايم ونجد وقيل لانه يجز بين نجد والسرقة وقيل لانه يجز بين نجد وتهايم والشأم قال الحارثي وتبولك من الحجاز فيجوز لك ككفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها الا مسلما زادا في رواية لغير مسلم وأوصى

الذين أسلموا منهم (والله غفور) بستر كفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أي ذو نجس وهو مشرك يقال نجس نجسا وقد رذل الان معهم الشرك الذي هو عتلة النجس لانهم لا يتطهرون ولا يفتسلون ولا يجنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (فلا يقرؤا المسجد الحرام) فلا يجزوا ولا يعمرؤا كما كانوا يفعلون في الجاهلية

(بعد عامهم هذا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم ويكون المرام من نهي لقربان النبي عن الحج والعمرة
هو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي ٢١٣ رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام
خاصة وعند مالك يمنعون

منه ومن غيره وقيل نهي
المشركين أن يقربوه راجع
إلى نهي المسلمين عن تمكينهم
منه (وان خفتم عملة) أي فقرا
بسبب منع المشركين من الحج
وما كان لكم في قدمهم عليكم
من الأرفاق والمكاسب
(فسوف يغنيكم الله من فضله)
من الغنائم أو المطر والنبات
أو من متاجر حج الإسلام
(إن شاء) هو تعليم لتعليق
الأمور بعيشة الله تعالى
لتنقطع الآمال إليه (إن الله
عليم) بأحوالكم (حكيم) في
تحقيق آمالكم أو علم بمصالح
العباد حكيم فيما حكم وأراد
ونزل في أهل الكتاب (فأتوا
الذين لا يؤمنون بالله) لأن
اليهود مثنية والنصارى
مثلية (ولا باليوم الآخر)
لأنهم فيه على خلاف ما يجب
حيث يزعمون أن لا أكل في
الجنة ولا شرب (ولا يحترمون
ما حرم الله ورسوله) لأنهم
لا يحترمون ما حرم في الكتاب
والسنة ولا يعملون بما في
التوراة والإنجيل (ولا
يدينون دين الحق) ولا
يعتقدون دين الإسلام الذي
هو الحق يقال فلان يدين
بكذا إذا اتخذ دينه ومعتقده
(من الذين أتوا الكتاب)
يمان للذين قبله وأما المجوس
فلحقون بأهل الكتاب في
قبول الجزية وكذا الأتراك

فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلهم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم
تاجران لثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في
الموطأ ص ١٢٤ (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الشيطان قد يئس أن يعبد
المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي إلى
أقصى اليمن إلى تخوم العراق إلى البحر وقال غيره حذرة العرب من أقصى عدن إلى ريف العراق في
الطول ومن جذرة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الإسلام
فيجوز للكافرين يقيم فيها بعدد أمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد إلا بذن مسلم وقوله تعالى (بعد عامهم
هذا) يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وأن لا يحج بعد العام مشرك وهو
سنة تسع من الهجرة (وان خفتم عملة) يعني فقرا وفاقة وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم من التجارات
وكان المشركون يجلبون إلى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر
وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وان خفتم عملة (فسوف يغنيكم
الله من فضله) قال عكرمة فاغناهم الله بأن أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جذرة
وصنعاء وحرس من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقادة
عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها (إن شاء) قيل إنما شرط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الإنسان دائم
التضرع والابتetal إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد أملة من كل أحد إلا من الله
عز وجل فإنه هو القادر على كل شيء وقيل إن المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الأدب كما في قوله تبارك
وتعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين (إن الله عليم) يعني بما يصالحكم (حكيم) يعني أنه تعالى لا يفعل
شيئا إلا عن حكمة وصواب فن حكمة أن منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار
على أهل الكتاب فقال تعالى (فأتوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الآية حين أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزواهم فزادوا غزوة تبوك وقال الكلبى نزلت في قريظة والنضير من
اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين وهذا
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى فأتوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر فإن قلت أي اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله
عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت أي إيمانهم بالله ليس كإيمان المؤمنين وذلك أن اليهود
يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فلا يسعون بالله وقيل من اعتقد
أن عزير ابن الله وأن المسيح ابن الله فلا يسعون بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله
فليس يؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الأنبياء فلا يسعون بالله وأما إيمانهم باليوم الآخر
فليس كإيمان المؤمنين وذلك أنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون
فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فلا يسعون بالله كإيمان المؤمنين وان زعم أنهم مؤمنون وقوله تعالى
(ولا يحترمون ما حرم الله ورسوله) يعني ولا يحترمون التحريم والتحريم وقيل معناه أنهم لا يحترمون ما حرم الله
في القرآن ولا ما حرم رسول الله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والإنجيل بل حرقوها وأتوا
بأحكام من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) يعني ولا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق وقيل
الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الإسلام وهو قوله تعالى أن الدين عند الله الإسلام وقيل
معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطاعون الله كطاعتهم (من الذين أتوا الكتاب) يعني
أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) وهي ما يعطى المعاهد من أهل الكتاب على

والهناد وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجزى منكم الجزية إلا من كان من العرب
(حتى يعطوا الجزية) إلى أن يقبلوها وتسميت جزية لأنه يجب على أهلها أن يجزوه أي يقضوه أو هي جزاء على الكفر على التحميل في تليل

عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية لالاج. تزأبها في حقن دماهم (عن يد) يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرهام من غير طيب نفس أعطى عن يد. وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقد الانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم اذلاء معقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قاتمون والقادم جالس. وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من احدثهم وتوطأ عنقه. وقال السكاكي اذا أعطى يصنع قفاه وقيل هو أن يؤخذ بلحيته ويضرب في لحيته ويقال له اذحق الله يا عبد الله. وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم.

في فصل في بيان احكام الامة التي اجتمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذ لم يكونوا عربا واختلفوا في اهل الكتاب العرب وفي غير اهل الكتاب من كفار الجعم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا وعجماء ولا تؤخذ من عمدة الاوثان بحال واحتج بخاروي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فأخذه فأوثقه فحقن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود. وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان وأخذ من اهل دقة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتدة. وقال أبو حنيفة تؤخذ من اهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشرك الجعم ولا تؤخذ من مشرك العرب. وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من الجعمي كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز اخذهم ويدل عليه ما روى عن بحالة بن عبيدة ويقال عبيدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذهم من مجوس هجر أخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سفواهم سنة اهل الكتاب أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر أخذهم من مجوس فارس وان عثمان بن عفان أخذهم من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر من اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذهم من دليل على ان رأى الصحابة كان على ان لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا في أن المجوس هل هم من اهل الكتاب فروى عن علي بن أبي طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحو وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناحتهم بخلاف اهل الكتاب وأما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرنون بالجزية وتحل مناحتهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ تحجبى محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فانهم لا يقرنون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناحتهم ومن شك في أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرنون بالجزية تغليب الحق الدم ولا تحل ذبائحهم ومناحتهم تغليب التحريم ومنهم من صارى العرب من تنوخ وبهراء وبني تغلب أقورهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والساامرة فسيبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم في اهل الكتاب كأهل البدع في المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلوأجه الى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم أي محتلم دينار أو عدله من المسافرين ثياب تكون باليمن أخرجه أبو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ ديناراً ولم يفرق بين الغنى والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى أن على كل موسر أربع دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينار أو هو قول أصحاب الرأي ويدل عليه

(عن يد) أى عن يد مواتية غير متمتعة ولذا قالوا أعطى بيده اذا نقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يده الى يد نقد غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولا كن عن يد المعطى الى يد الآخر (وهم صاغرون) أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بهم بانفسه ما شاع غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يقتل ثلثة ويؤخذ بتليبه ويقال له أذ الجزية يا ذى وان كان يؤذيها ويرزخ في قفاه وتسقط بالاسلام

ماروى عن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين
درهما ومع ذلك أرتاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال أصحاب الشافعي أقل الجزية
دينارا لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغنى
أربعة دنانير قال العلماء انما أقر أهل الكتاب على دينهم بالمطل بخلاف أهل الشرك حرمة لا تأثمهم الذين
انقضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وأيضا فان بأيديهم كتب قديمة فربما
تفكر وافهم فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وحجة نبوته فأما هذا المعنى وليس المقصود من أخذ
الجزية من أهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجاء ان يعرفوا
الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذ رأوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الدلائل فيه قوله عز
وجل (وقالت اليهود وعزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية
التقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الآية تأخير عنهم انهم
أثبتوا الله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان
هذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب أخذ الجزية منهم وبقائهم على هذا الشرك
وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلمهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد
ابن جببر وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنجمان
ابن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصبيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزير ابن
الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فحاص بن عازوراء
وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وانما
نسب ذلك الى اليهودي وقالت اليهود جرياء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب
فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا
منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال انما قالت اليهود ذلك من أجل ان عزير كان فيهم وكانت
التوراة عندهم والتابوت فيهم فضاءوا التوراة وعملوا به يرا الحق فرغ الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت
وأناهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرذاليه التوراة فينمها هو يصلي
مبتهلا الى الله عز وجل تزل نور من السماء فدخل جوفه فعاتب اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد أتاني الله
التوراة وردتها الى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت
عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوفى عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي
ان يجتصروا غزير ابنت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذلك صغيرا فلم
يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيه من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزير ليحبد
لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما آمن الله مائة سنة قال فأتى ملكا بناء فيه ماء فشرب منه فثقلت له التوراة في
صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فذكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان
رجلا منهم قال ان أبي حدثني عن جدتي ان التوراة جعلت في خابية ودقنت في كرم فانطلقوا معه حتى
أخرجوها فغادروا على كتبهم عزير فلم يجدوه غادروا حرقا فقالوا ان الله لم يبق في التوراة في قلب عزير
الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم
انه انقطع واندرس فأخبر الله تعالى به عنهم وأظهرهم عابهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل
أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق
بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثلاثين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين
اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص
اليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني

(وقالت اليهود) كلهم أو
بعضهم (عزير ابن الله)
مبتدأ وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم أعجمي
ولجمته وتعريفه امتنع
صرفه ومن نون وهو عاصم
وعلى فقد جعله عربيا (وقالت
النصارى المسيح ابن الله)

لا يعصده برهان ولا يستمدالى
بيان فاهو الالفاظ يفوهون به
فارغ عن معنى تحته كالالفاظ
المهملة (يضاهون قول الذين
كفروا من قبل) لا بد فيه من
حذف مضاف تقديره يضاهي
قولهم قولهم ثم حذف المضاف
وأقيم الضمير المضاف اليه
مقامه فانقلب مفعول يعنى
أن الذين كانوا فى عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
اليهود والنصارى يضاهي
قولهم قول قدمائهم يعنى انه
كفروا قديم فيهم غير مستحدث
أو الضمير للنصارى أى
يضاهي قولهم المسيح ابن الله
قول اليهود عزير ابن الله لانهم
أقدم منهم يضاهون عاصم
وأصل المضاهاة المشابهة
والاكثر ترك الهمز واشتقاقه
من قولهم امرأة ضهياء وهى
التي أشبهت الرجال بانها لا
تحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم
الله) أى هم أحقاء بأن يقال
لهم هذا (أنى يؤفكون) كيف
يصرفون عن الحق بعد قيام
البرهان (اتخذوا) أى أهل
الكتاب (أخبارهم) علماءهم
(ورهبانهم) نساكهم
(أرباباً) آلهة (من دون الله)
حيث أطاعوهم فى تحليل
ما حرم الله وتحريم ما حل الله
كما طاع الأرباب فى أوامرهم
ونواهيهم (والمسيح ابن مريم)
عطف على أخبارهم أى
اتخذوه رباً حيث جعلوه ابن
الله (وما أمروا الا لعباد الله
واحداً) يجوز الوقف عليه
لان ما بعده يصلح ابتداء
ويصلح وصفاً واحداً

سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة
ووضع التراب على رأسه ثم أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا مدوكم بواص فقد نوديت من السماء
انه ليس لك توبة حتى تنتصر وقد تبنت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتاً منهم لم يخرج منه
سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت أن الله قبل توبتك فصدة قوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد
الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والاخر يعقوب والاخر مارك كان فيهم نسطور ان عيسى ومريم
والالة ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم مارك أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال
فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس ليعلمتك وأمره أن
يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم انى سأذبح
نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتترقأ ولثك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد
الى بيت المقدس والاخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقاتلته ودعا الناس اليها فقتلوه على ذلك
طوائف من الناس فتفرقوا واختلوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام غفر
الدين الرازى بعد أن حكى هذه الحكاية والاقتبال فذكر ان يعقوب لم يزل على سبيل التشرىف فبالغوا وفسروا اللفظ الابن بالبنوة
الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفساهذ المذهب الفاسد فى أتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة
الحال (ذلك قولهم بأفواههم) يعنى أنهم يقولون ذلك القول بألسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل
المعاني لم يذكروا الله قولا مقرونا بالأفواه والالسن الا كن ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهون)
قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين
كفروا من قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما
قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون
الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة
وقال القتيبي يريد أن من كان فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولوهم
(قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جرير قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق القتالة ولكنه
يعنى التعجب أى حق أن يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله
الله ما أعجب فعله (أنى يؤفكون) يعنى أنى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل وإقامة الحجة بان الله واحد
أحد فعملوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب
من شئ ولكن هذا الخطأ على عادة العرب فى مخاطبتهم فالتعجب عنه سبحانه وتعالى يعجب بنيه صلى الله عليه وسلم من
تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله سبحانه وتعالى (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)
يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاخبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من
النصارى أربابا من دون الله يعنى أنهم أطاعوهم فى معصية الله تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا
عليهم أشياء من قبل أنفسهم فطاعوهم فيها فاتخذوهم كالأرباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية
عن عدى بن حاتم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفى عنق صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا
الوثن وسعته يقرأ فى سورة براءة اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال اما أنهم لم يكونوا
يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه أخرجه الترمذى وقال
حديث غريب قال عبد الله بن المبارك

وهل يدل الدين الا الملوك * وأخبار سوء رهبانها

(والمسيح ابن مريم) يعنى اتخذوه إلها وذلك لما اعتقدوا فيه النبوّة والحلول اعتقدوا فيه الالهية (وما أمروا)
يعنى وما أمروا فى الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة أنبيائهم (الا لعبادوا إلها واحدا) لانه سبحانه وتعالى

هو المستحق للعبادة لا غيره (لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى الله وتزعم ان يكون له شريك في
العبادة والاحكام وان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون) يعني يريد رؤساء
اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله بأفواههم) يعني يريدوه لئلا يبطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم بتكذيبهم آياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور
أحدھا المجزآت الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها
القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد دالة على صدقه وثالثها أن دينه الذي
أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانتقاد لامره ونهيها واتباع طاعته
والامر بعبادته والتبرئ من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم فمن أراد ابطال ذلك بالكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم عزيد النصر واءلاء الكلمة واظهار الدين بقوله (ويا أي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)
يعني ويا أي الله الا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولو كره
الكافرون قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله) يعني ان الله الذي يأبى الا أن يتم نوره هو الذي أرسل
رسوله يعني محمد صلى الله عليه وسلم (بالمهدي) يعني بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هاديا اليه (ودين الحق)
يعني دين الاسلام (ليظهره) يعني ليعليه (على الدين كله) يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء في
ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلم شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه
شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها
وهو ان لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة وأضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين
الا دخلا في الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وبهاك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام اما بعزير أو بذل
ذليل اما أن يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له أخرجه المغيرة بن سعيد (م) عن
عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب اليه ل والنهار حتى تعبد اللات والعزى
فقلت يا رسول الله اني كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالمهدي ودين الحق ليظهره على
الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى كل من كان في قلبه مثقال
حبسة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعي وقد أظهر الله دين
رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بأن أبان لكل من سمعته انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال
وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاقيمين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقيمين حتى دانوا
بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين
وحرى عليهم حكمه فهذه اذهون ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان
كثيرا من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من
النصارى وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا ليه ل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس
الباطل ولعلمهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالا كل في قوله تعالى
(لأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو اعظم
مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقبل انهم كانوا يأخذون الرشا
من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساخطة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبيا بحر فونها
ويملونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها غفلة لا وهي المال التي كانوا يصيبونها من سفلتهم
على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم

(لا إله الا هو سبحانه عما
يشركون) تنزيهه عن
الاشراك (يريدون أن يطفئوا
نور الله بأفواههم ويا أي الله
الا أن يتم نوره ولو كره
الكافرون) مثل حالهم في
طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم بالكذب
بحال من يريد ان ينقح في
نور عظيم منبث في الافاق
يريد الله ان يزيده ويبلغه
الغاية القصوى من الاشراق
ليطغمه بنقحه أجرى ويا أي
الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع
في مقابلة يريدون ولذا لا يقال
كرهت أو أغضت الا زيدا
(هو الذي أرسل رسوله)
محمد عليه السلام (بالمهدي)
بالقرآن (ودين الحق) الاسلام
(ليظهره) ليعليه (على الدين
كله) على أهل الاديان كلهم
أول يظهر دين الحق على كل
دين (ولو كره المشركون
يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان
لأكلون أموال الناس)
استعار الاكل للاخذ
(بالباطل) أي بالرشافي
الاحكام

تلك المآكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار
والرهبان يذكرون في تأويلها وجوها فاسد باطلة ويحترقون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع
الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس عن الايمان به صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكتزون الذهب والفضة) أصل الكتز في اللغة جعل
المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد به هؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كثر
الذهب والفضة فقبل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص
الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة
منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبيح طريقة
الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعييدهم من جمع المال
ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى
وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعييدهم من جمع المال ومنع
الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (نخ) عن زيد بن وهب قال مررت بالريذة
فاذا بأبي ذر فقلت ما أتاك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكتزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكأن
بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان اقدم المدينة فقدمت فكتب علي الناس
حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت نحتب فكتب قريبا فذاك الذي أنزلني هذا
المنزل ولو أمر علي عبد حبشي لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكتز فقيل هو كل مال وجبت فيه
الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر انه قال له اعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فشرهم بعد ذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان
قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهر للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار
قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكتز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه
الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال أدبت زكاته فليس يكتزوان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو
الكتز الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة
آلاف فافوقها كثر وما دونها نفقة وقيل الكتز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري
بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في منزله دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كبة ثم توفي آخر فوجد في منزله دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الاسلام قبل
ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت
الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة كبر ذلك على
المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض
الزكاة الا لتطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض الموارث لتكون لمن بعدهم قال فكبر عمر ثم قال له
ألا أخبرك بخير ما يكتز المرأة الصالحة اذا نظرت اليها سرتها واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته
أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنامع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابك أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال
خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرواقب شاكر ووجه صالحة تعين المؤمن
على ايمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الأول وهو ما ذكرنا عن
ابن عمر ان كل مال أدبت زكاته فليس يكتز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثروا كل مال لم تؤد زكاته
فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان

(ويصدون) سفلتهم (عن سبيل الله) دينه (والذين يكتزون الذهب والفضة) يجوز ان يكون إشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميتين فيهم أخذ الرشوا وكثر الاموال والفضن بها عن الاتفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكائزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدب زكاته فليس يكتز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فله يرك فهو كثر وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلمة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنينة لان الاعراض اختيار لا ايدم صاحبه والاقتناء مباح لا يذم صاحبه

(ولا ينفقونها في سبيل الله)

الضعير راجع الى المعنى لان كل واحد منهم جاد نابر ودراهم فهو كقولهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو يريد الكنوز والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله

* فاني وقيار به الغريب *

وقيار كذلك وخصا بالذكور من بين سائر الاموال لانها قانوت التمول وأثمان الاشياء وذكور كثرها دليل على ماسواها (فبشرهم بعباد آليم) ومعنى قوله (يوم يحصى عليها نار جهنم) ان النار تحصى عليها أى توفد وانما ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور أصله يوم تحصى النار عليها فلما حذف النار قيل يحصى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قات رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عيسوا واذا ضمهم وايه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوا ظهورهم أو معناه يكونون على الجهات الاربع مقاديعهم وما خيرهم وجنوبهم (هذاما كنتم لانفسكم) يقال لهم هذاما كنتم لتنفقوه لتتفعبه نفوسكم وما علمتم انكم كنتم توفعوا لذواتكم وانفسكم وهو توفع (فذوقوا ما كنتم تكذبون) أى وبال المال الذى كنتم تكذبون به أو وبال كونكم كاذبين

بفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأخى عليها نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهوره كماردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم ودها الا اذا كان يوم القيامة يطبخ لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أو ألهار د عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقرة والغنم قال ولا صاحب بقرة ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة يطبخ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شبيبا ليس فيها عصا ولا جملاء ولا أعضاء تنقطع بقرورها وتطؤه بأطرافها كلما مر عليه أو ألهار د عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالياء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وروى في أمكانه وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الامس والعصاة هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناهما لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجملاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان تطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بهن من رقبته يعني شديقه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين ينجحون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة أخبت الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهمزمتان عظمان ناتئتان في اللحيين تحت الاذنين وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني ولا يؤديون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها لانهم انما ينفقونها الى المال المكنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها أغلب أموال الناس (فبشرهم بعباد آليم) يعني الكافرين الذين لا يؤديون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال جئت حتى جلست فلم اتقار حتى قتلت فقلت يا رسول الله فذلك أبي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقرة ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه تنقطع بقرورها وتطؤه بأطرافها كلما نفدت أخرها عادت عليه أو لاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى (يوم يحصى عليها) يعني على الكنوز فدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (في نار جهنم فتكوى بها جباههم) يعني بالكنوز جباه كثرها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا آتاه السائل فطلب منه شيئا تبذره ومنه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلمه وتجتمع أسارير وجهه فيتجدد جبينه ثم انكر السائل الطلب أى بجانبه عنه ومال عن جهته وتتركه جانباً ثم انكر السائل الطلب وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة الجلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (هذاما كنتم لانفسكم) أى بقال لهم ذلك يوم القيامة (فذوقوا ما كنتم تكذبون) أى فذوقوا عذاب ما كنتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينما أنا في

حلقة فيها ملاء من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشرك
 الكافرين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلقة تدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع
 على نغض كتفيه حتى يخرج من حلقة تديه ينزل قال فوضع القوم رؤسهم فآرايت أحدا منهم مرجع اليه
 شيئا قال فادر فاتبعت حتى جئت الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء
 لا يعرفون شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها ٢٠ وزاد البخاري قلت من هذا قالوا أبوذر قال فقامت اليه
 فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الاشياء سمعته من نبهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (ان عدة
 الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى
 الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية
 على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم
 وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور
 الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة
 الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم تارة في الشتاء وتارة في
 الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية
 فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل
 ان عدة شهور سنة المسلمين التي يعتدونها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك
 وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (في كتاب الله) يعني في اللوح المحفوظ
 الذي كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يأتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه آيات
 تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذي أوجبه وأمر عباده بالآخذ به (يوم خلق
 السموات والارض) يعني أن هذا الحكم حكم به وقضاء يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنا عشر شهرا
 (منها) يعني من الشهور (أربعة حرم) وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متواليات وانما
 سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحترم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي قاتل أبيه وأخيه
 وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يحجبه ولما جاء الاسلام لم يزد لها الا حرمة وتعظيمها ولان الحسنات والطاعات
 فيها تنضاعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم (ذلك الدين القيم)
 يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا يعني الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
 الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لمابعده الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير
 ولا يبدل والقيم هنا يعني الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم
 وحجهم وأعيادهم وساعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن
 أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة
 اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
 وشعبان أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيبيعه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى
 قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيبيعه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى
 قال فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيبيعه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال
 فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا أوسه تلقون ربكم
 فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فاعل
 بعض من يبلغه ان يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم شهد
 وقوله تعالى (فلا تظلموا في حق أنفسكم) قيل الحكاية في حين ترجع الى جميع الاشهر أي لا تظلموا أنفسكم في
 جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي

(ان عدة الشهور عند الله
 اثنا عشر شهرا) من غير زيادة
 والمراد بيان ان أحكام الشرع
 تنبئ على الشهور القمرية
 المحسوبة بالاهلية دون
 الشمسية (في كتاب الله)
 فيما أثبتته وأوجبه من حكمه
 أو في اللوح (يوم خلق
 السموات والارض منها
 أربعة حرم) ثلاثة سرد
 ذو القعدة للقعود عن القتال
 وذو الحجة للحج والمحرم التحريم
 القتال فيه وواحد فرد وهو
 رجب لترجييب العرب اياه
 أي لتعظيمه (ذلك الدين
 القيم) أي الدين المستقيم
 لا ما يفعله أهل الجاهلية
 يعني أن تحريم الأربعة
 الأشهر هو الدين المستقيم
 ودين ابراهيم واسماعيل وكانت
 العرب تمسك به فكانوا
 يعظمونها ويحترمون القتال
 فيها حتى أحدثت النسيء
 فغيروا (فلا تظلموا في حق
 في الحرم أو في الاثنى عشر
 أنفسكم) بارتكاب المعاصي

٢ قوله وزاد البخاري الخ
 هذه الزيادة لمسلم لا للبخاري
 اء محمده

والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول أكثر
المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الاشهر الحرم والظلم فبئس أعظم منه فيما سواه من وان
كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيه أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيه وقال
محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا لا كفعل أهل الشرك وهو النسيء
وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم
ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام امتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح
والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحترمة المعظمة سببا للترك
الظلم وفعل المعاصي في غيرهما من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد
التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلو المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)
يعني قاتلوا المشركين باجمعهم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا
على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تتجنبوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في
مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلاف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبير احراما ثم
نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني
والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزاها ووزن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم
في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحل
للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخ الا أن يقاتلوا فيها (واعلموا أن الله مع المتقين)
يعني بالنصر والمعونة على أعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة
عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام
الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به
من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معاش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف
عن ذلك ثلاثة أشهر متواليه وورعها وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم
الى الاشهر الحلال فنسوا يعني أخر واتحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر
فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع الاول فكانوا
يصنعون هكذا يؤخرون شهر ربيع اء شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يجنون في كل شهر
عامين فجاء في ذي الحجة عامين ثم جوا في المحرم عامين ثم جوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة
فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجة شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشرع فوقف بعرفة في اليوم
التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر يعني وأعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد
الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان
قد استدركه ميثمه يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل
في مستألف الايام واختلافوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ
النسيء بنو مال بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبى أول من فعل ذلك رجل
من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدرا قام فخطب الناس
فيقول لا همد لنا قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أحاب فيقول له المشركون اميلك ثم يسأونه ان ينسئهم شهرا
يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح
وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال
له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو رجل من

(وقاتلو المشركين كافة)
حال من الفاعل أو المفعول
(كما يقاتلونكم كافة) جمعا
(واعلموا أن الله مع المتقين)
أى ناصر لهم حرمهم على
التقوى بضمنان النصرة
لاهلها (انما النسيء) بالهمزة
مصدر نسأه اذا أخره وهو
تأخير حرمة الشهر الى شهر
آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب
حروب وغارات فاذا جاء
الشهر الحرام وهم محاربون
شق عليهم ترك المحاربة
فيحلونه ويحرمون مكانه
شهر آخر حتى رفضوا
تخصيص الاشهر الحرم
بالتحريم فكانوا يحرمون
من بين شهور العام أربعة
أشهر (زيادة في الكفر)
أى هذا الفعل منهم زيادة
في كفرهم

الحرم عامار جمعوا فحرموه في العام القابل (ليواطئوا عدة ما حرم الله) ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يحالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين واللام تتعلق بحولونه ويحترقونه أو يحترقونه فحسب وهو الظاهر (فيحلوا ما حرم الله) أي فيحلوا بطاعة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدي القوم الكافرين) حال اختيارهم الثبات على الباطل (يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا) أخرجوا (في سبيل الله) أنما قلتم) تنافقتم وهو أصله (أن النساء أدغمت في النساء فصارت ناءسا كنه قد خلعت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالسا كن أي تباطأتم) إلى الأرض) ضمن معنى الميل والاخلاد دفعدي إلى أي ملت إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه أي ملت إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وحظ وقبط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنى كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم * وفيه ناسي الشهر القلمس * وكانوا يفعلون ذلك إذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس أن أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة أن عمرو بن لحي أول من سبب السوايب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجرقصه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة أنهم أمروا بإيقاع كل فعل في وقت من الأشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه إلى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فواقعه في غير وقته من الأشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرئ يضل بفتح الياء وكسر الصاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الصاد ومعناه أن كبارهم أضلواهم وحلواهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الصاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا بزين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعهم والآخرين بأفعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الصاد (يحولونه عاماً ويحترقونه عاماً) يعني يحلون ذلك الانساء عاماً ويحترقونه عاماً والمعنى يحلون الشهر المحرم عاماً فيحولونه حللاً لا يغير وفيه ويحترقونه عاماً فيجعلونه محرماً فلا يغيرون فيه (ليواطئوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني أنهم ما أحلوا شهرهم من المحرم الا حرموا شهرهم من الحلال ولم يحترقوا شهرهم من الحلال الا أحلوا مكانه شهرهم من الحرام لاجل أن يكون عدد الأشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أنهم لما سبق له في الأزل أنه من أهل النار قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أنما قلتم إلى الأرض) نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحرح حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الأوري بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ففازها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرسه يد واستقبل سفرا بيدا ومفاوز وعددا كثيرا ورجل للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا أنزل الله عز وجل هذه الآية يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفروا في سبيل الله أي أخرجوا إلى الجهاد يقال استنفروا الإمام الناس إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم إليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وإذا استنفرت فأنفروا والاسم النفير أنما قلتم أي تنافقتم وتباطأتم عن الخروج إلى الغزو إلى الأرض يعني لزمت أرضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو وشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعده المسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدد والزراد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعانهم الله تعالى بقوله (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعني أرضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعوتهم نعيم الآخرة (فامتنع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليلا) يعني أن لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الأبد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة إلى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على أن تنافقهم عن الجهاد أمر منكرف فلم يكن الجهاد واجبا لماعتهم على ذلك التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الثانية وهي قوله تعالى (ألا تنفروا) يعني أن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه (يعذبكم عذاباً أليماً) يعني في الآخرة لان العذاب الليم لا يكون الا في الآخرة وقيل إن المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نضيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال

في غزوة الأوري عنها يغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فامتنع الحياة الدنيا في الآخرة) في جنب الآخرة (الا قليلا) إلى الحرب (يعذبكم عذاباً أليماً)

استنفروا

استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيامن أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك
عذابهم (ويستبدل قومًا غيركم) يعني خيرا منكم وأطوع قلسعدين جبيرهم أبناء فارس وقيل هم أهل
البحرين سبجانه وتعالى على أنه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وأعز أدينه فان سار عوامه إلى
الخراب إلى حيث استنفر واحصات النصره بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتحلفوا عنه
حصلت النصره بغيرهم وحصلت العتي لهم لثلاثه وهو ان أعز أدينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نصبرته
لا تحصل إلا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضره وشياً) قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعني ولا تضره والله شياً لأنه
نفي عن العالمين وان تضره أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضره والمحمد صلى الله عليه وسلم شياً فان الله ناصره على أعدائه ولا
يخذله (والله على كل شيء قدير) يعني أنه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة
هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لأنها خطاب
لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ
قوله عز وجل (لا تنصروه فقد نصره الله) يعني لا تنصروه والمحمد صلى الله عليه وسلم أيم المؤمنين هذا
خطاب ان تناقل عن الخروج معه إلى تبوك فاعلم الله عز وجل أنه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم
وسلم وأعز أدينه واعلاء كلمته أعانوه ولم يعينوه وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم
وهو في كثرة من العمد والعدد (أذا أخرجهم الذين كفروا) يعني أنه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه فيه
كفار مكة من مكة حين مكر وأبوا وأرادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم وأبو بكر (أذهما في الغار) يعني أذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون
في الجبل وهو هذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة (أذ يقول لصاحبه لا تحزن) يعني يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم لا يبك الصديق لا تحزن وذلك أن أبا بكر خاف من الطلب أن يعلموا مكانهم فخرج من
ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله
عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال أن أبا بكر لم يكن
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا ينكره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون
مبتدعاً ولا يكون كافراً عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبك أنت صاحبني على الخوض
وصاحبني في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت إلى
أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت
قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معنى ثالثهما ما بالنصر والمعونة
والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان
عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لأبي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة
من أوجه منها اللفظ الدال على أن الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه
وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب أنه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت أن عملي كله مثل عمل يوم
واحد من أيامه ولبلة واحدة من أيامه أما اليلة فلبلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار فلما
انتهيا إليه قال والله لا تدخله - حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكأنه وجد في جانبه
تقبلاً فاشق أزاره وسد هابه وبقي منها تقبلاً فقامهم مارجله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أدخل
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك
مخافة أن يتعب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

هم أنكمهم ويستبدلهم قومًا آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غنى عنهم في نصرته دينه لا يقدح تناقلهم فيها شيئاً وقيل الضمير في ولا تضره الرسول عليه السلام لان الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعدده كائن لا محالة (والله على كل شيء) من التبدل والتعذيب وغيرهما (قدير) لا تنصروه فقد نصره الله (لا تنصروه) فيسبى نصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت (أذا أخرجهم الذين كفروا) أسند الإخراج إلى الكفار لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكانهم أخرجوه (ثاني اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر وانتصابه على الحال (أذهما) بدل من إذا أخرجه (في الغار) هو نقب في أعلى ثور وهو جبل في بني مكة على مسيرة ساعة مكث فيه ثلاثاً (أذ يقول) بدل ثان (لصاحبه) لا تحزن ان الله معنا بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث

الله جماعة من أصفه والعنكبوت فنهجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أنصارهم فجعلوا ترددون حول الغار ولا يفتنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لا تكلمه كلام الله وليس ذلك ليسائر الصحابة

مالك يا أبا بكر فقال لدغث قدك أبي وأمي فتقل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقص عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لنودي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجباني في الجاهلية خوار في الإسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أيقص وأناحي أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال أذكر الطلب فأهشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان أقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة (ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري) عن عائشة قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدنان الدين ولم يترعنا يوم الا يا تينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذ بلغ برك الغماد لقى ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال ان تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد ان أسجد في الارض فأعبد رب فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانك جار فارجع واعبد ربك ببلادك فرجع وارسل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قریش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجالا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قریش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذ قریش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربك في داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فاننا نخشى ان يفتن نساءنا وأبنائنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربك في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بقناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيه فتدفع عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يجهلون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا يكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قریش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجربنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربك في داره فقطعنا ذلك فابتنى مسجدا بقناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وأبنائنا فانه فان أحب ان يقتصصر على ان يعبد ربك في داره فعل وان أبي الان يعلن بذلك فسله ان يرذالك ذمتك فاننا فذكره انان نخفرك وليسنا مقرين لابي بكر الا لاسم تعلن قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي اهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الى ذمتي فاني لا أحب ان تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني أردالك جوارك وأرضي بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت دار هجرة تكمن سبعة ذات نخل بين لابتي وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فجلس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحبه وعلف راحلتي كانتا عنده من ورق السمرة وهو الخطب أطر بعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوماني بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذان رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعان في ساعة لم يكن يا تينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهالك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال فاني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر المحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث

الجهاز وصنعنا لهم اسفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقيها فربطت به فم الجراب قبل ذلك
 سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليل
 لم يمت عنددهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدخ من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة
 فكانت فلا يسمع أمر أيكادانه إلا وعاه حتى يأتيهم ما يخبر بذلك حين يختلط الظلام ويرى عليهم ما عاين من
 فهيمة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهم ما حتى تذهب ساعة من العشاء فيميتان في رسل حتى ينعق بها
 عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو
 بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدى هادي آخر يتاواخر بيت الماهر بالهداية قد غمس خلفا في آل
 العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعنا إليه راحلتهم ما واعداه غار ثور بعد ثلاث
 ليل فأناهما صبح ثلاث فارتحلوا وانطلق معهم عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذهم طريق السواحل
 وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك
 ابن جعشم إن أباه أخذ به أنه سمع سراقه بن مالك بن جعشم يقول جاء نارسول كفار قريش يجعلون في رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهم مائة قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي
 بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقه إني قد رأيت أنفا سودة بالساحل أراها
 محمد أو أحبابه قال سراقه فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وقلنا انطلقوا باعيننا
 يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم فت فتدخلت فامررت جاريتي أن تخرج فرسى وهى من وراء
 أكمة فتجسسها على وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى
 أتت فرسى فركبتها فرفعها تقرب بي حتى دونت منهم فعمرت بي فرسى فخررت عنها فقممت وأهويت يدي إلى
 كنانتي فاستخرجت منها الزلام فاستقسمت بها أضربهم أم لا فخرج الذى أكره فركبت فرسى وعصيت
 الزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكسر الالتفات
 ساخت يد فرسى في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فخفضت فلم تكد تخرج يديها فلما
 استوت قائمة إذا لثريديها عشان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالزلام فخرج الذى أكره
 فنسألتهم بالامان فوققوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن
 سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فية الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد
 الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأنى ولم يسألنى إلا ان قالوا اخف عنا ما استطعت فساءلته أن
 يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا
 قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة فخرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينظرونه حتى يردهم حر الظهيرة
 فانقلبوا يوما بعد ما طالوا انتظارهم فلما أوالى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من أطامهم لأمير
 ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبينين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال
 بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرونه قال فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بنظر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع
 الأول وقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطلق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلم
 عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو
 ابن عوف بضعة عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
 ركب راحته فسار عشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه

يومئذ رجال من المسلمين وكان مرید القمركسهميل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهم بالمرید ليتخذ مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بنى مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول هذا الجلال لجمال خبير * هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم له قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بشعر تام غير هذا البيت أخرجه البخاري بطوله شرح غريب ألفاظ الحديث ثم قوله سلم أعقل أبوى الا وهما يدينان الدين يعني أنهما كانا يتقاران الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قلب ماء لبنى ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعدة وخطة من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشئ المعدوم المتعذر ان لا يقدر عليه وفيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يتقبل حله من حقوق الناس وصله الارحام والقيام بأمر العمال واقراء الضيف ونوائب الحق ما يتوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق بل يقصده أنالك جار أى حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي وقوله فينقذ النساء عليه يعني يزدحم عليه والذمة العهد والامان واخفاره انقضها واللاية الجبل والحرة الارض انى تعلوها بحجارة سود يقال افعل الشئ على رسلك بكسر الراء أى على همتك والراحلة البعير القوى على الجمل والسير والظهير وقت شدة الحر والنطاق جبل أو نحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى أسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لئن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع افهم والادلاج يتخفيف الدال سير أول الليل وبشديد هاسير آخره والمخة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس خلفا يقال غمس فلان حلقا في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلقهم والاسودة الاشخاص والاكمة التسل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريرا اذا عدا عدوا دون الاسراع والسكانة هي الجمعية التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقيمون بها عند طاب الحوائج كالقال والعنان الغبار يقال مارزأت فلانا شيئا أى ما أصبت منه شيئا والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيئا وقوله أوفى أى أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيض هو بكسر الباء أى هم ذو ثياب بيض والمرید الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الجمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الجمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة في الآخرة لاجل خبير يعني ما يحمل من خبير من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الجمل الذى نحملة من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خبير وقد روى هذا الجمال بالجمع من التجميل والرواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باصتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أنت عمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعل الطاب يضربون عينا وشمالا حول الغار يقولون لودخنا هذا الغار لتهكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله قال النبي ولم يجزع بوقرى * ونحن في سدق في ظلمة الغار * لا نخش شيئا فان الله ثالثنا وقد تكفل لي منه باظهار * وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار والله مهلكهم طرعا صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فأنزل الله السكينة عليه) يعني فأنزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك
 فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
 * منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطاعا على باطن أبي بكر الصديق في سره وإعلانه وإتائه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان الخوف لعلهم يحالوه * ومنها ان هذه الهجرة كانت بأذن الله تعالى فخص الله بصحبته نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره * ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل الارض بقوله تعالى لا تنصروه فقد نصره الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضي الله عنه * ومنها ان سيدنا أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له * ومنها ما وثقنا من النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله * ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى إلى ثاني اثنين إذ هما في الغار وفي هذا غاية الفضيلة لا يبي بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال * ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق إلى الايمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر إلى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطحمة والزبير فآمنوا على يدى أبي بكر ثم جملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم * ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وأبو بكر معه في ذلك الموقف * ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانياه * ومنها انه ثانياه في رتبته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر * ومنها ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن * ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثا ما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره * ومنها انزال السكينة على أبي بكر واختصاصه به ادليل على فضله والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وأيدته بجندولم تروها) يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم باللائكة يوم بدر والاحزاب وحسين (وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم إلى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته إلى الاسلام (هى) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه اذهى لم تزل كانت عالية (والله عزير) يعز بنصره أهل كلمته (حكيم) يدل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور لنشاطكم له (وثقالا) عنه لشدته عليكم أو خفافا لقله عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهاريلا وسمانا أو صحاحا ومرضا

(فأنزل الله السكينة) ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه (عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم أو على أبي بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب (وأيدته بجندولم تروها) هم الملائكة صر فواوجوه الكفار وأبصارهم عن ان يروه أو أيدته باللائكة يوم بدر والاحزاب وحسين (وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم إلى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته إلى الاسلام (هى) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه اذهى لم تزل كانت عالية (والله عزير) يعز بنصره أهل كلمته (حكيم) يدل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور لنشاطكم له (وثقالا) عنه لشدته عليكم أو خفافا لقله عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهاريلا وسمانا أو صحاحا ومرضا

(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة (في سبيل الله لكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (إن كنتم تعلمون) كوز ذلك خير أفسادوا إليه ونزل في المنافقين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ٢٢٨ يأكل منه البر والفاجر أي لو كان مادعوا إليه مغنما (قريباً) سهل المأخذ (وسفر قاصداً) وسطاً مقاراً بالقاصد

بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من جعل هذا الأمر على الذنب قال مجاهدان أباً أيوب الأنصاري شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخف عن غزوة غزاه المسلمون بعده فقبل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفر واخفأوا وثقالاً ولا أجدني الا خفيفاً وثقيلاً وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى عينيه فقبل له انك عليه صل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقیل فان لم يكن الحرب كثرت السواد وأحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حصن فلقيت شيخاً فسقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم أنت ممنور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفأوا وثقالاً الا انه من يحبه يتليه والصحيح هو القول الاول انه منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بما له بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو وبما له فيكون مجاهداً بما له دون نفسه (ذلكم) يعني ذلكم الجهاد (خير لكم) يعني من القعود والتمائل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه (إن كنتم تعلمون) يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضاً قريباً) فيه اضمحار تقديره لو كان مادعواهم اليه عرضاً يعني غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (وسفر قاصداً) يعني سهلاً قريباً (لا تبعوا) يعني اخرجوا معكم (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريباً والغنيمة سهلة والسفر قاصداً لا تبعوا طمعاً في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيداً وكانوا يستعظمون غزو الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي عليه السلام من هذا الجهاد يخلفون بالله وهو قوله تعالى (وسيجاهلون بالله) يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة (لو استطعنا لخرجنا معكم) يعني الى هذه الغزوة (يهلكون أنفسهم) يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والذفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها (والله يعلم انهم) يعني في ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل (عفا الله عنك لم اذنت لهم) قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عتاب الله به فيه محمد صلى الله عليه وسلم أي في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الا ودي اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشيء ففهم ما اذنه للمنافقين وأخذه القداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظر الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يعبره بالذنب ثم فصل به استدل بهذه الآية من يرى جوار صدور الذنوب من الانبياء وبيان من وجهين أحدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني انه سبحانه وتعالى قال لم اذنت لهم وهذا

والقصد المعتدل (لا تبعوا) لوافقوك في الخروج (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة الشاقة الشاقة (وسيجاهلون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه أخبر بما سيكون بعد القول فقالوا كما أخبر أو بالله متعلق بسيجاهلون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيجاهلون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيجاهلون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سدمست جوابي القسم ولو جميعاً ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تعارضوا (يهلكون أنفسهم) بدل من سيجاهلون أو حال منه أي مهلكين والمعنى انهم يهلكون بالخلف الكاذب أو حال من لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها في الهلكة بما تحملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم) الكاذبون فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو رادف لها

وهو من لطف العتاب بتدبير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لا اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعلمهم وهلا استأنيت بالاذن

استفهام معناه الانكار * والجواب عن الاول انا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظمه عفا الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل

عفا الله عنك الاحرمه * تعود بفضل ان أبعدا * ألم تر عبادا عدا طوره ومولى عفا ورشيد اهدى * ألقنى أقالك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى

* والجواب عن الثانى أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة أولا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب أمتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض في كتابه الشفا فى الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعذمه معصية ولا عذته تعالى عليه معصية بل لم يعذره أهل العلم معاتبه وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فى أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطاع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقد عدا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخليل والرفيق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقتبي يرى قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها تكرمه وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم فى التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والا كمل لاسمها وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعنى فى اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة قوله سبحانه وتعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى فى أن يجاهدوا وانما أحسن هذا الحذف لظهوره (والله عليم بالمؤمنين) يعنى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتاب قلوبهم) يعنى شك قلوبهم فى الايمان وانما أضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا (فهم فى ريبهم يترددون) يعنى أن المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناصخ والمنسوخ فى هذه الآية فقبل انها منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحد منهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا فى الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون فى التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) يعنى الى الغزو ومعكم (لا عذواله عدة) لتيمؤاله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعنى خروجهم الى الغزو ومعكم (فنبطهم) يعنى منعهم وجبسهم عن الخروج معهم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصر فهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه

(حتى يتبين لك الذين صدقوا) (وتعلم الكاذبين) يتبين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر به ما اذنه للمنافقين وأخذ العديمة من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الافضل وهم يعاتبون على ترك الافضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى ان يجاهدوا (بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمؤمنين) عدة لهم باجل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكافوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتاب قلوبهم) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون لان التردد بين المتخير كأن النبات ديدن المستبصر (ولو أرادوا الخروج لا عذواله) للخروج أو للجهاد (عدة) أهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تبطلوا عن الخروج لكره الله انبعاثهم (فنبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهد فيه

(وقيل اقدموا) أي قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالسوسة (مع القاعدين) هو ذمهم لهم والحق بالنساء والصبيان والزمن الذين شأنهم القعود في البيوت (لخرجوا فيكم ما زادوكم) يخرج وجههم معكم (الانحلال) الفساد أو شر أو الاستثناء متصل لأن المعنى ما زادوكم شيئا إلا خبالا ٢٣٠ والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه

مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وإن كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال أن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل أنه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنبت لهم فنقول أنه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص وإكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنبت لهم وقيل انما عاتبه لاجل أنه أذن لهم قبل أن يوحى إليه في أمرهم بالقعود (وقيل أقعدوا مع القاعدين) معناه أنهم لما استأذنه في القعود قيل لهم أقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الأعذار ثم اختلوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض أقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنه في القعود فقال لهم أقعدوا مع القاعدين فاعتصموا ذلك وقعدوا وقيل إن القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بأن ألقى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين إلى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفسدة فقال تعالى (لخرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الغزو وما زادوكم الفساد أو شر وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الفساد وإيقاع الجبن والنفسل بين المؤمنين بتحويل الأمر وشدة السفر وكثرة العدو وقتهم (ولاً وضعوا خلخالكم) يعني ولا تسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النخعة والأحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعني يطلبون لكم ما تفتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وأنكم ستشتمون منهم وسيظهرون عليكم وتخذلكم من الأحاديث الكاذبة التي تحبب وقيل معناه يطلبون العيب والشر (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد يعني وفيكم عميون لهم يؤثرون اليهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم (فإن قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين) قلت يجوز أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا رعبا أثر ذلك القول في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الأحوال (والله أعلم بالظالمين) وهذا وعيدوهمديد للمنافقين الذين يلقون الفتنة والشبهات بين المؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعني لقد طلبوا صيدا تخالبكم يا محمد عن الدين وردهم إلى الكفر وتخذيّل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول يوم أحد حين انصرف بأصحابه عنكم (وقبلوا لك الأمور) يعني وأجالوا فيكم وفي أمرك وفي إبطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيّل الناس عنك وقصدتهم تشببت أمرك (حتى جاء الحق) يعني النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعني ذلك قوله عز وجل (ومنهم يقول أئذني لا تقنني) نزلت في الجدين قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجدين قيس يا أبا وهب هل لك في جلابني الأصم فريعتي الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجديان رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بحب النساء وإني أخشى أن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن أئذني في القعود ولا تقنني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجدين قيس ولم تكن له علة إلا التناق فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذن لك فأئذني بالله عز وجل فيه ومنهم يعني ومن المنافقين من يقول أئذني في

في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقوع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعضه (ولا أوضعوا خلخالكم) ولما ساروا بينكم بالقتيريب والتخالف والفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأضعته أنا والمعنى ولا تضعوا ركائبهم بينكم والمراد الأسراع بالتخالف لأن الراكب أسرع من الماشي وخط في المحصف ولا أوضعوا بزيادة الالف لأن الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من تلك الالف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحناه (يبغونكم) حال من الضمير في أوضعوا (الفتنة) أي يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويتسدوا بيناتكم في مغزائكم (وفيكم سماعون لهم) أي غمامون يسمعون حديثكم فينبغونهم اليهم والله أعلم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصدد الناس أو بان يفتنوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل

غزوة تبوك (وقبلوا لك الأمور) ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا والآراء في إبطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهو كارهون) أي على رغمهم منهم (ومنهم من يقول أئذني لا تقنني) ولا توقنني في الفتنة وهي الاتهام بأن تأذن لي فاني أن تخلف بغير اذنك أئمت أولا تلقني في الهداية فاني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدين قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تقنني بينات الأصفر يعني نساء الروم ولا كني أعينك بمالي فاتركني

(ألا في الفتنة سقطوا) يعني أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة الخلف (وإن جهنم محيط بالكاافرين) لأن أن أسباب الإحاطة معهم
أوهى محيط بهم يوم القيامة (إن تصيبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر غنيمه (تسؤهم وإن تصيبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو
ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن متسؤمون به من الحذر والتميز والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا)
عن مقام التحدث بذلك إلى أهلهم (وهم فرحون) مسرورون (قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي
الذي يتولانا وتولاه (وعلى الله فليمتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله ٢٢١ (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا

(الاحدى الحسينين) وهما
النصرة والشهادة ونحن
نترص بكم (احدى السوابين
أما) أن يصيبكم الله بعذاب
من عنده) وهو قارعة من
السماء كما نزلت على عاد وثمود
(أو) بعذاب (بأيدينا) وهو
القتل على الكفر (فترصوا)
بنا ماذا كرنا (انامعكم
مترصون) ما هو عاقبتكم
(قل أنفقوا) في وجوه البر
(طوعاً أو كرها) طائعين
أو مكرهين نصب على الحال
كرها جزاء وعلى وهو أمر
في معنى الخبر ومعناه (لن
يتقبل منكم) أنفقتم طوعاً
أو كرها ونحوه استغفر
لهم ألا تستغفر لهم وقوله
أسئلتني بأوأ أحسنى لا ملومة
لدينا ولا مقلبة أن تقبلت
أي لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم أم لا تستغفر لهم ولا
نلومك أسأت النساء
أحسنت وقد جازعكسه في
قولك رحم الله زيدا ومعنى
عدم القبول أنه عليه السلام
يردها عليهم ولا يقبلها ولا
يشبه الله وقوله طوعاً أي من
غير إزام من الله ورسوله
وكرها أي ملزمين ومسمى

الخلف والقعود في المدينة ولا تقتني يعني يبنات بني الاصفروهم الروم (ألا في الفتنة سقطوا) يعني أنهم وقعوا
في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وإن جهنم محيط
بالكاافرين) يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله سبحانه وتعالى (إن تصيبك حسنة تسؤهم) يعني
أن تصيبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمه تحزن المنافقين (وإن تصيبك مصيبة) يعني من هزيمة أو شدة
(يقولوا) يعني المنافقين (قد أخذنا أمرنا) يعني أخذنا أمرنا بالجهد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل)
يعني من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعني مسرورين لأننا لك من المصيبة وسلا متهم منها (قل
إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكر وله
يصيبنا إلا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة من خير
وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكر وهائل به أو يجلب لنفسه نفعاً أراد لم يقدر له (هو مولانا) يعني
أن الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليمتوكل
المؤمنون) يعني في جميع أمورهم (قل هل تربصون بنا) يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا
أي المنافقون (الاحدى الحسينين) يعني أما النصر والغنيمه وأما الشهادة والمغفرة وذلك أن المسلم إذا ذهب
إلى الغزو والجهاد في سبيل الله أما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمه والاجر العظيم في الآخرة وأما أن
يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال تكفل الله في رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج به إلا جهاد في سبيله وإيماناً
وتصديقاً برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً مانعاً من أجر
أو غنيمه أخرجه في الصحيحين وقوله سبحانه وتعالى (ونحن نترص بكم) يعني ونحن ننتظر بكم احدى
السوابين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعني في أيديكم كما أهلك من كان قبلكم من الأمم الخالية
(أو بأيدينا) يعني أو يصيبكم بأيدي المؤمنين بأن يظفروا بكم ويظهروا عليكم (فترصوا انامعكم مترصون) قال
الحسن فترصوا مواعيد الشيطان انامتر بصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل
أنفقوا طوعاً أو كرها) نزلت في الحدين قيس النفاق وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
القعود عنه وقال أنا أعطيك مالي فأذن الله عز وجل رداعليه قل أي قل يا محمد لهذا النفاق وأمثاله في النفاق
أنفقوا طوعاً أو كرها يعني أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم أو مكرهين بالنفاق بإزام الله ورسوله أياكم
بالنفاق (لن يتقبل منكم) لأن هذا النفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وإن كانت خاصة في انفاق المنافقين
فهى عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياً ومهمة فإنه لا يقبل منه ثم على بسبب منع
القبول بقوله (انكم) أي لانكم (كنتم قوما فاسقين) والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى
(وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) أي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله
وبرسوله (ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى) جمع كسلان يعني متناقلين في الاتيان إلى الصلاة وذلك لانهم
لا يرجون على فعلها أو يبالوا يخافون على تركها عاقباً فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون إلا وهم كارهون)

الازام كرها لانهم منافقون فكان إزامهم النفاق شاقا عليهم كالكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم قوما فاسقين) متمردين غاين
(وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالباء جزاء وعلى (الأنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أي وما منعهم قبول نفقاتهم
الأكفرهم (بالله وبرسوله) لا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى (جمع كسلان) ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لانهم لا يريدون به ما وجه الله تعالى
وصفهم بالطوع في قوله طوعاً وسلبه عنهم ههنا لأن المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من
رؤسائهم وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار

أولادهم) أغاير يد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا (الاعجاب بالشئ أن تسره سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما تؤمن زينة الدنيا فان الله اغنا أعطاءهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالانفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم أو بجمعهما واحتفظها وحماها والنجل بها والظوف عليها وكل هذا عذاب (وتزهد في أنفسهم وهم كافرون) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصح لانه أخبر أن إعطاء الاموال والا ولادهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الامانة على الكفر (ويحلفون بالله أنهم لمنكم) ان جملة المسلمين (وما هم منكم) ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالشركيين فيمظاهرون بالاسلام تقية (لويجودون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو خربة (أو مغارات) أو غيرا (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو متعل من الدخول (لولو اليه) لا قبلوا نحوه (وهم يجمعون) يسرعون اسرا لا يرددهم شئ من الفرس الجوح (وممنهم) ومن المنافقين (من يلزم في الصدقات) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك

(فان أعطوا من ارضوا وان لم يعطوا منها اذ اهتم بسخطون) اذ الملقاة أي وان لم يعطوا منها ٢٣٣ فاجزأ السخط وصفهم بأن رضاهم

وصخطهم لانفسهم لا للدين
وما فيه صلاح أهله لانه عليه
السلام استعطف قلوب أهل
مكة يومئذ بتوفير الغنائم
عليهم فضرر المنافقون منه
(ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبنا الله
سيؤتيانا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون) جواب
لو محذوف تقديره ولو انهم
رضوا لكان خيرا لهم والمعنى
ولو أنهم رضوا ما أصابهم به
الرسول من الغنيمة وطابت
به نفوسهم وان قل نصيبهم
وقالوا كافنا بفضل الله وصنع
وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا
غنيمة أخرى فيؤتيانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أكثر
مما آتانا اليوم انا الى الله
في ان يغفنا ويخولنا فضله
راغبون ثم بين مواضعها
التي توضع فيها فقال (انما
الصدقات للفقراء والمساكين)
فصر جنس الصدقات على
الاصناف المعدودة أي
هي مختصة بهم لا تتجاوز الى
غيرهم كأنه قيل انما هي
لهم لا لغيرهم كقولك انما
الخليفة لقريش تريد
لا تتعداهم ولا تكون
لغيرهم فيحتمل ان تصرف
الى الاصناف كلها وان
تصرف الى بعضها كما هو
مذهبنا وعن حذيفة وابن
عباس وغيرهما من الصحابة
والتابعين انهم قالوا في أي
صنف منها وضعت أجزاؤك

صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل فاعدت فقال نبي الله
صلى الله عليه وسلم ويالك فن ذابعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيهما محمد الا من أحب
ولا يؤثرها الا من بهواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من
يعينك في قسم الصدقات وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال هزه ولمزه بمعنى واحد أي عابه (فان
أعطوا منها) يعني من الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذ اهتم بسخطون)
يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا (ولو أنهم رضوا) يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا
بما قسم الله لهم وقنعوا (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتيانا الله من فضله ورسوله)
يعني ما نحتاج اليه (انا الى الله راغبون) يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنيانا عن الصدقة وعن غيرهما من
أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء
والمساكين) الآية اعلم ان المنافقين لما نزل وارسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز
وجل في هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله
صلى الله عليه وسلم منها شيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً فلم يلزونه ويعيبون عليه فلا طعن لهم فيه بسبب قسم
الصدقات عن زيد بن الحارث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فأنا رجل فقال
أعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى
حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقل أخرجه أبو داود
وفصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على
الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول أن المال محبوب بالطبع وسببه ان
القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال
محبوباً بالطبع فاذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات
المقربة الى الله عز وجل فاقضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله
فيصير سبباً للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب
وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقبل ذلك المال الذي هو سبب
لقسوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكليف البدنية غير شاقة
على العبد واخراج المال مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة
أحباب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لما طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال
مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فأمر الله سبحانه وتعالى الذين هم أغنياء بدفع طائفة من
ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي
المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين
الذي ينفذور بما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كما ملا مو فراطية به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به أحد
المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء بما تعلق قلوبهم بالاموال التي يابدي الاغنياء فاجب الله عز
وجل نصيباً للفقراء في ذلك المال تطيب القلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان
الاصلية اذا أمسك بقى معطلا عن القصد الذي لاجله خلق المال فأمر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير
ذلك المال معطلا بالكمية المسئلة الثانية الآية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا هؤلاء
الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلتي اغنا فيدان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكمامة ان
للايات وكلمة مالنفي فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات
لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية المسئلة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء

٣٠ خازن في وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى الاصناف وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لان عنده
ما يكفيه للحال والمساكين الذي يسأل لانه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس

والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير الذى لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أتقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شئ يحسنهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمانا كان أو غير زمان والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا كفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأى الفقير أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعى ومن وافقه ان الله سبحانه تعالى حكى بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصفاء الثمانية دفع الحاجة عنهم وتحصيل المصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فالاهم فلم تكن حاجتهم أشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما رأى لبيد النسر تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابى الفقير فى هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا زمانته وحاجته الشديدة وتغنيته الزمانته من الثقل فى الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم أحسنى مسكينا وأمتنى مسكينا وأحسنى فى زمره المساكين يوم القيامة رواه الترمذى من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكينة فثبت بهذا ان المسكين أحسن حالا من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكينة لان السفينة من سفن البحر تساوى دنائير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكينة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير أسوأ حالا من المسكين وخجة أى حنيفة ومن وافقه على ان المسكين أسوأ حالا من الفقير قوله أو مسكينا ذامرية وصف المسكين بكونه ذامرية وهو الذى لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج أيضا بقول الراعى أما الفقير الذى كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتج أيضا بقول الأصمعى وأبى عمرو بن العلاء ان الفقير الذى له ما يأكل والمسكين الذى لا شئ له وكذا قال القتيبي الفقير الذى له البلغة من العيش والمسكين الذى لا شئ له وقيل ان كل محتاج الى شئ فهو مفقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء الى الله فأثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج أما قوله أو مسكينا ذامرية فهو حجة لمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور ههنا بكونه ذامرية فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة واللام يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين انه هو الفقير الذى لصق جلده بالتراب من شدة المسكينة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعى انه ذكر الفقير وحده فكل فقير افر دبالا سم جازا طلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجمله ان الفقر والمسكينة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذى كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذى ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة فى طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائى وأبو داود وله فى رواية أخرى ولا لذي مرة سوى عن عبيد الله بن عدى بن الخير قال أخبرني رجلان انهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسلأه منها فرفع فينا النظر وخفضه ففرأنا جادين فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فىها لغنى ولا لقوى مكتسب أخرجه أبو داود والنسائى وأخرجه الشافعى ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلأه عن الصدقة فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فىها لغنى ولا لذي قوة مكتسب

واختلف العلماء في حد الغني الذي عنع من أخذ الصدقة فقال الأكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما أو قيمتها لتحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألة في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أو قيمة فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أربعين درهما الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جبهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح أن الهاشمي والمطلب لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فأراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وإن مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الأول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء أسلموا وكانت نيّتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبته في الإسلام وقوم أسلموا وكانت نيّتهم قوية في الإسلام وهم أشرف قلوبهم مثل عدى بن حاتم والزرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لا مثالا في الإسلام فيجوز للإمام أن يعطى أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنمة والتي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بكافة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازاءهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيّتهم أو لضعف حالهم فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها إلى الإمام فيعطيهام الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سيّد الله وروى أن عدى بن حاتم جاء بأبي بكر بن ثمانية من الأبل من صدقات قومه فأعطاهم أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجح إسلامهم فيجوز للإمام أن يعطى من يخاف شره أو يرجح إسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله إلى الإسلام أما اليوم فقد أغر الله الإسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن أن يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي وإسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون إن احتاج المسلمون إلى ذلك الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الأول أن سهم الرقاب موضوع في المكتابين في دفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويذل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد وإسحق أن سهم الرقاب

(والعاملين عليها) هم السعاة
الذين يقبضونها (والمؤلفة
قلوبهم) على الإسلام أشرف
من العرب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتألفهم
على أن يسلموا وقوم منهم
أسلموا فيعطيهام تقريرهم
على الإسلام (وفي الرقاب)
هم المكتوبون يعانفون منها

(والغارمين) الذين ركبهم
 الديون (وفي سبيل الله) فقراء
 الغزاة أو الحجج المنقطع بهم
 (وابن السبيل) المسافر المنقطع
 عن ماله وعدل عن اللام إلى في
 في الأربعة الأخيرة للأيذان
 بأنهم أرسخ في استحقاق
 التصديق عليهم من سبق
 ذكره لأن في الوعاء فنبه على
 أنهم أحق بأن توضع فيهم
 الصدقات ويحبوا مظنة لها
 وتكرير في قوله في سبيل
 الله وابن السبيل فيه فضل
 وترجيح لهذين على الرقاب
 والغارمين وإنما وقعت هذه
 الآية في تضاعف ذكر
 المتناقضين ليدل بكون هذه
 الأصناف مصارف الصدقات
 خاصة دون غيرهم على أنهم
 ليسوا منهم حسماً لا طمعاً بهم
 وأشعار بأنهم بعداء عنها وعن
 مصارفها فإلهم ومالها وما
 سلطهم على التكلم فيها
 ولمن قامهم وأسهم المثلثة
 قلوبهم سقط باجماع الصحابة
 في صدر خلافة أبي بكر رضي
 الله عنه لأن الله أعز الإسلام
 وأغنى عنهم والحكم متى ثبت
 معقولاً لمعنى خاص يرتفع
 وينتهي بذهاب ذلك المعنى
 (فريضة من الله) في معنى
 المصدر المؤكد لأن قوله إنما
 الصدقات للفقراء معناه
 فرض الله الصدقات لهم (والله
 أعلم) بالصحة (حكيم) في
 القصة

موضوع لعنق الرقاب فيشتري به عبيدو يعتقون ويدل عليه ما روى عن ابن عباس أنه قال لا بأس أن يعتق
 الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن
 يعطى منها في عتق رقبة ويغان بها مكاتب لأن قوله وفي الرقاب يقتضي التبعض القول الرابع وهو قول
 الزهري أن سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد من صلو أو صام أو قدم إسلامهم
 فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا إلا حوط في سهم الرقاب أن يدفع إلى السيد باذن المكاتب ويدل عليه أنه
 سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للأصناف الأربعة المتقدمة بلام الملك فقال إنما الصدقات للفقراء وقال في
 الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي أن الأصناف الأربعة المتقدمة ذكرها يدفع
 إليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق
 ولا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي
 الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون إليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف إليه ما يحتاج إليه في سفره إلى
 بلوغ غرضه الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على
 النفس وسمى الدين غرمًا لكونه شاقًا على الإنسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم إذا نوا
 لأنفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم إذا لم يكن لهم مال يني ديونهم فإن كان
 عندهم وفاء فلا يعطون وقسم إذا نوا في المعروف وأصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون
 به ديونهم وإن كانوا أغنياء ما روى عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني
 إلا الخمسة الغزاة في سبيل الله أو لأعمالهم أو للغارم أو لرجل أسير أو لرجل كان له جار مسكين فصدقه على
 المسكين فأهدى المسكين للغني أخرجه أبو داود ومرسلان عن عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم
 ورواه معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتصلا
 بمعناه أما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئاً الصنف السابع قوله تعالى (وفي سبيل الله)
 يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون إذا أرادوا الخروج إلى
 الغزو وما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحوالة فيعطون ذلك وإن كانوا أغنياء
 لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم
 وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله إلى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب
 أحمد بن حنبل وأصحق بن راهويه وقال بعضهم أن اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز
 بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون
 وعمارة المساجد وغير ذلك قال لأن قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول
 الأول هو الصحيح لا جماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعني المسافر من
 بلد إلى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل للائتمته الطريق قال الشاعر
 أنا ابن الحرب ربتي وليدا * إلى أن شئت وكتبت لداقي

فكل من يسافر مباحاً ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان
 له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق إن السبيل
 هو الحاج المنقطع وقوله تعالى (فريضة من الله) يعني أن هذه الأحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة
 واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الأشياء فريضة (والله أعلم) يعني مصالح عباده (حكيم) يعني فيما فرض
 لهم لا يدخل في تديبه وحكمه نقض ولا خلل في المسئلة الرابعة في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق
 العلماء على أن المراد بقوله إنما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم
 صدقة واختلوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها إلى بعض الأصناف دون بعض فذهب جماعة من
 الفقهاء إلى أنه لا يجوز صرفها كلها إلى بعض الأصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب

الشافعي قال يجب أن يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لأن سهم المؤلف ساقط وسهم العامل ساقط إذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة منهم أو واحد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاقوا بين أولئك الثلاثة جاز فإن لم يجد من بعض الاصناف الا واحد ادفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حصة الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده إلى الباقيين وذهب جماعة من العلماء إلى انه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الاصناف أو إلى شخص واحد منهم جاز لأن الله سبحانه وتعالى إنما سمي هذه الاصناف الثمانية اعلاماً منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا إيجاباً منه لقسمتها بينهم جميعاً وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبيرة وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز أن يضعها في صنف واحد وتقرى بها أولى وقال إبراهيم النخعي إن كان المال كثيراً يحتمل الاجزاء قسمة على الاصناف وإن كان قليلاً وضعه في صنف واحد وقال مالك يتخري موضع الحاجة منهم ويقدم الأولى فالأولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وإن رأى في صنف آخر في عام حولها إليهم وكل من دفع إليه شيئاً من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج إليه فان حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيئاً وإن كان محترفاً لكنه لا يجدر له حرقته فيعطى قدر ما يحصل به آله حرقته فالاعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حدة وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً وقال أبو حنيفة أكره أن يعطى رجلاً واحداً من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أجزأ فان أعطى من يظنه فقيراً فبان انه غني فهل يجزئ فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقته لمن تلمزه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والد أو ابنه علاولاً ولا ولد أو ابنه سفل ولا زوجة ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع إليهم من الزكاة شيئاً لقوله صلى الله عليه وسلم أنا آل بيت لا نحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم أنا بنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام وتحرم الصدقة على موالى بني هاشم وبنو المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال إلى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فذكره أكثر أهل العلم لعل قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذوا علمهم إن الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه إذا نقل المال إلى بلد آخر وأداه إلى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض إلا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فإنه رد صدقة حملت من خراسان إلى الشام فردّها إلى مكانها من خراسان والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ومنها الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون مالا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فأنخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه ونشكر ما قلناه ونختلف فيه صدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي يسمع كل ما يقال له ويتقبله وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أذنهم نائر الشعر أحر العينين أسفع الخدين مشقوه الخلق وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى الشيطان فليتنظر إلى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فنحدثه شيئاً صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونختلف فيه صدقنا فنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقوله هو أذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاعتراض بكل ما يسمع فأجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل أذن خير لكم) يعني هب أنه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير مرفوعين متونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم

(ومنها الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجراحة التي هي آلة السماع كأن جملة أذن سامعة واذا أوهم له هو قولهم فيه هو أذن قصده وبه المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه

(يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن بالمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخالص من المهاجرين والأنصار وغذى فعل
الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد به السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم
ما يقولونه ويصدق به لكونهم صادقين ٢٣٨ عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف يفتي عن الباء (ورجوة) بالعطف على أذن

ورجوة جزرة عطف على خير
أي هو أذن خير وأذن رجوة
لا يسمع غيرهما ولا يقبله
(الذين آمنوا منكم) أي
وهو رجوة للذين آمنوا
منكم أي أظهروا الايمان
أي المنافقون حيث يقبل
ايانكم الظاهر ولا يكشف
اسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل
بالمشركين أو هو رجوة
للمؤمنين حيث استغفروا
من الكفر الى الايمان
ويشفع لهم في الآخرة
بإيمانهم في الدنيا (والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب
أليم) في الدارين (يخلفون
بالله لكم ليرضوكم) الخطاب
للمسلمين وكان المنافقون
يتكلمون بالطاعين أو
يتخلفون عن الجهاد ثم يأتيهم
فيعتذرون اليهم ويؤكدون
معاذيرهم بالحلف ليعذرهم
ويرضوا عنهم فقبل لهم (والله
ورسوله أحق أن يرضوه إن
كانوا مؤمنين) أي أن كنتم
مؤمنين كما تزعمون فأحق من
أرضيتكم الله ورسوله بالطاعة
والوفاء وانما وحد الضمير
لانه لا تفاوت بين رضا الله
ورضا رسول الله فكأن في حكم
شيء واحد كقولك احسان
زيد واجاله رفعتي أو والله
أحق أن يرضوه ورسوله

ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين) يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان
للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الالباء فيقال آمنتم بالله والايمان للمؤمنين
معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنتم له (ورجوة)
أي هو رجوة (الذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه
وتعالى كذبهم بقوله انه رجوة للمؤمنين الخالصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رجوة لانه يجري
أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
أليم) يعني في الآخرة قوله عز وجل (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين
فهمم الجلاس بن سويد وديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا
فتحن شر من الخير وكان عندهم غلام من الأنصار اسمه عامر بن قيس فخرروه وقالوا هذه المقالة فغضب
الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الخير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره
فدعاهم فسألهم فأكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي
نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون
ويخلفون فأنزل الله هذه الآية والمعنى يخلف لكم أي المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم
عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) اختلفوا في معنى هذا الضمير الى
ماذا يعود فقيل الضمير عائدا على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله
أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوها فاكفى بذلك أحد هذان الآخر
وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (ان كانوا مؤمنين) يعني ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين
بوعدهم الله ووعده في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه
أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا والمطال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين
والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين
التي علمهم رسولنا (أنهم من يحاد الله ورسوله) يعني أنهم من يخالف الله ورسوله وأصل الحاد في اللغة المخالفة
والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى يحاد
الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) أي حق أن له نار جهنم (خالدا فيها)
يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو القضيحة العظيمة قوله عز وجل (يحذر
المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبيههم) يعني تخبر المؤمنين (بما
في قلوبهم) يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون
المؤمنين بسوء ويبسترونه ويخافون القضيحة وتزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى
الفاحشة والمبغضة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثت عن أخبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم
ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء
رجوة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) أمرهم بديفوه كقوله

كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الامر والشأن (من يحاد الله ورسوله) يحاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كما شافق من
الشق (فأذن له) على حذف الخبر أي حق أن له (نار جهنم) خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون (خبر عن الأمر أي ليحذر المنافقون
(أن تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكي وبصري (تنبيههم بما في قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمير للمنافقين لان السورة اذا نزلت
في معانهم فهي نازلة عليهم دليله قل استهزؤا والأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه (قل استهزؤا) أمرهم تهديد

(ان الله يخرج ماتحذرون)

مظهر ما كنتم تحذرونه أي
تحذرون اظهاره من نفاقكم
وكانوا يحذرون أن يفضحهم
الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم
بالاسلام وأهله حتى قال
بعضهم وددت اني قدمت
بجذات مائة وانه لا ينزل فينا
شيء يفضحنا (ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا خوض
ونلعب) بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسير في غزوة
تبوك وركب من المنافقين
يسسرون بين يديه فقالوا
انظروا إلى هذا الرجل يريد أن
يفتح قصور الشام وحصونها
هيئات هيئات فأطلع الله
نبيه على ذلك فقال احبسوا
على الركب فأناهم فقال قائم
اكذا وكذا فقالوا يا نبي الله
لا والله ما كنا في شيء من أمرك
ولا من أمر أصحابك ولكن
كنا في شيء مما يخوض فيه
الركب ليقصر بعضنا على
بعض السقراي ولئن سألتهم
وقلت لهم لم قائم ذلك لقالوا انما
كنا خوض ونلعب (قل)
يا محمد (أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزئون) لم يعبأ بعذارهم
لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا
كأنهم معترفون باستهزائهم
وبأنه موجود فيهم حتى وبخوا
باخطائهم موقع الاستهزاء
حيث جعل المستهزأ به يلي
حرف التقرير وذلك انما
يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء
(لا تعتذروا) لا تشتملوا
باعتذاركم الكاذبة فانها
لا تنفعكم بعد ظهور سرهم
(قد كفرتم) قد أظهرتم
كفركم باستهزائكم (بعد
ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان

اعمالا ما شئتم (ان الله يخرج) أي مظهر (ماتحذرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان
المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين
وقفعو الرسول صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليقتكوا به اذا علاها وتسكر واله في
ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمر واله وأمره أن يرسل اليهم من يضرب
وجوه واحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة
اضرب وجوه واحلهم فضربها حذيفة حتى نجاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم
قال لم أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم فلان وفلان حتى عدّهم كلهم
فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكرمهم أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل
يكفيناهم الله بالديلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمرار أرايت قتالكم أرايا رأتهم فأن الرأى يخطئ
ويصيب أم عهدا عهدا اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
يعهد به الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمّتي قال شعبة وأحسبه قال حدثني
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمّتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجردون ريحها
حتى يبلغ الجبل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الديلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من
صدورهم قوله سبحانه وتعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا خوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال
زيد بن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا نرغبنا بطونا وأكذبنا لسنّة
وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت وإكذب منك منافق ولا تخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر
فناظرت اليه يعني الى المتأفق متعلقا بحب ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنكبه الخجالة يقول انما كنا
نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ما يزيد قال محمد بن
الحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو ودعة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا ايرجو هذا الرجل
أن يفتح قصور الشام وحصونها هيئات هيئات فأطلع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله
صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فأناهم فقال قائم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا خوض ونلعب
فأنزل الله فيهم ما تبعهمون وقال الكبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين
يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يصيح قيسل كانوا يقولون ان
محمد ايرغم انه يغلب الروم ويغني مدائهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد ايرغم انه أنزل في أصحابنا
قرآن انما هو قوله وكلامه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال
لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا خوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون
فيما بينهم ليقولن انما كنا خوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون
الطريق باللعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار
يستعمل في كل دخول مع تلويث وأذى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المنافقين (أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزئون) فيه توبيخ وتقرير للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني
بفرائض الله وحدوده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما
قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين
كلاما يشعر بالقدر في قدرة الله وانما ذكره وذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل (لا تعتذروا قد
كفرتم بعد ايمانكم) يعني قل هؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل ومعنى الاعتذار نحو أنتم الموجهة من قلب
الاعتذار اليه وقيل معنى العذر قطع الائمة عن الخافى قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام

(ان نفع عن طائفة منكم) بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق

عليه يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا فقد كفرتم بعد ايمانكم * فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم * قلت معناه اظهرتم الكفر بعدما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستنزاع منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان نفع عن طائفة منكم) نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة قالوا احد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني عنه رجل واحد وهو مخاشن بن حجير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقبل انه كان يشي بجانبهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقر أعني بها تقسمتها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسيت أنا كفت أنا دفنت أنا صيب يوم القيامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه قوله سبحانه وتعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) يعني انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مبالاة فيه (يا مرون بالنكر) يعني يا مرون بعضهم بعضا بالنكر والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أيديهم) يعني عن النفاق في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله فسيهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لاننا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازا هم بان يصيرهم بمنزلة النسي من ثوابه ورحمته فخرج على من اوجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزا عسيمة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقب (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة (وعند الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعده بالخير وعداؤه وعدة بالشر وعيداؤه فلو عديكون في الخير والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (ولعنهم الله) يعني وأبعدهم من رحمته وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) أي دائما لا ينقطع * فان قلت قوله خالدين فيها يعني ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فاعناه * قلت ليس ذلك تكرار اوبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بأن قوله هي حسبهم في الايلاام ولا يمنع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المجمل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم قوله سبحانه وتعالى (كالذين من قبلكم) هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا قبلهم في الامر بالنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بأنهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولاداف قال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشوا ومنعة

عذاب مقيم دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من ذنب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من (وأكثر المسلمين وما يحذرونه أبدا من القضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم السكاف في) كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة

وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ٢٤١ محلها رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم

أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم فاستمتعوا بخلاقهم أي تلذذوا بما لاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للإنسان يعني قدر من خير (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) كالفرج الذي خاضوا أو الخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل والله هو الغايم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم معن عنه لئذم الأولين بالاستمتاع بما أتوا من حظوظ الدنيا والتهائم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بخاتمهم (أولئك حببطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في مقابلة قوله وأتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة من الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكرنا من قبلهم فقال (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بديل من الذين (وعاد وعود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدان قوم لوط وأنتما كهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر (أتتهن رسولهن بآياتنا فما كان الله ليظلمهن) فاصبح منه أن يظلمهن بأهلا كهمل لانه

(وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضاً عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق الله للإنسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلاقكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أي المنافقون والكافرون بخلاقكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) فان قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانياً أعادة ذكره في حق الأولين ثالثاً * قلت فائدة أنه يذم الأولين بالاستمتاع بما أتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بما أوتوا تركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع إلى ذكر حال الأولين ثالثاً وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويهذب بغير جرم فأنت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكثير به هنا للتأكيد وتجميع فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند إليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمؤمنين (أولئك حببطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني أن أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى أنه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسر وأبطل أعمالكم أي المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لا تتبعوهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن وقوله تعالى (ألم يأتهم) رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استمفهم يعني التقرير رأي قد أتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكتهم حين خالفوا أمرنا وعصوا ورسلاً ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعني أنهم أهلكتهم بالطوفان (وعاد) أهلكتهم بالبحر العقيم (وعود) أهلكتهم بالحفة (وقوم إبراهيم) أهلكتهم بسلب النعمة وكان هلاكهم غرود بعبودية (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكتهم بعبادتهم يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المؤتفكات التي جعل الله عليها أسافلها وهي مدائن قوم لوط وأما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشأم والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يتركون عليهم ويعرفون أخبارهم (أتتهن رسولهن بآياتنا) يعني بالآيات الباهرة والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أي المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجمل لكم لنقمة كما جعلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعني بتجمل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني أن الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالآعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعدلهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعدلهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكامة والعون والنصرة * فان قلت فكيف الله سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك * قلت لما كان اتفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبعين وهم الرؤساء والأكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضاً قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله واتباع أمره واعرفوا كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة) وينهون عن المنكر) يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبيعة وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضدته (ويقيمون الصلوة) يعني الصلاة المفروضة ويتمون

٣١ خازن في حكمهم فلا يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض في التنصير والتراحم (يا أيها الذين آمنوا بالله واليمان) وينهون عن المنكر وعن الشرك والعصيان (ويقيمون الصلوة)

أركانها واحد ودها (ويؤتون الزكوة) يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون أيديهم (ويطيعون الله ورسوله) يعني فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم (أو لئلا) يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سيرجهم الله) لما ذكر الله ما وعده المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في قوله سيرجهم الله للبالغه والتوكيد (ان الله عزيز حكيم) وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يتنعم عليه شيء أراداه فهو قادر على ايصال الرحمة لمن أراد وايصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذي يدبر عبادته على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعده المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يثمر في حسناتها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغاير للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخرى البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعني ومنازل يسكنونها طيبة (في جنات عدن) يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من أولوة في ذلك القصر سبعون دارا من باقوتة جمرات في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سيرا على كل سيرا سبعون فراش من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوانا من طعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأني على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تحط على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصدقيين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان حكمت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقله عدن داره يعني دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفياء الله التي أعد لها لولائها وأهل طاعته والمقربين من عبادته عن أبي موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا إلى ربهم الا رءاء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصيرا يقال له عدن حوله البروج والبروج له خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء والصدقيون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فذهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كسبان المسك الأبيض قال الامام نضر الدين الرازي حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عبادته والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الازهرى العبد مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أكبر) يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم أكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) إشارة إلى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لميك ربنا وسعيدك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم

ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرجهم الله (الله) السنين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكده الوعيد في سأنتم منكم يوما (ان الله عزيز) غالب على كل شيء قادر عليه فهو بقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضح كلاً موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) مساكين طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزرجد (في جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والى وضع الوصف المعارف بالجل وهي مدينة في الجنة (ورضوان من الله) وشي من رضوان الله (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) إشارة الى ما وعد أولي الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا

(يا أيها النبي جاهد الكفار)

بالسيف (والمنافقين) بالحقبة
(واغلظ عليهم) أي الجهادين
جميعا ولا تحاربهم وكل من وقف
منه على فساد في العقيدة
فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد
بالحقبة وتستعمل معه الغلظة
ما أمكن منها (ومأواهم جهنم
وبئس المصير) جهنم أقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك شهرين يتزل
عليه القرآن ويعيب المنافقين
المتخلفين فيسمع من معه منهم
الجلال بن سويد فقال
الجلال والله لئن كان ما يقول
محمد حقا لاخواننا الذين
خلفناهم وهم ساداتنا فنحن
شر من الخير فقال عامر بن
قيس الأنصاري للجلال
أجل والله إن محمد صادق
وأنت شر من الخير وبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستحضر خلف الله
ما قال فرفع عامر يده فقال
اللهم أنزل على عبدك ونبيك
تصديق الصادق وتكذيب
الكاذب فنزل (يخلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)
يعني إن كان ما يقول محمد حقا
فنحن شر من الخير أو هي
استهزأهم فقال الجلال
يا رسول الله والله لقد قلت له
وصديق عامر قتال الجلال
وحسنت توبته (وكفروا
بعد إسلامهم) وأظهروا
كفرهم بعد إسلامهم
الإيمان والإسلام واحد لانه
قال وكفروا بعد إسلامهم

فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك
فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسيخط بعده عليكم أبدا قوله سبحانه وتعالى
(يا أيها النبي جاهد الكفار) يعني بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعني وجاهد المنافقين واختلغوا في
صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ولما كان
الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الإسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرق عنهم وهذا قول الضحاك
أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكنه في وجهه
وقال الحسن وقتادة بأقامة الحدود عليهم يعني إذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود
واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان
يتعاطى أسباب الحدود وقتما عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الأقوال
قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية
ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنقصة على أن الجهاد مع الكفار انما يكون
بالسيف ومع المنافقين بانظهار الحق عليهم تارة وبترك الرق بهم تارة وبالانتهاز تارة وهذا هو قول ابن
مسعود (واغلظ عليهم) يعني شدد عليهم بالجهد والارهاب (ومأواهم جهنم وبئس المصير) يعني ان جهنم
مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بن أظهر أصحابه
مع علمهم وبجالتهم قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر
وأقام على انظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا طلع عليه أنكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم
باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر
باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم وكل سرارهم
الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون قوله عز وجل (يخلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلاف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة
ابن الزبير نزلت في الجلال بن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلال ان كان ما جاء به محمد
حقا ونحن شر من جبرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عبد الله لا أخبرن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن أو أن تصيبني قارعة أو أن أخط بخطيئته فأثبت النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلال من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة أن أخط بخطيئته أو تصيبني
قارعة ما أخذ بترك قال فدعا الجلال فقال له يا جلال أقبلت ما قال مصعب فخلف ما قال فأنزل الله عز وجل
يخلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في
ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل
أزرق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشمتني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه
خافوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله عز وجل (يخلفون بالله ما قالوا ثم نعمتهم جميعا الى آخر
الآية وقال قتادة ذكرنا ان رجلا من جنس بني النضير اقتتل أحداهما من جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفاء
الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي بن سؤل للانس انصروا أخاكم فوالله ما مننا ونا مثل
محمد الا كما قال القائل ممن كذبك يا كذا وقال لئن رجعتا الى المدينة ليخرجنك الا عزمنها الا ذل فسمي به رجل
من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله خلف بالله ما قاله فأنزل الله هذه الآية هذه
روايات الطبري وذكر البغوي عن السكابي قال نزلت في الجلال بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطب ذات يوم تبوك فذكر المنافقين وسميهم رجسا وعابهم فقال الجلال لئن كان محمد صادق والنحن
شر من الخير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلال

(وهو اعلم بالنالوا) من قتل محمد عليه السلام أو قتل عامر رده على الجلاس وقيل أرادوا ان يتوجوا ابن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما تقموا) وما أنكر واوما عاوا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش لا يركبون ٢٤٤ الخيل ولا يحوزون لغنيمة قاتر وبالغنائم وقتل الجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدينه اثني عشر ألفا

فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم أنزل علي نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرق هذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقال الجلاس فقال رسول الله أسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أسعف الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهر وا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الحكمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقبل هي كلمة الجلاس ابن سويد لئن كان محمد صادقا لئن شئت من الخير وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي بن سلول لئن رجعنا الى المدينة لخرجن الا عزمنا الاذل وستأني القصصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (وهو اعلم بالنالوا) قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقاتلة خشية أن يقشها عليه وقيل هم عبد الله بن أبي بن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوققوا على العتبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجا جبريل عليه السلام فأخبره وأمره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فأرسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي بن سلول تا جافم يصلوا اليه (وما تقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما أنكر واوما عاوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم شيئا لأن أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين علوا بضد الواجب فلو اومر موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم أن نقوموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فدفقوا أثرها ويطروا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينعمون شيئا ولا يتعترفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر
ماتقم الناس من أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا
وهذا ليس مما ينقم وانما أراد ان الناس لا ينعمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيمو فهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أي ليس فيهم عيب قال النكبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بدينه فاستعفى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى ابني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه ثلاث وما تقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا يك خيرا لهم) يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل (وان يتولوا) يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصر وا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) يعني بالخزي والاذلال (والآخرة) أي ويعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) يعني وليس لهم أحد ينصيرهم من عذاب الله أو ينصيرهم في الدنيا والآخرة قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني

فاستعفى (فان يتوبوا) عن النفاق (يك) الثواب (خيرا لهم) وهي الآية التي تاب عندها الجلاس (وان يتولوا) يصر وا على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) ينجمهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجع وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لا أعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فتمت كما ينبغي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لا أخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومروا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعما حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلما يا ويح ثعلبة

مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاءها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها واهلك في زمن عثمان رضي الله عنه (لئن آتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرج الصدقة والاصل لنصدقن ولكن التاء دغمت في الصادق فها هنا

ما لا يقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير
 الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا والذي بعثك بالحق
 لأن رزقني الله ما لا أعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا قال
 فأتته غنماً فمكت كما ينبغي الدود فضلت عليه المدينة فتحتي عنها ونزل وادي من أوديتها وهي تسمى كما ينبغي الدود
 فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت
 وغت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت وغت حتى تباعد عن المدينة أيضاً حتى
 صار لا يشهد الجمعة ولا الجمعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج قتلقي الناس يسألهم عن الأخبار فذكره
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله أتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني سليم ورجلاً من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف
 يأخذان وقال لهما امرأ على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهم انخرجا حتى أتيا ثعلبة
 فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الأخيرة ما هذه الأخيرة يا أخا الجزيرة
 انطلقا حتى تقر غنم عودا إلى فأنطلقا وسمعها السلمي فنظر إلى خيار أسنان أبيه فغز لها الصدقة ثم
 استقبلهما بها فلما رأياها قال ما هذه عليك قال خذاهما فان نفسي بذلك طيبة فقرأ على الناس وأخذ الصدقات
 ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابك فقرأه ثم قال ما هذه الأخيرة ما هذه الأخيرة يا أخا الجزيرة أذهباً حتى أرى
 رأيي قال فاقبل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا
 السلمي بخير فأخبره بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
 لنصدقن الآية إلى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب
 ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو على
 رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أتى أن يقبل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرباً بكر فقال أقبل صدقتي
 فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فأنال أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولى
 عمر أنه فقال أقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنال أقبلها منك فلم
 يقبلها ثم ولى عثمان فأتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضاً بسنده قال بعض
 العلماء انهم لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لأن الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه
 مجازة له على أخلافه ما عاهد الله عليه وأهانة له على قوله انما هي جزية وأخت الجزيرة فلما صدر هذا القول
 منه ردت صدقته عليه أهانة له ولبعته برغيره به فلا يجتمع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى
 أنها واجبة عليه وأنه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلساً من مجالس
 الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة
 فأت ابن عمه فورث منه ما لا يقرب بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت
 في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا فعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله
 لنصدقن فلما رزقهما الله بخلافه وقال ابن السائب ان حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه
 فجهل ذلك جهداً شديداً فخاف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لا صدق من فضله ولا صل فلما أتاه
 ذلك المال لم يقرب بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين
 عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليعلنن فيه أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم
 يقرب بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهداً لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا
 في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن واخرج من ذلك المال صدقته (ولنكون من الصالحين) يعني ولنعلنن

(ولنكون من الصالحين)
 باخراج الصدقة

الله المال ونالوا منهاهم ﴿يَخْلُوا﴾
 به) منعوا حق الله ولم يفوا
 بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله
 (وهم معرضون) معرضون
 على الاعراض (فأعقبهم نفاقا)
 في قلوبهم) فأورثهم الخجل
 نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه
 كان سببا فيه (الى يوم يلقونه)
 أى جزاء فعلهم - وهو يوم
 القيامة (عما أخلفوا الله
 ما وعده وعا كوا يكذبون)
 بسبب اخلافهم ما وعده الله
 من التصديق والصلاح
 وكونهم كاذبين ومنه جعل
 خلف الوعد ثلث النفاق (ألم
 يعلموا) يعنى المنافقين (ان الله
 يعلم سرهم) ما أسرّوه من
 النفاق بالعزم على اخلاف
 ما وعده (ونجواهم) وما
 يتناجون به فيما بينهم من
 المطاعن في الدين وتسمية
 الصدقة خزية وتدبير منعها
 (وأن الله علام الغيوب) فلا
 يخفى عليه شئ (الذين) محلله
 النصب أو الرفع على الذم أو
 الجر على البدل من الضمير في
 سرهم ونجواهم (يلزون
 المطوعين) يعييون المطوعين
 المتبرعين (من المؤمنين في
 الصدقات) متعلق بيلزون
 روى ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حث على الصدقة
 فجاء عبد الرحمن بن عوف
 بأربعة آلاف درهم وقال
 كان لي ثمانية آلاف فأقرضت
 ربي أربعة وأمسكت أربعة
 لمباني فقال عليه السلام بارك
 الله لك فيما أعطيت وفيما
 أمسكت فبارك الله حتى

في ذلك المال ما يعمل به أهل الصلاح بأموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر
 والخير واخراج الزكاة وإصلاح أهلها والصلح ضد المفسد والمفسد هو الذي يتجلى بما يلزمه في حكم
 الشرع وقيل ان المراد بقوله لتصديق اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولذكرون من الصالحين إشارة الى كل
 ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلافه) يعنى فلما
 رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا (وتولوا) يعنى عما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعنى عن العهد
 (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) يعنى فأعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقب فلان دابة اذا صار
 عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (الى يوم يلقونه) يعنى انه سبحانه وتعالى
 حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيؤاخذونه على النفاق فيجازيهم عليه (عما أخلفوا الله ما وعده) يعنى الصدقة
 والانفاق في سبيله (وعما كانوا يكذبون) يعنى في قولهم لتصديق ولذكرون من الصالحين عن أبي هريرة أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أئتمن خان عن عبد
 الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت
 فيه ثلاثة وفى رواية خصلته من كن فيه خصلته من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا
 وعد أخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث جماعته جماعة من العلماء مشكلا
 من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان
 مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلف في النار فان اخوة يوسف عليهم
 السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا
 ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلاف العلماء في معناه فالذى قاله المحققون والا كثرون وهو الصحيح المختار ان
 معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق
 هو اظهار ما يبطن خلافة وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده
 وأئتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لانه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم ير النبي صلى الله
 عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلفين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان
 منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه
 الخصال غالبية عليه فأما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة
 من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في اعانهم فكذبوا
 وأئتموا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فآخفوا وبخروا في خصوصياتهم وهذا قول سعيد بن
 جبيرة وعطاء بن أبي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن
 عمرو ورواه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال أكثر أئمتنا وحكى الخطابي قولاً
 آخران معناه التحذير للمسلم ان يعتمد هذه الخصال وحكى أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه
 منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير بإشارة
 كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام غير الدين الرازي ظاهر هذه الآية
 يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم أن يبالي في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله
 في أمر فليجتهد في الوفاء به وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعنى هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعنى
 ما تنطوى عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعنى ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى
 هو الخفي من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شئ منها
 (وأن الله علام الغيوب) وهذه مبالغة في العلم يعنى ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم
 قوله عز وجل (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود البدرى قال
 لما نزلت آية الصدقة كما انحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فقالوا امرأه وجاء رجل فتصدق

صولحت غاضراً من أنه عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجدون الا جهدهم) طاقهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بليتني أجز بالجرير على صاعين فتركت صاعاً العياى وحث بصاع فلزمهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن ٢٤٧ وعاصم الارياء وأما صاع أبي عقيل

بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هـ ذافترلت الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعمالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ عن ماله ثمانمائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجحاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بليتني أجز بالجرير بالماء حتى تلت صاعين من تمر فأمسكت أحداهما العياى وأيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلزمهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وان الله ورسوله اغنيان عن صاع أبي عقيل ولكن أحب ان يذكر نفسه لمعطى من الصدقة فأنزله الله سبحانه وتعالى الذين يلزون يعيرون المطوعين يعني التبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التفضل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجدون الا جهدهم) يعني أبا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به في صدقة أكثر مما عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به في صدقة به لان الغني أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير أخرج القليل انما أخرجه عن ضعف وجهه وقد يؤثر المحتاج الى المال غير رجاءه عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيضخرون منهم) يعني ان المنافقين كانوا يستهزون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود ليمال ذلك الثواب الموعود به وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخرتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أولاً) استغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فتركت استغفر لهم أولاً تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقدره استغفرت لهم يا محمد أولاً ولم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه خزيمة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارض سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلما خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر لعل الغنى في البأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسايزيد على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فأنزله الله سبحانه وتعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي اسلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأله ان يعطيه قبضه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول

فان الله غني عنه (فيضخرون منهم) فيضخرون (سخر الله منهم) سخر الله (سخرهم) جازاهم على سخرتهم وهو خير غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لبيته في مرضه نزل (استغفر لهم أولاً) استغفر لهم (ولهم) وقد مر ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذكر السبعين وكما تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلاث والكثير الثلاث فأوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لا قصاه غاية والعدد أيضاً نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس

بعدد السبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيها أوتار ثلاثة واشفاع ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الا حاد الى العشرة كقولك اثناعشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر برها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لا قصاه فحاز ان يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم

(ذلك) إشارة إلى المؤمن من المغفرة (بأنهم) بسبب أنهم (كفروا بالله ورسوله) ولا تغفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين)
الخارجين عن الإيمان ماداموا مختارين ٢٤٨ للكفر والاطغیان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلبهم ونفاقهم والشيطان (بمعددهم) بعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفته (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان (وقالوا لا تنفروا في الحرب) قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تنيطا (قل نارجهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساءة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أي فيضضحكون قليلا على فرحهم بمخلفهم في الدنيا ويبكون كثيرا جزاء في العقبى لأنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق سيكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دم ولا يكتحلون بنوم (جزاء ما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) أي ردك من

الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما خير في الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيده على السبعين قال أنه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقر الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره أنهم كفروا بالله ورسوله وما تواؤمهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) يعني أن هذا الفعل من الله وهو ترك عفو عنهم وترك المغفرة لهم من أجل أنهم اختاروا الكفر على الإيمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للإيمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله (فرح المخلفون بمعددهم) خلاف رسول الله يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمعددهم يعني بعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بمده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلاف فهو اسم للجهة المعينة لأن الإنسان إذا توجه إلى قدامه فن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى تبوك وأقاموا بالمدينة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج إلى الجهاد فاخترار والقفود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) والمعنى أنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج إلى الجهاد وذلك أن الإنسان يعمل بطبعه إلى إثارة الراحة والقفود مع الأهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحرب) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فأجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نارجهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقفود خلافا عن الجهاد في الحر نارجهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا في الحر فقال الله عز وجل قل نارجهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا قليلا في الدنيا لانيمة بعودهم خلافا (وليبكوا كثيرا) يعني مكان ضحككم في الدنيا وهذا أن ورد بصيغة الأمر الآن معناه الأخبار والمعنى أنهم وان فرحوا وضحكوا أطول أعمارهم في الدنيا فويل قليل بالنسبة إلى بكائهم في الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة إلى الدائم الباقي قليل (جزاء ما كانوا يكسبون) يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتبكوا فأن أهل النار يبيكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنهم أجداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلوان سفنا أجريت فيها الحرت قوله سبحانه وتعالى (فان رجعت الله) يعني فان ردك الله يا محمد عن غزاة هذه (إلى طائفة منهم) يعني إلى المختلفين عنك وإنما قال منهم لأنه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الأعداء (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحقق نفاقهم في الخروج معك إلى غزوة أخرى (فقل ان تخرجوا معي أبدا) يعني فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي أبدا إلا إلى غزوة ولا إلى سفر (ولن تقاتلوا معي عدوا لكم) يعني لانكم رضىتم بالقفود أول مرة يعني انكم رضىتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعني مع المختلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا

تبوك وإنما قال (إلى طائفة منهم) لأن منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك للخروج) إلى غزوة بعد غزوة تبوك (فقل ان تخرجوا معي أبدا) وبسكون الياء حذرة وعلى أبو بكر (ولن تقاتلوا معي عدوا) معي حفض (انكم رضىتم بالقفود أول مرة) أول ما دعيت إلى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد سؤال ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنا ان يكف النبي صلى الله عليه وسلم

بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر ووخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم ووخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهلك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤنبنني ولكن بعثت اليك لتستغفري وسأله قيصره أن يكفن فيه فأتاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكبفنه في قيصره صلى الله عليه وسلم ونفث في جلدته ودلاه في قبره فأنزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقالت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي بن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا فعند عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما أكرثت عليه قال اني خيرت فاخترت لو أعلم أني ان ردت على السبعين يغفر له لردت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يكث الا يسيرا حتى نزلت الآية تان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فحجبت بعد من جرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذي وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبته ونفث فيه من ريقه وألبسه قيصره والله أعلم قال وكان كساعيا سابقا قال سفيان وقال أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصران فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قيصر الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قيصره مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالاسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قيصره فوجدوا قيصر عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك تزع النبي صلى الله عليه وسلم قيصره الذي ألبسه

فصل في قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات في حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قيصره ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قيصره وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبته ونفث عليه من ريقه وألبسه قيصره ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم أعطاه قيصره فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم انه صلى عليه أولا ثم كفى حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فأخرج منه ووترع عنه القيصر الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قيصره بيده الكريمة فعمل هذا كله بعبد الله بن أبي تطييب القلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مختلصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قيصره وان يصلي عليه فاعطاه قيصره واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلدته ودلاه في حفرته فهذه جعل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلدته ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما أعطاه القيصر وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي

أباه في قيصره ويصلي عليه
فقبل فاعترض عمر رضي
الله عنه في ذلك فقال عليه
السلام ذلك لا ينفعه وكنت
أرجو أن يؤمن به ألف من
قومه فتزل (ولا تصل على
احد منهم) من المنافقين
يعني صلاة الجنازة روى
أنه أسلم ألف من الخزرج
لما رأوه يطلب التبرك بثوب
النبي صلى الله عليه وسلم (مات)
صفحة لا حد (أبدا) نظرف
لتصل وكان عليه السلام
إذا دفن الميت ووقف على
قبره ودعاه فقبل

في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن أبي بن ساول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فوافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرفهم صيدا وكان أبر الناس بأبيه ومع ذلك فقد قال يوم النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم أني من أبر الناس بابي وان أمرتني أن أتبعك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نفعو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن يتنفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قيمه ليكفنه فيه فينال من بركته فأعطاه وسأله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا فإله ولطيفته وقول عمر رضي الله عنه وقدرنا الله ان تصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا أو يظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره أن الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم وهذا التأويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن ساول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شئ من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعدا بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن ابن عمر فان فيه لو أعلم أني أنزدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوجد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيدها بعضها بعضها فلا ذلك قال لو أعلم أني أنزدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكلا مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الاية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الاية التي فيها التحخير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لا ولئك المنافقين الخير فهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا للقلوب الاحياء من قربانهم فانقص الاستغفار المنهي عنه من الخيرية وارتفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محي الدين النووي انما أعطاه قيمه ليكفنه فيه تطييبا للقلب ابنة عبد الله فانه كان حيا يبايها الحاقا قد سأل ذلك فأجاب اليه وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسير يوم بدر قيما وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الأذى له وقابله بالحسنى وألبسه قيمه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب أن يكافئه بها ويروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قيمتي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى انه أسلم ألف من قومه لما رآه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقم على قبره) يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وما تواقوهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلبك الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فالأفائدة في وصفه بكونه فاسقا بعد ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه

(ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وما تواقوهم فاسقون) تعليل للنهي أي انهم ليسوا بأهل الصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله

بأن يؤدى الامانة ولا يضمن لاحد سوء أو قد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء
 للغير وهذا امر مستقيم عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى
 بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر قوله تعالى (ولا تهيبك أموالهم ولا تلهيهم عن الله أن يعذبهم بها
 في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار
 والحكمة فيه أن تجديد النزول له شأن في تقرير منزل أو لا وتأكيد ارادة أن يكون المخاطب به على بال ولا
 يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو ان
 أشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والا ولادوما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد
 أخرى وبالجملة التكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل أيضا
 انما كثر هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها بالآية
 الاخرى أقواما آخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في اللفاظ في هاتين الآيتين
 وذلك انه قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تهيبك بالنساء وقال فلا تهيبك بالوالد والفرق بينهما
 عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الاوهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة
 للاموال والا ولاد فحسن العطف عليه بالنساء في قوله فلا تهيبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهاذا
 أتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تهيبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا
 فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيدي فيدل على أنهم كانوا
 مهجين بكثرة الاموال والا ولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت
 بين الامرين قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى اغاير بيد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا
 أن يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وانه انما ورد بحرف اللام فعناه
 أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى في
 الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة
 الدنيا بلغت في الخساسة الى حيث انها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصاد عند ذكرها على
 لفظ الدنيا تنبيه على كمال دناءتها فهذه جملة في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
 قوله عز وجل (واذا أنزلت سورة) يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز
 ويحتمل أن يراد بجمع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايان والامر
 بالجهاد (أن) أى بأن (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يأمرهم بالايان مع كونهم
 مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان
 الامر بالايان يتوجه على كل أحد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به
 الخصوص وهم المنافقون والمعنى أن اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايان على
 الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم أن تؤمنوا بالله أولا
 وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والآخرة وقوله سبحانه
 وتعالى (استأذنك أولوا الطول منهم) قال ابن عباس يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من
 المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبرائهم وفي تخصيص أولى الطول بالذكر قولان أحدهما ان الهم لهم أزم
 لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثاني انما خص أولى الطول بالذكر لان العاجز عن
 السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعني أولى الطول (ذرنا نحن مع القاعدين) يعني في البيوت
 مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قيل الخوالف النساء اللواتي
 يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف
 جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم
 والنفاق) فهم

(ولا تهيبك أموالهم ولا تلهيهم عن الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد انه مهم ولأن كل آية في فرق غير الفرق الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بأن آمنوا وهي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله) استأذنك أولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم)

لا يفقهون) ما في الجهاد من
 فوز والسعادة وما في الخلف
 امن الهلاك والشقاوة (لكن
 الرسول والذين آمنوا معه
 جاهدوا بأموالهم وأنفسهم)
 أي أن تخلف هؤلاء فقد نهض
 إلى الغزو من هو خير منهم
 (وأولئك لهم الخيرات) تناول
 منافع الدارين لا إطلاق للفظ
 وقيل الحور لقوله فيهن
 خيرات (وأولئك هم
 المفلحون) الفائزون بكل
 مطلوب (أعد الله لهم جنات
 تجري من تحتها الأنهار خالدين
 فيها ذلك الفوز العظيم) قوله
 أعتدليل على أنها مخلوقة
 (وجاء المعتذرون من الأعراب
 ليؤذّن لهم) هو من عذري
 الأمر إذا قصر فيه وتواني
 وحقيقته أن يوهّم أن له عذرا
 فيما فعل ولا عذره أو
 المعتذرون بأدغام التاء في
 الذال ونقل حركتها إلى
 العين وهم الذين يعتذرون
 بالباطل قبلهم أسد وعطفان
 قالوا إننا عيال وأن بنا جهدا
 فأذن لنا في الخلف (وقعد
 الذين كذبوا الله ورسوله)
 هم منافقوا الأعراب الذين
 لم يحجوا ولم يعتذروا فظهر
 بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله
 في ادّعاءهم الإيمان (سبيصيب
 الذين كفروا منهم) من
 الأعراب (عذاب أليم) في
 الدنيا بالقتل وفي الآخرة
 بالنار (ليس على الضعفاء
 الهرمى والزمنى) ولا على
 المرضى ولا على الذين
 لا يجدون ما ينفقون) هم
 الفقراء من مينة وجهينة
 وبني عذرة (خرج) ثم وضيق
 في التأخر (إذا نصحوا الله
 ورسوله) بأن آمنوا في السرّ

لا يفقهون) يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الأمر بالجهاد قوله سبحانه
 وتدعى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي أن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد
 جاهد من هو خير منهم يعني الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة في
 الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسن وهي جمع خيرة تخفيف خيرة
 (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بالمطالب قوله سبحانه وتدعى (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
 خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لهم من الخيرات الآخروية قوله سبحانه وتدعى (وجاء المعتذرون من
 الأعراب ليؤذّن لهم) يعني وجاء المعتذرون من أعراب البوادي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتذرون
 إليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 معتمرين إليه دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلالنا وأولادنا
 ومواشيئنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر
 من بني غفار رهط خفاف بن إيماء بن رخصة وقيل هم من أسد وعطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا
 بعذر فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعتذرون أي المقصرون يعني أنهم قصرُوا
 ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى أن له عذرا ولا عذره وقيل إن الأصل في هذا اللفظ عند النخاعة
 المعتذرون أدغمت التاء في الذال لقرب مخارجهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر إذا
 كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون إليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فذل ذلك على فساد
 عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر إذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر
 يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذرت عذرا إذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا
 المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وأنهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال أنهم كانوا صادقين
 بدليل أنه تعالى لما ذكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين
 دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قيل له هذا الكلام قال إن قومًا كفوا
 عذرا باطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذرة على
 الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الأعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا
 وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادّعاءهم الإيمان (سبيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني
 في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وإنما قال منهم لأنه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في حياته
 فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والافتقار وما توعاه عليه قوله عز وجل (ليس على الضعفاء
 لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب
 الاعتذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على
 الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ
 والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخلقة ضعيفا تخفيا ويدل على أن هؤلاء الأصناف هم الضعفاء أن
 الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه
 فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفاً بعرض يمنعه من التمكن من
 الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد
 فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لأن العاجزين نفقة الغزو معذور (خرج) أي ليس على
 هؤلاء الأصناف الثلاثة خرج أي أنهم في التخلف عن الغزو وقال الامام نضر الدين الرازي ليس في الآية أنه
 يحرم عليهم الخروج لأن الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بقصد دار القدرة أما بحفظ متاعهم
 أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كالأروا وبالأعلم فان ذلك طاعة مقبولة ثم إنه تعالى شرط على
 الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله سبحانه وتعالى (إذا نصحوا الله ورسوله) ومعناه

والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (ماعلى المحسنين) المذدورين الناصحين (من سبيل) أى لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (والله غفور) يغفر لهم تخلفهم (رحيم) بهم (ولاعلى الذين اذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيهم المحملة (قلت) ٢٥٣ حال من الكفاف فى أتوك وقد قبله مضمرة أى اذا ما أتوك قائلا

(لا أجدا أحمك عليه تولوا)
هو جواب اذا (وأعينهم)
تفيض من الدمع (أى تسيل)
كقولك تفيض دمعاهو
أبلغ من تفيض دمعها لان
العين جعلت كان كهادمع
فائض ومن البيان كقولك
أفديك من رجل ومحمل الجار
والجور والنصب على التمييز
ويجوز ان يكون قلت لا أجدا
استثنا كما أنه قيل اذا ما
أتوك لتحملهم تولوا فقل
ما لهم تولوا باكين فقل قلت
لا أجدا أحمك عليه الا انه
وسط بين الشرط والجزاء
كالا عراض (خرنا) مفعول
له (ألا يجدا وما ينفقون)
لئلا يجدا وما ينفقون ومحمله
نصب على أنه مفعول له
وناصبه خرنا والمستعملون
أبو موسى الأشعري وأصحابه
أو البكاون وهم ستة نفر من
الانصار (انما السبيل على
الذين يستأذنونك) فى
التخلف (وهم أغنياء) وقوله
(رضوا) استئناف كأنه قيل
ما لهم استأذوا وهم أغنياء
فقيل رضوا بأن يكونوا مع
الخوالف أى بالانتظام
فى جملة الخوالف (وطبع
الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
يعتذرون اليكم) يقيمون
لأنفسهم عذرا باطلا (اذا
رجعتم اليهم) من هذه
السفرة (قل لا تعتذروا)

لأنهم اذا أقاموا فى البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف وإثارة الفتن وسعوا فى اصال الخير الى أهل المجاهدين
الذين خرجوا الى الفزو وقاصوا بمصالح بيوتهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وتابوا الرسول صلى الله عليه
وسلم فان جملة هذه الامور تجرى مجرى النصح لله ورسوله (ماعلى المحسنين من سبيل) أى ليس على من
أحسن ففصح لله ولرسوله فى تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيه عاقب عليه
والغنى انسه بآحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ماعلى المحسنين من سبيل ان كل مسلم
شاهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله تخلصا من قلبه ليس عليه سبيل فى نفسه وماله الا ما أباحه الشرع
بدليل منفصل (والله غفور) يعنى لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع (رحيم) يعنى انه تعالى
رحيم بجميع عباده قال قتادة تزلت هذه الآية فى عاذين عمرو وأصحابه وقال الضحاك تزلت فى عبد الله
ابن أم مكتوب وكان ضير البصر وما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المذدورين أتبعه بذكر
قسم رابع وهو قوله تعالى (ولاعلى الذين اذا ما أتوك) يعنى ولا حرج ولا اثم فى التخلف عنك على الذين اذا
ما أتوك لتحملهم) يعنى يسألونك الحملان ليساغوا الى غزو وعدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق
تزلت فى البكاين وكانوا سبعة ونقل الطبرى عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاءنا من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستعملونه فقال لا أجدا أحمك عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن
عوف سالم بن عمير ومن بنى واقف جري بن عمير ومن بنى مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا بلي
ومن بنى المعلى سلمان بن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذى تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك
ومن بنى سلمة عمرو بن عتبة وعبد الله بن عمرو والمزنى وقال البغوى هم سبعة نفر سمو البكاين معقل بن يسار
وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصارى وعلمه بن زيد الانصارى وسالم بن عمير وعلمه بن عتبة وعبد الله
ابن معقل المزنى قال أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج
معك فاجلنا فقال لا أجدا أحمك عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزيته وكانوا ثلاثة اخوة معقل
وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل تزلت فى العرباض بن سارية ويحتمل انه تزلت فى كل من ذكر قال ابن عباس
سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا أجدا أحمك عليه فولوا وهم يبيكون ولذلك سمو البكاين فذلك قوله سبحانه وتعالى
(قلت لا أجدا أحمك عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) قال صاحب الكشف هو كقولك تفيض
دمعاهو وأبلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كأن كهادمع فائض ومن البيان كقولك أفديك من
رجل (خرنا ألا يجدا وما ينفقون) يعنى على أنفسهم فى الجهاد (انما السبيل) لما قال الله سبحانه وتعالى ماعلى
المحسنين من سبيل قال تعالى فى حق من يعتذر ولا عذرله انما السبيل يعنى انما توجه الطريق بالطريق بالعبودية
على الذين يستأذنونك) يا محمد فى التخلف عنك والجهاد معك (وهم أغنياء) يعنى قادرين على الخروج معك
(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) يعنى رضوا بالدناءة والضعفة والانتظام فى جملة الخوالف وهم النساء
والصبيان والفقير دمعهم (وطمع الله على قلوبهم) يعنى ختم عليها (فهم لا يعلمون) ما فى الجهاد من الخير فى
الدين والاشرة أما فى الدنيا فالنفس بالفوز بالغنمة والظفر بالعدو وأما فى الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى
لا ينقطع قوله سبحانه وتعالى (يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم) يعنى يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك
يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما لى صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا واليه والى المؤمنين فلهذا
قال تعالى يعتذرون اليكم يعنى بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعت اليهم يعنى من سفرهم (قل أى قل لهم يا محمد
(لا تعتذروا) قال البغوى روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وعشرين فقال الله تعالى
قل لا تعتذروا (ان تؤمن ليكم) يعنى لن تصدقكم فيما اعتذرت به (قد نبأنا الله من أخباركم) يعنى قد أخبرنا الله

بالباطل (ان تؤمن ليكم) ان تصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم)
غلة لا تنفعا تصديقهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وما فى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم

تطهيرهم (ومأواههم جهنم)
ومصيرهم النار يعني وكفتم
النار عتابا وتوبخا فلا
تتكفوا عتابهم (جزاء
كانوا يكسبون) أي يجزون
جزاء كسبهم (يحلفون لكم
لترضوا عنهم) أي غرضهم
بالحلف بالله طلب رضاكم
لينفعهم ذلك في دنياهم
(فان رضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين)
أي فان رضاكم وحدهم
لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا
عليهم وكانوا عرضة لعاجل
عقوبته وآجلها وانما قيل
ذلك لئلا يتوهم ان رضا
المؤمنين يقتضي رضا الله
عنهم (الاعراب) أهل البدو
(أشد كفرا ونفاقا) من
أهل الحضرة لجهنم وقسوتهم
وبعدهم عن العلم والعلماء
(وأجدر ألا يعلموا) وأحق
بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل
الله على رسوله) يعني
حدود الدين وما أنزل الله من
الشرائع والأحكام ومنه قوله
عليه السلام ان الجفاء
والقسوة في الفدا دين يعني
الأكرة لانهم يفتنون أي
يصيحون في حروثهم والفديد
الصباح (والله عليم) بأحوالهم
(حكيم) في أمهالهم (ومن
الاعراب من يتخذ ما ينفق)

فيما سلف من أخباركم (وسيرى الله عملكم ورسوله) يعني في المسئلة أنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه
وقيل يحتمل أنهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفقون بما
قلتم أم لا (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم) يعني فيجركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على
ما في ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) يعني
اذا رجعت من سفركم اليهم يعني الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لترضوا عنهم) يعني لتصفحوا عنهم ولا
تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم (فأعرضوا عنهم) يعني فدعوهم وما اختاروا ولا انفسهم من النفاق
وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال
لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصغح فأعطوا اعراض
المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم
قبيحة (ومأواههم) يعني مسكنهم في الآخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا
قال ابن عباس نزلت في الجذ بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي حلف للنبي صلى الله عليه
وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فأئثر الله
عز وجل هذه الآية والتي بعدها (يحلفون لكم لترضوا عنهم) يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم
(فان رضوا عنهم) يعني فان رضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم (فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين) يعني أنه سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبد وقوله سبحانه
وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت في سكان البادية يعني ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل
الحضر قال أهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل أعربي اذا كان بدويا
يطلب مساقط الغيث والكلال ويجمع الاعرابي على الاعراب والاعراب في استوطن القرى والمدن
العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له
يا أعربي غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في
كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواظط وهو قوله
سبحانه وتعالى (وأجدر) يعني وأخلق وأخرى (ألا يعلموا) يعني بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله)
يعني الفرائض والسنن والأحكام (والله عليم) يعني بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائض وأحكامه
(ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا فانه ينفق
خوفا ورياء والمغرّم التزام ما يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه
لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين أو مراآة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وتوابعه (ويترصد) يعني ويتنظر
(بكم الدوائر) يعني بالدوائر تغلب الزمان وضروفه التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر قال عيان بن رباب يعني
تغلب الزمان فيموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعني بل تغلب عليهم الزمان ويدور
السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه دينه الا ماسوءهم (والله سميع) يعني
لا قوا لهم (عليم) يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية في
اعراب أسد وغطفان وقيم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم

أي يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا نقيعة من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (ويترصد بكم الدوائر)
الدوائر أي دوائر الزمان وتبدل الاحوال يدور الايام تذهب غلبتكم عليه فيخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أي عليهم تدور
المصائب والحروب التي يتوفعون وقوعها في المسلمين السوء مكي وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في
مقابله قولك رجل صدق (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرونه (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم

الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكاكي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت أن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني نعيم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسر وقال نعم هم خير من بني نعيم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الأقرب عن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني نعيم وبني عامر وأسلم وغطفان قال خابوا وخسر وأسلم قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالم الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له أمان لم أقفها لكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأصحح وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله سبحانه وتعالى (ويؤخذ ما ينطق قربات عند الله) جمع قربة أى يطلب بما ينطق القربة الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعنى ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى (الانها قربة لهم) يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الاتفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للؤمن المتصدق بحجة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم (سيدخلهم الله في رحمته) وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (ان الله غفور) للؤمنين المتقين في سبيله (رحيم) يعنى بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صالوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحدبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جدي بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئتهم وأوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحانه الله ألا تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شرطه وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكان في لم أقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة علي بن أبي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنة وقت اسلامه فقيل كان ابن عشرين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغا والصحيح أنه لم يكن بالغ وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم فوؤلا الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محبسا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يتق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاءهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية

الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكاكي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت أن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني نعيم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسر وقال نعم هم خير من بني نعيم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الأقرب عن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني نعيم وبني عامر وأسلم وغطفان قال خابوا وخسر وأسلم قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالم الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له أمان لم أقفها لكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأصحح وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله سبحانه وتعالى (ويؤخذ ما ينطق قربات عند الله) جمع قربة أى يطلب بما ينطق القربة الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعنى ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى (الانها قربة لهم) يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الاتفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للؤمن المتصدق بحجة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم (سيدخلهم الله في رحمته) وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (ان الله غفور) للؤمنين المتقين في سبيله (رحيم) يعنى بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صالوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحدبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جدي بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئتهم وأوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحانه الله ألا تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شرطه وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكان في لم أقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة علي بن أبي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنة وقت اسلامه فقيل كان ابن عشرين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغا والصحيح أنه لم يكن بالغ وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم فوؤلا الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محبسا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يتق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاءهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية

(والذين اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر (رضي الله عنهم) بأعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية (وأعد لهم) عطف على رضى (جنات تجري تحتها الأنهار) من تحتها مكي (خالدين فيها) أيد ذلك الفوز العظيم (ومن حولكم) يعني حول بلدكم وهي المدينة (من الأعراب منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذي هو من حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم (مردوا على النفاق) أي تهرأ فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه جمع عطف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله

٢ قوله ستة نفر المعلوم هنا خمسة والسادس عقبه بن عامر كافي المواهب وقوله في الهامش سبعة تبع فيه الكشف وهو مخالف لما في المواهب وما هنا اهـ صحيحه

أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ٢ ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن الجحلام وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء السابقون الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فأسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أن الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقى اللفظ مجمولا قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا واجب صرف اللفظ المجهل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا أن الهجرة طاعة عظيمة ومربية عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمغارقة الوطن صلي والعشيرة وكذلك النصر فانه امر تبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه واسوه وآووا أصحابه واسوههم فلذلك أنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قوله تعالى (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر ربعه أم قرنين أو ثلاثا (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا وفي رواية أحكم أنفق مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الأول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلوا في مدته من الزمان فقبل من عشرين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن أحدا عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا بذلوا الجهد في وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضى الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها) أيد ذلك الفوز العظيم (قوله) سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الأعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من أعراب منيئة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الأعراب منافقون وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا هؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الأعراب منافقون) على القليل لان لفظة من للتبعض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الأكثر والاعراب وهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما الطبري فانه أطلق القول ولم يعين أحدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الآية من القوم الذين حول مدينةكم أيها المؤمنون من الأعراب منافقون ومن أهل مدينةكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الاوس والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره (ومن حولكم من الأعراب) ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني من نوا عليه يقال تمرد فلان على ربه إذا عاوت وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته أي من وثبت عليها واعاودها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوافيه وأبو

(لا تعلمهم) أى يخفون

غيره وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا منه (لا تعلمهم) يعنى أنهم بلغوا فى النفاق الى حيث انك لا تعلمهم
 يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعت على الأسرار (نحن نعلمهم) يعنى لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية
 وان دقت (سنة عذابهم مرتين) اختلف المفسرون فى العذاب الاول مع اتفاههم على ان العذاب الثانى هو عذاب
 القبر بدليل قوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو عذاب النار فى الآخرة فثبت بهذا انه سبحانه وتعالى يعذب
 المنافقين ثلاث مرات مرة فى الدنيا ومرة فى القبر ومرة فى الآخرة أما المرة الاولى وهى التى اختلفوا فيها
 فقال الحكامى والسدى قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فى يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
 يا فلان فانك منافق فخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثانى هو عذاب القبر فان
 صح هذا القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن
 نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبب وهذا القول ضعيف لان أحكام
 الاسلام فى الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع
 مرتين وقال قتادة المرة الاولى هى الدبيلة فى الدنيا وقبضاء تفسيرها فى الحديث بأنها اخراج من نار تظهر
 فى اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعنى تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هى المصائب فى الاموال
 والاى فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم فى الدنيا والاخرى عذاب
 القبر وقال ابن اسحق الاولى هى ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى
 عذاب القبر وقيل احدهما ضرب الملائكة وجوههم وأبدارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر
 وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردون
 الى عذاب عظيم يعنى عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل (وأخرون اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان أحدهما
 أنهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم وأخلصوا ووجه هذا القول ان قوله تعالى وأخرون عطف على قوله
 ومن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهوم وبعضه مانق له الطبرى عن ابن عباس انه قال هم
 الاعراب والقول الثانى وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت فى جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم قدموا على ذلك واختلف المفسرون فى عددهم فروى عن
 ابن عباس أنهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير
 وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة
 أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديع بن خزام وذلك أنهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فى غزوة تبوك ثم قدموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أن نكون من الضالين ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه فى الجهاد واللاء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله
 لنؤمنن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا وبعذرنا
 فربطوا أنفسهم فى سوارى المسجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم منهم فرأهم فقال من هؤلاء فقالوا
 هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم ورضوا عني
 وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فأنزل الله عز وجل هذه الآية فإرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
 فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلقتنا عنك خذها فتصدق بها عنا واطهرنا
 واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فأنزل الله خذ من أموالهم
 صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الآية فى أبى لبابة خاصة واختلفوا فى ذنبه الذى تاب منه فقال
 مجاهد نزلت فى أبى لبابة حين قال لى قريظة أن نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على ذلك
 وربط نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسى ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي ففكت
 سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرم شيئا عليه فأنزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله

لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فخله
 بيده فقال أبو لبابة يا رسول الله إن من توبتي أن أهجرك وأرقومي التي أصبت فيها الذنب وأن أتخلع من مالي كله
 صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال بجزئك الثلث يا أبا لبابة قالوا جميعاً فآخذ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لأن الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم
 لأن لفظة من تقتضي التبعض وقال الحسن وقتادة وهو لا يسوي الثلاثة الذين تخلعوا وسبأ في خبرهم
 وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعاني الاعتراف عبارة عن الإقرار بالشئ
 ومعناه أنهم أقرروا بذنوبهم وفيه دققة وهي أنهم لم يعذروا عن تخلفهم بإعذار باطلة كغيرهم من المنافقين
 ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا ~~فان قلت~~ الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا
~~قلت~~ مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب والعزم على
 تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا أعمالهم الصالحات) خلوها
 قيل أراد بالعمل الصالح أقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سائر الغزوات
 والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل إن العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة والسيئ ما كان
 ضده فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحمد على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصاً بمن
 تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن أبي عثمان قال ما في القرآن آية
 أرجى عندي لهذه الأمة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم ~~فان قلت~~ قد جعل كل واحد من العمل الصالح
 والسيئ مخلوطاً بالمخلوط به ~~قلت~~ إن الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطته فاعلم بحسن في الموضع
 الذي يمزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته الأصلية ~~قلت~~ خلطت الماء باللبن
 وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا أعمالهم الصالحات
 غالب المفسرين وأنكره الإمام فخر الدين الرازي وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لأن العمل الصالح
 والعمل السيئ إذا حصل ما بقي كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فان عندنا القول بالاجتماع باطل
 فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا أعمالهم
 الصالحات وأخرى سيئة فاقبضه على نفى القول بالمحاطة وأنه بقي كل واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما
 بالآخر فليس إلا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول
 جعت زيداً وعمراً والواو في الآية أحسن من الباء لأنه أريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط ألا ترى أن العمل
 الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله أن يتوب
 عليهم) قال ابن عباس وجهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن
 يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لأنه أبعد من الاتكال
 والاهمال وقيل إن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول
 والاحسان فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو إلى
 نيل ما يرجوه منه أقرب لأنه ختم الآية بقوله (إن الله غفور رحيم) وهذا يفيد إنجاز الوعد وقوله سبحانه
 وتعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) قال ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحبه فأتوا بأموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخذوا
 أموالنا وصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفرنا فآخذوا أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخذوا
 منها حتى أمر به فانزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبير
 وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع إلى هؤلاء الذين تابوا وذلك
 أنهم بذلوا أموالهم صدقة فأوجب الله سبحانه وتعالى أخذها وصار ذلك معتبراً في كمال توبتهم لتكون جارية

(خلطوا أعمالهم الصالحات) خروجاً
 إلى الجهاد (وأخرى سيئة) تخلفاً
 عنه أو التوبة والانتم وهو من
 قولهم بعث النساء شاة ودرهما
 أي شاة بدرهم قالوا بمعنى
 الباء لأن الواو للجمع والباء
 للانصاف فيتماسبان أو المعنى
 خلط كل واحد منهما بالآخر
 فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط
 به كقولك خلطت الماء واللبن
 تريد خلطت كل واحد منهما
 بصاحبه بخلاف قولك
 خلطت الماء باللبن لأنك
 جعلت الماء مخلوطاً باللبن
 ومخلوطاً به وإذا قاتمه بالواو فقد
 جعلت الماء واللبن مخلوطين
 ومخلوطاً به ما كان ذلك
 خلطت الماء باللبن واللبن
 بالماء (عسى الله أن يتوب
 عليهم) إن الله غفور رحيم
 ولم يذكر توبتهم لأنه ذكر
 اعترافهم بذنوبهم وهو دليل
 على التوبة (خذ من أموالهم
 صدقة) كفارة لذنوبهم وقيل
 هي الزكاة (تطهرهم) عن
 الذنوب وهو صفة للصدقة
 واتناء للخطاب أو اقضية
 المؤنت والتاء في (وتزكهم)
 للخطاب لا لمحالة (بها) بالصدقة
 والتزكية مبالغة في التطهير
 وزيادة فيه أو بمعنى الانماء
 والبركة في المال

يجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة امر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولا نجهو المفسرين ذكر وافي سبب نزولها انه انزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف هو حب المال أمروا باخراج الزكاة التي هي طهارة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لأنهم رضوا بهذا الثلث من أموالهم فلا ن يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أي خذ يا محمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة فيجوز للإمام أو نائبه أن يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من أموالهم ولقطة من تقضى التبعض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدربنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدرها ووصفتها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركا الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهارة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بأنه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهارة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكهم بهامنة قطعاً عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكهم أنت بها القول الثالث أن تجعل النساء في قوله تطهرهم وتزكهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكهم يعني نرفع منازلهم عن منازل المنافقين الى منازل الابرار الخالصين وقيل معنى وتزكهم أي تنهي أموالهم بركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه (وصل عليهم) يعني ادع لهم واسئلكم عنهم لان أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه السنة للإمام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للصدقة فيقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما بقيت وقال بعضهم يجب على الامام أن يدعو للتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمطى وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فإنه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجاه في الصحيحين وقوله سبحانه وتعالى (ان صلاتك) وقرئ صلاتك على الجمع (سكن لهم) يعني ان دعائك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى ان صلاتك توجب سكن نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم وقبل زكاتهم (والله سميع) يعني

(وصل عليهم) واعطف عليهم
بالدعاء لهم وترحم السنة
أن يدعو المصدق لصاحب
الصدقة اذا أخذها (ان
صلواتك) صلاتك كوفي
غير أبي بكر قيل الصلاة أكثر
من الصلوات لانها للجنس
(سكن لهم) يسكنون اليه
وتطمئن قلوبهم بان الله قد
تاب عليهم (والله سميع)
لدعائك أو سميع لاعترا فهم
بذنوبهم ودعائهم (عليهم)
في ضمائرهم من الندم والغم
لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد
المتوب عليهم أي ألم يعلموا
قبل أن يتاب عليهم وتقبل
صدقاتهم (ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده) اذا حثت
(و يأخذ الصدقات) ويقبلها
اذا صدرت عن خالص
النية وهو للتخصيص أي
ان ذلك ليس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما الله
هو الذي يقبل التوبة ويردها
فاصدوها ووجهها اليه
(وأن الله هو التواب) كثير
قبول التوبة (الرحيم) يعفو
الحوبة

لا قوالهم أولد عائلكم (عليهم) يعني بنياتهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استعظامهم الآن المقصود منه التقرير بفسر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا أن الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخاصة وقيل إن المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبته هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنابا لا مس لا يكامون ولا يجالسون فإياهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عبادة قبل لا فرق بين عن عبادة ومن عبادة إذا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لأن فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبلها وقوله سبحانه وتعالى (و يأخذ الصدقات) يعني يقبلها ويثيب عليها وإنما ذكر لفظ الأخذ ترغيبا في بذل الصدقة وإعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الأخذ إلى نفسه وإن كان الفقير أو السائل هو الأخذ لما وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وإن الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت غرة فربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يرى أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل غرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يبيعها لصاحبها كما يرى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه أن الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيبيعها لأحدكم كما يرى أحدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب أي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وإن الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لأن من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكنة اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فربو أي تكبر يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتح هـ لغتان المهر أول ما يولد والفصيل ولد الناقة إلى أن ينفصل عنها وقوله سبحانه وتعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) تأكيده لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشيرهم بأن الله هو التواب الرحيم قوله عز وجل (وقل) أي قل يا محمد هؤلاء التائبين (اعملوا) يعني لله بطاعته وأداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للطمعين ووعيد عظيم للذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا أمارؤبة زهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبإطلاع الله إياه على أعمالكم وأمارؤبة المؤمنون فجاء يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبعض المذنبين (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) يعني وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سرهم وعلايتهم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خير أو شر فيجازيكم على أعمالكم قوله سبحانه وتعالى (وآخرون مرجون) أي مؤخرون والارجاع التأخير (لأمر الله) يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين هم دواعي النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا إلى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أولبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لأن الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث أن القسم الثاني سارعوا إلى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فآخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومهارة ابن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار

(وقل) هؤلاء التائبين (اعملوا) فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أي فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم وغير التائبين ترغيبهم في التوبة فقد روى أنه لما تبس عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنابا لا يكامون ولا يجالسون فإياهم فتنزل وقوله تعالى فسيرى الله وعيدهم وتحذير من عاقبة الإصرار ولذ هول عن التوبة (وستردون إلى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تكبر ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لأمر الله) بغيرهم مذفي وكوفي غير أبي بكر مرجون غيرهم من أرجيته وأرجأته إذا أخرجه ومنه المرجئة أي وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم

(امادعشهم) ان اصروا ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية وعمرارة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله اعلم) برجائهم (حكيم) في ارجائهم واما للشك وهو راجع الى العباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوهم الرحمة روى انه عليه السلام أمر أصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفوسهم على السوارى واطهار الجزع والغم فلما علموا ان أحد الايتنظر لهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم ونجحت قوتهم فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغير وأومد في وشامى ٢٦١ وهو مبتدأ خبره محذوف أى

جازيناهم روى ان بنى عمرو ابن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأثمهم فأثمهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو عوف بن عوف وقالوا بنى مسجد او نرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر واذ اقدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سأله اتيان المسجد فتركت عليه فقال لو حشى قاتل حجرة ومعين بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدوه واحرقوه ففعلوا وأمر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الخيف

كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (اما يغفروا ما يتوب عليهم) يعنى أن أمرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله اعلم) يعنى بما فى قلوبهم (حكيم) يعنى بما يقضى عليهم قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا) تزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق ودعيه بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرجهذا المسجد وتعلبه بن حاطب وجارية ابن عمرو وابناء مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيفة أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأذعر وبتل ابن الحرث وبيجاد بن عثمان ومجروح بنوا هذا المسجد ضارا يعنى مضارا للمؤمنين وكفرا يعنى ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفرقوا بين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجدا للضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف وافتراق الكرامة وكان يصلى بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدرك ما أرادوا بنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليمة المطيرة والليمة الشامية وانما نحب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه وقوله سبحانه وتعالى (وارصادا المن حارب الله ورسوله) يعنى انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنيه ارسادا يعنى انتظارا واعداد المن حارب الله ورسوله (من قبل) يعنى من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والذين ظلمه غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذى جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال أبو عامر فأنا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنتك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها ببيعة نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماء الناس أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزم هوازن يئس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن اسعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجد فأتى فبجند من الروم فأخرج محمد وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعنى انتظارا المن حارب الله ورسوله يعنى أبا عامر الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشام من قبل يعنى ان أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليلفن) يعنى الذين بنوا المسجد (ان أردنا) يعنى ما أردنا بنائه (الاحسنى) يعنى الالفعة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم لكاذبون) يعنى في قلوبهم

والقامة ومات أبو عامر بالشام (ضرارا) متعمدا له وكذا ما بعده أى مضارة لخواصهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفرقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا المن) واعداد الاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه ليعصى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو عيال غريب فيه للاحق مسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق (وليلفن) كاذبين (ان أردنا الاحسنى) ما أردنا بنائه هذا المسجد الاحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المسلمين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلقهم

(لا تقم فيه أبدا) للصلاة
(المسجد أسس على التقوى)
اللام للابتداء وأسس نعمت
له وهو مسجد قباء أسسه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلى فيه أيام مقامه
بقباء وهي يوم الاثنين
والثلاثاء والأربعاء والخميس
وخرج يوم الجمعة أو مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة (من أول يوم) من
أيام وجوده قيل القياس فيه
مذلاته لا ابتداء الغاية في
الزمان ومن لا ابتداء الغاية
في المكان والجواب أن من
عام في الزمان والمكان
(أحق أن تقوم فيه) مصليا
(فيه رجال يحبون أن

وحلقهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أنصرف من تبوك راجعا نزل بذي أوان وهو موضع قريب
من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه أن يأتي مسجدهم فدعاهم ليصليهم ليلبسوه ويأتهم فأمر الله هذه الآية
وأخبره خبر مسجد الضرار وما هو به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومع بن عدي
وعامر بن السكن وحشيا فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلها فاهدموه واحرقوه فخرجوا
مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك أنظروني حتى أخرج البكمين
فدخل أهلها فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتمون حتى دخلوا المسجد وفيه أهلها فأحرقوه
وهدموه وتفرق عنه أهلها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف
والثمن والقمامة مات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى أن بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد
قباء أتوا عمرو بن الخطاب في خلافته فسألوه أن يأذن لمجمع بن جارية أن يؤتمهم في مسجدهم فقال لا ونعمة
عن أبيس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا أمير المؤمنين لا نجعل على قوا الله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم
ما أضمر وأعلمه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكناوشيو خالا يقرؤن فصليت بهم
ولا أحسب إلا أنهم يتقربون إلى الله ولم أعلم ما في أنفسهم فعذرهم عمر فصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال
عطاء لما فتح الله على عمرو بن الخطاب الأمصار أمر المسلمين أن ينووا المساجد وأمرهم أن لا ينووا في موضع واحد
مسجد ينضار أحدهما الآخر وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه لا تصل فيه أبدا منع
الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في مسجد الضرار (المسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام
الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعني بني أصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى
الله عز وجل (من أول يوم) يعني من أول يوم بني ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (أحق أن تقوم
فيه) يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمرو بن زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري
هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقالت يا رسول الله أي المسجدين أسس على
التقوى قال فأخذ كفاه من حصي فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق)
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على
حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن قوائم منبري هذا رأت في الجنة أخرجه النسائي
قوله رأت يعني ثابته يقال رتب بالمكان إذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد
ابن جبير وقتادة أنه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا
والله يحب المطهرين ويدل على أنهم أهل قباء ما روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه
رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه أبو
داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الأصول من رواية أبي داود والترمذي
موقوف على أبي هريرة ورواه البغوي من طريق أبي داود مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون
بالماء فنزلت فيهم هذه الآية ومما يدل على فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكباً وماشيئاً وفي رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبب راكباً وماشيئاً وكان ابن عمر يفعل ما أخرجه الرواية الأولى والزيادة البخاري
ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى
يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيه صلى فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن أسد بن ظهير أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون أن

تطهر واو الله يحب المطهرين) قبل لما زلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار
جالوس فقال امؤنن انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤننون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم
قال انصبرون على البلاء قالوا نعم قال ائتسكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون انتم ورب السكينة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان
الله عز وجل قد اثنى عليكم في الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الا حجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء
فلا الذي عليه السلام رجال يحبون ان يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها ٢٦٣ وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة

ومعنى محبتهم للتطهر انهم
يؤثرونه ويحرمون عليه
حرص المحب لشيء ومعنى
محبة الله اياهم انه يرضى عنهم
ويحسن اليهم كما يفعل المحب
بمحبوبه (أفمن أسس بنيانه)
وضع أساس ما يبنيه (على
تقوى من الله ورضوان
خير أم من أسس بنيانه على
شفا جرف هار) هذا سؤال
تقرير وجوابه مسكوت عنه
لوضوحه والمعنى أفمن أسس
بنيانه دينه على قاعدة محكمة
وهي تقوى الله ورضوانه
خير أم من أسسه على قاعدة
هي أضعف القواعد وهو
الباطل والنفاق الذي مثله
مثل شفا جرف هار في قلة
النبات والاستمسك وضع
شفا الجرف في مقابلة التقوى
لانه جعل مجازا عما ينافي
التقوى والشفا الجرف
والشفا جرف الوادي
جانبه الذي ينحصر أصله بالماء
وتجرفه السيول فيبقى واهيا
والهار الهائر وهو المتصدع
الذي أشفى على التهم
والسقوط ووزنه فعل قصر
عن فاعل تكلف من خالف
وألفه ليس بألف فاعل انما

تطهروا) يعني من الاحداث والنجاسات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء وما كانوا
يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هل قباء في أسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما
هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا إلا أن جبرنا للنامن اليهودي أن ينامهم يغسلون أديارهم من الغائط
فغسلنا ما غاسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا هل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد
أحسن عليكم الثناء في الطهور فأتصنعون قالوا اننا نغسل عن أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي
المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من
الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى
وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء
بالضد من صفاتهم وما ذاك إلا كونهم مبشرين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث
ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل
انه محمول على كلا الأمرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث
والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضاء عنهم بما اختاروه لا أنفسهم من
المداومة على محبة الطهارة قوله سبحانه وتعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعني طلب
بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطالب رضاه
وثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفا هو الشفير وشفا كل شيء حرفه ومنه يقال أشفى على
كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المسكن الذي أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد
الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيخفر بالماء فيبقى واهيا هار أي هائر وهو الساقط فهو من
هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا تهتم وسقط وهو الذي تدعى بعضه في أثر بعض كاهي هار الرمل
والثي الرخو (فانهار به) يعني سقط بالباني (في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) والمعنى ان بناء هذا
المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فهو ربا هار فيها وهذا مثل ضرب به الله تعالى للمسلمين مسجد الضرار
ومسجد النقي ومسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفمن أسس بنيانه دينه على
قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها
بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك
كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصده بنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف
البناء والباني الثاني قصده بنيانه الكفر والنفاق واصرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى
نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تنهاى بناؤهم حتى وقع في النار ولقد ذكر
لنا انه حفرت بقعة منه فروى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد
الضرار (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة) يعني شكا ونفاقا (في قلوبهم) والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا

هي عنه وأصله هو فقلبت ألفا لخرتها وانفتح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنهه أمره أفمن أسس
بنيانه أم من أسس بنيانه شاميا ونافع جرف شاميا وحزرة ويحي هار بالامالة أبو عمرو وحزرة في رواية ويحي (فانهار به في نار جهنم) فطاح به
الباطل في نار جهنم وما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل ربح المجاز في بلفظ الانهيار الذي هو الجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس
بنيانه على شفا جرف هار من اودية جهنم فانهار به بذلك الجرف فهو في فقرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار
(والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك

ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (الا ان تقطع قلوبهم) شامى وجزءه وحقق أى تنقطع غيرهم تقطع أى
 الا أن تقطع قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء خيفة يسألون عنه وأما مادامت سائمة تجتمع فالرابة باقية فيها صالحة ثم يجوز ان يكون ذكر التقطع
 تصوير الحال زوال الرابة عنها ٢٦٤ ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار أو معناه

الحصول الرابة فى قلوبهم لان المنافقين فرحو ابناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه
 نقل ذلك عليهم وازدادوا غموا وخرنا وبغضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الرابة فى قلوبهم
 وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون فى بنائه كاحبب الجمل الى بنى اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لا يسبب أمر بتخريبه وقال السدى لا يزال هدم بنيانهم ريبه أى
 حرارة وغيظا فى قلوبهم (الا أن تقطع قلوبهم) أى تجعل قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء ما بالسيف واما بانول
 والمعنى ان هذه الرابة باقية فى قلوبهم الى أن يموتوا عليها (والله اعلم) يعنى بأحوالهم وأحوال جميع عباده
 (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)
 الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بيعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا العقبه وكانوا سبعين
 رجلاً قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً
 واشترط لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فالنا قال الجنة قالوا ربح البيع
 لا نقبل ولا نستقبل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة
 قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيئاً هوله فى الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها
 ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا ياها لكن جرى هذا مجرى التلطف
 فى الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل أو انفق ماله فى سبيل الله
 عوضه الله الجنة فى الآخرة جزاء لما فعل فى الدنيا فجعل ذلك استبداداً واشترى هذه ما عني اشترى من المؤمنين
 أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها فى سبيل الله وفى جميع وجوه البر والطاعة
 (يقاتلون فى سبيل الله) هذا نفس سير لتلك المباحة وقيل فيه معنى الامر أى قاتلوا فى سبيل الله (فيقتلون
 ويقتلون) يعنى فيقتلون أعداء الله ويقتلون فى طاعة وسبيله (وعدا عليه حقا) يعنى ذلك الوعد بأن لهم الجنة
 وعدا على الله حقا (فى التوراة والانجيل والقرآن) يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين فى
 سبيله قد أثبتته فى التوراة والانجيل والقرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود فى جميع
 الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهده من الله) يعنى لا أحد أوفى بالعهده من الله (فاستبشروا
 ببيعكم الذى بايعتم به) يعنى فاستبشروا ببيعكم ببيعكم ببيعكم الذى بايعتم به (وذلك) يعنى هذا البيع
 (هو الفوز العظيم) لان راجع فى الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعكم وجعل الصفقتين لك وقال الحسن
 اسمعوا الى بيعة ربيعة ببيع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة
 بعضها وقال قتادة نامنهم فاعلى لهم قوله سبحانه وتعالى (التائبون) قال الفراء استوف لفظ التائبون بالرفع
 لتنام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون الى
 آخره لهم الجنة أيضاً وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين بترك الجهاد وهذا وجه حسن فكأنه وعد بالجنة
 جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا لا أول كان الوعد بالجنة خاصاً بالمجاهدين
 الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المذكورين فى قوله ان الله اشترى
 وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من
 كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين
 لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بأمر أربعة أولها احتراق القلب عند صدور
 المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها فى المستقبل ورابعها أن يكون الحامل

الا ان يتوبوا توبة تنقطع
 بها قلوبهم ندما وأسفعا على
 تفریطهم (والله اعلم)
 بعزائمهم (حكيم) فى جزاء
 جرائمهم (ان الله اشترى من
 المؤمنين أنفسهم وأموالهم
 بأن لهم الجنة) مثل الله
 اثابهم بالجنة على بذلهم
 أنفسهم وأموالهم فى سبيله
 بالشراء وروى تاجرهم
 فاعلى لهم الثمن وعن الحسن
 أنفسنا هو خلقها وأموالنا
 هو رزقها وروى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اعرابى
 وهو يقرؤها فقال يبيع والله
 من يبيع لا نقيه ولا نستقيه
 نخرج الى الغزو واستشهد
 (يقاتلون فى سبيل الله) بيان
 محمل التسليم (فيقتلون
 ويقتلون) أى تارة يقتلون
 العدو وطورا يقتلهم العدو
 فيقتلون ويقتلون حمزة
 وعلى (وعدا عليه) مصدر
 أى وعدهم بذلك وعدا (حقا)
 صفتته أخبر بأن هذا الوعد
 الذى وعده للمجاهدين فى
 سبيله وعد ثابت قد أثبتته فى
 التوراة والانجيل والقرآن
 وهو دليل على ان أهل كل
 مله أمر بالقتال ووعدا
 عليه ثم قال (ومن أوفى
 بعهده من الله) لان اخلاف
 الميعاد يبيع لا يقدم عليه

الكرام مناف كيف بأكرم الاكرمين ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا
 ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بياق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لأبدانكم عن الجنة فلا
 تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره

له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم
فليس بمخلص في توبته (العابدون) يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا
بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين
يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم
الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس
هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحاً لتركه لذات كلهما من الطعام والمشرب والنكاح
وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذي يسبح في الارض متعبداً لزامه فكان ممسكاً عن الاكل وكذلك
الصائم ممسك عن الاكل وقيل أصل السباحة استمرار الذهاب في الارض كلما الذي يسبح والصائم
مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه
ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ائذن لي في السباحة فقال ان سباحة أمتي الجهاد في
سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد إلى بلد في
طلبه وقيل ان السباحة لها أثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لا بد أن يلقى
أنواعاً من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويلي العلماء والصالحين في سباحته فيستفيد منهم
ويعود عليه من بركتهم ويرى الجائبات وآثار قدرة الله تعالى فيتمتع في ذلك فيدله على وحدانية الله
سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكون الساجدون) يعني المسلمين وانما عبر عن الصلاة بالركوع
والسجود لانهم مامعظم أركانها وهم ما يتميز المصلي من غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود لانهم ما حالة
المصلي وغيره (الآمرون بالمعروف) يعني يأمرون الناس بالإيمان بالله وحده (والناهون عن المنكر)
يعني عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح
وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن
أما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهلهم ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو في
والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله
تعالى في صفة الجنة وفتح أبوابها وقيل فيه رجة أخرى وهو أن الموصوفين بهذه الصفات الست هم
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون إلى قوله الساجدون مبتدأ
خبره الأمرين يعني هم الأمرين بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون لحدود الله) قال ابن
عباس يعني القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لقرائن الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم
المؤذنون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيهم فلا يضيعون شيئاً من العمل الذي أزمهم به ولا يرتكبون
منها ما نهى الله عنه (وبشر المؤمنين) يعني بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا قوا الله تعالى بعهد فانه
موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون
إلى آخر الآية بأن له الجنة وان لم يغفر قوله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو
كانوا أولى قربى) الآية واختلاف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في شأن أبي طالب
عم النبي صلى الله عليه وسلم والدعي وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن
ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن خزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لا اله
الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعود أن لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا
على ملة عبد المطلب وأبي ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أستغفرن لك ما لم أنه

(العابدون) أي الذين عبدوا
الله وحده وأخلصوا له العبادة
وما بعده خبر بعد خبر أي
التائبون من الكفر إلى
الحقيقة الجامعون لهذه
الخصال وعن الحسن هم
الذين تابوا من الشرك وتبرؤا
من النفاق (الحامدون) على
نعمة الاسلام (السائحون)
الصائمون لقوله عليه السلام
سباحة أمتي الصيام وأوطية
العلم لانهم يسبحون في
الارض يطلبونه في مظاته
أو السائحون في الارض
للاعتبار (الراكون
الساجدون) الحافظون
على الصلوات (الآمرون
بالمعروف) بالإيمان والمعرفة
والطاعة (والناهون عن
المنكر) عن الشرك والمعاصي
ودخلت الواو للاشعار بأن
السبعة عقد تام وأللتضاد
بين الأمر والنهي كما في قوله
ثيبات وأبكار (والحافظون
لحدود الله) أو أمره ونواهيه
أو معالم الشرع (وبشر
المؤمنين) المتصفين بهذه
الصفات وهم عليه السلام
أن يستغفروا لأبي طالب فتنزل
(ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو
كانوا أولى قربى) أي ما صح
له الاستغفار في حكم الله
وحكمته

عندك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي وأنزل الله في
أبي طالب انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجه في الصحيحين * فان قلت قد استبعد
بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة
بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا * قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفرون لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر
له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية ففزع من الاستغفار والله أعلم بما عراده وأسرار كتابه (م) عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فأبى
فأنزل الله انك لا تهدي من أحببت وإنما يهدي الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا تعبرني قبري
يقولون انما جعله على ذلك الجزع لا تقررت بها عينك فأنزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعنه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح
من نار يبلغ كعبه تعالى منه أم دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد
المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب
لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله
ان عمك أبو طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وحدثني في غمرات من نار فأخرجته الى
ضحضاح وقال أبو هريرة وبريدة ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه أمانة فوقه حتى حبت
الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية
وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال وأكثرتني انه قال قبر
أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبدا فقلنا يا رسول الله انارأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في
زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فأرؤي باكيأكثر من يومئذ وحكي ابن
الجوزي عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس
لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكاك قال مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها
فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا فأبكاني ثم دعا برأجلته
فركبها فأسار الالهية حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولى قربي الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى
من حوله فقال له استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا
القبور فانهذا كرم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفرون لابي كما استغفر ابراهيم لبيه
فأنزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا بني الله ان من آباءنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويملك العاني ووفى بالذمم أفلا نستغفر
لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لا تستغفرون لابي كما استغفر ابراهيم لبيه فأنزل الله عز وجل ما كان
للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها بالآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لآبويه وهما مشركان
فقلت له أتستغفر لآبويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي
وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فأنزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لبيه الا عن
موعدة وعدها بالآية فالتابين له أنه عداؤة تبرا منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن
يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا
يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربي لان النهي عن الاستغفار للمشركين عام

(من بعد ما تبين لهم أنهم

أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ما أتوا على الشرك ثم ذكر عزرا براهيم فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أي عن موعدة وعدها إياه أن يسلم أو هو وعدها إياه أن يستغفر وهو قوله لا استغفرت لك دليله قراءة الحسن وعدها إياه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء السلام الذي به يغفر له (فما تبين) من جهة الوحي (له) لا إبراهيم (أنه) أن أباه (عدو لله) بأن يوت كافرا وانقطع رجاؤه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره (ان إبراهيم لاواه) هو المتأوه شفاؤه وقوامعناه أنه لفرط نوحه وورقة كان يتعطف على أبيه الكافر (حليم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لا أرجنك (وما كان الله ليضل قوما بعد) اذهبوا هم حتى بين لهم ما يتقون) أي ما أمر الله بانقائه واجتنابه كاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يخذلهم إلا إذا تدوا عليه بعد بيان خطره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المواقعة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف

فمستوى فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم أنهم ما أتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده أما قوله سبحانه وتعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فمعناه وما كان طلب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء إسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبرا عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ربى سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أتستغفر لآبائك وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله الا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرت لك يعني ان إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لأبيه وهو مشرك لما كان الموعد الذي وعده أن يسلم (فما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في إياه راجعة الى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك أن أباه إبراهيم وعدها إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ربى يعني اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الأب وذلك أن إبراهيم وعدها إياه أن يستغفر له رجاء إسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربى ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها إياه بالباء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبأن له أن أباه عدو لله يعني عوته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى إبراهيم ان أباه عدو لله ففترأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يليق إبراهيم عليه السلام أباه أن يري يوم القيامة وعلى وجهه آزرقة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل لك لا تعصى فيقول أبوه قال يوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزي نبي يوم يبعثون فأى خزي أخرى من أبى فيقول الله تبارك وتعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ماتحت رجلك فينظر فاذا هو بذخ متلطيخ فيؤخذ بذبوقائه فيلقى في النار أخرجه البخارى زاد غيره ففترأ منه والفترة غبرة يعالوها سوادا والذخ بذال مبهمة ثم باء مثناة من تحت ثم خاء مبهمة هو ذكر الضباع والاني ذبيحة وقوله تبارك وتعالى (ان إبراهيم لاواه حليم) جاء في الحديث ان الاواه الخاضع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير للذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه العلم للخير وقال عطاء هو الراجح مما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفاؤه وقا المتضرع ايقنا ناول وما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عند شدته خوفه وحرته أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويستدحرها فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدّة وأما الحليم فعنه ظاهر وهو الصفوح عن سبه أو تأه بركوه ثم يقابله بالاحسان واللفظ كما فعل إبراهيم بأبيه حين قال له لئن لم تنته لأرجنك فأجاب إبراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربى وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليعين سبحانه وتعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به أنتم في هذه الحالة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليعصى عليكم بالضللال بسبب استغفاركم لموتاكم للمشركين بعد ان رزقكم الهداية وفقكم للإيمان به وبرسوله وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فأعلمهم أن ذلك ليس بضائرهم) حتى بين لهم ما يتقون) يعني ما يؤتون وما يذرون وهو أن يقدم اليهم النهي

(ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت ومالك من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي) أى تاب عليه باذنه للمنافقين في التحلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر يعقب العسرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المردو والشعير المسوس والاهالة الرنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نخروا الابل وعصروا كرشها وشربوه وفي شدة زمان من جارة القيقظ ومن الجذب والقيظ

عن ذلك الفعل فأما قبل النبي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ما تواقبل النبي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فأمر الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤاخذهم بعمل الابد ان يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال بجاهد ببيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبما نهى لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليغضب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذاني أمر المنسوخ وذلك أن قوما قد مروا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومه وهم ههنا على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فأمر الله عز وجل وما كان الله ليضل قومه ابدا هذاهم يعني وما كان الله ليضل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (ان الله بكل شيء عليم) يعني انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهىكم عن الاستغفار للمشركين ويدعلم ما بين لكم من أوامره ونواهيه (ان الله له ملك السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء (يحيى ويميت) يعني انه تعالى يحيى من يشاء على الايمان ويميت عليه ويحيى من يشاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده (ومالك من دون الله من ولي ولا نصير) يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتحلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لانه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فأمر الله خمسة ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشرىف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فأمر الله خمسة وللرسول فهو تشرىف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم ان لا تقدر على قتال الروم وكيف لا يبالوا خلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يتخلص من زلات وتبعات في مدة عمره امام باب الصغائر وامامن باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوا من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا مابين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (في ساعة العسرة) يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والحيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والراذ والماء قال الحسن كان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يعقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتعبون وكان النفر منهم يخرجون وماعهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا كها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرة من الماء ويقبل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فضوامع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم

وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيط شديد فقلنا منزلنا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينخر بعيره فيه يصرف رثته فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خير اذ دع الله قال اتعجب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع احتى أرسل الله صحابة فطروا فلو اصابهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر أسنده الطبري عن عمر قوله تعالى (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) يعني من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم والزيغ في اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يقارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا واندموا على ما خاطروا قلوبهم فلاجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعني انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق قلوبهم فزرقهم الانابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانية فاذا التكرار قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا انه سبحانه وتعالى قد قبل قلوبهم وعفا عنهم ثم أتبعه بقوله (انه بهم رؤوف رحيم) تأكيذا لذلك ومعنى الرؤوف في صفه الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد يكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون مع الكراهة قوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول قلوبهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون من حوّل امر الله وفي معنى خلفوا قولان أحدهما انهم خلفوا عن توبة أبي ابيبة وأصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع أبو ابيبة وأصحابه فتاب الله على أبي ابيبة وأصحابه وأخرا أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم تخلّفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لا حاديت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا تخلف عنها فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها شهيد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها را حلتين قط حتى جمعت ما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا له غزوة غزاهم فاخبرهم بوجههم الذي يريدون المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقبل رجل يريد أن يتغيب الاظن ان ذلك سيخفى له ما لم يزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا لها أصغر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أعذولكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى استقر بالناس الجدف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه

(من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أي ليس الشأن خلق الله مثله يزيغ حزمة وحفص (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد (انه بهم رؤوف رحيم) وعلى الثلاثة أي وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهو عطف على النبي (الذين خلفوا) عن الغزو

ولم أقص من جهازى شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يقامدى بي حتى أسرعوا وتفرط الغزو
فهمت أن أرتحل فأدر كهم في الباتني فقلت ثم لم يدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحزنني أنى لا أرى لى أسوة الأرجل ما معهم وصاعليه في النفاق أو رجلاً ما عذر
الله من الضعفاء ولم يذكروني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم يتبول
ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل
بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيراً فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فيمنها هو كذلك رأى
رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباً خيثة فإذا هو أبو خيثمة الانصاري وهو
الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه
قافلاً من تبوك حضرني بنى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بيم أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك
بكل ذي رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطل قداماً زاح غنى الباطل حتى عرفت
انى لن أنجو منه بشئ أبداً فاجعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قداماً وكان اذا قدم من سفره
بدأ بالبعد فور كع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويخلفون
له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم علاتيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سر أترهم الى الله عز وجل حتى
جئت فلما سلمت تبسم تبسم الغضب ثم قال لى تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن
قد ابعت ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا رأيت أنى سأخرج من
سخطه بعذر لقد أعطيت جديلاً ولا كنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني
ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه انى لارجو فيه عقبي الله وفي رواية
عفو الله عز وجل والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وثار رجال من بني سلمة
فاتبعوني فقالوا لى والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعذرت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله
ما زالوا يؤنبوني حتى أردت ان أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل
لقى هذا أحد منى قالوا نعم لقيه معك رجلاً قالاً مثل ما قلت وقيل لهم ما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا
مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الوافى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدر ففضهما
أسوة قال فضيت حين ذكر وهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من
بين من تخلف عنه قال فاجتمعنا الناس أو قال تغير والناحتى تنكرت لى في نفسى الارض فساهى بالارض
التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبى فاستمكنا وقعدا في بيوتهم ما يمكن وأما أنا فكنت أشب
القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمنى أحد حتى أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شقيقه برد السلام أم لا ثم أصلى
فربما منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتى نظرت لى وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال على ذلك
من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه
فوالله ما رددت لى السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم انى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت
فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فينادى أنا
أمشى في سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام من قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب
ابن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الى حتى جاءني فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فإذا
فيه أما بعد فإنه قد بلغنا ان صاحبك قد جهلك ولم يجعلك الله بدار هو ان ولا مضبعة فالحق بنا واسك قال
فقلت حين قرأتها وهذه أيضاً من البلاء فتميمت بها النور فصبرته حتى اذا مضت أربعون من المحسبين

واستلبت الوحي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امرئ ان
 يعتزل امرأتك قال فقلت اطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها ولا تقر بها قال وأرسل الى صاحبي مثل ذلك
 قال فقلت لا امرأتى الحق بأهلك فكوفي عندهم حتى يقضى الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن
 أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقلت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل
 تذكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقر برك فقلت انه والله ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من
 أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد
 أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني
 ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكم
 لناخسون لي - لمة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين لمة على ظهر بيت من
 يوم تنافينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عناقضت على نفسي وضاق على الأرض بما رحبت
 سمعت صوت صارخ أوفى على سماع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه
 قد جاء فرج قال وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله عليهم حين صلى صلاة الفجر فذهب
 الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أس - لم قبلي وأوفى على
 الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشر في نزعت له ثوب في فكسوتهم ما يراه
 يبشرونه والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أنا ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأقاني
 الناس فوجافوا جباههم في التوبة ويقولون لهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهناني والله ما قام الى رجل من
 المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها طلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال
 وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم
 من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر استنار وجهه حتى كأن وجهه
 قطعة قر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي أن أتخلع من مالي
 صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعن مالك فهو خير لك قال فقلت
 فاني أملك سهمي الذي يخبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما أنجاني بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث
 الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 الى يومى هذا واني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي قال فأ نزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
 والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
 عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله علي من نعمة قط
 بعد ان هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبة فأهلك
 كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه
 وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء
 بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب
 كنا خلفنا بها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبإيهامهم
 واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى
 الثلاثة الذين خلفوا ليس الذي ذكرنا خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا نحن حلفه
 واعتذر اليه فقبل منه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام
 أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فامن شيء أهم الى من ان

أموت فلا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أوعيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك
المنزلة فلا يكمنى أحد منهم ولا يصلي على ولا يسلم على قال وأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه
وسلم حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني
معنيتها بامرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل الله
فابشره قال إذا يحطكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الفجر أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث
قوله حين تواتقنا على السلام التواتق تعاقل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل أو الناقية القويان على
الجمل والسفر وقوله ورثي بغيرها يقال ورثي عن الشيء إذا أخفاه وأظهر غيره والمفاضة البرية الفقراء سميت
بذلك تقاولا بالفوز والنجاة منها قوله فخلاهوا بالتحفيف يعني كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والاهية
الجهاز وما يحتاج إليه المسافر قوله فأنالها أصغر هو بالعين المهملة أي أميل والصعر الميل قوله وتفرط
الغزو أي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار إليه بالعيب
يقال فلان ينظر في عطفه إذا كان مجبأ بنفسه ويقال زال به السراب يزول إذا ظهر شخص الإنسان خيالا
فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للإنسان في البرية في وقت الهجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الياء لا بس
البياض قوله كن أباحيثة معناه أنت أبوخيمته وقيل معناه اللهم اجعله أباحيثة أي لتوجد يا هذا الشخص
أباحيثة حقيقة قوله الذي لمز المنافقون يعني عابوه واحتقروه والفاقل الراجع من سفره إلى وطنه قوله
حضر في بي البث أشد الحزن كأنه لشدة يظهر قوله زاح عن الباطل أي زال وذهب عني وأجعت صدقه أي
عزمت عليه لقد أعطيت جدلا أي فصاحة وقوة في الكلام بحيث أخرج عن عهد مدة ما أردت بما أشاء من
الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فإز الوادئ نوني أي يلو مني أشد اللوم قوله حتى
تنكرت لي في نفسي الأرض فاشهى بالأرض التي أعرف معناه تغير على كل شيء من الأرض وتوحشت على
وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فأما صاحبائي فاستكنا باني خضعوا وسكنوا قوله تسورت حائط أبي
قتادة أي علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من الجهم والروم والمضيعة
مفعلة من الضياع والاطراح وقوله فتميمت بها التنور فسميتها بها أي فقصدت بالصحة التي أرسل بها أمك
غسان فاحرقته في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت أنا ثم يعني أقصده رسول الله صلى الله
عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه إذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور قوله أنخل
من مالي أي أخرج منه جمعه وأتصدق به كما يخلع الإنسان قميصه قوله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاء الله في
صدق الحديث أحسن مما أبلاني بالبلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر وإذا أطلق كان في الشر غالبا إذا
أريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلاني أي أنعم علي قوله أن لا أكون كذبتة هذا هو في جميع
روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظ لا زائدة ومعناه أن أكون كذبتة وقوله فاهلك هو
بكسر اللام وأرجأه أمرنا أخيره وقوله في الرواية الأخرى يحطكم الناس أي يطوكم ويردحون عليكم
وأصل الوطء الكسر وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله وأذن بتوبة الله علينا أي أعلم والأذان الإعلام
والله أعلم قوله عز وجل (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان
والمعنى أنه ضاقت عليهم المكان بعد أن كان واسعا (وضاقت عليهم أنفسهم) يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة
الناس إياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعني وأيقنوا وعلوا (أن لا ملجأ) يعني لا مفرع ولا مفر (من الله إلا إليه)
ولا عاصم من عذابه إلا هو (ثم تاب عليهم) فيه ضمائر وحذف تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه
فرجعهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيده لقبول توبتهم
لأنه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وأنه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار أي وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه

(حتى إذا ضاقت عليهم
الأرض بما رحبت) برحبها
أي معسعتها وهو مثل الخيرة
في أمرهم كأنهم لا يجدون
فيها مكانا يقرون فيه قلعا
وجزا (وضاقت عليهم
أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها
أنس ولا سرور لأنها خرجت
من فرط الوحشة والغم
(وظنوا أن لا ملجأ من الله
إلا إليه) وعلوا أن لا ملجأ من
سخط الله إلا إلى استغفاره
(ثم تاب عليهم) بعد خمسين
يوما (ليتوبوا) ليكونوا من
جلة التوابين

(ان الله هو التواب الرحيم) عن أبي بكر الوراق انه قال التوبة النصوح ان تضيق على التائب الارض عار حبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) في إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا في دين الله وقولوا وعملوا ولا تبتل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم ٢٧٣ (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله)

ويعاني تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيهم الى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويذوبوا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعني الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكائهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو التواب) يعني على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على أن قبول التوبة يحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعني في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعني مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني مع أبي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياباتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالا عذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تبدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى العجز وكما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن بعد أحدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى ان أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار في يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منّا أمر ومنكم أمير فقال أبو بكر يامرنا الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامرتم ان تكونوا معنا ولم يأمرنا ان نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل مع يعني من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قوله سبحانه وتعالى (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعني لسكان المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الأعراب) يعني سكان البوادي من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام في كل الأعراب لان اللفظ عام ووجهه على العموم أولى (أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي أي ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعني ولا يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) يعني ليس لهم أن يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوها صاحبته والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم) في سفرهم وغزواتهم (ظما) أي عطش (ولا نصب) أي تعب (ولا تخمصة) يعني مجاعة شديدة (في سبيل الله ولا يثبون موطنًا يغضب الكفار) يعني ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغضب الكفار وغمهم وخزهم (ولا يثبون من عدوئنا) يعني أسرا وقتلا وهزيمة أو غنمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا (الا كتب لهم به عمل صالح) يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمر به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنا مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات الا أن يغفرها الله بفضله وكرمه واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن

٢٥ خازن في وهو عام في كل ما يسوءهم وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا ومن قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى ان المدد يشارك الجيش في الغنمة بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم محايضهم وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابي عامر وقد قدم بعد تنقضي الحرب والموطئ امام صدره كالمرور واما ما كان فان كان مكانا فغني يغيب الكفار يغيبهم وطؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي انهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم

يتخلف عنه إلا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز ان شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه إذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد يقولون في هذه الآية انها لا تولى هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هـ ذاحين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عظمته انه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تتمين الطاعة والالجاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا أمر وكذا غيره من الائمة والولاة قالوا إذا دنوا أو عينو الانا لوسوغة اللندوب أن يتقاء ولم يتخص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعنى فى سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعنى عمرة فسادونهم أو أكثر منها حتى عـ لاقه سوط (ولا يقطعون واديا) يعنى ولا يجاوزون فى مسيرهم واديا مقباين أو مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعنى كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجزهم الله) يعنى يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه بأحسن ما كانوا يعملون وقال الامام نضر الدين الرازى فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والندوب والمباح فآله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والندوب دون المباح والثانى ان الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفى الآية دليل على فضل الجهاد وأنه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفى رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله ان تخرج فى سبيله لا يخرجك الا جهاد فى سبيلي وإيمانى وتصديق قارىسى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانالا من أجر أو غنمة والذى نفس محمد ابداه ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دمور يحمر ربح مسك والذى نفس محمد ابداه لولا ان أشق على المسلمين ما قدمت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أفتل ثم أغزو فافتل ثم أغزو فافتل ثم أغزو فافتل لفظ مسلم وللبخارى معناه (ق) عن أبي سعيد الخدرى قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل قال مؤمن بجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويذبح الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسانى سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فان شعبه ورية وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أغبرت قدما عبداً فى سبيل الله فتمسه النار (م) عن أبي مسعود الانصارى البدرى قال جاء رجل بناقاة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاذك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبع مائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فترلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست فى الجهاد ولكن اساء عار رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجديت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بالسر حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله عز وجل الآية يخبر بنيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشايرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم اذ ارجعوا اليهم

(ولا ينفقون نفقة) فى سبيل الله (صغيرة) ولو عمرة (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أراضى ذهابهم ومجئهم وهو كل منفرج بين جبال وأكام يكون منفرد للسبيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال يعنى الارض (الا كتب لهم) من الاتفاق وقطع الوادى (ليجزهم الله) متعلق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفيرا لاجزهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفي أى ان نفيها كافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للانفضاء الى المفسدة

(فلولا نفر) خين لم يكن نفيرا
لكافة فهلا نفر (من كل
فرقة منهم طائفة) أى من كل
جماعة كثير جماعة قليلة منهم
يكفونهم النفير (ليتمفقها وفى
الدين) ليتكافوا الفقهاء
فيه ويتجشموا المشاق فى
تحصيلها (ولينذروا قومهم)
وليجعلوا امرى همتهم الى
التفقه انذار قومهم
وارشادهم (اذارجعوا اليهم)
دون الاعراض الخسيسة من
التصدر والتروى والتشبه
بالظلمة فى المراكب والملابس
(لعلهم يحذرون) ما يجب
اجتنابه وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا
بعث بعثا بعد غزوة تبوك
بعدهما أنزل فى المتخلفين من
الآيات السداد استبق
المؤمنون عن آخرهم الى
النفير وانقطعوا جميعا عن
التفقه فى الدين فأمر وأن
ينفر من كل فرقة منهم طائفة
الى الجهاد ويبقى سائرهم
يتفقون حتى لا يقطعوا
عن التفقه الذى هو الجهاد
الا كبر اذا الجهاد بالحاج أعظم
أثر من الجهاد بالنصال
والضمير فى ليتفقوا للفرق
الباقية بعد الطوائف النافرة
من بينهم و لينذروا قومهم
ولينذروا الفرق الباقية قومهم
لنافرين اذارجعوا اليهم بما
حصلوا فى أيام غيبتهم من
العلوم وعلى الاول الضمير
للطائفة النافرة الى المدينة
للتفقه

فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذارجعوا اليهم وفى رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال كان
ينطاق من كل حى من العرب عصابة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم
ويتفقون فى دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا ان نفعله واخبرنا عما نقول لعشائرنا اذا
انطلقنا اليهم فأتى أمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعهم الى قومهم بالصلاة
والزكاة فكانوا اذا أتوا قومهم نادوا من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وان يندروا قومهم اذارجعوا اليهم
ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويشرهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم خرجوا فى البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما يتفقون به ودعوا من وجدوا من
الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا فى أنفسهم تحرجا وأقبلوا
من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة) يتبعون الخير وقعد طائفة (ليتمفقها وفى الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس
(اذارجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويركعوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصابة يعنى السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا
رجعت السرايا وقد نزل فى بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد
أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا
أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقها وفى الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا
رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبرى وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال انها من بقية
أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو ولم يتخلف عنه الا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله فى الكشف عن
عيوب المنافقين وفضحهم فى تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ من الغزوات مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو
وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فترأت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز
لهم أن ينفروا بأكملهم الى الجهاد ويركعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة
يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية
الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه فى الدين لان
الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شئ فاللزامون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من
الاحكام وما يتجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبرهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون
لينفروا كافة فلولا يعنى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقها وفى الدين و لينذروا
قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذارجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعنى مخالفة أمر الله وأمر رسوله
وهذا معنى قول قتادة وقيل ان النفقة صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقها الذين خرجوا بما يريهم الله
من الظهور وعلى الشركين والتصرة وينذروا قومهم اذارجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرق النافرة اذا شاهدوا
نصر الله لهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت
جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح
والظفر لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعتد بتفقه فى
الدين ويمكن أن يجاب عنه بأنهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقوهم على عدوهم كان ذلك زيادة فى ايمانهم
فيكون ذلك تفقه فى الدين وأما الاحتمال الثانى وهو أن يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد
وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فأصابوا معروفا

ودعوا من وجدوا من الناس الى المهدي فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في
 أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البداية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه
 الآية والمعنى هالانقر من كل فرقة طائفة وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافذين لينذروا
 قومهم اذ رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني بأس الله ونعمته اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب
 أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم
 فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب
 الدنيا كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
 يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة
 وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم
 في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال فقيه واحد
 أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذي وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فقه فقهه
 فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح
 الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين
 معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكاف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
 طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع
 يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه
 وأما فرض الكفاية من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفقيه واذا قعد أهل بلد عن تعلمه
 عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفقيه يمسقط الفرض عن الباقي وعليهم تقليده
 فيما يقع لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي
 على أدناكم أخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك
 طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة أخرجه الترمذي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة
 أخرجه أبو داود الآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها أو ماليس بمسوخ والسنة
 القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في
 قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السموات وأخرجه الترمذي موقوفا
 وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة قوله سبحانه وتعالى (يا أيها
 الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن
 عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام اقرب
 الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلوهم
 حتى فرغوا منهم فأمروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يد ونقل عن
 بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة
 صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ
 لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصول الاصلح وهو أن يبذروا بقتال
 الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الاعداء فلا بعدو بهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان
 قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قومه ثم انتقل منهم الى
 قتال سائر العرب ثم انتقل الى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفك ثم انتقل الى غزو الروم

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا
 الذين يلونكم) يقرءون منهم
 (من الكفار) القتال واجب
 مع جميع الكفرة قريبهم
 وبعيدهم ولكن الاقرب
 فالاقرب أو جب وقد حارب
 النبي صلى الله عليه وسلم قومه
 ثم غيبرهم من عرب الحجاز
 ثم الشام والشام اقرب الى
 المدينة من العراق وغيره
 وهكذا المفروض على أهل
 كل ناحية ان يقاتلوا من يليهم

(وليجدوا فيكم غلظة) شدة وغنفا في المقال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (وإذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة
(فإن المنافقين) من يقول بعضهم لبعض (أيكم زادت هذه) السورة (إيماناً) انكاراً ٢٧٧ واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع

بالابتداء وقبل هو قول
المؤمنين للبحث والتنبيه
(فأما الذين آمنوا فزادتهم
إيماناً) يقيناً وثباتاً وخشية
أو إيماناً بالسورة لأنهم لم
يكونوا آمنوا بها تنصيحاً
(وهم يستبشرون) يعدّون
زيادة التكليف بشاره
الشريف (وأما الذين في
قلوبهم مرض) شك ونفاق
فهو فساد يحتاج إلى علاج
كالفساد في البدن (فزادتهم
رجساً إلى رجسهم) كفراً
مضموماً إلى كفرهم (وما توا
وهم كافرون) هو اخبار عن
أصرارهم عليه إلى الموت
(أولاً يرون) يعني المنافقين
وبالتأخر خطاب للمؤمنين
(أنهم يفتنون) يتلون
بالخط والمريض وغيرهما (في
كل عام مرة أو مرتين ثم
لا يتوبون) عن نفاقهم
(ولا هم يذكرون) لا يعتبرون
أو بالجهد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يتوبون بما
يرون من دولة الإسلام ولا
هم يذكرون بما يقع من
من الاصطلام (وإذا ما أنزلت
سورة نظر بعضهم إلى بعض
تسامروا بالعيون انكاراً
للوحي وسخريّة بالقائلين
(هل يراكم من أحد) من
المسلمين لنصرف فأنالنا نصبر
على استماعه ويغلبنا الضحك
فخاف الاقتضاح بينهم أو

في الشأم فكان فتح الشأم في زمن الصحابة ثم انقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار لانه اذا
قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابد وقوله سبحانه وتعالى (وليجدوا فيكم غلظة) يعني شدة
وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبراً على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالعون
والنصرة قوله عز وجل (وإذا ما أنزلت سورة فأنهم من يقول بعضهم لبعض أيكم زادت هذه إيماناً) يعني وإذا أنزل الله سورة
من سور القرآن فإن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادت هذه يعني السورة إيماناً يعني
تصدّقوا يقيناً وتأمّنوا يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه
وتعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يعني تصديقوا يقيناً وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء إلى آخر
من جنسه مما هو في صفة فالمؤمنون إذا قرأوا نزول سورة من القرآن عن ثقة واعتبروا أنها من عند الله
عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف إيماناً وقد تدمر بسط الكلام على زيادة الايمان في أول سورة
الانفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئاً بعد شيء لأنهم كلما نزل ازدادوا
إيماناً وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل
الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق سمى الشك في الدين
مرضاً لانه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج إلى العلاج (فزادتهم) يعني
السورة من القرآن (رجساً إلى رجسهم) يعني كفراً إلى كفرهم وذلك لأنهم كلما نزلوا سورة
أو استهزوا بها ازدادوا كفرهم الأول وسمى الكفر رجساً لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس في اللغة
الشيء المستعذر (وما توا) يعني هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعني وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على
رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين
من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزيد إيماناً وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لعة يبيض
في القلب وكلما ازداد الايمان عظماً ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لعة سوداء
في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققت من قلب مؤمن لو جدتوه
أبيض ولو شققت من قلب منافق لو جدتوه أسود قوله سبحانه وتعالى (أولاً يرون) قرئ ترون بالتاء على
خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (أنهم يفتنون)
يعني يتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعني بالامراض والشدائد وقيل بالخط والجذب وقيل بالغزو
والجهاد وقيل أنهم يفتنّون بظاهر نفاقهم وقيل أنهم يفتنّون ثمة يؤمنون ثمة يفتنّون وقيل أنهم
يفتنّون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون إلى الله
(ولا هم يذكرون) يعني ولا يعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (وإذا ما أنزلت
سورة) يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (نظر بعضهم إلى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم
لبعض إشارة (هل يراكم من أحد) يعني هل أحد من المؤمنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يره أحد
خرجوا من المسجد وان علموا أن أحد يراهم من المؤمنين أقاموا ولبنوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعني
عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله
قلوبهم) يعني عن الايمان وقال الزجاج أصلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني
لا يفقهون عن الله دينه ولا شيئاً فيه نفهم قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) هذا خطاب
للعرب يعني لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم
عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال

إذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ان قمتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة
النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا
(لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم

(عزير عليه ما عنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضاً منكم عنتم ولقساؤكم المكره فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) على إيمانكم (يا مؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لا حد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض إليه أمورك فهو كافيك معرفتهم وناصرهم عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) ففوضت أمري إليه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق الله خلق مطافاً لاهل السماء وقبله للدعاء (العظيم) بالجبر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز عن أبي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية

وكذا ما بعدها الى سورة النور

جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذ كر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كذا قال أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها وربيعها ويمانها فإما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبهم الى عرب اليمن وهم القحطانية فان أمانة لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب في نصره والايان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وخبرهم بخبره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهري من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه (م) عن واثله بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشاً جالسوا بيتاً كرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة في كدبة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقتهم وخير القريقتين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً أخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام فعملة على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله سبحانه وتعالى (عزير عليه ما عنتم) أي شديد عليه عنتم يعني مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم (حريص عليكم) يعني حريص على إيمانكم وإيصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وأن يهديكم الله (يا مؤمنين رؤف رحيم) يعني أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالذنبين (ق) عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفاً رحيماً قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفاً رحيماً وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس رؤف رحيم قوله سبحانه وتعالى (فان تولوا) يعني فان أعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الإيمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب (فقل حسبي الله) يعني يكفيني الله ويصرفني عليكم (لا اله الا هو عليه توكلت) يعني لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات فيدخل مادونه في ذلك كرفيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونه أو يكون خصه بالذكر تشريفاً له كما يقال بيت الله روى عن أبي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدينى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به

بسم الله الرحمن الرحيم (الر) ونحوه ممال حزة وعلى وأبو عمرو وهو تعدد الحروف على طريق التحدى (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (الحكيم) ذى الحكمة لاشتماله عليها ٢٧٩ أو المحكم عن الكذب والاقتراف

والهمزة في (أ) كان للناس عجباً) لانكار التعجب والتعجب منه (أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا لما تقدم صار حالا (الرجل منهم أن أنذر الناس) بأن أنذروا هي مفسرة إذا لاحت فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا أن لهم) بأن لهم ومعنى اللام في للناس أنهم جعلوا لهم أعجوبة يتعجبون منه والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلاً من أفسار رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أي طالب وأن يذكركم البعث وينذر بالنيان ويشمر بالجنان وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشر أمثالهم وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضاً لأن الله تعالى إنما يختار للنبوة من جمع أسباب الغنى والتقدم في الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجباً أغما العجب والمكر في العقول تعطيل الجزاء (قدم صدق عند ربهم) أي سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة

ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكة الآيتين وهى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والى تلها وهى مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه الرحمن وحده وحروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقيل هى اسم للسورة وقد تقدم الكلام فى معنى الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الإشارة إلى الآيات الموجودة فى هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هى آيات الكتاب وهو القرآن الذى أنزله الله إليك يا محمد وذلك أن الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتاباً لا يحصى الماء ولا تغير الدهور وقيل إن لفظة تلك للإشارة إلى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى أن تلك الآيات هى آيات الكتاب الحكيم وفيه قول آخر أن المراد بآيات الكتاب الكتب التى قبل القرآن حكاه الطبري عن قتادة وروى عن مجاهد أنها التوراة والإنجيل فعلى هذا القول يكون التقدير أن الآيات المذكورة فى هذه السورة هى الآيات المذكورة فى التوراة والإنجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة فى هذه السورة وهذا وإن كان له وجه فهو ضعيف لأن التوراة والإنجيل لم يجز لهما ذلك كقريب حتى يشار إليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التى منها الر سميت آيات لأنها افتتاح السور وسر القرآن (الحكيم) يعنى المحكم الحلال والحرام والحدود والأحكام فعلى معنى مفعول وقيل الحكيم يعنى الحاكم فعلى معنى فاعل لأن القرآن حاكم عيزين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم يعنى المحكوم فيه فعلى معنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وآية ذى القربى وقيل أن الحكيم هو الذى يفعل الحكمة والصواب فى حيث أنه يدل على الأحكام صار كأنه هو الحكيم فى نفسه قوله سبحانه وتعالى (أ) كان للناس عجباً قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية أن الله عز وجل لما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً أنكرت العرب ذلك ومن أنكروا منهم قال الله أعظم من أن يكون له رسول بشراً مثل محمد فقال الله سبحانه وتعالى (أ) كان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً آية والهمزة فى (أ) كان هزة استقهاهم ومعناه الإنكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجباً (أن أوحينا إلى رجل منهم) والعجب حالة تعترى الإنسان من رؤية شئ على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعترى الإنسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعنى من أهل مكة من قرىش يعرفون نسبهم وصدوقهم وأمانتهم (أن أنذر الناس) يعنى خوفهم بعقاب الله تعالى أن أصروا على الكفر والخالفه والانداز أخبار مع تخويف كما أن البشارة أخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) اختلف عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجزا حسناً بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسيبهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وفى رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال سبقت لهم السعادة فى الذكر الأول يعنى فى اللوح المحفوظ وقال زيد بن أسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعمته كقوله مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد والفائدة فى هذه الإضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لأن كل شئ أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله فى مقعد صدق ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق فى خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم فى الإسلام وقدم فى الخير ولفلان عندى قدم صدق وقدم سوء قال حسان بن ثابت لنا القدم العليا إليك وخلفنا * لا ولنا فى طاعة الله تابع

ولما كان السجى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجملة والسابقة قدما كما سميت النعمة يد الانهات على باليد وباعاً لأن صاحبها يبيع بها فاقبل لفلان قدم فى الخير وأضافتها إلى صدق دلالة على زيادة فضله وأنه من السوابق العظيمة أو مقام صدق أو سبق السعادة

(قال الكافرون ان هذا الكتاب (السحر مبین) مدنی وبصری وشامی ومن قرأ السحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل بحجرتهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحراً (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) أى استولى فقد بقى قدس الديان عن المكان ٢٨٠ والمعبود عن الحدود (يدبر) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الامر) أى امر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل على عظمتهم وملكهم من خلق السموات والارض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج أمر من الامور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على عزته وكبريائه (ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذى يستحق العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان أو ملك فضلا عن جماد لا يضرب ولا ينفع (أفلاتنكرون) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع (اليه مرجعكم جميعا) حال أى لا ترجعون فى العاقبة الا اليه فاستعدوا للاقائه والرجع الرجوع أو مكان الرجوع (وعند الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم (حقا) مصدر مؤكد لقوله (وعند الله) انه يبدأ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب الرجوع اليه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى الحكمة بابتداء الخلق واعادته وهو جزء المكلفين

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفه ومفاخر

والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى السبب بالسبب كما سميت النعمة يد الانه تعطى باليد وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس أنها * مع الحسب العادى طمت على البحر معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لذى العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار والزلل

وقوله سبحانه وتعالى (قال الكافرون ان هذا السحر مبین) وقرئ اسحرمبين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون ان هذا السحر يعنون محمدًا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما تأهمل المعجزات الباهرة التي لا يقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها ومن قرأ السحر فأنهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك قوله عز وجل (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) تقدم تفسير هذا فى سورة الاعراف بما فيه كفاية وقوله سبحانه وتعالى (يدبر الامر) قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى ادبار الامور وعواقبها لا يدخل فى الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر احوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث فى العالم العلوى ولا فى العالم السفلى الا بإرادته وتدبيره وقضائه وحكمته (ما من شفيع الا من بعد اذنه) يعنى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد أن يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة فى تدبيرهم فلا يجوز لاحد أن يسأله ما ليس له به علم فاذا أذن له فى الشفاعة كان له أن يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فأخبر الله سبحانه وتعالى انه لا يشفع أحد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق فى جميع العالم (ذلكم الله ربكم) يعنى الذى خلق هذه الاشياء وديرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه (فاعبدوه) أى فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما أنعم عليكم من النعم العظيمة (أفلاتنكرون) يعنى أفلا تمعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله سبحانه وتعالى (اليه مرجعكم جميعا) يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعاً ايها الناس يوم القيامة والرجع يعنى الرجوع (وعند الله حقاً) يعنى وعدكم الله ذلك وعداً حقاً (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) أى يحيينهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحيينهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحيينهم ثم يميتهم ثم يحيينهم وفى هذه الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وحقه وقوعه ورد على منكرى البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام الموقوفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلا فتركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيباً ثانياً ويخلق الانسان الاول مرة أخرى وكالمجتمع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة أخرى واذا ثبت القول ببعث المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للطيع والعقاب للعاصي وهو قوله سبحانه وتعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) يعنى بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئاً (والذين كفروا لهم شراب من حميم) هو ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) هو الذى جعل

الشمس

على أعمالهم (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى أى ليجزىهم بقسطه ويوفهم أجورهم أو بقسطهم أى بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا اذ الشرك ظلم ان الشرك ظلم عظيم وهذا أوجه لمقابلته قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم) وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ولوجه كلامى (هو الذى جعل

الشمس ضياء) الياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكسرة ما قبلها ووقبلها قبل هزة لانها الحركه اجل (والقمر نور) والضياء اقوى من النور فلذا جعله للشمس (وقدره) وقدر القمر اى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذات منازل كقوله ٢٨١ والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين)

أى عدد السنين والشهور
فاكتفى بالسنين لاشتغالها
على الشهور (والحساب)
وحساب الأجل والمواقيت
المقدرة بالسنين والشهور
(ما خلق الله ذلك) المذكور
(الا) ملتبساً (بالحق) الذى
هو الحكمة البالغة ولم يخلفه
عبثاً (يفصل الآيات) مكي
وبصرى وحفص وبالنون
غيرهم (لقوم يعلمون)
فينتفعون بالتأمل فيها (ان فى)
اختلاف الليل والنهار) فى
مجيء كل واحد منهم مخلف
الآخر وفى اختلاف لونهما
(وما خلق الله فى السموات
والارض) من الخلائق
(لا يأتى لقوم يتقون) خصهم
بالذكر لانهم يحذرون
الآخره فيدعوهم الحذر الى
النظر (ان الذين لا يرجون
لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا
يخطر ونه يالهم لغفلتهم
عن التفطن للحقائق أولاً
يؤمنون حسن لقاءنا كما
يؤمله السعداء ولا يخافون
سوء لقاءنا الذى يجب أن
يخاف (ورضوا بالحياة
الدنيا) من الآخره وآثروا
القليل القانى على الكثير
الباقى (واطمأنوا بها) وسكنوا
فيها سكون من لا يرجع عنها
فبنوا شديداً وأملوا بعيداً
(والذين هم عن آياتنا
غافلون) لا يتفكرون فيها

الشمس ضياء) يعنى ذات ضياء (والقمر نور) يعنى ذات نور واختلاف العلماء أصحاب الكلام فى أن الشعاع
القائض من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه
الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامه قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها اقوى
وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولا يتم التوساوى لم يعرف الليل من النهار فدل
ذلك على ان الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدرناه منازل) قيل الضمير فى
وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل أو قدر لسيروهما منازل لا يجاوزانها فى السير ولا
يقصران عنها وانما وحده الضمير فى وقدره للابحاز أو اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه
وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر فى
المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتمدة فى الشرع مبنية على رؤية
الاهلة والسنة المعتمدة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى
الشرطين والبطين والثريا والذبران والمقعدة والمنعة والذراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة
والصرفه والعواء والسمالك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابج
وسعد بلع وسعد السعد وسعد الاحبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل
القمر وهى مقسومة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة
والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل وينزل القمر كل
ليلة منزلان منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستريح ثلثين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعاً وعشرين
اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها
وانقضائها (والحساب) يعنى وتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ما خلق الله ذلك
الا بالحق) يعنى للحق وانظروا قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلاً ولا عبثاً (يفصل الآيات لقوم
يعلمون) يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله وحدانيته (ان فى)
اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لا يأتى لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية فى
نظائرهما (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالشواب والعقاب والرجاء
يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً يعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون
لله وقاراً ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى اذا لسعته النحل لم يرج لسعها أى لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع
فيكون المعنى لا يطعمون فى ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينة
الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار
من الميل الى الدنيا ولذاتها أزالها عن قلوبهم أوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخوف لم يصل ذلك الى
قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن
محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أى معرضون (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يعنى من
الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم)
يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثواباً لهم بايمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم ربهم على الصراط الى الجنة
يجعل لهم نوراً يمشون به وقال قتادة بلغنا المؤمن اذا خرج من قبره يصوره عمله فى صورة حسنة فيقول له
من أنت فيقول أنا عملك فيكون له نوراً وقائد الى الجنة والكافر بالصدف لا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال
ابن الانبارى يجوز أن يكون المعنى ان الله يهديهم هداية بخصائص واطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل

ولا وقف عليه لان خبر ان (أولئك مأواهم النار) فأولئك مبتدأ
ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء فى (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا (ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يسدد بهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل

(تجري من تحتهم الانهار) بياناه وتفسير اذا التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو بهديهم في الآخرة بنور إيمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نور او قائد الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على ان الايمان المجزئ دميخ حيث قال بإيمانهم

ولم يضم اليه العمل الصالح (في جنات النعيم) متعلق بتجري أو حال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أي دعائهم لأن اللهم نداء لله ومعناه اللهم نانسبحك أي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تليذ اذ بكركه لاعبادته (وتحيتهم فيها سلام) أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو هي تحية الملائكة يا هم وأضيف المصدر الى المفعول أو تحية الله لهم (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح (أن الحمد لله رب العالمين) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين أن تخففه من الثقل وأصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشأن قبل أول كلامهم التسبيح وآخره التمجيد فيبتدون بتعظيم الله وتزنيهم ويختتمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهم بما أرادوا (ولو يجل الله للناس الشر استجهالهم بالخير) أصله ولو يجل الله للناس الشر تجميل لهم الخير فوضع استجهالهم بالخير موضع تجميله لهم الخير شعرا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أي ولو يجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نجل لهم الخير ونجيتهم اليه

بهم الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم بهديهم ربهم اليه أي بتصديقهم هداهم (تجري من تحتهم الانهار) يعني بين أيديهم ينظرون اليها من أعالي أمسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريالم يرد به انه تحتها هي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجري بأمرهم (في جنات النعيم) يعني ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أي دعائهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء ونقيصة قال أهل النفس ير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأ تونهم في الوقت عبادتهم على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكالذاتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغالون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتشطون قالوا فبال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحيتهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيتهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) فقد ذكرنا ان جماعة من المفسرين جعلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب التأكل والشراب وانهم اذا اشتوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يبتدون بتعظيم الله وتزنيهم ويختتمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله سبحانه وتعالى (ولو يجل الله للناس الشر استجهالهم بالخير) يعني ولو يجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لا هله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له فيه (استجهالهم بالخير) يعني كاستجهالهم بالخير وكما يحبون أن يجل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) يعني لفرغ من هلاكهم وما تواجدوا به التجميل تقديم الشيء قبل وقته والاستجمال طلب الجملة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجميل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجهلون به استجهالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضلهم وكرمه يستحب للداعي بالخير ولا يستحب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجل الله لكافرين العذاب كما يجعل لهم خير الدينار من المال والولد لجل قضاء آجالهم ولما كانوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) يعني فنذر الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعني في غرورهم وعتوهم (يعمهمون) يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخافنيه فانما أنا بشر أعرض كما يعرض البشر فأعيا رجل من المسلمين سميت به

(لقضى اليهم أجلهم) لا ميتوا وأهلكوا القضى اليهم أجلهم شأى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شرهم وضلالهم (يعمهمون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يجل الله متضمن معنى نفي التجميل كانه قيل ولا يجل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فعملهم ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزام المحبة عليهم أو

(واذا أمس الانسان) أصابه والمراد به الكافر (الضرر دعانا) أي دعا الله لازالته (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحالين أي (أوقاعدا أوقاعاً) عليه أي دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الاحوال ان الضرر ولا يزال داعي لا يفتقر عن الدعاء حتى يزول عنه الضرر فهو يدعو في حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أوقاعدا لا يقدر على القيام أوقاعاً لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضرره) أرلنا ما به (متر كان لم يدعنا الى ضرر مسه) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو متر ٢٨٣ عن موقف الابتال والتضرع

لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا تخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للسرفين) للمجاورين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعاملون) من الاعراض عن الذكروا اتباع الكفر (ولقد أهلكا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظلموا لا أهلكا والواو في (وجاءتهم رسالهم) للحال أي ظلموا بالكذب وقد جاءتهم رسالهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا يؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا أو اعتراض واللام لتأكيد النفي يعني ان السبب في اهلاكم تكذيبهم للرسول وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان أرلوا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي القوم الجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم

أولعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقرب به اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل (واذا أمس الانسان الضر) أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا لجنبه) أي على جنبه مضطجعا (أوقاعدا أوقاعاً) يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن إحدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان الضرر ولا يزال داعي الى أن يتكشف ضرره سواء كان مضطجعا أوقاعدا أوقاعاً وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى اذا أمس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضرره) يعني فلما أرلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعنا عنه (مر) يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر (كان لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضرر مسه) والمعنى انه استمر على حاله الاولى قبل أن يحسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للسرفين ما كانوا يعاملون) يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للسرفين والمزني هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزني هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمي الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحار والسواحب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جرير في قوله كذلك زين للسرفين ما كانوا يعاملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين لكم أعمالكم كذلك زين للسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم ويمان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا أمس الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع اوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من ههنا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع احواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جميع أفعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم ان الله ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكا القرون من قبلكم) يعني أهلكا الامم الماضية من قبلكم بخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعني لما أشركوا (وجاءتهم رسالهم بالبينات) يعني فكذبوهم (وما كانوا يؤمنوا) يعني هذه الامم برسالهم ويصدقوهم عما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزي القوم الجرمين) يعني كما أهلكا الامم الخالية لما كذبوا رسالهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعني خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم والنظر ههنا بمعنى العلم يريد لنتجرب أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله سبحانه وتعالى اظهار العدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب

خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي أهلكناها (لننظر كيف تعملون) أي لننظر أتعلمون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصيب يعملون لا ننظر لان معنى الاستفهام فيه منع ان يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظور منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاعتراض بماضيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون

(واذ انتلي عليهم آياتنا بينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (انت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظنا من ذلك تتبعك (أو بدله) بان تجعل مكان آية عذاب آية راحة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فأمر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية راحة وأن يسقط ذكر الالهة بقوله (قل ما يكون لي ما يحمل) (أن أبدله من تلقاء نفسي) ٢٨٤ من قبل نفسي (ان أتبع الامايوحى الى) (لا أتبع الاوحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل

لان الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله) (اني أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة وأما الايتان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذ لا ولا لا يحتمل أن يريدوا بقوله انت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل فلاختيار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجو منه أو لا يهلكه فيسخر وانه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتحييالا فترأته على الله (قل لو شاء الله ما تلونه عليكم) يعني ان تلاوته ليست الا عبثية الله واطهاره أمره بعبثها خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا نصيا يغلب كل كلام

العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليهلوكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدى والرازي (م) عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حاولة خضرة وان الله مستخلف فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء قوله سبحانه وتعالى (واذ انتلي عليهم آياتنا بينات) يعني واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذي أنزلناه اليك يا محمد بينات يعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكر للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (انت بقرآن غير هذا أو بدله) قال قتادة قال ذلك مشرك ومكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاصم بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأنت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية راحة ومكان حرام حلالا ومكان حلالا حراما قال الامام غير الدين الرازى اعلم أن اقدام الكفار على هذا الالتماس يتحمل وجهين أحدهما أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قو لهم لو جئنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لا متباك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثاني أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله انت بقرآن غير هذا أو بدله يتحمل ان يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو أن يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء (ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) يعنى ان هذ الذي طلبتموه من التبديل ليس الى وما ينبغي لي أن أغير من قبل نفسي ولم أو مر به (أن أتبع الامايوحى الى) يعنى فيما أمركم به أو أنها لم عنه وما أخبركم الامايخبرني الله به وان الذي أتيتكم به هو من عند الله لا من عندي (اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أي قل لهم يا محمد اني أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيبت أحكام كتابه أو بدله لانه فعصيته بذلك أن يعذبني بعذاب عظيم في يوم تدهل كل مرضعة عما أرضعت قوله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلونه عليكم) يعنى لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) يعنى فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم أتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أربعون سنة ثم بعد الاربعين جاءهم هذا الكتاب العظيم المشتمل على نقائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الاحكام والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز المبلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم نافي يعلم ان هذا لم يحصل الاوحى من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعنى ان هذا القرآن من عند الله أو جاء الى لا من قبل نفسي (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله

فصيحو ويعلم على كل منشور ومنظوم مشحون بالعلوم الاصول والفروع والخبار عن الغيوب التي لا يعلمها الا الله (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أي فقد ألفت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيا شيئا من نعمه ولا قدرته عليه ولا كنت موصوفا به ولم يبين قنتموني باخترعه (أفلا تعقلون) فاعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قوله انت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه

صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر الى المدينة
 فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقام بمكة ثلاث
 عشرة سنة يوحى اليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس
 عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وأربع سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرة
 وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة أخرجاه في الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجاه في الصحيحين (م) عن أنس قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن
 أبي عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس
 بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل
 أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرة وتوفاه الله على
 رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرة وشنبرة بيضاء أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين
 النووي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها أنه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة
 والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أحكمها وأشهرها رواها مسلم من حديث
 أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على أن أحكمها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقي عليه فرواية ستين
 سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصلت فيها اشتباه قوله يسمع
 الصوت يعني صوت المصائب من الملائكة ويرى الضوء يعني ضوء الملائكة أو نور آيات الله حتى رأى الملك
 بعينه وشافه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الحص
 وهو كبريه المنظر وروى بما توهم الناظر أنه برص والمراد أنه كان أزهر اللون بين البياض والحمرة قوله عز وجل
 (فن أظلم من افترى على الله كذبا) يعني فزعم أن له شريكا وولدا والمعنى اني لم أفتر على الله كذبا ولم أكذب عليه
 في قولي ان هذا القرآن من عند الله وأنتم قد افتريت على الله الكذب فزعمتم أن له شريكا وولدا والله تعالى متزه
 عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني
 من حيث اني افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى وجب أن يقال ليس أحد في الدنيا
 أجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته
 وهو قوله تعالى (أو كذب بآياته) يعني بخدبكم القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد (انه لا يفلح
 الجرمون) يعني المشركين وهذا وعيد وتأكيدهما سبق (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم)
 يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوا وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها والانها
 بخارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الا لعن يضر وينفع ويحيي ويميت
 وهذه الاصنام جاد وخجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند
 الله) قال أهل المعاني توهموا أن عبادتهم أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه وقالوا السباأ هل أن نعبد الله ولكن
 نشتمل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شفاعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم
 الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما أنهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن
 جريج عن ابن عباس والثاني أنها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاصيهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون
 بعذاب الموت (قل) أي قل لهم يا محمد (أتنبئون الله عما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يعني أنخبرون الله ان
 له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الازام والمقصود في علم الله
 بذلك الشفييع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلم الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون
 موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا أراد في شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني
 مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن

(فن أظلم من افترى على الله
 كذبا) يتحمل أن يريد افتراء
 المشركين على الله في أنه ذو
 شريك وذو ولد وان يكون
 تقاديا بما أضافوه اليه من
 الافتراء (أو كذب بآياته)
 بالقرآن فيه بيان ان الكاذب
 على الله والكذب بآياته في
 الكفر سواء (انه لا يفلح
 الجرمون ويعبدون من
 دون الله مالا يضرهم) ان
 تركوا عبادتها (ولا ينفعهم)
 ان عبدوها (ويقولون
 هؤلاء) أي الاصنام (شفعاؤنا
 عند الله) أي في أمر الدنيا
 ومعيشة الانهم كانوا لا يقررون
 بالبعث وأقسموا بالله جهد
 أعينهم لا يبعث الله من
 يموت أو يوم القيامة ان يكن
 بعث ونشور (قل) أتنبئون
 الله عما لا يعلم) أنخبرونه بكونهم
 شفعا عند الله وهو انباء بما
 ليس بمعلوم لله واذ لم يكن
 معلوما له وهو عالم بجميع
 المعلومات لم يكن شيئا وقوله
 (في السموات ولا في الارض)
 تأكيده لنتيقه لان ما لم يوجد
 فيه ما فهو معدوم (سبحانه
 وتعالى عما يشركون) نزه
 ذاته عن أن يكون له شريك
 وبالتاء حمزة وعلى وما موصولة
 أو مصدرية أي عن الشركاء
 الذين تشركونهم به أو عن
 أشراكهم

(وما كان الناس الأمة واحدة) ٤٨٦ خففاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل

الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك في السموات والارض ولا يعلمه قوله سبحانه وتعالى
(وما كان الناس الأمة واحدة فاختلّفوا) يعني ففترقوا إلى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق
وهو دين الاسلام ويدل على ذلك أن آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام إلى أن قتل قابيل هابيل
ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك إلى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين
الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد
ابراهيم الخليل عليه السلام إلى أن غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان
الناس الأمة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس أمة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن
جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وتقديره أنه لا مطمع في أن يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا أولا على الكفر وانما أسلم بعضهم فبقية
تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس أمة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا من إيمان
أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في أول الخلق على النظرة السليمة الصحيحة ثم
اختلفوا في الأديان واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو
ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك)
يعني أنه سبحانه وتعالى جعل لكل أمة أجلا وقضى بذلك في سابق الأزمان قال الكلبي هي امهال هذه الأمة وأنه
لا يهلكهم بالعذاب (لقد قضى بينهم) يعني ينزل العذاب وتجهيل العقوبة للكافرين وكان ذلك فصلا بينهم فيما
فيه يختلفون وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضى في حكمه الله أنه لا يقضى عليهم فيما
اختلفوا فيه بالشواب والعقاب دون يوم القيامة لقد قضى بينهم في الدنيا فأدخل المؤمنين الجنة بإيمانهم وأدخل
الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله
لا يؤخذ أحد الا بعد إقامة الحجّة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رجتي سبقت غضبي
ولولا رجتي لجعل لهم العقوبة في الدنيا ولكن أخرهم رجته إلى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه
يختلفون يعني في الدنيا (ويقولون) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا نزل على محمد ما نقرحه
عليه من الآيات (فقل) أي فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعني ان الذي سألتونه هو من الغيب وانما
الغيب لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزل الآية الا هو (فانتظروا) يعني نزولها (إني معكم
من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا بظهار الحق على البطل إني معكم من المنتظرين قوله
عز وجل (واذا أذقنا الناس رجعة) يعني رضاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعني من بعد شدّة وبلاء وضيق في
العيش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى
هلكوا من الجوع والقمط ثم ان الله سبحانه وتعالى رخصهم فأمرهم فأنزل عليهم المطر الكثير حتى أخضبت البلاد
وعاش الناس بعد ذلك الضرف فلم تغضبوا بذلك بل رجعوا إلى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى
(اذلهم مكر في آياتنا) قال مجاهد أي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذارزق الله انما
يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنار رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل
تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا
بفضل الله ورجته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن
بالكواكب أخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمى المطر
سماء لأنه يقطر من السماء والأنواع عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في
الجاهلية أنه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المخضمون أيضا فن العرب من يجعل ذلك التأني

قابيل هابيل أو بعد الطوفان
حين لم يذر الله من الكافرين
ديارا (فاختلفوا) فصاروا
مللا (ولولا كلمة سبقت من
ربك) وهو تأخير الحكم بينهم
إلى يوم القيامة (لقد قضى بينهم)
عاجلا (فيما فيه يختلفون)
فيما اختلفوا فيه وللميزان الحق
من البطل وسبق كلمته
الحكمة وهي ان هذه الدار
دار تكليف وتلك الدار دار
ثواب وعقاب (ويقولون لولا
أنزل عليه آية من ربه) أي آية
من الآيات التي اقترحوها
(فقل انما الغيب لله) أي هو
المتخص بعلم الغيب فهو العالم
بالصارف عن أنزال الآيات
المقترحة لا غير (فانتظروا)
نزل ما اقترحوه (إني معكم
من المنتظرين) لما فعل الله
بكم لعنادكم وبحودكم الآيات
(واذا أذقنا الناس) أهل مكة
(رجعة) خصبا واسعة (من بعد
ضراء مستهم) يعني القحط
والجوع (اذلهم مكر في آياتنا)
أي مكر وابتداء دفعها
وانكارها روى انه تعالى سلط
القحط سبع سنين على أهل
مكة حتى كادوا يهلكوا
ثم رخصهم بالحيا فلما رخصهم
طفقوا يظعنون في آيات الله
ويعادون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويكيدونه فاذا
الاولى للشرط والثانية
جوابها وهي للمعاجزة وهو
كقوله وان تصبهم سيئة بما
قدمت أيديهم اذاهم

(قل الله أسرع مكرًا) ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة دللت على ذلك كأنه قال واذا رجعناهم من بعد ضراء فاجأ وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعني الحقظة ٢٨٧ (يكتبون ما تذكرون) اعلام بان ما تظنون مخافيا

لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وباليأسهل (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار أو يخلق فيكم السير ينشركم شامى (حتى اذا كنتم في الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) عن فهارجوع من الخطاب الى الغيبة للبالغة (بريح طيبة) لينة المبوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوها) بتلك الريح ليدنها واستقامتها (جاءتها) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أى شديدة المبوب (وجاءهم الموج) هو ماء على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالحي مثل لافي الالهلاك (دعوا الله لخلصن له الدين) من غير اشرار به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاحوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتكم مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل السكون في الفلك غاية للتيسير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية

للطالع لانه ناء أى ظهر وطالع ومنهم من ينسبه للغارب فتفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرّمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكثرة نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكر لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاصد (قل الله أسرع مكرًا) أى قل لهم يا محمد الله أعجل عقوبة وأشدّ أخذًا وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم أسرع اليكم مما يأتى منكم في دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما تذكرون) يعني الحقظة المرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يقتضوا بها ويجزون على مكرهم قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يعني هو الله الذي يسيركم يعني يحملك في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا للعاش أو هو المهيء لكم أسباب السير في البر والبحر (حتى اذا كنتم في الفلك) يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء فقل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجرين بهم) يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر غيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتعجب وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام الخطاب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوها) يعني وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للقصد وحصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك (جاءتها ريح عاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فأقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عاصفت الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديد كر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلام من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعني وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحرق وقيل المراد من الظن اليقين أى وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدون منه والاشراف عليه (دعوا الله لخلصن له الدين) يعني انهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجم من جميع الشدة اندو والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضرو بلا أخلصوا الله الدعاء (لئن أنجيتنا) أى قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه الشدة التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والمواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعني فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) يعني انهم أخلقوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما مجود وهو مجاوزة العدل

الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن بالهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءهم اذ دعوا ايدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم بالهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض) يفسدون فيها (بغير الحق) باطلا أي مبطلين

(يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم) أي ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن آساء فعليا (متاع الحيوة الدنيا) حفص أي تمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بليغكم غيره بالرفع على انه خبر بليغكم وعلى أنفسكم صلتة كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيتكم على أمثالكم أو هو خبر ومتاع خبر بعد خبر ٢٨٨ أو متاع خبر مبتدأ مضمرة أي هو متاع الحياة الدنيا وفي الحديث أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأجمل الشر عقابا البغي

والعبد الناجية وروى ثنتان يعالها الله في الدنيا البغي وعق ووق والوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لذلك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والتكث والمكر قال الله تعالى انما بغيتكم على أنفسكم ولا ينجيكم من المكث السيئ إلا بأهلكه ومن تكث فأنما يفتك على نفسه (ثم انما فرجكم ففتنكم بما كنتم تعملون) ففتنكم بركم به ونجارتكم عليه (انما مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من السماء) من السماء (فاختلط به) بالماء (نبات الارض) أي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (نما يأكل الناس) يعني الحبوب والثمار والبقول (والانعام) يعني الحشيش (حتى اذا أخذت زينة النبات واختلط لاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغم التاء في الزاي وهو كلام فصيح جعلت الارض أخذت زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتمتها

الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت مامعنى قوله بغير الحق والبغى لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة (يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم) يعني ان وبال بغيركم راجع عليكم (متاع الحيوة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزيد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم لا يتبها أن يغنى بعضكم على بعض الأيام قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضاءها والبغى من مكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لذلك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يمثل به فقال يا صاحب البغي ان البغي مصرعة * فارجع فخير مقال المرء أعدله فلو بغى جبيل يوما على جبيل * لاندك منه أعاليه وأسفله وقوله سبحانه وتعالى (ثم انما امرجكم) يعني يوم القيامة (فتنبئكم) أي فتنكم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فتجازيكم عليها قوله عز وجل (انما مثل الحيوة الدنيا) يعني في فنائها وزوالها كما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به) أي بالمطر (نبات الارض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (نما يأكل الناس) يعني من الحبوب والثمار (والانعام) يعني وعمايا كل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) يعني حسنها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وتزينت (وظن أهلها) يعني أهل تلك الارض (أنهم قادرون عليها) يعني على جدادها وقطافها وحصادها والكتابة الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة (أنها أمرنا) أي فضاونا بهلاكها (ليلا أو نهارا) يعني في الليل أو النهار (فجعلناها حصيدا) يعني محصودة مقطوعة (كأن لم تغن بالامس) يعني كأن لم تكن تلك الأشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غنى فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للشيئين بالدنيا الرغبين في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النبات في أول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسب كال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كل حسن الشيء وجعلت الارض أخذت زخرفها على التشبيه بالعروس اذ لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها او بما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الارض صاعقة أو بردا أو ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تكن من قبل قال قتادة ان المثلث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان التمسك بالدنيا اذا نال منها بغيتها أتاه الموت بغتة ففسدها ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن يكر العباد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسنى الى الغاية القصوى أتته آفة قتلته بالكمية ثم ان الله سبحانه

وتعالى وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الارض (أنهم قادرون عليها) أنهم قادرون على حياضها وتزينتها (ثم انما امرجكم) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم انه قد سلم (ليلا أو نهارا) فجعلناها زرعها (حصيدا) شبهها بحصيد من الزرع في قطعه واستصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث حذف المضارع في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى (بالامس) وهو مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا

(كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضها وانقراض
 نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهايبه خطا ما بعد ما التفت وتكاثر وزين الارض بخضرتها ورفيقته والتنبية على حكمة التشبيه
 ان الحياة صفوها شبيها وكدرها شبيها كما أن صفوها الماء في أعلى الاناء قال ألم تر أن العمر كاس سلافة * فأولوه صفوها وآخره كدر
 وحقيقته تزيين جنة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلويح فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين
 الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وجيوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة ٢٤٩ والحيثية تخرج خلاف الخلف وبغمام

الانم وشوك الشرك وشيح
 الشح وحطب العطب ولعاع
 اللعب ثم يدعو معاده كما
 يحين للحرث حصاده فتزايه
 الحياة مغترا كما يهيج النبات
 مصفرا فتغيب جنته في
 الرمس كأن لم تغن بالامس
 الى أن يعود ربيع البعث
 وموعده العرض والبحث
 وكذلك حال الدنيا كالماء
 ينفع قليله ويهلك كثيره ولا
 يدمن ترك ما زاد كالا يدمن
 أخذ الزاد وأخذ المال لا يتجاوز
 من زلة كان خائض الماء
 لا ينجو من بلة وجمعه
 وامساكه تلف صاحبه
 واهلاكه فسادون النصاب
 بضضاح ماء يجاوز بلا
 احماء والنصاب كنه رائل
 بين المجتاز والجواز الى المفاز
 لا يمكن الا بقنطرة وهي
 الزكاة وعمارته باذل الصلوات
 فتختل القنطرة
 غرقته أمواج القناطر
 المقنطرة وعن هذا قال
 عليه السلام الزكاة قنطرة
 الاسلام وكذا المال يساعد
 الاوغاد دون الاتحاد كما ان
 المال يجتمع في الوهاد دون
 التباد وكذلك المال لا يجتمع

وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة
 ذلك النبات بعد التلف كان قادر على اعادة الاموات احياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع
 ويعاقب العاصي (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يعني كما ينالكم مثل الحياة الدنيا وعزفنا كم
 حكمها كذلك نبين حجبنا وأدلتنا ان تفكروا واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لوال الشك والشبهة من القلوب
 قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة دعا
 الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل
 ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى يوصف
 بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخلص
 العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها
 فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار
 السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه
 على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
 خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيمًا وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في
 آيات كثيرة من كتابه (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراطه
 المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا اظهار الحججة وخص بالدعوة ثانيا الاستغناء عن الخلق واطهارا
 للقدره فخصت المغيرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم
 فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العيين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا
 مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم
 يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها يفتقها فان العيين نائمة والقلب يقظان فقال
 بعضهم الدار الجنة والداعي محمد فن أطيع محمد فقد أطيع الله ومن عصى محمد فقد عصى الله ويحمد فرق بين
 الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رأيت في المنام كأن جبريل عليه السلام
 عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا وعن النواس بن سمعان قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كفى الصراط دار ان لها أبوابا مفتحة
 على الابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء
 الى صراط مستقيم والابواب التي على كفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر
 والذي يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل (الذين أحسنوا
 الحسنى) قال ابن عباس الذين شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من
 خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تأنيث الاحسن
 والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوبة فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة

٣٧ خازن في الإبهكة البخيل كأن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يقف ويتف ولا يبقى كالماء في الكف
 (والله يدعو الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسمه تعظيما لها والاسلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل انفسوا السلام
 بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قبالا سلاما (ويهدي من يشاء) ويوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى الاسلام أو طريق السنة
 فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم الى دار السلام
 ولا يدخلها الا المهديون (الذين أحسنوا) آمنوا بالله ورسوله (الحسنى) المشروبة الحسنى وهي الجنة

(وزيادة) رؤية الرب عز وجل
كذا عن أبي بكر وحذيفة
وابن عباس وأبي موسى
الاشعري وعبادة بن
الصامت رضي الله عنهم
وفي بعض التفاسير يرجع
المفسرون على ان الزيادة
النظر الى الله تعالى وعن
صهيب أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل أهل
الجنة الجنة يقول الله تبارك
وتعالى أتريدون شيئاً أزيدكم
فيقولون ألم تبيض وجوهنا
ألم ندخلنا الجنة وتجننا
من النار قال فيرفع الحجاب
فينظرون الى الله تعالى فما
أعطوا شيئاً أحب اليهم من
النظر الى ربهم ثم تلا الذين
أحسنوا الحسنى وزيادة
والعجب من صاحب
الكشاف انه ذكر هذا
الحديث لابهذه العبارة
وقال انه حديث مدفوع
مع انه مدفوع قد أورده
صاحب المصابيح في الصحاح
وقيل الزيادة المحبة في قلوب
العباد وقيل الزيادة مغفرة
من الله ورضوان

الحسنى (وزيادة) اختلاف المفسرون في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الأول ان
الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق
وحذيفة وأبو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي
ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول فاروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا
ألم ندخلنا الجنة وتجننا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك
وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن
كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه
الله الكريم وعن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وعن أبي بكر الصديق رضي
الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن أبي موسى الاشعري قال اذا كان يوم
القيامة بعث الله الى أهل الجنة مفادياً ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما وعد الله لهم من
الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي
رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة ذكراً معه عن
عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيجيب
لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة
والزيادة هي النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دللت على ان المراد بهذه الزيادة هي النظر الى
وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت
الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة
الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمور ما غير الكل ما في الجنة من النعيم
والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب جعل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وبما يؤيد ذلك قوله
سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة فأثبت لاهل الجنة أمر من أحدهما النضارة وهو حسن
الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضاً
فوجب جعل الحسنى على الجنة ونعيمها وجل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز جعل
هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دللت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى متمتعة ولان الزيادة يجب
أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب
التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه
الاعتراضات بأن الدلائل العقلية قد دللت على امكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد في العقل
ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باتبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها
من غير تشبيه ولا احاطة وأجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه بأن المزيد
عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة بخلافه
فالمذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بمقدار معين فوجب ان الزيادة عليها تكون
شيئاً ما غير النعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على
غير الرؤية بأنه معارض بقول جماعة من المفسرين بأن الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم
القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن أبي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤ واحدة لها
أربعة أبواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبع مائة
قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا من يد يقول يحجزهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة

ولا يرهبني وجوههم - ولا ينشئ وجوههم (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هو ان والمعنى ولا يرهبهم ما يرهق أهل النار (وأولئك
أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا) عطف على الذين أحسنوا أي وللذين كسبوا (السيئات) ففوتوا الشريك (جزاء سيئة بمثلها) الباء
زائدة كقولهم جزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها (وترهبهم ذلة) ٢٥١ ذل وهو ان (ما لهم من الله) من عقابه
لا يعصم

(من عاصم) أى لا يعصمهم
أحد من سخطه وعقابه
(كأنما أغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلماً) أى
جعل عليها غطاء من سواد
الليل أى هم سود الوجوه
وقطعا جمع قطعة وهو مفعول
ثان لا أغشيت قطعا مكي
وعلى من قوله بقطع من
الليل وعلى هذه القراءة
مظلمة صفة لقطع وعلى
الأول حال من الليل والعامل
فيه أغشيت لأن من الليل
صفة لقطعا فإن كان أفضاؤه
إلى الموصوف كافضائه إلى
الصفة أو معنى الفعل فى
من الليل (أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون ويوم
نحشرهم) أى الكفار
وغيرهم (جميعاً) حال (ثم
نقول للذين أشركوا ما كانكم)
أى الزموا ما كانكم لا تبرحوا
حتى تنظروا ما يفعل بكم
(أنتم) أى كذب الضمير فى
مكانكم لستدهم تدقوله
الزموا (وشركاؤكم) عطف
عليه (فزينا) ففترقنا (بينهم)
وقطعنا أقرانهم - والوصل
التي كانت بينهم - فى الدنيا
(وقال شركاؤهم) من عبده
من دون الله من أولى العقل
أو الاضنام ينطقها الله عز
وجل (ما كنتم أبائنا عبدون)

فما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله أنداد انا اطعموهم وهو قوله يوم نحشرهم جميعا ثم نقول لللائكة أهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الحق (فكني بالشهيد ايمنوا بينكم) أى كفى الله شهيدا وهو تمييز (ان كننا عن عبادتكم لغافلين) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينهما وبين النافية

(هنالك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (مأسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أفعج أم حسن أنافع أضرار أم مقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت تتلو حجة وعلى أي تتبع مأسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو النار أو تقرر في حقيقة تمام ما قدمت من خيرا أو شركا عن الاخفص (وردوا إلى الله مولا هم الحق) ربههم الصادق في ربه يثبت لأنهم كانوا يتولون ما ليس ربه يثبت حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا (وعل عنهم ما كانوا يفعلون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله ٢٥٢ أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة (قل من يرزقكم من السماء)

بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والأبصار) من يستطيع خلقهم وما وتسويهم ما على الحد الذي سوي عليه من الفطرة العجيبة أو من يحكمهم ما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيها أدنى شيء (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي الحيوان والفرخ والزرع والنوم والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الأمر) ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فسيقولونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك في العبودية إذ اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله) أي من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه ما حقق النظر (فإذا بعد الحق) الا الضلال (أي لا واسطة بين الحق والضلال فن تخطي الحق وقع في الضلال) فأني تصرفون) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى

سبحانه وتعالى (هنالك تبلوا كل نفس مأسلفت) فهو كالتحمة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة إطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا قرأت قرئ بتساين ولهما معنيان أحدهما أنه من تلاه أو تبعه أي تتبع كل نفس مأسلفت لأن العمل هو الذي يهدي النفس إلى الثواب أو العقاب الثاني أن يكون من التلاوة والمعنى أن كل نفس تقرأ بحقيقة علمها من خيرا أو شر وقري تبلوا بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم والبوا الاختبار ومعناه اختبارها ما مأسلفت يعني أنه ان قدم خيرا أو شر أقدم عليه وجوزى به (وردوا إلى الله مولا هم الحق) الرتبة عبارة عن صرف الشيء إلى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا إلى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكمهم ومتولى أمرهم * فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فالفرق * قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فعني المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (ووصل عنهم ما كانوا يفعلون) يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات (أم من يملك السمع والأبصار) يعني ومن أعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب إلى الحقيقة (ومن يدبر الأمر) يعني ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعني انهم يعترفون ان فاعل هذه الاشياء هو الله وإذا كانوا يقررون بذلك (فقل) أي قل لهم يا محمد (أفلا تتقون) يعني أفلا تتخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور (فذلكم الله ربكم الحق) يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام (فإذا بعد الحق الا الضلال) يعني اذا ثبتت هذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ما سواه ضلالا وباطلا (فأني تصرفون) يعني اذا عرفتم هذا الأمر الظاهر الواضح فكيف تستخفرون العدول عن الحق إلى الضلال الباطل (كذلك) أي كما ثبت أنه ليس بعد الحق الا الضلال (حققت) أي وجبت (كلت ربك) في الازل (على الذين فسقوا) أي لا يؤمنون (قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدافع (قل هل من شركائكم) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها الالهة (من يبدأ الخلق) يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) أي ثم يعيده بعد الموت كهيئته أول مرة وهذا السؤال استهفاهم انكار (قل) أي قل أنت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعني أن الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فأني توفكون) يعني فأني

الشركاء كذلك) مثل ذلك الحق (حققت كلت ربك) كلمات شامى ومدنى أي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال أو كما تصرفون حق انهم مصر وفون عن الحق فكذلك حققت كلت ربك (على الذين فسقوا) فمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكرامة أي حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم غير كائن أو ارباب الكرامة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون بتعليل أي لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقترين بالعادة لانه لظهور برهانه جعل أمر اسما على ان فيهم من يقرر بالعادة أو يحتمل إعادة غير البشر كعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بأن ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلمهم عنهم (فأني توفكون) فكيف تصرفون

عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يرشد اليه (قل الله يهدي للحق أفن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي)
الان يهدي) يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شري بمعنى اشتري ومنه قراءة حمزة وعلى
أمن لا يهدي بمعنى يهدي لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش وباشمام ٢٥٣ الهاء فتحه أبو عمرو وبكسر الهاء

وقح الياء عامم غير محي
والاصل يهتدى وهو قراءة
عبد الله فأدغم التاء فى
الدال وفتح الهاء بحركة
التاء أو كسرت لالتقاء
الساكنين وبكسر الياء
والهاء وتشديد الدال يحى
لاتباع ما بعدهما وبسكون
الهاء وتشديد الدال مدنى
غير ورش والمعنى أن الله
وحده هو الذى يهدي للحق
بمبارك في المكافين من
العقول وأعطاهم من
التمكن للنظر فى الأدلة التى
نصها لهم وبما وفقهم
وألمهم وبما وفقهم على
الشرائع بارسال الرسل فهل
من شركائكم الذين جعلتم
أناد الله أحد يهدي الى
الحق مثل هداية الله ثم قال
أف يهدي الى الحق أحق
بالاتباع أم الذى لا يهدي أى
لا يهدي بنفسه أولا يهدي
غيره إلا أن يهديه الله وقبل
معناه أم من لا يهدي من
الآوان الى مكان فبذلك
اليه إلا أن يهدي إلا أن
ينقل أولا يهدي ولا يصح
منه الا هداية إلا أن ينقله
الله من حالة الى أن يجعله
حائطا قافيه به (فالكلم
كيف تحكمون) بالباطل
حيث تزعمون أنهم أناد الله

تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الأمر الواضح وعدلوا عنه
الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على
أن يرشد الى الحق فإذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى ان الله هو
الذى يرشد الى الحق لا غيره (أف يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي) يعنى ان الله هو
الذى يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا تهتدى إلا أن تهتدى * فان قلت الاصنام مجاد
لا تتصور هدايتها ولا أن تهتدى فكيف قال إلا أن يهدي * قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الأول
ان معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان
آخر إلا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى هذا عجز الاصنام الوجه الثانى ان ذكر الهداية فى حق الاصنام
على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به
عن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد
من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى
الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على
وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فيمكن
اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره وقوله سبحانه وتعالى (فالكلم كيف تحكمون) قال الزجاج
فالكلم كلام تام كانه قبل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال
تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بشما حكمتم
اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أكثرهم الا ظنا) يعنى وما يتبع أكثر
هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع
المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر رؤساء (ان الظن لا يغنى من
الحق شيئا) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة
وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئا (ان الله علم بما
يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين قوله تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من
دون الله) يعنى وما كان ينبغي لهذا القرآن ان يخلق ويقتل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس
وصف القرآن وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتي به البشر وذلك ان كفار مكة
زعموا ان محمد صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فأخبر الله عز
وجل ان هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى
ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن
مصدق لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقر بهذان محمد صلى الله عليه وسلم
كان أميالا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز
وفيه أخبار الأولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولولم
يكن كذلك لقد حوافيه لعداوة أهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه
من القصص والاعخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيه افتبت بذلك انه وحى من

(وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وانما اشتعاع عند الله والمراد بالاكثر الجميع (الظنا) بغير دليل وهو افتداهم باسلافهم ظنا
منهم انهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيئا) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله علم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك
الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو امره وإعجازه
مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة

(وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لا ريب فيه من رب العالمين) داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكنه كان تصديقاً وتفصيلاً من تفصيلائه الريب كانه من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كرم (أم يقولون افتراء) بل يقولون اختلقه (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأقول) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي شبهة به في البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلي في العربية ٢٥٤ (وادعوهم من دون الله) أي وادعوهم من دون الله من استطعتم من خلقه

للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراء (بل كذبوا عالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدية السماع قبل أن يتفهوه ويعلموا كنه امره وقبل أن يتدبروه ويفقهوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آباءهم ومعنى التوقع في ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البدية قبل التدبر ومعرفة التأويل ثقيلة جداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تردا وعناداً فذمهم بالنسج الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكامة التوقع لاثون انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كثر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا بحجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسداً (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلاهم قبل النظر في معجزاتهم

الله أنزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزته صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكنه تصديق الذي بين يديه يعني من اخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر (وتفصيل الكتاب) يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لا ريب فيه من رب العالمين) يعني ان هذا القرآن لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراء) يعني أم يقول هؤلاء المشركون افتري محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم يعني الواو أي ويقولون افتراء (قل) أي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قلتم قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أمياً لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان معجزاً في نفسه فقبل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني مع انسان أمي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أي فأتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدر واعليه وهو المراد من قوله (وادعوهم من استطعتم من دون الله) يعني وادعوهم للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم ان محمد افتراء ثم قل تعالى (بل كذبوا عالم يحيطوا بعلمه) يعني القرآن أي كذبوا عالم يعلمه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا عا في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها عالم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها والجهلهم فردد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا عالم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها (ولما يأتهم تأويله) يعني انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموا تنزيلاً ولا علموه تأويله فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وتأويله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك فقيه تسلمة للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به) يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لم الله السابق فيه انه لا يؤمن (وربك أعلم بالمفسدين) يعني الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعني وان كذبك قومك يا محمد (فقل) أي فقل لهم (لي عملي)

وقيل تدبرها عناداً وتقليداً للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمها ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمها وبلوغها حد الاعجاز وقبل ان يجربوا الاخبار بالمعجزات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) ومنهم من يؤمن به) بالنبي أو بالقرآن أي يصدق به في نفسه ويدعم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيبصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندن أو المصيرين (وان كذبوك) وان عوا على تكذيبك ويشتت من اجابتهم (فقل لي عملي) جزء عملي

(ولم علمكم) جزء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعملة (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم من يستمعون اليك (ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم) أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أتطمع أنك تقدر على سماع الصم ولو انضم إليهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوى الصوت فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الأمر (ومنهم من ينظرون اليك) ومنهم من ينظرون اليك ويعانيون أدلة الصدق ٢٥٥ وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون

(أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) أنت حسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم إليهم فقد البصر فقد البصيرة لأن العمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدد وأما العمى مع الحق فهدى البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا يقول لهم ولا بصائر (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ولكن الناس حمزة وعلى أي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا وجاهدوا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالإحفاص (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) استقصروا مدة أبنهم في الدنيا وفي قبورهم لم يحول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم كأن لم يلبثوا حال من أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة وكان مخففة من الثقلية واسمهم المحذوف أي كأنهم ويتعارفون بينهم

يعني الطاعة وجزاءها (ولم علمكم) يعني الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) قيل المراد منه الرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام نضر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا للحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا لقوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفأنت تسمع الصم) يعني كأنك لا تقدر على سماع الصم فكذلك لا تقدر على سماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعني أن الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجاهل الذي لا يتفقهوا بما لم يسمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظرون اليك) يعني بأبصارهم الظاهرة (أفأنت تهدي العمى) يريد عمى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لأن الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنك لا تقدر أن تسمع من سلمته السمع ولا تقدر أن تهدي من سلمته البصر ولا تقدر أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلاما منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم) يعني واذكر يا محمد يوم تجتمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار والوجه الأول لأن حال المؤمنين والكافرين سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور إلى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يخص بحال الكافر وهو أنهم لما لم يتفقهوا بأعمارهم في الدنيا استقلوا بها والمؤمن لما انتفع بجمعه في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا أنهم لما ضيعوا أعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فذلك استقلوا به وقيل أنهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعني يعرف بعضهم بعضا إذا خرجوا من قبورهم كأنوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم إذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار أن الإنسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هيبه وخشية وقيل أن أحوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لمول ما يعاينون في ذلك اليوم (قد خسروا الذين كذبوا بآلاء الله) يعني أن من باع آخرته بالقبض بدينار الفانية قد خسروا لأنه أثر الفاني على الباقي (وما كانوا مهتدين) يعني إلى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (وما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذلك (أو نتوفينك) قيل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فاليوم نجمعهم) يعني في الآخرة

حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم (قد خسروا الذين كذبوا بآلاء الله) على آراء القول أي يتعارفون بينهم فأنين ذلك أو هي شهادة من الله على خسارتهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التجهب كأنه قيل ما أخسرهم (وما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب (أو نتوفينك) قيل عذابهم (فاليوم نجمعهم) جواب نتوفينك وجواب نريك المحذوف أي وما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذلك (أو نتوفينك) قيل أن نريك فحين نريك في الآخرة

(ثم الله شهيد على ما يفعلون) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كما أنه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو (ولكل آفة رسول) يبعث اليهم لينبئهم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء رسوله) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأبجى الرسول وعذب المكذبين أو لكل آفة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعي به فاذا جاء رسوله الموفق ليشهد عليهم ٢٥٦ بالكفر والايان قضى بينهم بالقسط (وهم لا يظلمون) لا يعذب أحد بغير ذنبه ولما قال وأما نزل

وفيه دليل على ان الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلمهم وخيرهم في حال حياته في الدنيا وقد أورد ذلك في يوم بدر وغيره من الأيام وسيره ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل (ولكل آفة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل آفة يعني قد خلت وقد قدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايان به (فاذا جاء رسوله) في هذا الكلام اخبرنا تقديره فاذا جاءهم رسوله بلغهم ما أرسل به اليهم فكذبوه قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما انه في الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل آفة رسول لتبليغ الرسالة وإقامة الحجّة وإزالة العذر فاذا كذبوا رسوله وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسوله في الدنيا فلهذا الكافرين وينجي رسوله المؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلم لان قبل مجيئ الرسول لا يكون ثوبا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جاعل الأمم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمنين والكافرين والطائع والعاصي جى بالرسول ليشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) يعني هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعني فيما تعدونا به وانما قالوا باللفظ الجمع لان كل آفة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أي قل لهم يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) يعني لا أملك لنفسي دفع ضرا أو جلب نفع ولا أقدر على ذلك (الامشاء الله) يعني أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واطهار النضر للاباء وعلم قيام الساعة لا يدور عليه الا الله فتعين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل آفة أجل) أي مدة مضرورة ووقت معين (اذا جاء أجلهم) يعني اذا انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذي أجل لهم ولا يتقدمونه (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك (أرايت ان أنا كم عذابا بيانا) يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فحمل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أونهارا) يعني في النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعني ما الذي يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني أي شيء يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل غيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جئت على نفسك (أنتم اذا ما وقع) يعني اذا ما نزل العذاب ووقع (آمنتم به) لا

بعض الذي نعدهم أي من العذاب استجملوا ما وعدوا من العذاب تزل (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من محبة أو غنى (الامشاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كأن فكيف أملككم الضر وجلب العذاب (لكل آفة أجل) اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (لكل آفة وقت معلوم) العذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستجملوا (قل أرايت ان أنا كم عذابا) الذي تستجملونه (بيانا) نصب على الظرف أي وقت بيان وهو الليل وأنتم ساهون تأخرون لا تشعرون (أونهارا) وأنتم مستعجلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أي من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكره موجب للنفور فأى شيء تستجملون

منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال والاستفهام في ما يتعلق بأرايت ان المعنى أخبرني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا الى الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أرادت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا أنطعنني ثم تتعلق الجملة بأرايت أو (أنتم اذا ما وقع) العذاب (آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان أنا كم عذابا آمنتم به بعد وقوعه حين لا يتفهم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كنه خوله على الواو والفاء في أفأمن أهل القرى أو أمن أهل القرى

(آلآن) على ارادة القول أى قبل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) أى بالعذاب تكذبوا واستهزأوا
 آلآن يحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ذوقوا عذاب الخلد) أى
 الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبئونك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو الله استفهام
 على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل يا محمد (أى وربي) نعم والله (انه لحق) ٢٩٧ ان العذاب كان لا محالة) وما أنتم

بمعجزين بقائتين العذاب
 وهو لا حق بكم لا محالة
 (ولو أن لكل نفس ظلمت)
 كفرت وأشركت وهو
 صفة لنفس أى ولو أن لكل
 نفس ظالمة (مافى الارض)
 فى الدنيا اليوم من خرائنها
 وأموالها (لافتدت به)
 لجعلته فدية لها يقال فداءه
 فافتدى ويقال افتداه أيضا
 بمعنى فداءه (وأسر والندامة)
 لما روا العذاب وأظهروها
 من قولهم أسر الشئ اذا
 أظهره وأخفوها عجزا
 عن النطق لشدة الامر
 فأسر من الاضداد (وقضى
 بينهم بالقسط) بين الظالمين
 والمظلومين دل على ذلك
 ذكر الظلم (وهم لا يظلمون)
 ثم اتبع ذلك الاعلام بأن
 له الملك كله بقوله (آلآن لله
 مافى السموات والارض)
 فكيف يقبل الفداء وأنه
 المنيب المعاقب وما وعد به
 من الثواب أو العقاب فهو
 حق لقوله (آلآن وعد الله)
 بالثواب أو بالعذاب (حق)
 كان (ولكن أكثرهم
 لا يعلمون هو يحيى ويميت)
 هو القادر على الاحياء
 والاماتة لا يقدر عليهم ما

بمعنى آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت
 همزة الاستفهام على ثم التوبيخ والتقريع (آلآن) فيه اضممار تقديره يقال لهم آلآن تؤمنون أى حين
 وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى تكذبوا واستهزأوا (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بسبب
 شركهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الاعمال
 قوله سبحانه وتعالى (ويستنبئونك أحق هو) يعنى ويستخبرونك يا محمد أحق ما تعدى مدنا به من نزول العذاب
 وقام الساعة (قل اى وربي) أى قل لهم يا محمد نعم وربي (انه لحق) يعنى ان الذى أعدكم به حق لا شك فيه (وما
 أنتم بمعجزين) يعنى بقائتين من العذاب لان من معجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) يعنى أشركت
 (مافى الارض) يعنى من شئ (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والا فتد اعجمى البذل لما ينجو به من العذاب الا
 انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسر والندامة) يعنى يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضى والقيامة من
 الامور المستقبلية لان أحوال يوم القيامة ما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسرار
 يكون بمعنى الاخفاء ومعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا فى قوله وأسروا الندامة فقال أبو
 عبيدة معنائه وأظهرها والندامة لان ذلك اليوم ليس يوم نصبر ونصنع وقيل معناه أخفوا يعنى أخفى
 الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعميرهم لهم (لما روا والعذاب) يعنى حين
 عابنوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين
 الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لا احتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للظالم من الظالم وهو قوله
 سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بأن يخفف من عذاب المظلوم ويشدد فى عذاب
 الظالم (آلآن لله مافى السموات والارض) يعنى ان كل شئ فى السموات والارض لله ملك لا يشركه فيه غيره
 فليس للكافر شئ يقدر به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو أيضا ملك لله فكيف يقدر
 من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه (آلآن وعد الله حق) يعنى ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من
 ثواب الطائع وعقاب العاصى حق لا شك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى حقيقة ذلك (هو يحيى
 ويميت) يعنى الذى يملك مافى السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شئ مما أراد (والله
 ترجعون) يعنى بعد الموت للجزاء قوله عز وجل (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس
 قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعنى القرآن
 والوعظ جزم مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعوا الى
 الصلاح بطريق الرغبة والرغبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح به هذا الطريق (وشفاء مافى الصدور)
 يعنى أن القرآن ذو شفاء مافى القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن
 وأمراض القلب هى الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه
 الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والتذكير والتذكير فهو الدواء
 والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع فى
 بدن الانسان مكان القلب فيه (وهدى) يعنى وهو هدى من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) يعنى ونعمة على

٣٨ خازن فى غيره (والله ترجعون) والى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة
 من ربكم) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التى تدعو الى كل مرغوب وترجع عن كل
 مرغوب فافى القرآن من الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرغوب اذا الامر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا
 وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا فى الهى (وشفاء مافى الصدور) أى صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدى) من الضلالة
 (ورحمة للمؤمنين) لمن آمن به منكم

(قل) يا محمد (بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين دلالة المذكور عليه والفاء داخلية بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ ٢٩٨ فليخصوها بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وها كتاب الله والاسلام

المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء في بفضل الله متعلقة بمضمرة استغنى عن ذكره دلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضل ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشقاء في الصدور وهو القرآن بافضل الله عليكم ورحمته بكم وادته الخير لكم ثم قال سبحانه وتعالى (فبذلك فليفرحوا) أشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشقاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا إشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدى الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر * فاذها لكت فغند ذلك فاجرعى * فالفاء في قوله فاجرعى زائدة وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين دلالة المذكور عليه والفاء داخلية بمعنى الشرط فكانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوها بالفرح فانه لا مفرح به أحق منهما والفرح لذة في القلب بادرالك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح في الذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليقفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أى ما آتاهم الله من المواعظ وشقاء الصدور وثب اليقين بالآيمان وسكون النفس اليه (هو خير مما يجمعون) يعنى من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية وأما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا افضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من أهلها وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعاقق بحذف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (قل) أى قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) يعنى من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء (فجعلتم منه) يعنى من ذلك الرزق (حراما وحلالا) يعنى ما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا الله محمداً من الحرث والانعام نصيباً (قل الله أذن لكم) يعنى قل لهم يا محمد الله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعنى بل أنتم كاذبون على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعنى اذ القوه يوم القيامة أيحسبون انه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استهفام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم ان يفتري على الله الكذب (ان الله ذو فضل على الناس) يعنى بسبعته الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعنى لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله سبحانه وتعالى (وما تكون في شأن) وما تتلو امته من قرآن) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذى يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الأحوال والامور واجمع الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أى ما حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدراً اذا كان معناه القصد والذى في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعنى قصد

في الحديث من هذه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفاقة كتب الله الفقير بين عينيه الى يوم يلقاه وقدراً الآية (هو خير مما يجمعون) وبالتاء شامى فليفرحوا يعقوب (قل أرأيتم) اخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بأنزل أو بأرأيت أى اخبروني به (فجعلتم منه حراما وحلالا) فبعضموه وقتل هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا نعم الارزاق تخرج من الارض ولكن لمانطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذى به تنبت الارض النبات والشمس التى بها النضج وينع الثمار أضف انزالها الى السماء (قل الله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقيل تكرر للتوكيد والمعنى اخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه أو الهمة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أنفترون على الله تقرير للافتراء والاية زاجرة عن التجوز فيما يسئل

من الاحكام وابعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شئ جائز أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان والافهمو مفتري على الديان (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) ينسبون ذلك اليه (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أى أى شئ ظن المفتريين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أجهم أمره (ان الله ذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وما تكون في شأن) ما نافية والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وما تتلو امته) من التزليل كأنه قيل وما تتلو من التزليل (من قرآن)

الشيء وما تتلوه منه من قرآن اختلفوا في الضمير في منه الى ما اذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن
 شأن من شئون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شئونة فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى وما
 تكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل بل انما راجع الى القرآن لانه قد
 تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تتلوه من القرآن من قرآن
 يعنى من سورة وشئ منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله
 والمعنى وما تتلوه من القرآن نازل عليك وأما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم وأقمته داخلون فيه ومما ادون به لان من المعلوم انه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان
 القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع قد دل على
 انهم داخلون في الخطابين الاولين وقوله سبحانه وتعالى (الا كنا عليكم شهودا) يعنى شاهدين لاعمالكم وذلك
 لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لا محدث ولا خالق ولا موحد الا الله تعالى فكل
 ما يدخل في الوجود من أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه (اذ
 تفيضون فيه) يعنى ان الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتغوصون في ذلك العمل والافاضة
 الدخول في العمل على جهة الانتصاب اليه والانفساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه
 وتنبسطون في ذكره وقيل لافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال أفاض القوم في الحديث
 اذا انتشروا فيه (وما يعزب عن ربك) يعنى وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به
 وشاهد عليه وأصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيدا عن المطلوب (من مثقال ذرة) يعنى وزن
 ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحراء وهى خفيفة الوزن جدا (في الارض ولا في السماء) فان
 قلت لم تقدم ذكر الارض على السماء هنا وقد ذكر السماء على الارض في سورة سبا ما فائدة ذلك * قلت كان
 حق السماء ان تقدم على الارض كما في سورة سبا الا انه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادة على أهل الارض
 وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع
 لهذه الفائدة (ولا أصغر من ذلك) يعنى من الذرة (ولا أكبر) يعنى منها (الافى كتاب مبين) يعنى فى اللوح
 المحفوظ قوله سبحانه وتعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم اننا نحتاج أولا في تفسير
 هذه الآية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم
 فقال ابن عباس في هذه الآية هم الذين يذكروا الله لرويتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسل
 قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذاروا ذكرا لله وقال ابن زيد هم الذين
 آمنوا وكانوا يتقون ولن يقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روى عن
 عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لا ناسا ما هم بأنباء ولا شهداء يعبطهم
 الانبياء والشهداء يوم القيامة بكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على غير
 أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لم على نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا
 يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن
 أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالى
 اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالى لهم منابر من نور يعبطهم النبيون والشهداء أخرجه الترمذى وروى
 البغوى بسنده عن أبي مالك الأشعرى قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عبيد اليسوا بانباء
 ولا شهداء يعبطهم النبيون والشهداء بقرهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابى
 فحناء على ركبته ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا

لان كل جزء منه قرآن
 والاضمار قبل الذكر تقسيم
 له أو من الله عز وجل (ولا
 تعملون) أنتم جميعا (من عمل)
 أى عمل (الا كنا عليكم شهودا)
 شاهدين رقباء نحصى عليكم
 (اذ تفيضون فيه) تغوصون
 من أفاض في الامر اذا اندفع
 فيه (وما يعزب عن ربك) وما
 يبعد وما يغيب وبكسر الزاى
 على حيث كان (من مثقال
 ذرة) وزن غلة صغيرة (في
 الارض ولا في السماء) ولا
 أصغر من ذلك ولا أكبر
 رفعها حزة على الابتداء
 والخبر (الافى كتاب مبين)
 يعنى اللوح المحفوظ ونصبت
 غيره على في الجنس وقد تمت
 الارض على السماء هنا
 وفي سبا قدمت السموات لان
 العطف بالواو وحكمه حكم
 التثنية (ألا ان أولياء الله)
 هم الذين يتولونه بالطاعة
 ويتولاهم بالكرامة أو هم
 الذين تولى الله هدايتهم
 بالبرهان الذى آتاهم فتولوا
 القيام بحقه والرحمة خلقه
 أو هم المتحابون في الله على
 غير أرحام بينهم ولا أموال
 يتعاطونها أو هم المؤمنون
 المتقون بدليل الآية الثانية
 (لا خوف عليهم) اذا خاف
 الناس (ولا هم يحزنون)
 اذا حزن الناس

يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منار من أولوقدام الرحمن يفرع الناس ولا يترعون ويخاف الناس ولا يخافون و يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكربذكركم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يعبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلمنا نجهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحسد يمتنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي أن يمتنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مستغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالشئ على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفترع عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وانيه وناصره ومعينه قال الله تعالى الذين آمنوا وقال المشككون ولى الله من كان آتيا بالا اعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يبقى العبد بكل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شئ فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وانككاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شئ ولا يحزن على شئ لان مقام الولاية والمعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن وأما قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وانه صفة أولياء الله وقوله سبحانه وتعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألتني عنها أحد منكم فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي حديث حسن (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا اذا حمل هذه الحالة الالهة وذلك لان ولى الله هو الذي يكون مستغرق القلب فظاهرها النص يقتضى ان لا تحمل هذه الحالة الالهة وذلك لان ولى الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفة ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تقيد بالحق والصدق فاذا رأى الولي رؤيا أو رؤيا ورؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لاهم الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءا من أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم

(الذين آمنوا) منصوب
بأخبر راعنى أولانه صفة
لاولياء أو مرفوع على أنه
خبر مبتدأ محذوف أى هم
الذين آمنوا (وكانوا يتقون)
الشرك والمعاصي (لهم
البشرى في الحياة الدنيا)
ما بشر الله به المؤمنين المتقين
في غير موضع من كتابه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم هي
الرؤيا الصالحة يراها المسلم
أو ترى له وعنه عليه السلام
ذهبت النبوة وبقيت
المبشرات والرؤيا الصالحة
جزء من ستة وأربعين جزءا
من النبوة وهذا لان مدة
الوحى ثلاث وعشرون
سنة وكان في ستة أشهر
منها يوحى في النوم بالانذار
وسبعة أشهر من ثلاث
وعشرين سنة جزء من ستة
وأربعين جزءا وهي محبة
الناس له والذكر الحسن
أولهم البشرى عند النزاع
بأن يرى مكانه في الجنة
(وفي الآخرة) هي الجنة

(لا تبدل لكلمات الله)

لا نغير لا قوله ولا خلاف
لما عيده (ذلك) إشارة إلى
كونهم مبشرين في الدارين
(هو الفوز العظيم) وكلنا
الجلتين اعتراض ولا يجب ان
يقع بعد الاعتراض كلام كما
تقول فلان ينطق بالحق
والحق أبلغ وتسكت (ولا
يخزنك قولهم) تكذيبهم
وتهديدهم وتشاورهم في
تدبير هلاك وإبطال أمره
(أن العزة) استئناف بمعنى
التعليق كأنه قيل مالى
لا أذن فقول ان العزة (الله)
ان الغلبة والقهر في ملكه
لا عاك أحد شيأ منهم مالا هم
ولا غيرهم فهو يغلبهم
وينصرهم عليهم كتب الله
لا غاب أن أاورسلى ان النصر
رسلنا وأبه يتعزز كل عزيز
فهو يعزك ودينك وأهلك
والوقت لازم على قولهم لئلا
يصير ان العزة مقول الكفار
(جميعا) حال (هو السميع) لما
يقولون (العليم) بما يدرون
ويعززون عليه وهو مكافئهم
بذلك (ألا ان الله من في
السموات ومن في الارض)
يعنى العقلاء وهم الملائكة
والثقلان وخصهم ليؤمنوا ان
هؤلاء اذا كانوا في ملكه
ولا يصلح أحد منهم للربوبية
ولا أن يكون شريكا فيها
وإياهم مما لا يعقل أحق
أن لا يكون له ندا وشريكا
(وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء) مانافسة أى
وما يتبعون حقيقة الشركاء
ان كانوا يسمون شركاء لان
شركة الله في الربوبية محال

المهم في المقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لا أنها جزء من
النبوة وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة أقام النبي صلى الله عليه
وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهى جزء من
ستة وأربعين جزءا وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في جانب
النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر
بغيب أبدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لانه نبى واذا وقع ذلك لاحد
في المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هى الشئاء الحسن وفي
الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روى عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرايت الرجل يعمل
العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيى الدين النووي
قال العلماء معنى هذا البشرى المجهلة له بالخير وهى دليل للبشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشرى اليوم
جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المجهلة دليل على رضا الله عنه ومحبة له وتجيبة الى الخلق كما قال
ثم بوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حده الناس من غير تعرض منه لخدمهم والا فالتعرض مذموم قال
بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نور افيض من ذلك النور الذى في قلبه على
وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيجبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشرى محبة الله له ورضوانه
عليه وقال الزهري وقتاده في تفسير البشرى هى نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله
سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن
ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأتيمهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يعرج
به الى الله تعالى ويشرح برضوان الله تعالى وقال الحسن هى ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكرمه
وثابه ويدل عليه قوله تعالى (لا تبدل لكلمات الله) يعنى لا تخلف الوعد الذى وعد به أولياءه وأهل طاعته
في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعنى ما وعدهم به في الآخرة
(ولا يخزنك قولهم) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخزنك يا محمد دقوله هؤلاء المشركين لك
ولا يعمك تخويفهم أياك (ان العزة لله جميعا) يعنى ان القهر والغلبة والقدر لله جميعا هو المنفرد به دون
غيره وهو ناصرهم عليهم المنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال
سبحانه وتعالى في آية أخرى ولله العزة ورسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله إياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذى يعز من يشاء ويذل من
يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فآخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع
ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم به بد العز (هو السميع) لا قوالكم ودعائكم
(العليم) بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية قوله سبحانه وتعالى (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض)
ألا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل فهو مالك من في السموات
ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التى قبل هذه ألا ان الله مافى السموات بلفظة ما وقال
سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فافائدة ذلك * قلت ان لفظة ما تدل على ما لا يعقل ولفظة من تدل
على من يعقل فجميع الآيات تدل على أن الله عز وجل مالك جميع من في السموات ومن في الارض من
العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة
العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء أيضا وانما خصهم بالذكر لشر فهم واذا كان هؤلاء
العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا ثبت هذا فتكون
الاصنام التى يعبدونها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام
شركاء لله معبودة دونه (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظة ما استفهامية معناه أى شئ يتبع

(ان يتبعون الا الظن) الاظنههم انهم شركاء الله (وان هم الا يخترصون) يختررون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا واستفهامية أي وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب يبدعون وعلى الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فاقصر على أحدهما للدلالة والمخوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ثم نهى على عظيم قدرته وشمول ٣٠٢ نعمته على عباده بقوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي جعل لكم الليل مظلا لتسكنوا فيه من تعب

التردد في النهار (والنهار مبصرا) مضى الليل فيه (مطالب أرزاقكم ومكاسبكم) (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) (سماع مذكر معتبر) (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيهه عن اتخاذ الولد وتجهيب من كلمتهم الحقاء (هو الغني) (علة لنفي الولد) لانه اغناي طلب الولد ضعيف ليقوى به أو فقير ليستعين به أو دليل ليتشرف به والكل اماره الحاجة فن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منقيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعي أن يكون مركبا وكل مركب تمكن وكل يمكن يحتاج الى الغير فكان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له مافي السموات ومافي الارض) ملكولا تجتمع البتوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال

الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقييح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم يعبدونهم على انها شركاء الله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة له (وان هم الا يخترصون) يعني انهم الا يكذبون في دعواهم ذلك قوله عز وجل (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليلزول التعب والكلال بالسكون فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضى لئلا تتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معاشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار بما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير

لقد علمتنا يا أم غيلان في السرى * وغت وماليل المطى بنائم فأضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما غي لم يكن نائما هو ولا بعينه وهذا من باب نقل الاسم من السبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار يعني صار ذا ظلمة وذا ضياء قوله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبارا وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدة انية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغني) يعني انه سبحانه وتعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يلقى بجلاله اتخاذ الولد وانما يستدعي الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غني عنها (له مافي السموات ومافي الارض) يعني انه مالك مافي السموات ومافي الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرّفه وهو مخدّمهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقرّيع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) يعني أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقة وعلمته وتضعفون اليه ما لا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون غير حجة ولا برهان (قل ان الذين يقولون على الله الكذب) أي قل يا محمد هؤلاء الذين يخلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويرغمون ان له ولدا (لا يفلمون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يقوز بمطالبة بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني قوله لا يفلمون ثم ابتدأ فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضممار تقديره لهم متاع في الدنيا يمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم اليانصر جمعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخفف عليه ما يليق من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم

(أتقولون على الله ما لا تعلمون) قل ان الذين يقولون على الله الكذب (بإضافة الولد اليه) (لا يفلمون) لا يتجوز من النار ولا يقوزون بالجحيم (متاع في الدنيا) أي افتروا وهم هذا منة قليلة في الدنيا حيث يقيمون بهر ياستهم في الكفر ومناسبة النبي صلى الله عليه وسلم بالنظامه به (ثم اليانصر جمعهم) ثم نذيقهم العذاب الشديد (المخلد) بما كانوا يكفرون (بكفرهم) (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل لصار اذ ظر فالقوله واتل بل التقدير واذ ذكر

(ان قال لقومه يا قوم ان كان كبير عليكم) عظم وثقل كقوله وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين (مقامى) مكانى يعنى نفسه كقوله ولن خاف مقام
ربه جنتان اى خاف ربه او قياى ومكتى بين أظهركم ألف سنة الا خمسين عاماً او مقامى (وتذكيرى بآيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة
قاموا على أرجلهم يعظونهم لم يكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعاً (فعلى الله توكلت) اى قوضت أمرى اليه (فأجمعوا أمركم) من أجمع
الامر اذا نواه وعزم عليه (وشركاءكم) الواو يعنى مع أى فاجمعوا أمركم مع شركائكم ٣٠٣ (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى غم عليكم

وهما والغم والغمة كالكرب
والكربة أو ملتبساً خفية
والغمة السترة من غمة اذا
ستره ومنه الحديث لا غمة
فى فرايض الله أى لا تستر
ولكن يجاهر بها والمعنى
ولا يكن قصدكم الى اهلاكم
مستورا عليكم ولكن مكشوفاً
مشهوراً تجاهر ونى به (ثم
اقضوا الى) ذلك الامر الذى
تريدون أى أدوا الى ما هو
حق عندكم من هلاك
كما يقضى الرجل غريمه أو
اصنعوا ما أمكنكم (ولا
تتظرون) ولا تهملون (فان
توليتم) فان أعرضتم عن
تذكيرى ونصيحى (فاسألتكم
من أجر) فلو جب التولى
أو فاسألتكم من أجر ففانى
ذلك بتوليكم (ان أجرى
الاعلى الله) وهو الثواب
الذى يثيبنى به فى الآخرة أى
ما نصحتكم الا لله لا لغرض
من أغراض الدنيا وفيه
دلالة منع أخذ الاجر على
تعلم القرآن والعلم الدينى
(وأمرت أن أكون من
المسلمين) من المستسلمين
لاوامره ونواهيه ان أجرى
بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو

الماضى من العذاب والهلاك فى الدنيا كان ذلك سبباً لحوف قلوبهم وداعياً لهم الى الايمان ولما كان قوم
نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفراً وحقوداً ذكر الله قصتهم وانه أهلكتهم بالغرق لصير ذلك موعظة
وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعنى واقراً على قومك يا محمد خبر قوم نوح
(ان قال لقومه يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبير) يعنى ثقل (عليكم مقامى) يعنى فيكم (وتذكيرى بآيات الله)
يعنى ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه الصلاة
والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى الله تعالى ويذكركم بآيات الله وهو قوله وتذكيرى
بآيات الله يعنى ووعظى بآيات الله ووجهه وبيناته فزمتهم على قتلى وطردى (فعلى الله توكلت) يعنى فهو حسبي
وثقتى (فأجمعوا أمركم) يعنى فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر
وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من أمركم شيئاً الا أحضرتوه
(وشركاءكم) يعنى وادعوا شركاءكم يعنى أهلكتم فاستعينوا بهم التجمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على
الاستعانة بالصناديق بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنتفع مع اعتقاده انها اجداد لا تضر ولا تنفع فهو
كالتبكيك والتوبيخ لهم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) يعنى لا يكن أمركم عليكم خفياً مبهماً ولكن ليكن أمركم
ظاهراً منكشفاً من قلوبهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس (ثم اقضوا) ثم امضوا (الى)
عما فى أنفسكم من مكرهم وما توعدون به من قتل وطردوا فرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذامات ومضى
وقيل معناه ثم اقضوا ما أنتم قاضون (ولا تتظرون) أى ولا تؤخرونى ولا تهملون بعد اعلامكم اياى ما أنتم عليه
وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التحجيز لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان
قد باغى الغاية فى التوكل على الله وانه كان وانقاصه اياه غير خائف من كيدهم علم انه بانهم وأهلهم ليس
لهم نفع ولا ضرر وان مكرهم لا يصل اليه (فان توليتم) يعنى فان أعرضتم عن قولى وقبول نصيحى (فاسألتكم
من أجر) يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئاً كان أقوى
تأثيراً فى النفس (ان أجرى الاعلى الله) أى ما ثوابى وجزاى على تبليغ الرسالة الاعلى الله (وأمرت أن أكون
من المسلمين) يعنى انى أمرت بدين الاسلام وأناماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه
وأمرت أن أكون من المستسلمين لامر الله وكل مكرهم يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه)
يعنى فكذبوا نوحاً عليه السلام (فخيناه ومن معه فى الفلك) يعنى فى السفينة (وجعلناهم خلائف) يعنى
وجعلنا الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الارض بعد الهالكين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين) أى فانظروا يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا
ولم يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعنى من بعد نوح (رسلاً الى قومهم) لم يسم هنامن كان بعد نوح من الرسل
وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل (بخاؤهم بالبينات) يعنى بالدلائل الواضحات والمعجزات
الباهرات التى تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بها) يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى
جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم يزرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه

وحقق (فكذبوه) فدأموا على تكذيبه (فخيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك) وجعلناهم خلائف
(وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) هو تعظيم ما جرى عليهم وتحذير من أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
مثله وتسلية له (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسلاً الى قومهم) أى هودا وصالحا وبراھيماً ولوطاً وشعيباً (بخاؤهم بالبينات)
بالجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا يؤمنوا بها) فاصروا على الكفر بعد الحجة (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريدانهم كانوا
قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فواقف فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد

(كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه باياتنا) ٣٠٤ بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها

ويعظم موا عن قبولها (وكانوا قومًا مجرمين) كفار اذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا انه هو الحق وانهم من عند الله (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون ان الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لاجاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف أى هذا ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى لا ينظف (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (وتكون لكما الكبرى) أى الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (في الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بجومنين) بمصدقين فيما جئتم به ويكون حادويحيى (وقال فرعون أنتوفى بكل ساحر علم) سحر حزة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ماموصولة واقعة مبتدأ وجئتم به صلتها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر الذى سماه

من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعنى مثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعنى من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) يعنى أشرف قومه (باياتنا فاستكبروا) يعنى عن الايمان بما جاء به موسى وهرون (وكانوا قومًا مجرمين) يعنى مستكسبين للآثم (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا السحر مبين) يعنى ان هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون الحق لاجاءكم) أصغر هذا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لاجاءكم هو سحر أصغر هذا حذف السحر الاول اكفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أصغر هذا وهو اسه متفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح الساحرون) يعنى حاصل السحر تعوييه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح أبدا (قالوا) يعنى قال قوم فرعون لموسى (أجئتنا لتلفتنا) يعنى لتصرفنا وتوليننا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنى من الدين (وتكون لكما الكبرى) يعنى الملك والسلطان (في الارض) يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما بجومنين) يعنى بمصدقين (وقال فرعون أنتوفى بكل ساحر علم) يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر ان ما أتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقائه ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعنى ما معهم من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (ان الله سيضلهم) يعنى يهلكهم ويظهر فضيحة صاحبهم (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعنى بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون) قوله سبحانه وتعالى (فما آمن لموسى الاذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الاذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لتبنيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغمم بسبب اعتراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلاف اوقاف هاء الكناية في قومه فقيل انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من أولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقي البناء وقيل هم قوم نجو من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشئوا بين القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيسه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شطته قال الفراء هموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله فى الايمان وذلك كما يقال لا ولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الانباء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء (على خوف من

فرعون فرعون وقومه سحر من آيات الله آسحر بعد وقف أبو عمر وعلى الاستهزاء فعلى هذه القراءة ما استنهضه أى أى شئ جئتم به أهو السحر (ان الله سيضلهم) يظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يشبهه بل يدمره (ويحق الله الحق) ويشبهه (بكلماته) بأوامره وقضائيه أو يظهر الاسلام بعد انه بالنصرة ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى أول أمره (الاذرية من قومه على خوف من

فرعون) الاطائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قبل الا ولا دقومه وذلك انه دعا الاء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من
انبياءهم مع الخوف او الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون واسمية امرأته وخازنه وما شطته والضمير في (وملائهم) يرجع
الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر اولاده واصحاب باعرون له والى الذرية أى على خوف من فرعون وخوف من انصراف
بني اسرائيل لانهم كانوا يعنون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله ٣٠٥ (أن يقتلهم) يريد أن يعذبهم فرعون
(وان فرعون لعال في

الارض) لغالب فيها قاهر
(وانه لمن السرفين) في الظلم
والفساد وفي الكبر والعنوة
بإدعائه الربوبية (وقال
موسى يا قوم ان كنتم آمنتم
بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه
توكلوا) فإليه استندوا أمرتم
في العصمة من فرعون (ان
كنتم مسلمين) شرط في
التوكل الاسلام وهو أن
يسلموا نفوسهم لله أى
يجعلوا له سالمة خالصة لا حظ
للشيطان فيها لان التوكل
لا يكون مع التخليط (فقالوا
على الله توكلنا) انما قالوا ذلك
لان القوم كانوا مخلصين
لاجرم ان الله قبل توكلهم
وأجاب دعاءهم ونجاههم
وأهلك من كانوا يخافونه
وجعلهم خلفاء في أرضه فن
أراد أن يصلح للتوكل على
ربه فعليه به برفض التخليط
الى الاخلاص (ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين) موضع
فتنة لهم أى عذاب يعذبوننا
أو يقتلوننا عن ديننا أى
يصلوننا والفان المضل عن
الحق (ونحن نبرجتك من
القوم الكافرين) أى من
تعذيبهم وتسخيرهم
(وأوحينا الى موسى وأخيه

فرعون) هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرفهم وهم
ملا الذرية لانه كان أبؤهم من القبط وأمهاتهم من بني اسرائيل وقيل أراد بالاملا فرعون وانما قال
سبحانه وتعالى وملائهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التخييم له (ان يقتلهم) أى يصرفهم ويصدهم عن
الايمان وانما قال ان يقتلهم ولم يقل ان يقتلهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لاهمه (وان فرعون
لعال في الارض) يعنى انه لغالب قهار متكبر فيها (وانه لمن السرفين) يعنى من المجاوزين الحد لانه كان عبدا
فأدعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل (وقال موسى) يعنى لقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم
بالله فعليه توكلوا) يعنى فيه فتقوا ولا هرهه فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) يعنى
ان كنتم مستسلمين لاهمه قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين آمنتم بالله لا رادة ان كنتم موصوفين بالايمان
القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتقوى بضع لاهمه من كمال الايمان وان من
كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره (فقالوا) يعنى قال قوم موسى مجيبين له (على الله توكلنا)
يعنى عليه اعتمادنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يعنى لا تظهرهم علينا ولا
تهلكنا بدوهم فطمئنا اننا لنكون على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعد ابدا من عندك
فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويطعنوا أنهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا
فيقتلونا (ونحن نبرجتك من القوم الكافرين) يعنى وخلصنا برجتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا
بسة عبدوهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل (وأوحينا الى موسى وأخيه) هرون (أن تبوأ
لقومك بعبادة بيوتنا) يعنى اتخذوا القوم كعبص بيوتنا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذ مباءة
أى وطننا والمعنى اجعلوا لعبسهم بيوتكم كعبصا لله للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف
أهل التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصلي فيها وفسر والقبلة
بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل
الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا انه
قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت
بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا
بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى
قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أى مقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها
فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى
موسى وأخيه أن تبوأ القوم كما ثم انعم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه
سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون بان تبوأ القوم كما ثم انعم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (وأقيموا
لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (وأقيموا
الصلاة) يعنى في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا
صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية من
فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل

٣٩ خازن في أن تبوأ القوم كعبص بيوتنا تبوأ المكان اتخذ مباءة كقولك توطئه اذا اتخذ وطنا
والعنى اجعلوا لعبسهم بيوتنا من بيوت مباءة لقومك كما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد متوجهة
نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة
لئلا يظهر واعلمهم فيؤذوهم ويقتلهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الاسلام بمكة (وأقيموا الصلاة) في بيوتكم حتى تأمنوا

(وبشر المؤمنين) يا موسى ثنى الخطاب أولاً ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع العبادة بما يعوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالشارة تعظيماً لها وللشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة) هو ما يزين به من لباس أو حتى ٣٠٦ أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالاً) أى نقدا ونعمة موضوعة (في الحياة الدنيا) بالصلوات

عن سبيلك) ليصلوا الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله ليصلوا متعلق بآتيت ورنات تكرار الاول للإلحاح في التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم أنهم يصلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليصلوا عن سبيله وهو كقوله انما على الله ليزدادوا انما فتكون الآية حجة على المعتزلة (ربنا اطمس على أموالهم) أى اهلكها وأذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيأتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (واشد على قلوبهم) اطمس على قلوبهم وجعلها قاسية (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذى هو اشد (حتى يروا العذاب الاليم) الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى العرق وكان ذلك ايمان يأس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما أيس من ايمانهم وعلم بالوحى أنهم لا يؤمنون فاما قبل أن يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء لانه أرسل

موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمره وأن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما على فرعون أمرهم بالتخاذل المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر المؤمنين) يعنى بانه لا يصل اليهم مكره قوله سبحانه وتعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا) لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم مصرّون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولاً سبب اقدامه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والأشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الأشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا اطمس على أموالهم) اختفوا في هذه اللام فقال القراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الأموال سبباً لضياعها لانهم بطروا وطغوا في الأرض واستكبروا عن الإيمان وقال الاخفش انما هي لما يؤل اليه الأمر والمعنى انك آتيت فرعون وملائه زينة في الحياة الدنيا فاضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن البارى هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) الطمس ازالة أثر الشيء بالمحو ومعنى اطمس على أموالهم أزل صورها وهياتها وقال مجاهد أهلكها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيرهما عن هينئتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم وحروثهم وزر وعههم وجواهرهم صارت حجارة وقال مجاهد بن كعب القرظى صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تجز فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها سخا وأنصافاً وثلاثاً وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها ثمن بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهي حجارة وقال السدي مسخ الله أموالهم حجارة النخل والتمر والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التى أوتىها موسى عليه السلام (واشد على قلوبهم) يعنى اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان ومعنى السد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما حسر موسى عليه السلام على هذا السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعنى العرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه قال موسى قبل أن يأتى فرعون ربنا اشد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فقال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه العرق فلم ينفعه الإيمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم في الازل أنهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل لموسى وهرون (قد أجيبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضاً ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال تعالى قد أجيبت دعوتكما (فاستقيما) يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لأمري الى أن يأتيهم العذاب (ولا تتبعان

سبيل اليهم ليدعوهم الى الإيمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفراً) قال قد أجيبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاء كما مستجاب ومطلبتما كان ولو كن في وقته (فاستقيما) فأتينا على ما أنعم الله علينا من الدعوة والتبليغ (ولا تتبعان

سبيل الذين لا يعلمون) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النوم وكسرهما الالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامى وخطأه بعضهم ٣٠٧ لان النون الخفيفة واجبة السكون

وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهي أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الافعال (فاتبعهم فرعون وجنوده) فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته (نغيا) تطاولا (وعدوا) ظلموا وانتصبا على الحال أو على المفعول له (حتى اذا أدركه الغرق) ولا وقف عليه لان (قال آمنت) جواب اذا (انه) حزمة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الايمان (لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من المسلمين كثر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المزة الواحدة تكفي في حالة الاختيار (الآن) أنؤمن بالساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجئه الغرق والعامل فيه أنؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان روى ابن جرير

سبيل الذين لا يعلّمون) يعني ولا تسلك طريق الذين يجادلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعدى
نازل بقرون وقومه فلا تستجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون سنة قال الامام
نضر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما أن قوله لئن أشركت
ليحبط عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) أى وقطعنا بيني
اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فأتبعهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم وأدركهم (بغيا
وعدا) أى ظمأ وعدوانا وقيل البغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا فى القول وعدوانا
الفعل قال أهل النفس يراجمع يعقوب ويؤنوه الى يوسف وهم اثنتان وسبعون وخرجوا مع موسى من
مصر وهم ستمائة ألف وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج بني اسرائيل من مصر
فى الوقت الذى أمرهما أن يخرج فيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع
بمخروجهم ومفارقتهم عمدا كتمه خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين الخاض والمخرج البحر
أمامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب
بعصاك البحر فضر به فافتلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجهه الارض وأبديس لهم البحر
فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر
الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أنثى وديق وصيكايل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج
أخرب بني اسرائيل من البحر فاجبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل
البحر وتبعه جنوده حتى اذا كانوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج العظيم البحر عليهم فلما أدرك فرعون
الغرق أتى بكامة الاخلاص ظن انهم انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه الغرق قال) يعنى
فرعون (آمنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند
نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة
والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقبل انه قال هذه الكلمة
ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الا قرار بوحداية الله تعالى والاعتراف له
بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع
الخالق سبحانه وتعالى فلما قال آمنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك فى
ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له (آلآن
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعنى آلآن تتوب وقد أضعت التوبة فى وقتها وأثرت دنياك الفانية
على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل لذلك
هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض ويدل على هذا القول قوله سبحانه
وتعالى فالיום ننجيك بيدنا والقول الاول أشهر ويعضده ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما غرق الله فرعون قال آمنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلورأيتنى
وأنا أخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وفى رواية
أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أن أحدهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس فى فى فرعون الطين خشية أن يقول لا إله الا الله
فيرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الامير في عبدل جل نشأ في ماله ونعمته فكفر بنعمته وخذ حقه وادعى السيادة وانه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه

ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخنا به الاصدوقا ولا كنهه كان سبي الحفظ ويقطع وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذ لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلما همت في هذا الحديث لان في الطريق الاخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلما همت في فقد علم هذا ان لهذا الحديث أصلا وان رواه ثقات ليس فيهم منهم وان كان فيهم من هو سبي الحفظ فقد تابعه عليه غيره * فان قلت في الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحد هما عن النبي صلى الله عليه وسلم * قلت ليس بشك في رفعه انما هو خرم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تميمه هل هو عطاء بن السائب أو عدي بن ثابت وكلما همت فاذا رفعه أحد هما وشك في تميمه لم يكن هذا علم في الحديث وقوله من حال البحر أي من طين البحر كافي الرواية الاخرى

فصل في وجوبه اشكاله ما عترض به الامام فخر الدين الرازي في نفسه به فقال هل يصح أن جبريل أخذ عياله بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب انه لا يصح لان في تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتا أم لا فان كان ثابتا لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لم كان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضا فكيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما تنزل الأبا مرر بك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتا لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المتيقن للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يفضل من يشاء ويهدى من يشاء وهذا قول أهل السنة المتيقن للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقيله وقوله تعالى وقالوا قلوا بنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فأخبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون ممنعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولا فدرس الطين في فم فرعون من جفns الطمع والختم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المتيقن للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف أيضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للكفر السابق فيحسن منه أن يفضل ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فأما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه وعقوبة له على كفره السابق وردة للايمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كشكليه فيجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من يمنعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما ان يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يحرم

انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكافين كتكليفنا وقوله وان كان
التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة بخوابه أن يقال
ان للناس في تعميل أفعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تعمل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا
وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعملها وكذا وأمره
ونواهيها لها غاية محمودة ومحجوبة لاجلها أمرها ونهيها عن ما لا يعمل وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت انه
لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس
الطين في فيه لتحقق معاينته للوثة فلا تكون تلك الكرامة نافعة له وانه وان كان قاهلها في وقت لا ينفعه فليس
الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى
للرجة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دأب به بان فرعون لا يؤمن
حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكرامة
عند معاينة الغرق استجمل جبريل فدى الطين في فيه لئلا يس من الحياة ولا تنفعه تلك الكرامة وتحقق
اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد أجيب دعوتك كما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم
الله أنه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضات الله سبحانه وتعالى منفذا لما أمره به وقدره وقضاء على
فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر بخوابه ما تقدم
من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل اغيا تصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما أمره الله به وإذا
كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فاعترض بالامر لا بالأمور به فأى كفر يكون هنا وأيضا فان
الرضا بالكفر انما يكون كفر في حقنا لا نامور ون باز التمس بحسب الامكان فاذا أقررنا الكفر على كفره
ورضينا به كان كفر في حقنا لخالقنا ما أمرنا به وأما من ليس مأمورا كما أمرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل
يفعل ما يأمره به به فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفر في حقه وعلى هذا التقدير
فان جبريل لم يسل ما دس الطين في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال
العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذ القضاء الله وقدره
في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بحلال الله أن يأمر جبريل بان يمنعه من
الايمان بخوابه أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل
انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله بخوابه انه انما فعل ذلك بأمر الله منفذ الامر الله والله أعلم بمراده
وأسرار كتابه قوله سبحانه وتعالى (فاليوم نخيبك بيدك) أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان
المرتفع قال أهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون
وقومه فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمتهم عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب
لاجله فأمر الله عز وجل البحر فألقى فرعون على الساحل أجم قصيرا كأنه ثور فرأه بنو اسرائيل فعرفوه فمن
ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله بيدك يعني نلقيك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب
على سبيل التهمك والاستهزاء كأنه قيل له نخيبك ولكن هذه النجاة انما تحصل بيدك لا لرحمتي وقيل أراد
بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رأوه في دوعه ذلك عرفوه
(لتكون لمن خلفك آية) يعني عبرة وموعظة وذلك انهم اتعوا ان مثل فرعون لا يموت أبدا فافظهم الله لهم
حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة
والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) قوله عز وجل (ولقد بدؤنا
بني اسرائيل ميثاقا صدق) يعني أسكناهم مكانا صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجه من البحر وأغرق
عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت
شيئا أضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقد صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا

(فاليوم نخيبك) نلقيك
بنجوة من الارض فرماه
الماء الى الساحل كأنه ثور
(بيدك) في موضع الحال
أي في الحال التي لا روح
فيك وانما أنت بدن أو بيدك
كاملا سويا لم ينقص منه
شيء ولم يتغير أو غير ما نالست
الابدنا من غير لباس أو
بدرك وكانت له درع من
ذهب يعرف بها وقرا أبو
حنيفة رضي الله عنه
بأبدانك وهو مثل قولهم
هو باجرأه أي بيدك كله
وافيا بأجرأه أو بدرك
لانه ظاهر بينها (لتكون
من خلفك آية) لمن وراءك
من الناس علامة وهم بنو
اسرائيل وكان في أنفسهم
ان فرعون أعظم شأن من
أن يغرق وقيل أخبرهم
موسى بهلاكه فلم يصدقوه
فألقاه الله على الساحل حتى
عابوه وقيل لمن خلفك
لمن يأتي بعدك من القرون
ومعنى كونه آية أن يظهر
للناس عبوديته وان ما كان
يتبعه من الربوبية محال
وانه مع ما كان عليه من عظم
الملك آل أمره الى ماترون
لعصيانه به فالظن بغيره
(وان كثيرا من الناس عن
آياتنا لغافلون) ولقد بدؤنا
بني اسرائيل ميثاقا صدق
منزلا صالحا مريضاً وهو
مصر والشأم

فما اختلفوا) في دينهم (حتى جاءهم العلم) أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلفوا بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلفوا في صفة انه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يميز الحق من البطل ويجزى كل جزاءه (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكدهم بحجة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وبما بالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فراضا وتقديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلتها أو بما حثه العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بحجة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالسوخ في العلم بحجة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال

لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بؤوا قولان أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورش بنى اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الحصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفروا به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعروف والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايقار البقاء الى ياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفروا به غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفروا به آخرون وقوله تعالى (ان ربك) يعني يا محمد يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وبمحمد نبوتك النار قوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امرتين أولاهم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شك كما قد قيل فلان شك في هذا الامر فعناء توقع فيه حتى تبين له فيه الصواب أو خلافة وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني للقرآن (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبى يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوته حتى يسأل أهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاك في نبوته نفسه كان غيره أولى بالشك منه * قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن يحطرك ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا ثم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الآية ومن الخطاب بهذا الخطاب على قولين أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لمن أشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب * اياك أعني واسمعي يا جاره * فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا إليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرءون الكتاب يخبروك بحجته ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاك في نبوته لكان غيره أولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهيج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لا أشك يا رب ولا أسأل أهل الكتاب

(لقد جاءك الحق من ربك) أي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك (فلا تكون من الممترين) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أي فاقبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المزية عنك والتكذيب بآيات الله وأهو على طريقة التهيج والالهاب كقوله فلا تكون ظهيرا للكافرين ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزل إليك ولزادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي وان كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم ٣١١ نور أمينا وأخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول

العرب إذا عزا خوك فمن أن للنفي أي فما كنت في شك فسل أي ولا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعانة أحياء الموقين * فان قلت انما يجي ان للنفي اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا في غرور * قلت ذلك غير لازم ألا ترى الى قوله ان أمسكهما من أحدهم بعده فان للنفي وليس بعده الا (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا أو قوله لا ملأ من جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولو جاءتهم من كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب العظيم) أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكتها نابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاناة ولم

بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا إليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثاني ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعبدوا تعالي فان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحده الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرتك ربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلقوا في المسؤول عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هم الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعمته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضحاك يعني أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقوا وأهل الكتاب يعلمون صحة ذلك (فلا تكون من الممترين) يعني من الشاكين في صحة ما أنزلنا إليك (ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله) يعني بدلائله وبراهينه الواضحة (فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمت ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلت هؤلاء النار ولا أبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنه ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب العظيم) فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصر فهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء قوله سبحانه وتعالى (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه ما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معاناة العذاب (ففنقها ايمانها) يعني في حال اليأس (الا قوم يونس) هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما اخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلقوا في قوم يونس هل رأوا العذاب

تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بحمقه (ففنقها ايمانها) بأن تقبل الله ايمانها منها بوقوعه في وقت الاختيار (الا قوم يونس) استثناء منقطع أي ولو كان قوم يونس أو متصل والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى المهلكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا) كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم ورجعوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وقرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فخن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة

أساس بنيانه فيردّه وقيل
 نخرجوا الما نزل بهم العذاب
 الى شيخ من بعية علمائهم
 فقال لهم قولوا يا حي حين
 لا حي ويا حي محي الموتى
 ويا حي لا اله الا انت فقالوا
 فكشف الله عنهم وعن
 الفضيل قدس الله روحه
 قالوا اللهم ان ذنوبنا قد
 عظمت وجلت وانت اعظم
 منها واول اجل افعال بنا ما انت
 أهله ولا تفعل بنا ما نحن
 أهله (ولو شاء ربك لا آمن
 من في الارض كلهم) على
 وجه الاحاطة والشمول
 (جميعا) مجتمعين على الايمان
 مطبقين عليه لا يختلفون
 فيه أحبر عن كمال قدرته
 ونفوذه مشيئة انه لو شاء
 لا آمن من في الارض كلهم
 ولكنه شاء ان يؤمن به من
 علم منه اختيار الايمان به
 وشاء الكفر من علم انه يختار
 الكفر ولا يؤمن به وقول
 المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة
 القسرو والالغاء أي لو خلق
 فهم الايمان جبر الا آمنوا
 لكن قد شاء أن يؤمنوا
 اختيارا فلم يؤمنوا دليله
 (أفأنت تذكره الناس حتى
 يكونوا مؤمنين) أي ليس
 اليك مشيئة الا كراه والجبر
 في الايمان اغا ذلك الى فاسد
 لان الايمان فعل العبد وفعله
 ما يحصل بقدرته ولا يتحقق
 ذلك بدون الاختيار وتأويله
 عندنا ان الله تعالى لطفًا

عينا أن لا يقال بعضهم أو أدليل العذاب فأمنوا وقال الأكثرون أنهم رأوا العذاب عينا بأدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون إلا بعد الوقوع أو إذا قرب وقوعه ﴿ذكر القصة في ذلك﴾
على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبيرة وهب وغيرهم قالوا إن قوم يونس كانوا بقرية بينى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم فأبوا عليه فقتل له أخبرهم أن العذاب مصيبتهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إننا لم نجرب عليه كذبا قط فانظر وإفان بات فيكم الليلة فلنيس بشئ وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصيبتكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا اتعشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبيرة غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما أسودها ثلاثا لا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقتل الله سبحانه وتعالى في قلوبهم ثم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدته وولدها من الناس والدواب فحق البعض إلى البعض فحق الأولاد إلى الأمهات والأمهات إلى الأولاد وعلت الأصوات وعجوا جميعا إلى الله وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بآجابه يونس وبابوا إلى الله وأخلصوا النية فرجهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلمهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم فيما بينهم حتى إن كان الرجل ليأني إلى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فبرده وروى الطبري بسنده عن أبي الجاهلي أن قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا إنه قد نزل بنا العذاب فأتري قال قولوا يا حي يا قيوم يا حي لا اله إلا أنت فقالوا هو فكشف الله عنهم العذاب وصنعوا إلى حين وقال الفضيل بن عياض أنهم قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهل له ولا تفعل بنا ما نحن أهل له قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقبل له أرجع إلى قومك قال وكيف أرجع إليهم فيجدوني كذبا وكان من كذب ولا بينة له فقبل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وسأني القصة في سورة والصفات إن شاء الله تعالى * فإن قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته * قلت أجاب العلماء عن هذا بأجوبة أحدها أن ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني أن فرعون ما آمن إلا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزلهم ولم يباشرهم فكانوا كالمرضى يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث أن الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فإنه ما صدق في إيمانه ولا أخلص فلم يقبل منه إيمانه والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ولكن لم يشأ أن يصدقك ويؤمن بك إلا من سبقك له السعادة في الأزل قال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحصر أن يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله عز وجل أنه لا يؤمن به إلا من سبقك له من الله السعادة في الذكر الأول ولم يضل إلا من سبقك له من الله الشقاء في الذكر الأول وفي هذا تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان حريصا على إيمانهم كلهم فأخبره الله أنه لا يؤمن به إلا من سبقك له العناية الأزلية فلا تعب نفسك على إيمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفأنت تكفر بالناس حتى يكونوا مؤمنين) يعني ليس إيمانهم إليك حتى تكفرهم عليه أو تحصر عليه إيمان المؤمنين واضلال الكافر عشيئتنا وقضائنا وقد رنا

لو أعطاهم لا آمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أفانث
يعني النبي أي لا تملك أنت يا محمد أن تكرهمهم على الأيمان لأنه يكون بالتصديق والافرار ولا يمكن الاكراه على التصديق

(وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله) بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه ونهيه أو بعلمه ٣١٣ (ويجعل الرجس أي العذاب أو السخط

ليس ذلك لأحد سوانا) (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله) يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن تؤمن وتصدق إلا بقضاء الله لها بالإيمان فان هدايتها إلى الله وهو الهادي المضل وقال ابن عباس معنى بأذن الله بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله قوله تعالى (ويجعل) قرئ بالنون على سبيل التعظيم أي وتجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله (الرجس) يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط (على الذين لا يعقلون) يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه قوله عز وجل (قل انظروا) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظرا اعتبارا وتذكرا وتدبر (ماذا في السموات والارض) يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سخرها طاعة وغاربه وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آيات دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

(وما نغني الآيات والنذر) يعني الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا في حق أقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعني مشركي مكة (الامثلة أيام الذين خلوا من قبلهم) يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وادعوهم والعرب تسمى العذاب أياما والنعيم أياما كقوله تعالى وذكرهم بأيام الله والمعنى فهل ينتظرون هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهلا حكماءهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب (قل فانتظروا) يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (اني معكم من المنتظرين) يعني هلاككم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسوله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم أنجي رسلا الذين آمنوا) يعني من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) يعني كما أنجينا رسلا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيكم يا محمد والذين آمنوا معكم وصدقوا من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالفه شيئا قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت اليهم فشكوا في أمرهم ولم يؤمنوا بك (ان كنتم في شك من ديني) يعني الذي أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك وقال ان كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم أن تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا أصل لها البتة فان أصرتم على ما أنتم عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعني هذه الاوثان وانما واجب تقديم هذا الأنبي لان العبادة هي غاية التعظيم للعبود فلا تليق لآخس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع من عبدها ولا تضل من تركها ولا تكن تليق للعبادة لمن يبيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) والحكمة في وصف الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذه الصفة أن المراد أن الذي يستحق العبادة فأعبدناه أنا وأنتم هو الذي خلقكم أولا ولم تكونوا شيئا ثم يمتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا كفي بذكر الوفاة تنبيه على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استجملوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصرى عليكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعني وأمرني ربي أن أكون من المصدقين فاجاء من عنده قيل لماذا ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الايمان

أو الشيطان أي ويسلط الشيطان (على الذين لا يعقلون) لا يتفهمون بعقولهم وتجعل حماد ويحيى (قل انظروا) نظرا استدلال واعتبار (ماذا في السموات والارض) من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزرع والثمار (وما تغني الآيات) مانافية (والنذر) والرسل المنتذرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون الامثلة أيام الذين خلوا من قبلهم) يعني وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا) يعني من المنتظرين ثم نجي رسلا (معطوف على كلام مخدوف يدل عليه الامثلة أيام الذين خلوا من قبلهم) كأنه قيل نعم لك الامم ثم نجي رسلا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) أي مثل ذلك الانحاء نجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أي وحق ذلك علينا حقا ننجي بالتحقيق على وحقق (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله)

٤٠ خازن في أي الاصنام (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يمتكم وصفه بالتوفي ليرهم انه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبدون ما لا يقدر على شيء (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أي بأن أكون يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى الي في كتابه

(وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) أَي وَأَوْحَى إِلَى أَنْ أَقِمَّ لِشَاكِلِ قَوْلِهِ أَهْمَرْتُ أَي اسْتَقِمَّ مُقْبِلًا بِوَجْهِكَ عَلَى مَا أَمَرَكَ اللَّهُ وَأَسْتَقِمَّ إِلَيْهِ وَلَا تَلْتَفِتْ عَيْنًا وَلَا شَيْئًا لَا (حَنِيفًا) حَالٌ مِنَ الدِّينِ أَوِ الْوَجْهِ (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ) أَنْ دَعْوَتَهُ (وَلَا يَضُرُّكَ) أَنْ خَذَلْتَهُ (فَانْ فَعَلْتَ) فَانْ دَعْوَتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَكُنْ عَنْهُ بِالْفِعْلِ إِيحَازًا (فَأَنْتَ إِذَا مَنِ الظَّالِمِينَ) إِذَا جُزَأَ لِلشَّرْطِ وَجَوَابِ لِسْوَائِ مُقَدَّرٍ كَانَ سَائِلًا سَأَلَ عَنْ تَبَعَةِ عِبَادَةِ الْإِثْنَانِ وَجَعَلَ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنَّهُ لَا ظِلْمَ أَكْثَرُ مِنْ الشِّرْكِ (وَأَنْ يَسْكَتَ اللَّهُ) يَصْبُكُ (يَضُرُّ) مَرَضٌ (فَلَا كَاشِفَ لَهُ) ٣١٤ لَذَلِكَ الضَّرُّ (الْأَهْوَى) (وَأَنْ يَرُدَّكَ بِخَيْرٍ) عَافِيَةٌ (فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) فَلَا رَادَّ لِمُرَادِهِ

لأنه من أعمال القلوب (وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) الْوَاقِفِي قَوْلَهُ وَأَنْ أَقِمَّ وَأَوْعِظَ مَعْنَاهُ وَأَمَرْتُ أَنْ أَقِمَّ وَجْهِي بِعَنْيَ أَقِمَّ نَفْسَكَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ حَنِيفًا بِعَنْيَ مُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ غَيْرَ مَعْوُجٍ عَنْهُ إِلَى دِينٍ آخَرَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَقِمَّ عَمَلَكَ عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ وَقِيلَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ صَرْفَ نَفْسِهِ بِكَلِمَتِهِ إِلَى طَلَبِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ غَيْرِ مَائِلٍ عَنْهُ (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بِعَنْيَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنْ بَشْرِكَ فِي عِبَادَةٍ بَعْدَ غَيْرِهِ فَيَهْلِكُ وَقِيلَ أَنَّ النَّهْيَ عَنْ عِبَادَةِ الْإِثْنَانِ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَوَجِبَ جَعْلُ هَذَا النَّهْيِ عَلَى مَعْنَى زَائِدٍ وَهُوَ أَنَّ عَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَرَفَ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ لِأَنَّهُ غَيْرُهُ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ بِالْكَلِمَةِ وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ أَحْبَابُ الْقُلُوبِ بِالشِّرْكِ الْخَفِيِّ (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ) بِعَنْيَ أَنْ عِبَدْتَهُ وَدَعْوَتَهُ (وَلَا يَضُرُّكَ) بِعَنْيَ أَنْ تَرَكْتَ عِبَادَتَهُ (فَانْ فَعَلْتَ) بِعَنْيَ مَا نَهَيْتَكَ عَنْهُ فَعَبَدْتَ غَيْرِي أَوْ طَلَبْتَ النِّفْعَ وَدَفَعْتَ الضَّرَرَ مِنْ غَيْرِي (فَأَنْتَ إِذَا مَنِ الظَّالِمِينَ) بِعَنْيَ لِنَفْسِكَ لِأَنَّكَ وَضَعْتَ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَهَذَا الْخَطَابُ وَأَنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُهُ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا أَبْتَدَأَ بِكَوْنِ الْمَعْنَى وَلَا تَدْعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَنْ يَسْكَتَ اللَّهُ بَضْرًا) بِعَنْيَ وَأَنْ يَصْبُكَ اللَّهُ بِشِدَّةٍ وَبِلَاءٍ (فَلَا كَاشِفَ لَهُ) بِعَنْيَ لَذَلِكَ الضَّرُّ الَّذِي أَتْرَكَكَ (الْأَهْوَى) بِعَنْيَ لِأَنَّهُ غَيْرُهُ (وَأَنْ يَرُدَّكَ بِخَيْرٍ) بِعَنْيَ بِسَعَةِ وَرَخَاءٍ (فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) بِعَنْيَ فَلَا دَافِعَ لِرُفْقِهِ (يَصِيبُ بِهِ) بِعَنْيَ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الضَّرِّ وَالْخَيْرِ (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قِيلَ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَا ذَكَرَ الْإِثْنَانُ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا تَقْدِرُ عَلَى نَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ بَيْنَ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ وَجَمِيعُ الْمَسْكُونَاتِ مُسْتَعِدَّةٌ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ ذُو الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَلِهَذَا الْمَعْنَى خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وَفِي الْآيَةِ لَطِيفَةٌ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى رَجَعَ جَانِبَ الْخَيْرِ عَلَى جَانِبِ الشَّرِّ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا ذَكَرَ أَمَّا سَاسُ الضَّرْرِ بَيْنَ أَنَّهُ لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَزِيلُ جَمِيعَ الْمَضَارِّ وَيَكْشِفُهَا لِأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مِنَ النَّفْيِ اثْبَاتٌ وَلِمَا ذَكَرَ الْخَيْرِ قَالَ فِيهِ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ بِعَنْيَ أَنَّ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ مِنْهُ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّهَا لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ عَلَى عِبَادِهِ وَعِضْدُهُ بِقَوْلِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ بِعَنْيَ السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الرَّحِيمُ بِعَنْيَ بِهَمْ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ) بِعَنْيَ الْقُرْآنُ وَالْإِسْلَامُ وَقِيلَ الْحَقُّ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَنَ اهْتَدَى فَاتَّبَاعُهُ يَهْتَدُونَ لِنَفْسِهِ) لِأَنَّ نَفْعَ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ (وَمَنْ ضَلَّ فَاتَّبَاعُهُ يَضِلُّ) أَي عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ وَبِالْإِجْمَاعِ رَاجِعَ إِلَيْهِ فَنَ حَكَمَ اللَّهُ بِالْإِهْتِدَاءِ فِي الْأَزْلِ أَنْتَفَعَ وَمَنْ حَكَمَ عَلَيْهِ بِالضَّلَالِ ضَلَّ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ أَبَدًا (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) بِعَنْيَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ أَحْفَظُ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ (وَاتَّبَعَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ) بِعَنْيَ الْأَمْرُ الَّذِي يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ (وَاصْبِرْ) بِعَنْيَ عَلَى أَذَى مِنْ خَالِفِكَ مِنْ كُفَّارٍ مَكَّةَ وَهُمْ قَوْمُكَ (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ) بِعَنْيَ يَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ بِظَهَارِ دِينِكَ (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) بِعَنْيَ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى حَكَمَ يَنْصُرُ نَبِيَّهُ وَظَاهَرَ دِينَهُ وَبَقَلَ الْمُشْرِكِينَ وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ وَفِيهَا ذَلُّهُمْ وَصَغَارُهُمْ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِعَرَادِهِ وَأَسْرَارِ كِتَابِهِ

(يَصِيبُ بِهِ) بِالْخَيْرِ (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قَطَعَ بِهِ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى عِبَادَةِ طَرِيقِ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَّا إِلَيْهِ وَالْاعْتِمَادُ الْأَعْلَى (وَهُوَ الْغَفُورُ) الْمَكْفُورُ بِالْبَلَاءِ (الرَّحِيمُ) الْمَعَانِي بِالْعَطَاءِ اتَّبَعَ النَّهْيَ عَنْ عِبَادَةِ الْإِثْنَانِ وَوَصَفَهَا بِأَنَّهُ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الضَّارُّ النَّافِعُ الَّذِي أَنْ أَصَابَكَ بَضْرٌ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى كَشْفِهِ إِلَّا هُوَ وَجَدَهُ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ فَكَيْفَ بِالْجَمَادِ الَّذِي لَا شَعُورَ بِهِ وَكَذَا أَنْ أَرَادَكَ بِخَيْرٍ لَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ مَا يَرِيدُكَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ فَكَيْفَ بِالْإِثْنَانِ وَهُوَ الْحَقِيقِيُّ إِذَا بَانَ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْعِبَادَةُ دُونَهَا وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بَضْرًا هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضَرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرُجَّةٍ هَلْ هُنَّ مَسْكَنَاتُ رَجَّتِهِ وَانَّمَا ذَكَرَ الْمَسَّ فِي أَحَدِهِمَا وَالْإِرَادَةَ فِي الْآخَرِ كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ الْأَمْرَيْنِ الْإِرَادَةَ وَالْإِصَابَةَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الضَّرِّ وَالْخَيْرِ وَأَنَّهُ لَا رَادَّ لِمَا يَرِيدُ مِنْهُمَا وَلَا مَرْدٍ لِمَا يَصِيبُ مِنْهُمَا فَافْوَخْ الْكَلَامَ بِأَنْ ذَكَرَ الْمَسَّ وَهُوَ الْإِصَابَةُ فِي أَحَدِهِمَا وَالْإِرَادَةَ فِي الْآخَرِ لِيَدُلَّ بِمَا ذَكَرَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ الْإِصَابَةَ بِالْخَيْرِ فِي قَوْلِهِ يَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) بِأَهْلِ مَكَّةَ (قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ) الْقُرْآنُ أَوِ الرَّسُولُ (مَنْ رَبُّكُمْ فَنَ اهْتَدَى) اخْتَارَ الْهَدَى وَاتَّبَعَ الْحَقَّ (فَاتَّبَاعُهُ يَهْتَدُونَ لِنَفْسِهِ) فَانْتَفَعَ بِاخْتِيَارِهِ الْأَنْفُسَ (وَمَنْ ضَلَّ فَاتَّبَاعُهُ يَضِلُّ) وَمَنْ أَثَرُ الضَّلَالِ فَاضْطَرَّ الْأَنْفُسَ وَدَلَّ الْإِلَامَ وَعَلَى مَعْنَى النِّفْعِ وَالضَّرْرِ (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) بِحَفِيفٍ مُوَكَّلٍ إِلَى أَمْرِكُمْ أَعْلَانًا بِشِيرٍ وَنَذِيرٍ (وَاتَّبَعَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ) عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَإِيْدَائِهِمْ (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ) لَكَ بِالْغَلْبَةِ عَلَيْهِمْ وَالْغَلْبَةُ (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) لِأَنَّهُ الْمُطَّلَعُ عَلَى السِّرِّ أَثَرُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ وَشَهَادَةٍ

تفسير واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مريد لما يصيب به منهما فافوخ الكلام بان ذكر المس وهو الإصابتة في أحدهما أو الإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على أنه قد كرر الإصابتة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) بأهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فنهتدي) فاختار الهدى واتبع الحق (فاتتبعه يهتدون لنفسه) فانتفع باختياره الأنفس (ومن ضل فاتتبعه يضل) ومن أثر الضلال فاضطر الأنفس ودل اللام وعلى معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيف موكول إلى أمركم أعلم أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى إليك واصبر) على تكذيبهم وإيذائهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة (وهو خير الحاكمين) لأنه المطلع على السر أثر فلا يحتاج إلى بيينة وشهود

سورة هود عليه السلام
مكية وهي مائة وثلاث
وعشرون آية

تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(الكتاب) أي هذا كتاب
فهو خير مبتدأ مخوف
(أحكمت آياته) صفته أي
نظمت نظمًا ماصنًا محكمًا
لا يقع فيه نقض ولا خلل
كالبناء المحكم (ثم فصلت) كما
تفصل القلائد بالفرائد من
دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والقصاص أو جعلت
فصولا سورة سورة وآية آية
أوفرت في التنزيل ولم تنزل
جملة أو فصل فيها ما يحتاج
اليه العباد أي بين ونخلص
وليس معنى ثم التراخي في
الوقت ولكن في الحال (من
لدى حكيم خبير) صفة أخرى
لكتاب أو خير بعد خير أو صلة
لاحكمته وفصلت أي من
عنده أحكامها وتفصيلها
(ألا تعبدوا الا الله) مفعول له
أي لئلا تعبدوا وأن مفسرة
لان في تفصيل الآيات معنى
القول كأنه قيل قال لا تعبدوا
الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا
الا الله (انني لكم منه نذير
وبشير) أي من الله (وأن
استغفروا ربكم) أي أمركم
بالتوحيد والاستغفار (ثم
توبوا اليه) أي استغفروه
من الشرك ثم ارجعوا اليه
بالطاعة (يعتكم متاعا حسنا)
بطول نعمكم في الدنيا بغنا فع
حسنة مرضية من عبادة
واسعة ونعمة متتابعة

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها
مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية
الاقوله سبحانه وتعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان
الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة
وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شئتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت
يارسول الله بحمل اليك الشيب قال شيتني هود وأخوانها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث
الغاشية قال بعض العلماء سبب شيعه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من
ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل (الكتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب
كما نسخت هي الكتب والشرائع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت
بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة
أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس
فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما ماصنًا محكمًا بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء
المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة
النبوّة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصاص
والاخبار عن الغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وفي قوله ثم فصلت ليست هي التراخي في الوقت
ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل * فان قلت كيف عم الآيات
هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات * قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به
هناك فغني الاحكام العام هنا لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ
جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته
منسوخة بنسخها بآيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد
دخل النسخ على البعض فأجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في
كلامهم تقول أكلت طعام زيد وانما أكلت بعضه وقوله تعالى (من لدى حكيم) يعني أحكمت آيات الكتاب
من عند حكيم في جميع أفعاله (خبير) يعني باحوال عباده وما يصلحهم (ألا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له
معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام
وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام (انني لكم منه) أي قل لهم
يا محمد انني لكم من عند الله (نذير) ينذركم عقابه ان ثبتتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وأبشر
بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه)
اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين ف قيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان
الاستغفار هو طلب الغفر وهو السر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك
فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل
وقال الفراء ثم هنا يعني الاولان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما التأكيد (يعتكم متاعا حسنا) يعني
انكم اذا فعلتم ما أمرت به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب
الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا باليسور والصبر على المقدور

يتوفاكم (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعطى في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا ينقص منه شيئاً (وان تولوا) وان تتولوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شيء قدير) فكان قادر على اعادةكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق ويخفون عنه لان من أقبل على الشيء استقبله بصدوره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كتمه (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون) أى لا تفاوت في علمه بين أسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على نبيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافع عنده قيل نزلت في المنافقين (انه عليهم بذات الصدور) بما فيها (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) تفضيلاً لا وجوباً (ويعلم مستقرها) مكانه من الارض ومسكنه (ومستودعها) حيث كان

(الى أجل مسمى) يعنى يمتعكم متاعاً حسناً الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم * فان قات قته ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف يجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعاً حسناً الى أجل مسمى * قلت أما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يقضى الى ذلك المعذلة وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذى لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يقضى الى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانه ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله وقوله سبحانه وتعالى (ويؤت كل ذي فضل فضله) أى ويعطى كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العباس من كثرت طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة بقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده أعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله ووفقه الله في المستقبل لطاعته (وان تولوا) يعنى وان أعرضوا عما جئتهم به من الهدى (فانى أخاف عليكم) أى فقل لهم يا محمد انى أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعنى عذاب النار في الآخرة (الى الله مرجعكم) يعنى في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته (وهو على كل شيء قدير) يعنى من اصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (ألا انهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام حلوا المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فنزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعنى يخفون ما في صدورهم من الشك والخفاء والعداوة من ثبوت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخفون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرى ستره ويخفى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أى يعرضون بقلوبهم من قلوبهم ثبوت عمنى (ليستخفوا منه) يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا (ألا حين يستغشون ثيابهم) يعنى يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون) انه علم بذات الصدور ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أضمر وأعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخارى في افراده عن محمد بن عيسى بن جعفر الخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم قال فسأله عنه فقال كان أناس يستخفون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فذلك فهم وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الارض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الأدمى وغيره من جميع الحيوانات (الا على الله رزقها) يعنى هو المتكفل برزقها فاضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مسئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على يعنى من أى من الله رزقها وقال مجاهد ملأها من رزق فن الله ورب العالمين رزقها فتموت جوعاً (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذى تأوى اليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذى تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود

مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تعوت فيه وقيل المستقر الجنة والنار والمستودع القبر
(كل في كتاب مبين) أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل (وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله
ياقوتة خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الربح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء
وقال ضمرة إن الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق
وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سيج الله ومجده ألف عام قبل ان يخلق
شيأ من خلقه وقال سعيد بن جبيرة مثل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء
كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم
قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاها سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه
وتعالى طينة من الماء فوضعهامكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في
يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء
وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت
فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ)
عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فأتى ناس من بني تميم فقال
اقبلوا البشري يا بني تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال
اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا اجئنا لتتفق في الدين ولنسألك عن
أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات
والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم أناني رجل فقال يا عمران أدركنا فقلت قد ذهبت فانطلقت أطلبها فاذا
السراب يقطع دونها وأيم الله لو ددت اني اذهبته ولم أقم عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان
ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عماما فوقه هواء وماتحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي
وقال قال أحد ربيدب العلماء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله
عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرها وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق
الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عماما وجدته في كتاب عماما مقيدة بالمدفان
كان في الاصل ممدودا فعنه صاحب رقيق ويريد بقوله في عماما أي فوق صاحب مدبر الهو والباع عليه كما قال
سبحانه وتعالى أأمنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال تعالى لا صلبنكم في جذوع النخل يعني على
جذوعها وقوله ما فوقه هواء أي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وماتحته هواء أي ماتحت السحاب
هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فعنه لاشئ ثابت لانه مما عني عن الخلق
ليكونه غير شيء فكأنه قال في جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال ما فوقه هواء وماتحته
هواء أي ليس فوق العمى الذي هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شيء فليس
يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال المروى صاحب التبرين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش
ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على
الماء وهذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العلماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو
الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف
قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه الفطن
وقال الازهرى قال أبو عبيد بن ابي عمير دأبنا تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والافلا ندرى كيف
كان ذلك العلماء قال الازهرى فحسن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض

مودعا قبل الاستقرار من
صلب أو رحم أو بيضة (كل
في كتاب مبين) كل واحد من
الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها في اللوح يعني
ذكرها مكتوب فيه مبين
(وهو الذي خلق السموات
والارض) وما بينهما (في ستة
أيام) من الأحد الى الجمعة
تعليم اللئاني (وكان عرشه على
الماء) أي فوقه يعني ما كان
تحتة خلق قبل خلق السموات
والارض الا الماء وفيه دليل
على أن العرش والماء كانا
مخلوقين قبل خلق السموات
والارض قيل بدأه بخلق
ياقوتة خضراء فنظر إليها
بالهيبة فصارت ماء ثم خلق
ريحافا قر ماء على متته
ثم وضع عرشه على الماء وفي
وقوف العرش على الماء
أعظم اعتبار لاهل الافكار

(ليبلوكم) أي خلق السموات والأرض وما بينهما الممحقن فيهم أولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها (أيكم أحسن عملاً) أكثر شكرًا وعنده علمه السلام أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فن شكر وأطاع أتباعه ومن كفر وعصى عاقبه ولم أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين) أشار به هذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحر فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره سحر حجة وعلى يري دون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (إلى أمة) إلى جماعة من الأوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم (ليقولن ما يحبسها) ما يمنعها من النزول استعجالاً له على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس) ٣١٨ العذاب (مصر وفاعنهم) ويوم منصوب بمصر وفاً أي ليس العذاب مصر وفاعنهم يوم يأتيهم

بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمر الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ يريد أتمام خلق المقادير لأنه كان مشغولاً بفرغ منه لأن الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فاعمالهم إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وقوله سبحانه وتعالى (ليبلوكم) يعني ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملاً) يعني بطاعة الله وأورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعني ولئن قلت يا محمد هؤلاء الكفار من قومك (أنكم مبعوثون من بعد الموت) يعني للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين) يعنون القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) يعني إلى أجل محدود وأصل الأمة في اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال سبحانه وتعالى إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى (ليقولن ما يحبسها) يعني أي شيء يحبس العذاب وإنما يقولون ذلك استعجالاً بالعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشيء قال الله عز وجل (ألا يوم يأتيهم) يعني العذاب (ليس) مصر وفاعنهم (أي لا يصرفه عنهم شيء) (وفاق بهم ما كانوا يستهزئون) يعني ونزل بهم وبالاستهزاء ثم قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقنا الإنسان منارحة) يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه) يعني سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به (أنه ليؤس كفور) يعني يظل قانطاً من رحمة الله أي سامناً من كل خير كفور أي مجوداً لنعمته عليه أولاً قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدوها فإن نزعنا عنك فينبغي لك أن تنصبر ولا تيأس من رحمة الله فإنه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعني ولئن نحن أنعمنا على الإنسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعني الذي أصابه الخير والسعة (ذهب السيأت عني) يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وإنما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجرأة عليه لأنه لم يصف الأشياء كلها إلى الله وإنما أضافها إلى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال (أنه لفرح بخور) أي أنه أشرب بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التناول على الناس بتعديب المناقب وذلك منهى عنه ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم إن نالهم شدة صبروا وإن نالهم نعمة شكروا واعلموا (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك تارك أن تبلغه إلى من أمرك أن تبلغ ذلك إليه (وضائق به صدرك) يعني ويضيق صدرك بما يوحى إليك فلا تبلغه إياهم وذلك أن كفار مكة قالوا

(وفاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا يستهزئون) العذاب الذي كانوا يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الإنسان) هو الجنس (منارحة) نعمة من حكة وأمن ووجدة واللام في لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (أنه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المساوية قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لماسلف له من القلب في نعمة الله نساء له (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله (ليقولن ذهب السيأت عني) أي المصائب

التي ساءتني (أنه لفرح) أشرب بطر (بخور) على الناس بما أذقه الله من نعمائه التي قد شغلته الفرح والفخر عن الشكر (الذين صبروا) في المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا في النعمة والرخاء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة كانوا يفترون عليه آيات تعتمداً لا استرشاداً لأنهم لو كانوا مسترشدين لما كانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لو أنزل عليه كثر أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فبهجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزأتهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) أي لعلك تترك أن تلقية إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهانهم به (وضائق به صدرك) بأن تتلو عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان أفسح الناس صدره ولا أنه أشكى بترك

(ان يقولوا) مخافة ان يقولوا

(لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكثر لنفقته والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه ما لا يريد ولا تقترحه (انما أنت نذير) أي ليس عليك الآن تتذرههم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تهانوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استبصارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل) فأتوا بشئ من سورة واحدة كما يقول المخبر في الخط لصاحبها كتب عشرة أسطر نحو ما كتب فإذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي فأنتوا أنتم أيضا بكلام مثله مخلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي

أنت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فأنزل الله عز وجل فلعنك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمد ولا سهو ولا غلطاً وأنه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يترك منه شيئا وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والاذنار ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول أحد الان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فإذا لم يحصل ذلك فقد فأتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعنك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثانية الثاني ان هذا من حيث سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه ويتهانون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون به فأمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والتترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب التترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعنك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعنك تارك ان تلقيه اليهم مخافة رددهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بأن تتلوهم عليهم (ان يقولوا) يعني مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) يعني يستغنى به وينفقه (أجاء معه ملك) يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقاً في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وأنت عزيز عند الله مع انك فقير فهل أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهل أنزل عليك ملكا يشهد بذلك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (انما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك (والله على كل شيء وكيل) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أفعالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعني بل يقول كفار مكة اختلقه يعني ما أوحى اليه من القرآن (قل) أي قل لهم يا محمد (فأتوا بشئ من سورة مثله مفتريات) لما قالوا افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تتحداهم وأرخى لهم العنان وفأوضحهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى شيء وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلي من اهل الفصاحة وقرسان البلاغة وأصحاب اللسان فأنتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مخلق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه وتعالى فأتوا بشئ من سورة مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فقلت قد تتحداهم بأن يا توابشئ من سورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بشئ من سورة مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز * قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وأنه تتحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا تتحداهم بسورة يونس وأنكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام

بعلم الله وان لا اله الا هو) أي
أنزل ملتبساً بما لا يعلمه الا
الله من نظم معجز للخلق
واخبار بغيوب لا سيبل
لهم اليه واعلموا عند ذلك
أن لا اله الا الله وحده وان
توحيدوه واجب والاشراك
به ظلم عظيم وانما جاع الخطاب
بعد افراده وهو قوله لكم
فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع
لتعظيم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أولاً لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
كانوا يجذبونهم أولاً
الخطاب للمشركين والضمير في
فان لم يستجيبوا ان استطعتم
أي فان لم يستجب لكم من
تدعونه من دون الله الى
المظاهرة على المعارضة لعلهم
بالعجز عنه فاعلموا انما انزل
بعلم الله أي باذنه أو بأمره
(فهل أنتم مسلمون) متبعون
للاسلام بعد هذه الحجة
القاطعة ومن جعل الخطاب
للمسلمين فعنايه فاقبوا على
العلم الذي أنتم عليه وازدادوا
يقيناً على انه منزل من عند
الله وعلى التوحيد فهل أنتم
مسلمون مخلصون (من كان
يريد الحياة الدنيا وزينتها فويل
اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا
يبخسون) فويل اليهم أجور
أعمالهم وافية كاملة من غير
بخس في الدنيا وهو ما يرزقون
فيها من الصحة والرزق وهم
الكفار أو المنافقون (أولئك
الذين ليس لهم في الآخرة الا

والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعني في مجزء الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن
غيب ولا ذكركم ولا وعد ولا وعيد فلما اتحد بهم هذا الكلام أمرهم بأن يقول لهم (وادعوهم من دون الله) استطعتم
من دون الله) حتى يعينوك على ذلك (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم انه مقتري (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم
انه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله
سبحانه وتعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوهم
استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان يدعوهم من دون الله لم يستجيبوا للكفار
في المعارضة فلهذا السبب اختلاف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما انه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدثون الكفار بالمعارضة ليتبين
عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
اليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا انما انزل بعلم الله) يعني فاقبوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً
وثباتاً لانهم كانوا عالمين بأنه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه
وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً لصلى الله عليه وسلم لم القول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى فان لم
يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوهم استطعتم من
دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوك فاعلموا انما انزل بعلم الله
وانه ليس مقتري على الله بل هو أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان لا اله الا هو) يعني الذي أنزل القرآن
هو الله الذي لا اله الا هو لا من تدعون من دونه (فهل أنتم مسلمون) فيه معنى الأمر أي أسلموا أو أخلصوا الله
العبادة وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الترتيب أي
دوموا على ما أنتم عليه من الاسلام قوله عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعني بعمله الذي
يعمله من أعمال البر نزلت في كل من عمل عملاً يتنى به غير الله عز وجل (نوف اليهم أعمالهم فيها) يعني أجور
أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره في
الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبخسون) يعني انهم لا ينقصون من أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل
يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعني
وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لا غير الله واختلاف المفسرون في المعنى
بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملاً
صالحاً في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجلاً ويعطى سائلاً
أو يرحم مضطراً أو نحو هذا من أعمال البر فيعمل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق
ويقرع عنه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق
الآية وهو قوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت
في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب
الآخرة وقيل ان حمل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي
يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول
مشكل لان قوله سبحانه وتعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان
تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلموا الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل
على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال
به الدنيا وقد وفي اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي كان عملهم في نفسه باطلاً لانهم لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له

رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علم الغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يتنبي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به
غرض من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جيب الخزن قالوا يا رسول الله وما جيب الخزن قال واد في جهنم تتعوذ منه
جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب قال البغوي وروى بيان النبي صلى الله عليه وسلم قال أن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو أن يظهر الإنسان الأعمال الصالحة
ليحمده الناس عليها أو وليعتقدها فيه الصلاح أو وليقصده به بالعبادة فهذا العمل هو الذي لا يغير الله تعوذ بالله
من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد
الدنيا والآخرة وادته الآخرة غالبه فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروى نافع أنس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في
الآخرة وأما الكافر فيظلم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا
أخرجه البغوي بغير سند قوله سبحانه وتعالى (أفئن كان على بينة من ربه) لماذا كرر الله سبحانه وتعالى في
الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله
تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفئن كان على بينة من ربه أي كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس
لهم في الآخرة إلا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفئن كان على
بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي أمر الله
به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق (ويتلوه شاهد
منه) يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلمة وابراهيم ومجاهد
وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين أنه جبريل عليه السلام يريدان جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم
ويؤيده ويستدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية
قال قلت لأبي يعني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله سبحانه
وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت أني هو ولكنه إنسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن
الإنسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لأن اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى
القرآن وقال مجاهد الشاهد هو مالك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويستدده وقال الحسن بن الفضل
الشاهد هو القرآن لأن اعجازهم وبلاغته وحسن نظامه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولأنه أعظم
مهمزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه
هذا القول أن من نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا
كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال علي بن أبي طالب ما من رجل من قريش إلا وقد تزلت فيه الآية
والآيتين فقال له رجل وأنت أي آية تزلت فيك فقال علي ما تقرأ الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى
هذا القول يكون الشاهد علي بن أبي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا
الشاهد وهو علي لا اتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار القراء
والعني أن الانجيل يتلو القرآن في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالإيمان به وإن كان قد
نزل قبل القرآن وقوله سبحانه وتعالى (ومن قبله) يعني ومن قبل نزول القرآن وأرسال محمد صلى الله عليه وسلم
(كتاب موسى) يعني التوراة (إماما ورحمة) يعني أنه كان إماما لهم يرجعون إليه في أمور الدين والأحكام
والشرائع وكونه رحمة لأنه الهادي من الضلال وذلك بسبب حصول الرحمة (أولئك يؤمنون به) يعني
أن الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم هم المشار إليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى

(أفئن كان على بينة من ربه)
أمن كان يريد الحياة الدنيا
كمن كان على بينة من ربه
أي لا يعقبونهم في المنزل
ولا يقارونهم يعني أن بين
الفريقين تمايضا وإنما أراد
بهم من آمن من اليهود كعبد
الله بن سلام وغيره كان على
بينته من ربه أي على برهان
من الله وبيان أن دين
الاسلام حق وهو دليل
العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك
البرهان (شاهد) يشهد
بصدقه وهو القرآن (منه)
من الله أو من القرآن فقد
مر ذكره آنفا (ومن قبله)
ومن قبل القرآن (كتاب
موسى) وهو التوراة أي
ويتلوه ذلك البرهان أيضا
من قبل القرآن كتاب
موسى عليه السلام (إماما)
كتابا مؤتمنا في الدين قدوة
فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة
على المنزل لهم وهما حالان
(أولئك) أي من كان على
بينته (يؤمنون به) بالقرآن

(ومن يكفر به) بالقرآن (من
الاحزاب) يعني أهل مكة
ومن ضامهم من المخزبيين
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم (فالنار موعده) مصيره
ومورده (فلاتك في مرية)
شك (منه) من القرآن أو من
الموعود (انه الحق من ربك
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
ومن أظلم ممن افترى على الله
كذبا أولئك يعرضون على
ربهم) يحبسون في الموقف
وتعرض أعمالهم (ويقول
الشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم) ويشهد عليهم
الاشهاد من الملائكة والنبيين
بأنهم الكاذبون على الله بأنه
اتخذ ولدًا وشريكًا (ألا لعنة الله
على الظالمين) الكاذبين على
ربهم والاشهاد جمع شاهد
كأصحاب وصاحب أو شهيد
كشريف وأشراف (الذين
يصدون عن سبيل الله)
يصرفون الناس عن دينه
(ويغوون عوجا) يصفونها
بالاعوجاج وهي مستقيمة
أو يغوون أهلها أن يعوجوا
بالارتداد (وهم بالآخرة هم
كافرون) هم الثانية لتأكيد
كفرهم بالآخرة واختصاصهم
به (أولئك لم يكونوا) أي ما كانوا
(مجهزين في الأرض) بمجهزين
الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد
عقابهم (وما كان لهم من دون
الله من أولياء) من يتولاهم
فينصرهم منه ويعينهم من
عقابه ولكنه أراد انظارهم
وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم
وهو من كلام الاشهاد
(يضاعف لهم العذاب) لانهم
أضلوا الناس عن دين الله بضعف مكى وشامى (ما كانوا يستطيعون السمع) أى استماع الحق (وما كانوا يبصرون) أى

الله عليه وسلم وقبل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعني محمد
صلى الله عليه وسلم (من الاحزاب) يعني من جميع الكفار وأصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود
والنصارى والمجوس وعبد الاوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء
(فالنار موعده) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت
به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا
وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الأمة الحديث قال
سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى
ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فلا حزاب أهل الملل كلها ثم قال سبحانه وتعالى (فلاتك في مرية
منه انه الحق من ربك) فيه قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن
نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراء والقول الثانى انه
راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده يعني فلانك في شك من ان النار موعده من كفر من
الاحزاب والخطاب في قوله فلانك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني
لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعدا لكفار النار قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وردى
كذبا) يعني أى الناس أشد تعديا بمن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا وفى الآية
دليل على ان الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وردى
معروض بالمبالغة (أولئك) يعني المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعني يوم القيامة فيسألهم عن
أعمالهم في الدنيا (ويقول الاشهاد) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس
هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعني في
الدنيا وهذه القضية تكون في الآخرة لكل من كذب على الله (ألا لعنة الله على الظالمين) يعني يقول الله
ذلك يوم القيامة فيعاقبهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازنى قال يئما ابن عمر يطوف
بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره
بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك
اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد
وفى رواية فينادى بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين
قوله سبحانه وتعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين
ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذى هو دين الاسلام
(ويغوون عوجا) يعني ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام
(وهم بالآخرة هم كافرون) يعني وهم مع صدقهم عن سبيل الله يحسدون البعث بعد الموت وينكرونه
(أولئك) يعني من هذه صفتهم (لم يكونوا مجهزين في الأرض) قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربيين
وقيل فائتين في الأرض والمعنى انهم لا يجوزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانقضاء منهم ولو كنهم في قبضته
وملكه لا يقدر ان على الامتناع منه اذا طلعهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعني وما كان هؤلاء
المشركين من أنصار يمنعونهم من دون الله اذا أرادهم سوءا أو عذابا (يضاعف لهم العذاب) يعني في الآخرة
يزاد عذابهم بسبب صدقهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون) قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فيمتنعون به ولا يبصرون خيرا فإيا أخذون به

الحق (أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشترى وعبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشترووه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون) بالصد والصدود ٣٢٣ وفي لاجرم أقوال أحد هان لاردل كلام

سابق أي ليس الامر كما زعموا

ومعنى جرم كسب وفاقله
مضمر وانهم في الآخرة في
محل الذنب والتقدير كسب
قولهم خسروا في الآخرة
وثانيها لان لاجرم كلمتان ركبتا
فصار معناهما واحدة أو أن في
موضع رفع بأنه فاعل لحق
أي حتى خسروا في الآخرة
ان معناه لا محالة (ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
وأخبتوا إلى ربهم) واطمأنوا
اليه وانقطعوا إلى عبادته
بالخشوع والتواضع
من الخبت وهي الأرض
المطمئنة (أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون مثل
الفريقين كالاعشى والاصم
والبصير والسميع) شبه فريق
الكافرين بالاعشى والاصم
وفريق المؤمنين بالبصير
والسميع (هل يستويان)
يعني الفريقين (مثلا) تشبيها
وهو نصب على التمييز (أفلا
تذكرون) فتمتنعون بضرب
المثل (ولقد أرسلنا نوحا إلى
قومه اني لكم نذير مبين) أي
بأنى والمعنى أرسلناه ملتسما
بهذا الكلام وهو قوله اني
لكم نذير مبين بالكسر فلما
انصل به الجار فتح كما فتح في كان
والعنى على الكسر وبكسر
الالف شامى ونافع وعاصم
وحزة على ارادة القول (أن لا
تعبدوا الا الله) أن مفسرة
متعلقة بأرسلنا أو بنذير (اني

وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة أما في الدنيا
فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون
خاشعة أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم
خطوطها من رجة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل كذبهم وفاقهم وفريتهم على الله وأدعواهم
ان الملائكة والاصنام تشفع لهم (لاجرم) يعني حقا وقال الفراء لا محالة (انهم في الآخرة هم الآخسرون)
لانهم باعوا انما لهم في الجنة واشتروا عوضها من النار وهذا هو الخسران المبين قوله عز وجل (ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم) لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم
في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وبجهم في الآخرة والاختبات في اللغة هو الخشوع
والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاختبات يتعدى بالي وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا فمعناه
اطمأن اليه واذا قلت أخبت له فمعناه خضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع
أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل يعني ان هذه
الاعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة الا بحصول أعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاختبات
بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالأعمال الصالحة مطمئين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على
تلك الاعمال أو يكونون مطمئين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاختبات بالخشوع والخضوع كان
معناه انهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع (أولئك)
يعني الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أخبر عن حالهم في الآخرة بأنهم من أهل الجنة التي
لا انقطاع لنعيمها ولا زوال قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالأعمى والاصم والبصير والسميع) لما ذكر
الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه
وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانتقاد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك
وتعالى مثل الفريقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو الذي لا يهتدى لرشده والاصم
وهو الذي لا يسمع شيئا البينة والبصير وهو الذي يبصر الأشياء على ماهيتها والسميع وهو الذي يسمع الاصوات
ويحيط بالداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه ومثلي الكافر كمثل الذي
لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه (هل يستويان مثلا) قال الفراء لم يقل هل يستويان لان الاعشى
والاصم في حيز كائهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كائهما واحد وهما من وصف
المؤمن (أفلا تذكرون) يعني فتمتنعون قوله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه اني لكم نذير مبين) يعني
ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم اني لكم انذار من قوم نوح بعدد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعة وأربعين سنة
بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى (أن لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب
يوم أليم) يعني مؤلم موجب قال ابن عباس بعث نوح بعدد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعة وأربعين سنة
وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو
ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعة وأربعين سنة وبعث نوح بعد
الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة (فقال الملا الذين كفروا من قومهم)
يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح (مانرا) يأنوح (الابشر امثلنا) يعني آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لان
التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمنع اشتباهه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم
وإنما قالوا هذه المقالة وتسمكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدعوة الى الله
تعالى بإقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المجزأة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر

أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه (فقال الملا الذين كفروا من قومهم) يريد الاشراف لانهم
يملئون القلوب هيبة والمجالس أبهة أولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (مانرا) ابشر امثلنا (أرادوا انه كان ينبغي أن يكون ملكا أو ملكا

(ومترك اتباعك الا الذين هم اراذلنا) أخسأوا جامع الارذل (بادى الرأى) وبغير هزأ وبغمر وأى اتبعوك ظاهر الرأى
 أو أول الرأى من بدايبندوا ظاهر أو بدأ يبدأ اذا فعل الشيء أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم خذف
 ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكر واما اتبعوك وانما استردوا المؤمنين
 لتفكرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جاهلا لما كانوا يعملون الا ظاهر من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال
 كما ترى أكثر المتبعين بالاسلام يعتقدون ذلك ويننون عليه كرامتهم واهانتهم ولقد دل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما
 يبعده ولا يرفعه بل يضعه ٣٢٤ (ومارى لكم علينا من فضل) فى مال ورأى عنوا ونوحا واتباعه (بل تظنكم كاذبين) أى نوحا فى الدعوة

ومتبعيه فى الاجابة
 والتصديق يعنى قواطع
 على الدعوة والاجابة تسببا
 للرياسة (قال يا قوم رأيتم)
 أخبروني (ان كنت على
 بينة) برهان (من ربى)
 وشاهد منه بشهد لصحة
 دعواى (واتانى رحمة من
 عنده) يعنى النبوة (فعميت
 عليكم) أى خفيت فعميت
 حجرة وعلى وحفص أى
 أخفيت أى فعميت عليكم
 البينة فلم تهديكم كالوعى
 على القوم دليلهم فى المفازة
 بقوا بغير هاد وحقيقته
 أن الحجة كما جعلت بصيرة
 ومبصرة جعلت غمما لأن
 الاعى لا يهتدى ولا يهتدى
 غيره (أنزلكموها) أى
 الرحمة (وأنتم لها كارهون)
 لا تريدونها والواو دخلت هنا
 تمة ليم وعن أبى عمر واسكان
 الميم ووجهه ان الحركة لم تكن
 الاخاسة خفيفة فظن الراوى
 سكونا وهو لحن لان الحركة
 الاعرابية لا يسوغ طرحها
 الا فى ضرورة الشعر
 (ويا قوم لا أسئلكم عليه)

وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى عباده ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح (وما
 ترك اتباعك الا الذين هم اراذلنا) يعنى سفلتنا وارذل الدون من كل شيء قيل هم الحاكمة والاسا كفة وأصحاب
 الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة فى الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف
 ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسول ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت
 سيرتهم فى الدين (بادى الرأى) يعنى انهم اتبعوك فى أول الرأى من غير تثبيت وتفكر فى أمرى ولو تفكر وا
 ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأى يعنى انهم اتبعوك ظاهر من غير ان يتفكروا باطنا (ومارى لكم علينا
 من فضل) يعنى بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله باليمان
 والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل تظنكم كاذبين) قيل الخطاب انوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو
 لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعنى نوحا (يا قوم رأيتم ان
 كنت على بينة من ربى) يعنى على بيان ويقين من ربى بالذى أنذرتكم به (واتانى رحمة من عنده) يعنى هديا
 ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم) يعنى خفيت وألبست عليكم (أنزلكموها) الهاء عائدة على الرحمة والمعنى
 أنزلكم أيها القوم قبول الرحمة يعنى اننا لا نقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا (وأنتم لها كارهون) وهذا
 استفهام معناه الانكار أى لا أقدر على ذلك والذى أقدر عليه أن أدعوكم الى الله وليس لى أن أضطركم الى
 ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبى الله لا لزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا) يعنى
 لا أسألكم ولا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جمعا (ان أجرى الاعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) وذلك
 انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون انهم
 ملاقوا ربهم فلا أطردهم (ولكنى أراكم قوماتجهلون) يعنى عظمه الله ووحدايته وربوبية وقيل
 معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم (ويا قوم من ينصرف من الله ان طردتهم) يعنى من يغنى
 من عذاب الله ان طردتهم عنى لانهم مؤمنون مخلصون (أفلاتنكرون) يعنى فتعظون (ولا أقول لكم
 عندى خزان الله) هذا عطف على قوله لا أسألكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندى
 خزان الله يعنى التى لا يقينها شيء فأدعوكم الى اتباعى عليها لا أعطيكم منها وقال ابن الانبارى الخزان هنا يعنى
 غيوب الله وما هو منطوق عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا اجوابا من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما
 ترك اتباعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وأدعوا ان المؤمنين انما اتبعوه فى ظاهر ما يرى منهم وهم فى
 الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندى خزان الله التى لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما
 يظهر منه الا هو وانما قيل للغيوب خزان لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى يحصل
 الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندى خزان الله وبين قوله (ولا أعلم الغيب) يعنى ولا أدعى علم ما يغيب عنى مما
 يسرونه فى نفوسهم فسيبلى قبول ايمانهم فى الظاهر ولا يعلم ما فى ضمائرهم الا الله (ولا أقول انى ملك) وهذا

على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله انى لكم نذير (مالا) أجرا ينقل عليكم ان أدبتم أو على ان أنبئتم (ان أجرى) مدنى
 وشأى وأبو عمرو وحفص (الاعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألو اطردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معه (انهم ملاقوا
 ربهم) فيشككوننى اليه ان طردتهم (ولكنى أراكم قوماتجهلون) تنسأفهمون على المؤمنين وتدعونهم أراذل وأنجهلون لقاء ربكم وأنهم خير
 منكم (ويا قوم من ينصرف من الله) من يعنى من انتقامه (ان طردتهم أفلاتنكرون) تعظون (ولا أقول لكم عندى خزان الله) فأدعى
 فضلا عليكم بالغنى حتى تجدوا فضلى بقولكم ومارى لكم علينا من فضل (ولا أعلم الغيب) حتى أطلع على ما فى نفوس أنبأى وضمائر قلوبهم
 وهو معطوف على عندى خزان أى لا أقول عندى خزان الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا الى ما أنبأ الا بشر مثلنا

(ولا أقول للذين تردى أعينكم) ولا أحكم على من استرذلت من المؤمنين لفقيرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) في الدنيا والآخرة لهو انهم عليه مساعدة لكم وتزولا على هواكم (الله أعلم بما في أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطاع على خفي أسرارهم (اني اذ المن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وأصله ٣٢٥ تترى فأبدلت التاء دالا (قالوا يا نوح

قد جادلنا) خاصمتنا (فأكثر

جدالنا) فأتناجنا (من

العذاب (ان كنت من

الصادقين) في وعيدك (قال

انما يأتيكم به الله ان شاء) أي

ليس الايمان بالعذاب الى

وانما هو الى من كفرتم به (وما

أنتم بمعجزين) أي لم تقدر

على الهرب منه (ولا ينفعكم

نصيحي) هو اعلام موضع

التي ليتقى والرشد ليقضي

ولكني اني نصحي مدني وأبو

عمرو (ان أردت أن أنصح

لكم ان كان الله يريد أن

يعزيكم) أي يضلحكم وهذا

شرط دخل على شرط فيكون

الثاني مقدما في الحكم لما

عرف تقديره ان كان الله يريد

أن يعزيكم لا ينفعكم نصحي

ان أردت أن أنصح لكم وهو

دليل بين لنا في ارادة المعاصي

(هو ربكم) في تصرف فيكم على

قضية ارادته (واليه ترجعون)

فيجازيكم على أعمالكم (أم

يقولون افتراه) بل يقولون

افتراه (قل ان اقتريته

فعلي اجرام) أي ان صح

أنى اقتريته فعلي عقوبة

اجرام أي افترائي يقال

أجرم الرجل اذا أذنب

(وأنا بريء) أي ولم يثبت

ذلك وأنا بريء ومنه ومعنى

(مما تجرمون) من اجرامكم

في اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قدام) اقنط من ايمانهم وانه غير

متوقع وفيه دليل على ان للايمان حكم الشجدة كما أنه قال ان الذي آمن يؤمن في ذلك يخرج الزيادة التي ذكر في الايمان

بالقرآن (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن خزن بائس مستكين والابتئس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن

بما فعلوه من تكذيبك وايدائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك

جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا أي لا ادعى اني من الملائكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وأبلغكم

ما أرسلت به اليكم

فوفصل بين استدلال بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه السلام قال ولا

أقول اني ملك لان الانسان اذا قال أنا لا ادعى كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل من

أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب ان يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا

عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثله لما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون

من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وأن الرسل الى البشر انما يكونون من البشر

فلهذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء والله أعلم وقوله

سبحانه وتعالى (ولا أقول للذين تردى أعينكم) يعني تحتقر وتستصغر أعينكم يعني المؤمنين وذلك لما قالوا

انهم أرادوا من الرذالة وهي الخسة (لن يؤتيهم الله خيرا) يعني توفيقا وهذه اية واعيانا وأجرا (الله أعلم بما في

أنفسهم) يعني من الخير والشر (اني اذ المن الظالمين) يعني ان طردتهم مكذب بالظاهرهم ومبطل لايمانهم

يعني اني ان فعلت هذا فأكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله كما أنا من الظالمين (قالوا يا نوح قد جادلنا) يعني خاصمتنا

(فأكثر جدالنا) يعني خصومتنا (فأتناجنا) يعني من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني في دعواك

انك رسول من الله الينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان

ذلك ليس الى انما هو الى الله يتزله متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما أنتم بمعجزين) يعني وما

أنتم بقاتلين ان أراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحي) ان أردت أن أنصح لكم يعني ولا ينفعكم انذارى

وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم (ان كان الله يريد أن يعزيكم) يعني يضلحكم وقيل يهلككم وهذا

معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى الى الهلاك (هو ربكم) يعني انه سبحانه وتعالى هو ملككم فلا

تقدرون على الخروج من سلطانه (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (أم يقولون افتراه)

أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به (قل ان اقتريته) أي اختلقته (فعلي

اجرام) أي انما اجرامى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله

(وأنا بريء مما تجرمون) يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه

فهى من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمد صلى

الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ثم رجع

الى القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قدام) قال ابن عباس ان

قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم

الثاني ويذعوه الى الله ويروى ان شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ

الجنون فقال يا أبت أمكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجبه شجرة منكورة

فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قدام (فلا تبتئس) يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم (بما

كانوا يفعلون) يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فيمتد دعاء نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تند على الارض

من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمر الليثي انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه

حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى عمادوا في العصية واشتد عليه منهم البلاء

في اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قدام) اقنط من ايمانهم وانه غير

متوقع وفيه دليل على ان للايمان حكم الشجدة كما أنه قال ان الذي آمن يؤمن في ذلك يخرج الزيادة التي ذكر في الايمان

بالقرآن (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن خزن بائس مستكين والابتئس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن

بما فعلوه من تكذيبك وايدائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك

(واصنع الفلك بأعيننا) هو في موضع الحال أي اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كان لله معه أعيننا سكاؤه من ان يريخ في صنعه
عن الصواب (ووحينا) وانا نوحى اليك ٣٢٦ ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك

فأوحى الله إليه أن يصنعها
مثل جوجوا الطائر (ولا
تخاطبني في الذين ظلموا)
ولا تدعني في شأن قومك
واستدفع العذاب عنهم
بشفاعتك (انهم مغفرون)
محكوم عليهم بالاعراق
وقد قضى به وجف القلم
فلا سبيل الى كفه (ويصنع
الفلك) حكاية حال ماضية
(وكلما مر عليه ملائمة
قومه يخبروا منه) من
عمله السفينة وكان يعملها
في بركة في أبعاد موضع من
الماء فكانوا يتباحكون منه
ويقولون له يانوح صرت
نجارا بعدما كنت نبيا
(قال ان تسخر وامنافانا
نسخركم) عند رؤية
الهلاك (كان تسخرون)
من عند رؤية الفلك روى
ان نوحا عليه السلام اتخذ
السفينة من خشب الساج
في سنتين وكان طولها
ثلثمائة ذراع أو ألفا ومائتي
ذراع وعرضها خمسون
ذراعا وستمائة ذراع وطولها
في السماء ثلاثون ذراعا وجعل
لها ثلاثة بطون فجعل في
البطن الأسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن
الوسط الدواب والانعام
وركب نوح ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج

وهو ينتظر الجبل بعد الجبل فلا يأتي قرن الا كان أنحس من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الا تحرمهم
فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنون فلا يقبلون منه شيئا ففسد كانوح الى الله عز وجل
فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله
سبحانه وتعالى اليه (واصنع الفلك) يعني السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن
عباس يمرأى منا وقيل يعلمنا وقيل يحفظنا (ووحينا) يعني بأمرنا (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغفرون)
يعني بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك
كنعان وامرأتك واعلم فانهم اهل الكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك يأمر ان تصنع
الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول اصنع فانك بأعيننا فأخذ القيد وجعل يجر ولا
يخطئ فصنعها مثل جوجوا الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (ويصنع الفلك) يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قال
أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة أقبل على عملها ولما عن قومه وجعل يقطع الخشب
ويضرب الحديد ويهوى القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يمترون به وهو في عمله فيستخرون
منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل
التوراة أن الله أمره ان يصنع الفلك من خشب الساج وأن دطليه بالقار من داخله وخارجته وان يجعل
طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث
طباق سفلى ووسطى وعليا وان يجعل فيه كوى فضعه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح
السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسة عشر ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت
من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن
الوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال
قتادة وكان يابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول
الاول أشهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زهير بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها
ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى ان ثلثة
أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للاناس والطبقة العليا للطير فلما كبرت أرواث
الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغمر ذنب القيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة
ومسخ على الخنزير فوقع منه الفأر فأقبل على الروث فأكلوه فلما أفسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها
ويقرض حبالها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من مضغرة سنور
وسنورة وهي القطعة والقط فاقبل على الفأر فأكله قوله سبحانه وتعالى (وكلما مر عليه ملائمة من قومه) أي
جماعة من قومه (منهم ومنهم) يعني استهزأ به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا
وقيل قالوا يانوح ماذا تصنع قال اصنع بيتا عيشي على الماء فصحوا منه (قال) يعني نوحا لقومه (ان تسخروا
منافانا نسخر منكم) يعني ان تسخرونا في صنعة فاننا نسخر منكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله
وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منافانا نسخر
منكم كان تسخرون قلت لا تليق باسمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كافي قوله
سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى ان اتري غيب سخريةكم فماذا تنزل بكم العذاب وهو قوله تعالى
(فسوف تعلمون) يعني فسترون (من يأتيه) يعني أينما يأتيه نحن أو أنتم (عذاب يخزيه) يعني يهينه (ويجلب
عليه عذاب مقيم) يعني في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثاني

عذاب
اليه من الزاد وجل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حازبا بين الرجال والنساء (فسوف تعلمون من يأتيه)
من في محل النصب يعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويجلب
عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة

(حتى) هي التي يتبدأ بعدها

عذاب النار وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له (حتى اذا جاء امرنا وفار التنور) يعني وعلى
والقور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسم غير هذا فاذلك جاء في
القرآن بهذا اللفظ فخطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي وقيل ان لفظ
التنور أصله أعجمي فسمي به العرب فصارعوا بما مثل الدياتج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال
عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض
فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار
التنور أى طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان
التنور هو الذي يخبئ فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس أيضاً وهذا القول أصح لان اللفظ اذا
دار بين الحقيقة والمجاز كان جملة على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبئ فيه فوجب
حمل اللفظ عليه * فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنامعهو سابق عند السامع فوجب
جملة على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوه ويقوى فأنج بنفسك ومن معك * قلت
لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء
تخبئ فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يقور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا في موضع
التنور فقال مجاهد ينبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي
يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان
التنور على عين الداخل بمأبى باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك
التنور تنورا آدم وكان بالشأم بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والقور ان
الغليان (قلنا اجل فيها) يعني قلنا لنوح اجل في السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغنى
أحد ههنا عن الآخر كذا كروا لا تثنى يقال لكل واحد منهم زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر أو أنثى
فخسر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب يديه في كل جنس منها
فيقع الذكور في يده والانثى في يده اليسرى فيجعلها في السفينة (وأهلك) أى واجمل أهلك وولدك
وعيا لك (الامن سبق عليه القول) يعني بالهلاك وأراد به امرأته وأهلها وولده كنعان (ومن آمن) يعني واجمل
معك من آمن بك من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال
قنادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام
وحام ويافث ونسأؤهم وقال الأعشى كانوا سبعة نوحا وبنوه وثلاث كنان له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة
سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وسبعة نفر آمنوا نوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا
اثنين وسبعين نفر ارجلوا امرأته وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال الطبري
والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى
بالقلة ولم يجدها بقدر فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه خمسة آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال
والنساء وقصده نوح جميع الدواب والطير ليحملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الجمار
فلما أراد أن يدخل الجمار أدخل صدره فمعلق ابليس بذنبه فلم تنتقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل
فيهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل
الجمار فدخل الجمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وان كان
الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال لا بد من أن تحملي معك فكان فيما يرمعون على ظهر السفينة
هكذا نقله البغوي وقال الامام فخر الدين الرازي وأما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من
الجن وهو جسم ناري وأهوائه فكيف يقتر من الغرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح

الكلام أدخلت على الجملة من
الشرط والجزاء وهي غاية
لقوله ويصنع القلک أى وكان
يصنعها الى أن جاء وقت الموعد
وما بينهما من الكلام حال
من يصنع أى يصنعها والحال
انه كلما مر عليه ملا من قومه
سخر وامنه وجواب كلما
سخر وأقال استثناف على
تقدير سؤال سائل أو قال
جواب وسخر وأبدل من متر
أوصفة للملا (اذا جاء امرنا)
عذابنا (وفار التنور) هو كناية
عن اشتداد الامر وصعوبته
وقيل معناه جاش الماء من
تنور الخبز وكان من حجر لحواء
فصار الى نوح عليه السلام
وقيل التنور وجه الارض
(قلنا اجل فيها) في السفينة
(من كل زوجين اثنين) بنفسه
في سورة المؤمن (وأهلك) أى
من سبق عليه القول) عطف
على اثنين وكذا (ومن آمن)
أى واجمل أهلك والمؤمنين
من غيرهم واستثنى من أهلها
من سبق عليه القول انه
من أهل النار وما سبق عليه
القول بذلك الا للعلم بانه يختار
الكفر بتقديره وارادته جل
خالق العباد عن أن يقع في
الكون خلاف ما أراد (وما
آمن معه الا قليل) قال عليه
السلام كانوا ثمانية نوح وأهلها
وبنوه الثلاثة ونسأؤهم
وقيل كانوا عشرة خمسة رجال
وخمسة نسوة وقيل كانوا اثنين
وسبعين رجلا ونسأؤ أولاد
نوح سام وحام ويافث ونسأؤهم
فجميع ثمانية وسبعون
نصفهم رجال ونصفهم نسوة

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومارسها) بسم الله متصل بركبوا واحال من الواو أي اركبوا فيها صمعي الله أو قائلين بسم الله وقت اجراءها وقت ارسائها أما لان المجرى والمرسى للوقت وأما لانهم ما مصدران كالأجزاء والأرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم حقوق النسيم ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومارسها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني ان نوح عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومارسها بذكر اسم الله أي بسم الله أجر أوهاو ارساؤها أو كان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجزت واذا أراد ان ترسو قال بسم الله فترست مجراها بفتح الميم وكسر الراء من جرى امام مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفض وبضم الميم وكسر الراء أبو عمر ورواها بضم الميم وفتح الراء (ان ربي لغفور) ان آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهي تجري بهم) متصل بحذف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله ٣٢٨ وهي تجري بهم أي السفينة تجري وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر ومرة وهو ما يرتفع من

الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصابي وقيل كان ابن امرأته (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا انحأ وأبعده أو في معزل عن دين أبيه (يا بني) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الأضافة من قولك يا بنيًا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الأضافة (اركب معنا) في السفينة أي اسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين) قال ساء (ي) ألبأ الى جبل يعصني من الماء) يعني من الغرق (قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) الا ارحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان

فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالا اجلنا معك فقال انك سبب البلاء فلا اجلنا فقالا اجلنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحدًا ذكرك في قرأحين يخاف مضرتهم اسلام على نوح في العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعني بسم الله (وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة) بسم الله مجراها ومارسها (ان ربي لغفور رحيم) يعني بسم الله أجر أوهاو ارساؤها قال الضحاك كان نوح اذا أراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فتجى وكان اذا أراد ان ترسو دعنى تقف قال بسم الله فترسو أي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من أراد امرًا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببًا للنجاح والفلاح في سائر الامور (وهي تجري بهم في موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا شدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير أرسل الله المطر أربعين يومًا و ليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وبجرنا الارض عيونًا فاللقى الماء على أمر قد قدر يعني صار الماء نصفين نصفًا من السماء ونصفًا من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطول له أربعين ذراعًا وقيل خمسة عشر ذراعًا حتى أغرق كل شيء وروى انه لما كثر الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحببه حبًا شديدًا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبته ارتفعت الصبي يديه حتى ذهب بها الماء فأغرقهم فلو رحم الله منهم أحد الرحم أم الصبي (ونادى نوح ابنه) يعني كنعان وكان كافرًا (وكان في معزل) يعني عن نوح لم يركب معه (يا بني اركب معنا) يعني في السفينة (ولا تكن مع الكافرين) يعني فتهلك معهم (قال) يعني قال كنعان (ساء) يعني سألتجئ وأصير (الى جبل يعصني) يعني يعصني (من الماء قال) يعني قال له نوح (لا عاصم) يعني لا مانع (اليوم من أمر الله) يعني من عذابه (الا من رحم) يعني الا من رحمه الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من الغرقين) يعني كنعان (وقيل) يعني بعدما تناهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلعي ماءك) أي اشربيه (ويا سماء اقلعي) أي أمسكي (وعغض الماء) أي نقص ونضب يقال غاض الماء اذا انقص وذهب (وقضى الامر) يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعني واستقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) يعني هلاك (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب

الا من رحم الله أي الامكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصمًا من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من الغرقين) فصار أو فكان في علم الله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) انشقي وتشربي والبلع النشف (ويا سماء اقلعي) أمسكي (وعغض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لا زوم ومتعدد (وقضى الامر) وأنجز ما وعد الله نوحًا من اهلاك قومه (واستقرت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها سبعة أشهر (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا) للقوم الظالمين أي سحقه القوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعد اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر في هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من الجاز والاستعارة والحكاية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها

فارتدوان تقطع طوفان السماء فانقطع وان تغبض الماء النازل من السماء فغيض وان نقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقطضى وان نسوى السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامور الذى لا يتأتى منه لكمال هيئته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود وتصوير الاقتدار العظيم وأن السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متمتع لارادته فيها تغييرا وتبدلا كأنهم اعفلاء يميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والأذعان لحكمه وتحتمل الجهد وعلمهم في تحصيل مراده ثم نبى على تشبيه هذا انظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل الجواز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرية الجواز الخطاب للجماد وهو يا أرض ويا سماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذى هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيها به بالغذاء لتقوى الارض بالماء في الانبات كتقوى الأكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لا حنباس المطر الا قلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأتى ثم قال وغبض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد ولم يصرح عن غاض الماء ولا عن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعد اكلم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء لو كافي كل واحد من ذلك لسبيل السكينة وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكثور قاهر وان فاعلها واحد لا يشترك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره ٣٢٩ يا أرض ابلى ماءك ويا سماء اقلعى ولا

أن يكون الغائص والقاضى والمستوى غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها للسالكى مسلكتهم في تكذيب الرسل ظملا لانفسهم اظهار المكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم * ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون اخوانها لكونها أكثر استعمالا ولذا لالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والمالكوت وايداء العزة والجبروت وهو

ليأتية بجبر الارض فوق على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالتحوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة بالخرقة التي في عنقها ودعا لها بالامان فن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا عليه السلام ركب السفينة عشرة بقرين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت الحرام وقدر فعنه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعين يوما ودع البحر الاسود جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكر الله تعالى وبثاقرة بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهى أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجرته وسبب نجاة من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والموام والطيور وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا اهلاك اطفال الأمم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم

٤٢ خازن في تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرض لزيادة التهاون اذا لاضافة تستدعى القرب ولم يقل يا أيها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما أخف وادور واختير ابلى على ابتلى لكونه أخضر وللجناس بينه وبين أقلعى وقيل أقلعى ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل يا أرض ابلى ماءك فبليت ويا سماء أقلعى فأقلعت اختصارا واختير غيظ على غيض وقيل الماء دون أن يقال ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستعانة بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي أى أقرت على تخويل وغبض اعتبار البناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهى تجري بهم ارادة للطابقة ثم قيل بعد اللقوم ولم يقل ليمعد القوم طابا للتأكد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلام وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فلذلك انه قدم النداء على الامر فقبل يا أرض ابلى ويا سماء أقلعى ولم يقل ابلى يا أرض وأقلعى يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليمكن الامر الوارد عقبه في نفس المنادى قصد بذلك اعني الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغبض الماء لاتصاله بقصد الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعد من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر * ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كاترى نظم للمعاني لطيف وتادية لهما لمصلحة مدينة لا تعقيد بعثر الف كرفي طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالما في السلاسة وكالعسل في الخلاوة وكالتسم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بثمل هذه الآية ولله در شأن التزليل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف

لاتسح الحصر ولا تظن الآية مقصورة على المذكور فعمل المتروك أكثر من المستور (ونادى نوح ربه فقال رب) نادوه ربه دعاءه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تضيئة أهله (ان ابني من أهلي) أي بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيباله فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعده ٣٣٠ فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد عدتني أن تنجي أهلي فإبال ولدي (وانت

أحكم الحاكمين) أي أعلم الحكام وأعدلهم إلا فضل الحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدى الحكومة في زمانك قد قلب أفضى القضية ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يانوح انه ليس من أهلك) ثم علل لانتقاء كونه من أهله بقوله (انه عمل غير صالح) وفيه ايدان بان قرابة الدين غامرة لقسرة النسب وان نسبك في دينك وان كان حبشياً وكنيت قرشياً الصيقل ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحماً فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغاً في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار أو التقدير انه ذو عمل وفيه اشعار بأنه اتما تجبى من أنجبى من أهله لصالحهم لا لانهم أهله وهذا ما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أئوته عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان يوافق والا لا يحتمل أن يقول ابني من أهلي ويسأله نجاهه وقد سبق منه النبي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا

ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) أي دعاءه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلي) يعني وقد وعدتني أن تنجي وأهلي (وان وعدك الحق) يعني الصديق الذي لا خلف فيه (وانت أحكم الحاكمين) يعني أنك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك (قال) يعني قال الله تعالى (يانوح انه) يعني هذا الابن الذي سألتني نجاهه (ليس من أهلك) اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الا ولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور والصحيح عن ابن عباس انه قال ما بغت امرأة نبي قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضاً نص عليه بقوله يابني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافراً وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريد في الجنة وهم المؤمنون وفريد في السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافراً وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبي وكان آزر كافراً فذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء * فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأله النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً قلت قد ذكر بعضهم ان نوحاً عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافراً فذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاحوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فأجاب الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعني أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه وياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراها ولما حكمت الشريعة برفع حكم التسبب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ السكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقر من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي أن أنجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاه الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح أيضاً ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار قال الواحدى وهذا قول أبي اسحق يعني الزجاج وأبي بكر بن الانبارى وأبي على الفارسي قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح عمل عملاً غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعلى هذا الاحذف (فلا تسألني ما ليس لك به علم) وذلك ان نوحاً عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ما ليس لك به علم بجواز مسئلته (اني أعظك) يعني أنهلك (أن تكون من الجاهلين) يعني لمثل هذا السؤال (قال) يعني قال نوح (رب اني أعوذ بك) يعني

انهم مغرورون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لئيبنا عليه السلام ويضمرون الخلاف الجأ له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (فلا تسألن) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بمدني تسألن شامى فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيذ تسألن مكى (ماليس لك به علم) بجواز مسئلته (اني أعظك) أن تكون من الجاهلين (هو كانهى رسولنا بقوله فلا تكون من الجاهلين) قال رب اني أعوذ بك

أن أسئلك ما ليس لي به علم) أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدياً بأدبك وأتعاطا بوعظتك (والا تغفري) ما فرط مني (وترجني) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين) قيل يا نوح اهبط بسلام منا) بحية منا وأبسلامة من الغرق (وبركات عليك) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأتعة الدين في القرون الباقية من نسله (وعلى أمم من معك) من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم ٣٣١ لان الامم تشعب منهم أولا ابتداء

الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (سمعتهم) في الدنيا بالسمعة في الرزق والخلف في العيش صفة والخبر محذوف تقديره ومن معك أمم سمعتهم وانما حذف لان من معك يدل عليه (ثم عيسهم مناعذاب اليم) أي في الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون من معك ومن معك أمم يمتعون بالدين من قبلهم الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه ومن كان معه في السفينة وعن محمد ابن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهي (من أبناء الغيب نوحيا) اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهي (من أبناء الغيب نوحيا) اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهي (من أبناء الغيب نوحيا) اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)

أجأ اليك وأعتذر اليك (أن أسئلك ما ليس لي به علم) يعني انك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني فأعتذر اليك من مسئلتك ما ليس لي به علم (والا تغفري) يعني جهلي واقدمي على سؤال ما ليس لي به علم (وترجني) يعني برحمتك التي وسعت كل شيء (أكن من الخاسرين)

وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهى عنه بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى اني أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا فقيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعده نوحا عليه السلام بان ينجيها وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله سبحانه وتعالى فا قدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذي وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مغرق مع الذين ظلموا نهى عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدمه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذبه وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الارباب ريسات المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدمه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنوب ولا معصية والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (قيل يا نوح اهبط) أي انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض (بسلام) أي بأمن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هي ثبوت الخير وغاؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم (وعلى أمم ممن معك) يعني وعلى ذرية أمم ممن كانوا معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجي عن بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم سمعتهم) هذا ابتداء كلام أي وأمم كافرة يحدون بعدك سمعتهم يعني في الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم عيسهم مناعذاب اليم) يعني في الآخرة (تلك) من أبناء الغيب) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أبناء الغيب يعني من أخبار الغيب (نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) يعني من قبل نزول القرآن عليك * فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا * قلت يحتمل أن يكون كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فاصبر) يا محمد على أذى مشركي قومك كاصبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعني النصر والظفر على الأعداء والفوز بالسعادة الاخرية (المتقين) يعني للمؤمنين قوله عز وجل (والى عاد) يعني وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا) يعني أخاهم في النسب لافي الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا في العبادة (مالكم من إله غيره) يعني انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع (ان أنتم الا مغفرون) يعني ما أنتم الا كاذبون في عبادتكم غيره (يا قوم لا أسئلكم عليه) يعني على تبليغ الرسالة (أجرا) يعني جعلنا آخذة

الوقت أو من قبل إحيائي اليك واخبارك بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كاصبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولن كذبك نوحا كان لنوح ولقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (المتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحد منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا أي وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من إله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ (ان أنتم الا مغفرون) نفثون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لا أسئلكم عليه أجرا)

ان أجرى الاعلى الذي فطرني) مامن رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأهم النصيحة والنصيحة لا ينجيها الا حسم المطامع ومادام يشوهم
شيئ منهم لم تنجح ولم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجر الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفي للثمة من ذلك (ويا قوم
استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) حال أي كثيرة الدرور (ويزدكم قوة الى
قوتكم) اغا قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زرع وبساتين فكانوا أخرج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما
أو توام شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم
هو وعليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض صحابه
اني رجل ذو مال ولا يولد لي عمنى شيئا ٣٣٣ لعل الله يرزقني ولد ا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى رجا الاستغفار في

يوم واحد سبع مائة مرة فولد
له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية
فقال هلا سألته عم قال ذلك
فوفد وفدة أخرى فسأله
الرجل فقال ألم تسمع قول هود
ويزدكم قوة الى قوتكم وقول
نوح ويزدكم بأموال وبنين
(ولا تتولوا) ولا تعرضوا عني
وعما أدعوكم اليه (مجرمين)
مصرين على اجر امك وانامك
(قالوا يا هود ما جئنا بنبينة)
كذب منهم ووجود كذالت
قريش رسول الله صلى الله
عليه وسلم لولا أنزل عليه آية
من ربه مع قوت آياته الحصر
(وما نحن بتاركي آلهتنا عن
قولك) هو حال من الضمير في
تاركي آلهتنا كأنه قيل وما
نترك آلهتنا صادرين عن
قولك (وما نحن لك بمؤمنين)
وما يصح من أمثالنا ان
يصدقوا مثلك فمادعوههم
اليه افتباطه من الأجابه (ان
نقول الاعتراك بعض آلهتنا
بسوء) ان حرف نفي فتفي
جميع القول الا قول واحد
وهو قولهم اعتراك أصابك

منكم (ان أجرى) يعني ما تولى (إلا على الذي فطرني) يعني خلقني فانه هو الذي يرزقني في الدنيا وبنيني في
الآخرة (أفلا تعقلون) يعني فتعظون (ويا قوم استغفروا ربكم) أي آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان
لانه هو المطالب أولا (ثم توبوا اليه) يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم
مدرارا) يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصصة
كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وخطت بسبب كفرهم
فاخبرهم هو وعليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقه أرسل الله اليهم المطر فاحياه بلادهم كما كانت أول
مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعني شدة مع شدةكم وقيل معناه انكم ان آمنتم بيقولكم بالاموال والاولاد وذلك
انه سبحانه وتعالى أعظم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هو وعليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون
مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة
في الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعني ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حال كونكم مشركين
(قالوا يا هود ما جئنا بنبينة) أي ببرهان وحجة واضحة على حجة ما نقول (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك)
يعني وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعني بمصدقين (ان نقول الاعتراك بعض
آلهتنا بسوء) يعني أنك يا هود لست تتعاطى ما نتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن بعض آلهتنا أصابك
بجنبل وجنون لانك سببتهم فانقموا منك بذلك ولا تحمل أمرك الاعلى هذا (قال) يعني قال هود مجيبا لهم
(اني أشهد الله) يعني على نفسي (واشهدوا) يعني واشهدوا أنتم أيضا على (أنى يرى) مما تشركون من دونه
يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدوني جميعا) يعني احتالوا في كيدى وضري أنتم وأصنامكم التي
تعبدون انها تضمر وتنفع فانها لا تضمر ولا تنفع (ثم لا تنظرون) يعني ثم لا تهملون وهذا فيه معجزة عظيمة
لهو وعليه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه فاقال لهم هذه المقالة ولم يهملهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه
من الكفر والجبروت الا ثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (اني تركت على الله ربى وربكم)
يعني انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه (ما من دابة) يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني آدم
والحيوان لانهم يدبون على الارض (إلا هو آخذ بناصيتها) يعني انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو
يقهرها لان من أخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذي عليه ناصية للحيوان
قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تسمعون ذلك كثيرا في كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره
يقولون ناصية فلان سيد فلان وكانوا إذا أسروا أسيرا أو أرادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا بذلك
تخرا عليه فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) يعني ان ربي

بعض آلهتنا بسوء بجنون وخيل وتقديره ما نقول قولنا هذه المقالة أي قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال اني أشهد الله
واشهدوا أنى يرى) مما تشركون من دونه (أي من أشرككم آلهة من دونه والمعنى اني أشهد الله أنى يرى) مما تشركون وواشهدوا أنتم أيضا أنى يرى
من ذلك وحيى به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه أشهدوا على أنى لا أحبك ثم يكايه واستهانة بحاله (فكيدوني
جميعا) أنتم وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لا تهملون فاني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم على وكيف تضمرني آلهتكم وما هي الاجاد
لا تضمر ولا ينفع وكيف تنقم مني اذ انلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخباني وتذهب بعقلي (اني تركت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها) أي مالكها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلايته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربه عليه
وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسطاطته والاخذ بناصية تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) ان ربي على

الحق لا يعبد الله أو أن ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقد أبلغكم ما أرسلت به إليكم) هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم (ويستخلف
ربي قوما غيركم) كلام مستأنف أي ويهلككم الله ويحیی بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم (ولا تضرر منه) بتوليكم (شيأ) من
ضرر قط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضررون أنفسكم (ان ربي على كل شئ حفيظ) ٣٣٣ رقيب عليه مهين فاستخفى عليه أعمالكم
ولا يغفل عن مواخذكم

أو من كان رقيبا على الاشياء
كلها حافظا لها وكانت الاشياء
مقترنة الى حفظه عن
المضار لم يضر مثله مثلكم
(ولما جاء أمرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه) وكانوا
أربعة آلاف (برحمة منا)
أي بفضل من لا يعملهم أو
بالإيمان الذي أنعمنا عليهم
(ونجيناهم من عذاب غليظ)
وتكرار نجينا للتأكيده
الثانية من عذاب الآخرة
ولا عذاب أغلظ منه (وتلك
عاد) إشارة الى قبورهم
وآثارهم كأنه قال سيحوا
في الارض فانظروا اليها
واعتبروا ثم استأنف وصف
أحوالهم فقال (يخمدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله) لانهم
إذا عصوا رسلهم فقد عصوا
جميع رسل الله لا تفرق بين
أحد من رسله (واتبعوا
أمر كل جبار عنيد) يريد
رؤساءهم ودعاتهم الى
تكذيب الرسل لانهم الذين
يجبرون الناس على الامور
وتعاندون ربهم ومعنى اتباع
أمرهم طاعتهم (واتبعوا
في هذه الدنيا العنة ويوم
القيامة) لما كانوا تابعين لهم
دون الرسل جعلت العنة
تابعة لهم في الدارين (ألا

وان كان قادرا أو أنتم في قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف
والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه
اضمار تقديره ان ربي يحكمكم على صراط مستقيم (فان تولوا) يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الإيمان بما
أرسلت به إليكم (فقد أبلغكم ما أرسلت به إليكم) يعني أني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما أرسلت به إليكم انما
التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلف ربي قوما غيركم) يعني انكم ان أعرضتم عن الإيمان وقبول ما أرسلت
به إليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم يوحّدونه ويعبدونه وفيه إشارة الى عذاب
الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرر منه شيأ) يعني بتوليكم انما تضررون أنفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيأ
إذا هلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربي على كل شئ حفيظ) يعني أنه سبحانه وتعالى حافظ لكل
شيء فيحفظني من أن تنالوني بسوء قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعني باهلا كههم وعذابهم (نجينا هودا
والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قديم المؤمن والكافر فلما أنجى
الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الریح التي
أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام
حسوما وهي الايام الخمسات فأهلكهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيأ وقيل المراد بالعذاب
الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما أنجىهم من عذاب
الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا (وتلك
عاد يحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال
وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه إشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا
بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى يحدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله
يعني هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع امالة عظيمة أولان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (واتبعوا أمر
كل جبار عنيد) يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد
المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه (واتبعوا في هذه الدنيا العنة) يعني أردفوا العنة تتبعهم وتحققهم وتصرف
معهم واللغة الطردوا الابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم للعنة كما تتبعهم
في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه العنة فقال سبحانه وتعالى (ألا ان عادا كفروا
ربهم) أي كفروا برهم (ألا بعدا لعاد) يعني هلاكلهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللغة معناها الابعاد
والهلاكل فما الفائدة في قوله ألا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه * قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين
مختلفتين يدل على نهاية التأكيده وانهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف ببيان لعاد * فان قلت هذا البيان
حاصل مفهوم الفائدة في قوله قوم هود * قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود
وعاد الثانية وهم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان
المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيده قوله عز وجل (والى عودا أخاهم صالحا) يعني وأرسلنا الى عود
وهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعني في النسب لاني الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحدوا الله وخصوه
بالعبادة (مالكم من إله غيره) يعني هو إلهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل
الدالة على وحدانيته وكأله قدرته فقال تعالى (هو أنشأكم من الارض) يعني انه هو ابتداء خلقكم من الارض

ان عادا كفروا برهم ألا بعدا لعاد) تكرر الامع النداء على كفرهم والدعاء عليهم فهو بل الامرهم وبعث على الاعتبار برهم والحذر من مثل
حالهم والدعاء بعد ابعدهم هلاكلهم وهود دعا بالهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف ببيان لعاد وفيه فائدة لان عادا
عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والآخرى ارم (والى عودا أخاهم صالحا) قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو
أنشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشأوهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم

(واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها وأدامكم عمارتها واستعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة إلى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعذيبهم فأوحى الله اليه أنهم عمروا بلادهم فغاش فيها عبادي (فاستغفروهم) فأسألوهم مغفرة بالآيات (ثم توبوا إليه) أن ربي قريب داني الرحمة (محب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا) فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) للسيادة والمساورة في الأمور وكنا نرجو أن ندخل في ديننا وتوفيقنا على ما نحن عليه (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (وانا نفي شك مما تدعونا إليه) من التوحيد (مريب) موقع في الريبة من أراد به إذا وقع في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم أن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة) نبوة آتت بحروف الشك مع أنه ٣٣٤ على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدر والى على بينة من ربي وآتاني نبي على

والحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامرهم (فن ينصرف من الله) فن ينصرف من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الأوثان (فانريدوني) بقولكم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غير تخسير) بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إياكم إلى الخسار (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فذروها) تأكل في أرض الله أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (ولا تسوها بسوء) عقر أو نجس (فياخذكم عذاب قريب) عاجل (فعقروها) يوم الأربعاء (فقال صالح) (تتعلموا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي يتصرف أو في دار الدنيا

وذلك أنهم من بني آدم وادم خلق من الأرض (واستعمركم فيها) يعني وجعلكم عمارها وسكنها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة إلى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من العمر أي جعلها لكم ما عشتم (فاستغفروهم) يعني من ذنوبكم (ثم توبوا إليه) يعني من الشرك (ان ربي قريب) يعني من المؤمنين (محب) لدعائهم (قالوا يا صالح قد كنت فينا) مرجوا قبل هذا يعني قبل هذا القول الذي حثت به والمعنى أنا كنا نرجو أن تكون فينا سيدي لأنه كان من قبيلاتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه أنا كنا نطمع أن نعود إلى ديننا فلما أظهر دعاءهم إلى الله وعاب الأصنام انقطع رجاءهم منه (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) يعني الآلهة (وانا نفي شك مما تدعونا إليه) يعني من عبادة الله (مريب) يعني أنا هم تايون في قولك من أراد به إذا وقع في الريبة وهي قلق النفس ووقعها في التهمة (قال) يعني قال صالح مجيبا لقومهم (يا قوم أرايتم أن كنت على بينة من ربي) يعني على يقين وبرهان (وآتاني منه رحمة) يعني نبوة وحكمة (فن ينصرف من الله) أي فن ينصرف من عذاب الله (ان عصيته) يعني ان خالفت أوامره (فانريدوني غير تخسير) قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فانريدوني غير تخسير وأما المعنى فانريدوني بما تقولون الانسبتي إلى الخسارة (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك أن قومهم طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا إليها فدعا الله عز وجل فأخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة أشهر ولدت فصلا يشبهها وقوله ناقة الله إضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فذروها تأكل) يعني من العشب والنبات (في أرض الله) يعني فليس عليكم مؤنتها (ولا تسوها بسوء) يعني بعقر (فياخذكم) يعني ان قتلتموها (عذاب قريب) يعني في الدنيا (فعقروها) يعني نجسوها أو امررهم فبعقروها (فقال) يعني فقال لهم صالح (تتعلموا) يعني عيشوا (في داركم) أي في بلدكم (ثلاثة أيام) يعني ثم تهلكون (ذلك) يعني العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعد غير مكذب) أي هو غير كذب روي أنه قال لهم يأتكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصحبون في اليوم الأول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني حمجرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كآقال وأنا هم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء أمرنا) يعني العذاب (نحيينا ناصالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) أي بنعمة منابأ أن هديناهم إلى الإيمان فآمنوا (ومن خزي يومئذ) يعني ونحييناهم من عذاب يومئذ سمى خزي لان فيه خزي الكافرين (ان ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد (هو القوي) يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزير) يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (وأخذ

(ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهل كانوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذب) أي غير مكذب فيه فاتسع في الطرف بخذف الحرف الذين واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذب مصدر كالقول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب أو عذابنا (نحيينا ناصالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجي انما نجي برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) بإضافة الخزي إلى اليوم ونجسوا اليوم بالإضافة وبقبحتهام في وعلى لانه مضاف إلى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيفت إلى الاسماء المهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والوالوالعطف وتقدره ونحييناهم من خزي يومئذ أي من ذلهم وفضيحتهم ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكا بغضب الله وانتقامه وجازان بريدي يومئذ يوم القيامة كإفسار العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوي) القادر على تجميع أوليائه (العزير) الغالب بالهلاك أعدائه (وأخذ

فيها) لم يقيموا فيها (الآن
ثمودا كفروا به) ثمود
جزرة وحفص (ألا بعدا
لثمود) على فالصرف للذهاب
الى الحى أو الاب الا كبير
ومنعته للتعريف والتأنيث
بمعنى القبيلة (ولقد جاءت
رسلنا ابراهيم بالبشرى)
واسرافيل أو جبريل مع
أحد عشر ملكا (ابراهيم
البشرى) هى البشارة بالولد
أو بهلاك قوم لوط والاول
أظهر (قالوا سلاما) سلمنا
عليك سلاما (قال سلام)
أمركم سلام سلم جزرة وعلى
بمعنى السلام (فالبث
أن جاء بعجل) فالبث فى
المجى به بل عجل فيه أو فها
لبث مجيئها والعجل ولد
البقرة وكان مال ابراهيم
البقر (حنيدة) مشوى
بالخجارة الحماة (فلما رأى
أيديهم لاتصل اليه نكرهم)
نكر وأنكر بمعنى وكانت
عادتهم انه اذا مس من
يطرقهم طعامهم آمنوه
والا خافوه والظاهر انه
أحسن بأنهم ملائكة
ونكرهم لانه تخوف ان
يكون تزولهم لا مرأى نكره
الله عليه أو لتعذيب قومه
دليله قوله (وأوجس منهم
خيفة) أى أضرهم منهم
خوفا (قالوا لا تخف انا أرسلنا
الى قوم لوط) بالعذاب وانما
يقال هذا لمن عرفهم ولم
يعرف فيم أرسلوا وانما قالوا

الذين ظلموا) يعنى أنفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فلهلكوا
جميعا وقيل أنهم صيحة من السماء فها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فتنقطع قلوبهم فى
صدورهم فأتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جائعين) يعنى صرعى هلكى (كأن لم ينفوا فيها) يعنى كأن لم
يقيموا فى تلك الديار ولم يسكنوها مائة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا أتيت به وأقيمت به (ألا ان ثمودا كفروا
ربههم ألا بعدا لثمود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة فى تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل (ولقد
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أراد بالرسلى الملائكة واختلفوا فى عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة
جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن
كعب القرظى كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدى كانوا أحد عشر ملكا على صور الغلمان
الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاول لان أقل الجمع ثلاثة وقوله ورسلا جمع فيحمل على الأقل وما بعده
غير مقطوع به بالبشرى يعنى بالبشارة باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) يعنى ان
الملائكة سلموا سلاما (قال) يعنى لهم ابراهيم (سلام) أى عليكم أو أمركم سلام (فالبث أن جاء بعجل حنيدة)
يعنى مشوى او المحنود هو المشوى على الخجارة الحماة فى حفرة من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان
سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام
خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاعتزل ذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءت الملائكة رأى
أضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمى مشوى (فلما رأى أيديهم) يعنى أيدي الاضياف
(لاتصل اليه) يعنى الى العجل المشوى (نكرهم) يعنى أنكروهم وأنكر حالهم وانما أنكروهم لامتناعهم
من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعنى ووقع فى قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف
ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف أن ينزلوا به مكر وهالا امتناعهم من
طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا تزولوا بعذاب
قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة فى أول الامر ويدل على صحة
هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدم اليهم لعلهم الملائكة لا يكون ولا
يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا
لا تخف يا ابراهيم) انا ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط وامرأته) يعنى سارة زوجة ابراهيم وهى ابنة هاران
ابن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعنى من وراء السترة سمع كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل
وابراهيم جالس معهم (فضحكك) أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان
عنده سميت مقدمات الاسنان الضوا حك ويستعمل فى السرور والمجرد وفى التعجب المجرد أيضا وللعلماء فى
تفسيره هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا فى سبب هذا
الضحك فقال السدى لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال ألا تأكلون فقالوا
انانا كل طعاما الا نحن قال فان لم تأكلوا فامتنعنا قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدهونه على آخره فنظر
جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ به خيلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لاتصل اليه ضحكك
سارة وقالت يا عجب الاضياف اننا نخدعهم بأنفسنا نكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكك من
غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلابى ضحكك من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين
خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكك من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه حين
قالوا لا تخف ضحكك سرورا وقيل ضحكك سرورا بالبشارة وقال ابن عباس وذهب ضحكك تعجبا من أن
يكون لها ولد على كبر سنهما وسن زوجها فعلى هذا القول يكون فى الآية تقديم وتأخير يتقدم به فيشمرناها
باسحق فضحكك يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لا ابراهيم اضمم اليك ابن أخيك لوطا فان العذاب نازل

لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه (وامرأته قائمة) وراء السترة سمع تحاورهم أو على رؤسهم تحذمهم
(فضحكك) سرورا وزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبايا أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب وأخصيت

(فبشرناها باسحق) وخصت بالبشارة لان النساء اعظم سرور بالولاد من الرجال ولا تلم ليكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامخ وحزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أي فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم ٣٣٦ على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد (قالت يا ويلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة

وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل (أألدو أنا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلي شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدأ وبعلي خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذي دل عليه هذا (ان هذا الشيء عجيب) أن يولد ولد من همرين وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادة فكان عليها أن تتوقروا ولا يزدها ما يذهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتعجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا ان هذه وأمثالها ما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل ايالك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متسكرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب

بقوسه فلما جاءت الرسل وبشرت به ذابهم سررت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت ليس ذلك تفسير القوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك لتصحيح الجمل فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحاضت في الوقت لتعلم ان جملها ليس بمنكر لان المرأة مادامت تحيض فانها تحمّل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد أنكر الفراء وأبو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وأنشد تضحك الضبع لقتلي هذيل * وترى الذئب ما يستهل قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أي طمئت وحكي الازهرى عن بعضهم في قوله فضحكت أي حاضت قال ويقال أصله من ضحكك الطاعة اذا انشقت قال وقال الاخطأ فيسه بمعنى الحيض تضحك الضبع من دماء سليم * اذ أنتم على الحرب غمور وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه يفسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكاً بمعنى حاضت حياء قال

وضحك الارنب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم القا يعني الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هـ ذامن أنكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشيراً لا لكوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حياء وقيل معناه انها تستبشر بالقتل فتز بعضها على بعض فجعل هزبرها ضحكاً وقيل لانها تستبشر بهم فجعل سرورها ضحكاً فان قلت بأي القولين أصح في معنى الضحك * قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل في معنى الضحك فالتة أعلم أي ذلك كان وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) يعني ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بأنها تعيش حتى ترى ولداً ولها فلما بشرت بالولد ضحكت وجهها أي ضربت وجهها وهو من ضيغ النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجباً (قالت يا ويلتا) نداء ندية وأصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثلاً يا عجبا (أألدو أنا عجوز) وكانت بنت تسعين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلي) يعني زوجي والبعل هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعلى عليها قائماً أمرها سمى به لئلا ذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة في قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا الشيء عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعني قالت الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) معناه لا تعجبين من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء فاذا أراد شيئاً كان سريراً (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجال من أهل بيته (انه حميد) يعني هو الحمود الذي يحمده على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمده في السر والعلانية والرخاء فهو محمود على كل حال (حميد) ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي الحميد الواسع الكرم وأصل الحميد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخياً كريماً واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) يعني الفرع والخوف الذي حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشري) يعني زال عنه

الخوف النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه حميد) محمود بتعجيل النعم (حميد) ظاهر الكرم بتأجيل النعم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفرع وهو ما أوحس من الخيفة حين نكر أضيافه (وجاءته البشري) بالولد

(يجادلنا في قوم لوط) أي لما اطمان قلبه بعد ما اخوف وملي سرورا بسبب البشري فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره اقبل يجادلنا
أو يجادلنا جواب لما وانما جى به مضارع الحكيمة الحال والمعنى يجادل رسلنا ويجادلته اياهم انهم قالوا انما هم كوا اهل هذه القرية فقال
أرايت لو كان فيها خمسة مؤمنات أهل كونهما قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايت ان كان فيها
رجل واحد مسلم أهل كونهما قالوا لا فعد ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها ٣٣٧ لنجيمه وأهله (ان ابراهيم لحليم) غير

محول على كل من أساء اليه
أو كثير الاحتمال من آذاه
الصفوح عن عصاه (آواه)
كثير التأوه من خوف الله
(منيب) نائب راجع الى
الله وهذه الصفات دالة على
رقة القلب والرأفة والرحمة
فبين ان ذلك مما حمله على
المجادلة فيهم رجاء أن يرفع
عنه العذاب ويهملو عليهم
يحدثون التوبة كما حمله على
الاستغفار لانيه فقالت
الملائكة (يا ابراهيم أعرض
عن هذا) الجدل وان كانت
الرحمة ديدنك (انه قد جاء
أمر ربك) فضاؤه وحكمه
(وانهم آتيتهم عذاب غير
مردود) لا يرتجدل وغير
ذلك عذاب مرتفع باسم
الفاعل وهو آتيتهم تقديره
وانهم بآتيتهم ثم خرجوا من
عند ابراهيم متوجهين نحو
قوم لوط وكان بين قرية
ابراهيم وقوم لوط أربعة
فراخ (ولما جاءت رسلنا
لوطا) لما أتوه رأى هيأتهم
وجاههم (سعى بهم) أخزن
لانه حسب انهم انس
نخاف عليهم سم خبت قومه
وان يعجز عن مقاومتهم
ومدافعتهم (وضاق بهم
ذراعا) تميز أي وضاق

الخوف بسبب البشري التي جاءت به وهي البشارة بالولد (يجادلنا) فيه اخمار تقديره أخذ يجادلنا أو جعل
يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكامنا ويسألنا (في قوم لوط) لان العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وقال جمهور
المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرايت لو كان في
مدائن قوم لوط خمسة رجال من المؤمنين أهل كونهما قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال
فأزال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايت لو كان فيها رجل واحد مسلم أهل كونهما قالوا لا قال ابراهيم
فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها لنجيمه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم
تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جرير كان في قري
قوم لوط أربعة آلاف مقاتل (ان ابراهيم لحليم آواه منيب) تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت
الملائكة لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) يعني أعرض عن هذا المقاتل واترك هذا الجدل (انه قد جاء أمر
ربك) يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود)
يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطا) يعني
هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه (سعى بهم) يعني أخزن
لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه (وضاق بهم ذراعا) قال الازهرى الذرع موضع موضع الطاقة والاصل
فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذراعا على قدر سعة خطوه فاذا جمل عليه أ أكثر من طوقه ضاق ذرعه من
ذلك وضعف ومدغلقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذراعا لم يجد
من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدره ولا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع
كتابة عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق
فلان ذراعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن
وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم عكروه أو فاحشته وعلم انه سيحتاج
الى المدافعة عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كأنه قد عصب به الشر والبلاء أي شديدا
مأخوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط
فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرضه وقيل انه كان يحطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة
لاتهلكوا هم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم
أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها شر قرية في الارض مما لا يقول ذلك أربع مرات
فصوامع حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغاضوا فيما
بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتغاضوا وقال مثله
ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا
القول قال جبريل للملائكة أشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم
يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا
ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه
وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهرع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبط والجز

٤٣ خازن في مكانهم صدره (وقال هذا يوم عصيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لاتهلكوا هم
حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد
بالله انها شر قرية في الارض مما لا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها (وجاءه
قومه يهرعون اليه) يسرعون كما يندفعون دفعا

(ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون القواخس حتى مروا عليها وقل عندهم استعجابها فلذلك جاؤا بهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتي) فترجوهن أراد أن يبق أضيافه بناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمين من الكفار جائزا في ذلك الوقت كما جاز في الابداء في هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقبل كان ٣٣٨ لهم سيدان مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه (هن أطهر لکم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتي

(ومن قبل) يعني ومن قبل مجيئ الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السيئات) يعني القلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتیان الرجال في أدبارهم (قال) يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان من بني آدم (يا قوم هؤلاء بناتي) يعني أزواجكم يا هن وفي أضيافه بناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بناته نساء قومهم وأضافهن الى نفسه لان كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح وأشبهه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليست بـ ٣ كفايتين للجماعة وليس من المروءة ان يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله (هن أطهر لکم) سؤال وهو ان يقال ان قوله هن أطهر لکم من باب أفعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محترم فاسد نجس لاطهارة فيه البتة فكيف قال هن أطهر لکم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله ذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد اعل هبل قال الله اعلی وأجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل وأصم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة وقوله (فاتقوا الله) يعني خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون في ضيفي) يعني ولا تسوؤني في أضيافي ولا تغضبوني معهم (أليس منكم رجل رشيد) أي صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد علمت ما لناتى بناتك من حق) يعني ليس لهن حاجة ولا لنافهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا بأزواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما لناتى بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا تريد ذلك (وانك لتعلم ما نريد) يعني من اتیان الرجال في أدبارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو أن لي بكم قوة) أي لو أني أقدر ان أتقوى عليكم (أو أوى الى ركن شديد) يعني أو انضم الى عشرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشرة لانضممت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشرته (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبهته قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله المراد بركن الشديدة هو الله عز وجل فانه أشد الاركان وأقواها وأمنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد خزيه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسى أو أوى الى عشرة تمنع منكم وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابا والملائكة معه في الدار وجعل ينظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت الملائكة مالتى لوط بسببهم (قالوا لوط) ركنك شديد (انارسل ربك لن يصلوا اليك) يعني عكروه فافتح الباب ودعنا واريهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به عز وجل في عقوبتهم فأذن له

عطف بيان وهن فصل وأطهر خير المبتدأ وبناتي خبر وهن أطهر مبتدأ وخبر (فاتقوا الله) بآثاره على (ولا تخزون) ولا تهينوني ولا تغضبوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزية وهي الحياء وبالباء أبو عمرو في الوصل (في ضيفي) في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل أوجاره فقد خزي الرجل وذلك من عرافة الكرم وأصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) أي رجل واحد يهتدى الى طريق الحق وفعل الجليل والكف عن السوء (قالوا) لقد علمت ما لناتى بناتك من حق (حق) حاجة لان نكاح الاناث أمر خارج عن مذهبنا فذهبنا اتیان الذكركر (وانك لتعلم ما نريد) اتیان الذكور وما لهم فيه من الشهوة (قال لو أن لي بكم قوة أو أوى الى ركن شديد) جواب لو محذوف أي لعلبت بكم وأصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت الى قوى أستند اليه وأتمنع به فيجمنى منكم فشببه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روى انه أغلق

بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكي الله عنه ويحادلهم فتسور والحدار فلما رأت الملائكة مالتى لوط من الكرب (قالوا لوط) ان ركنك شديد (انارسل ربك) فافتح الباب ودعنا واريهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به في عقوبتهم فأذن له فضرب ببجاءه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون انجاء انجاء فان في بيت لوط قوما بحيرة (لن يصلوا اليك) جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره

فأُسر) بالوصـل جـازي من سري (بأهلك بقطع من الليل) طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه إلى ما خلف أو لا ينظر إلى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (د الا امرأتك) مستثنى من فأسر بأهلك وبالرفع مكى وأوعمر و على البدل من أحد وفي آخرها مع أهلها روايتان روى أنه أخرجهما معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت ٣٢٩ هذه العذاب التفتت وقالت يا قوماء

فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسرها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (أنه مصيها ما أصابهم) أي أن الأمر وروى أنه قال لهم متى موعدهم لا कहهم قالوا (ان موعدهم الصبح) قال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل فراها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) هي كلمة معربة من سنجل كل بدليل قوله حجارة من طين (منضود) نعت لسجيل أي متتابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة) نعت للحجارة أي معلقة بالعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وما هي من الظالمين يبيعد) بشئ يعيد وفيه وعيد لأهل مكة فان جبريل عليه السلام قال رسول الله صلى

فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در من منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبيك مثل المرجان كأنه كالثلج بيضا وقد جاء إلى الخضره فضر بيجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسكر قوم في الأرض قد سحر وناو وجهوا يقولون بالوط كما أنت حتى تصبح وسـ ترى ما تلقى من اغدا يوعدونه بذلك (فأسر بأهلك) يعني ببيتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضى أوله وقيل أنه السحر الأول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم أحد إلى ورائه ولا ينظر إلى خلفه (الا امرأتك) فانها من الملققات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى (أنه مصيها ما أصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له (أليس الصبح بقريب) فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد وقد قبلوا منه الا امرأته فانها لما سمعت هذه العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقيوماء فأخذتها حجارة فأهلكتهن معهم (فلما جاء أمرنا) يعني أمرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي الموثقة المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربعة آلاف ألف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (وأمطرنا عليها) يعني على شذاها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم (حجارة من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة معناه سنجل كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف إلى الفارسي مثل قوله سندس واسـ تبرق ونحو ذلك فكل هذه ألفاظ فارسية تكلمت بها العرب واسـ تعملتها في ألفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد أو لها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشئت وقال الضحاك يعني الأجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من انضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) صفة للحجارة يعني معلقة قال ابن جريج عليها اسم لا تشاكل حجارة الأرض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على هيئة الجوزع وقال الحسن والسدي كانت مخطومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوب عليها أي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرى به (وما هي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (بيعد) قال قتادة وعكرمة يعني ظالمى هذه الأمة والله ما أجاز الله منها ظالما بعدده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذا قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فأهلكه قوله عز وجل (والى مدين) يعني وأرسلنا إلى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسم للقبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا إلى أهل مدين فخذف المضاف للدلالة الكلام عليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالآلهة فالآلهة ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من أهل مدين الجنس في

الله عليه وسلم يعني ظالمى أممك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة أو الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمى مكة يمترون بها في مساربهم (والى مدين أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدتهم مدين بن ابراهيم أي وأرسلنا شعيبا إلى ساكني مدين أو إلى بني مدين (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

ولا تنقصو المكيال (أي المكيال بالمكيال) والميزان (والميزان بالميزان) (أي أراكم بخير) بثروة وسعة تمنعكم عن التطفيف أوراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تغفلون (وأي أخاف عليكم عذاب يوم محبط) مهلك من قوله وأحبط بثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة (ويأقوم أوفو المكيال والميزان) أتموها (بالقسط) بالعدل فهو أول ما عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الأمر ٣٤٠

الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تخسوا الناس أشياءهم) الجنس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فهو عن ذلك (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العثي والعيث أشد الفساد نحو المرقعة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل الجنس والتطفيف عثيا منهم في الأرض (بقيت الله) ما بقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا نعم ببقية الله خير لكم الكفرة أيضا لانهم يسلمون معها من تبعه الجنس والتطفيف الآن فندتها تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لان غمنا من صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبية على جلالة شأنه أو المراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به أياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم فاحفظوها بترك الجنس (قالوا يا شعيب أصلواتك) وبالتوحيد كوفي غير أبي بكر (تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له بضده ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالحسن وتنهي عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وأن تترك التبسط في أموالنا ما نشاء من ابقاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات أحرمة مجازا كما هي حاله تعالى ناهية مجازا (انك لا أنت الحليم الرشيد) أي السفيف الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء وانك حليم رشيد عندنا وليس تفعل بنا ما يقتضيه حالك

المكيال والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصو المكيال والميزان) النقص في المكيال والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلذلك نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصو المكيال والميزان (أي أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النعمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وأي أخاف عليكم عذاب يوم محبط) يعني يحبط بكم فيها لكم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطه بالكافرين (ويأقوم أوفو المكيال والميزان) أي أتموها ولا تطففوا فيها (بالقسط) أي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصو الناس (أشياءهم) يعني أموالهم * فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصص من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصو المكيال والميزان ثم قال أوفو المكيال والميزان وهذا من الأول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا من الثاني ثم قال فإني أراكم بخير وهذا من الثالث * قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتج في المنع منه الى المبالغة في التأكيدهم والتكرير بقيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيدهم فلذلك كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك العمل ولان قوله ولا تنقصو المكيال والميزان نهى عن التثقيص وقوله أوفو المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الأول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الأمر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التثقيص ولا يأمر بإيفاء الكيل والوزن فلذلك اجمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الأمر والنهي وأما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضا لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهي عن التثقيص والأمر بإيفاء الحق في الكيل والوزن وعمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب ايفاء الحق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني بتثقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد ببقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل ببقية الله يعني ما بقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به ونهيتكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني أحفظ أعمالكم قال بعضهم انحما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقائلهم (قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الاصنام (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يعترفون به فيرونه يصلي فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش أقرأئك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدبكم تأمركم أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محترم عليهم وانما ذكر الصلاة لانهم امن أعظم شعائر الدين (انك لا أنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفيف الغاوي لان العرب قد تصف الشيء

(تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له بضده ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالحسن وتنهي عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وأن تترك التبسط في أموالنا ما نشاء من ابقاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات أحرمة مجازا كما هي حاله تعالى ناهية مجازا (انك لا أنت الحليم الرشيد) أي السفيف الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء وانك حليم رشيد عندنا وليس تفعل بنا ما يقتضيه حالك

(قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وزرقتي منه -هـ) من لدنه (رزقا حسنا) يعنى النبوة والرسالة أو مالا حلالا من غير نجس وتطفيقت
 وجواب أرايتم محذوف أى أخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ٣٤١ أيصح لى ان لا أمركم بترك عبادة

الاوثان والكف عن المعاصي
 والانبياء لا يبعثون الا لذلك
 يقال خالفني فلان الى كذا اذا
 قصده وانت مول عنه وخالفني
 عنه اذاولى عنه وانت قاصده
 ويلقأ الرجل صدارا عن
 الماء فتسأله عن صاحبه
 فيقول خالفني الى الماء يريد
 انه قد ذهب اليه واراد انا
 ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
 (وما أريد أن أخالفكم الى
 ما أنتم عليه) يعني ان أسبقكم
 الى شهواتكم التي نهيتكم عنها
 لا تستبسطوا دونكم (ان أريد
 الا الاصلاح) ما أريد الا ان
 أصلحكم بموعظتي ونصيحتي
 وأمرى بالمعروف ونهى عن
 المنكر (ما استطعت) نظرف
 أى مدة استطاعتى للاصلاح
 ومادمت متمسكا منه لا آلو
 فيه جهدا (وما توفيقى الا
 بالله) وما كوفى موقفا لاصابة
 الحق فيما آتى وأذرا لاجمورته
 وتأيمده (عليه توكلت) اعتمدت
 (واليسه أنيب) أرجع فى
 السراء والضراء جرم مثل
 كسب فى تعديه الى مفعول
 واحد الى مفعولين ومنه
 قوله (وإنا قوم لا يجرمونكم
 شقاقى أن يصيبكم) أى لا
 يكسبكم خلافا لاصابة العذاب
 (مثل ما أصاب قوم نوح
 أو قوم هود أو قوم صالح)
 وهو الفرق والريح والرجفة
 (وما قوم لوط منك) بعيد

بضده فيقولون للدينار سلم وللغلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
والسخرية وقيل معناه أنك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه أنك يا شعيب
فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم (قال) يعني قال لهم شعيب (يا قوم أرايتم ان
كنت على بينة من ربي) يعني على بصيرة وهداية وبيان (ورزقني منه رزقا حسنا) يعني حلالا قيل كان
شعيب كثير المال الخلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب
عن الشرطية محذوف تقديره أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الخلال والهداية والمعرفة والنبوة
فهل يسعني مع هذه النعمة ان أخون في وحيه أو ان أخالف أمره أو أتبع الضلال أو أبخس الناس أشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له أنك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم
الرشيد ان يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتم اكم عنه) قال صاحب
الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وأنت قاصده ويلقأ
الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا أو اذا ذهب عنه
صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتم اكم عنه أي أن أسبقكم الى شهوراتكم التي نهيتكم عنها لاستبد
بها دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا فيها بأنه حليم رشيد وذلك يدل
على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الا صوب الاصلح فكانت عليه السلام قال لهم
لما اعترفتم بكال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسى هو أ صوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله
وترك البخس والنقصان فأنا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق وأمرها لا ما
أنتم عليه وقال الزجاج معناه أني لمست أنتم اكم عن شيء وأدخل فيه انما أختار لكم ما أختار لنفسى وقال ابن
الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا
ينطوي الاعليه فكان هذا المحض النصيحة لهم (ان أريد) يعني ما أريد فيما أمركم به وأنها اكم عنه (الا
الاصلاح) يعني فيما بيني وبينكم (ما استطعت) يعني ما استطعت الا الاصلاح وهو الاصلاح والابلاغ والانذار فقط
ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء (وما توفيقى الا بالله)
التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقى
الا بالله (عليه توكلت) يعني على الله اعتمدت في جميع أمورى (واليه أنيب) يعني واليه أرجع فيما ينزل من
النوايب وقيل اليه أرجع في معادى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك
خطيب الانبياء الحسن مرآة قومه وقوله تعالى (ويا قوم لا يجرمكم شقائي) أي لا يحملنيكم خلافي
وعداوتي (أن يصيبكم) يعني عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة (مثل ما أصاب قوم نوح) يعني
الغرق (أو قوم هود) يعني الرجب التي أهلكتهم (أو قوم صالح) يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا
(وما قوم لوط منكم بعيد) وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم بعيد
وذلك انهم كانوا حيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعني من عبادة الاصنام (ثم
توبوا اليه) يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن (ان ربي رحيم) يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا
(ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أودته اذا أحببته وقيل يحتمل
أن يكون وودود فعول بمعنى مقعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه لهم
وقال الحليمي هو الواد لا هل طاعته أي الراضى عنهم بأعمالهم والحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال أبو
سليمان الخطاطبي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه (قالوا يا شعيب ما نفعه كثير مما تقول) يعني ما نفعهم

في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم أوفي المكان فتنالهم قربية منكم أوفيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوى وسوى في قريب
وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما (واستغفر واربك ثم توبوا اليه ان ربي
رحيم) يغفر لأهل الجفاء من المؤمنين (ودود) يجب أهل الوفاء من الصالحين (قالوا يا شيع ما ينفعه كثر ابراهيم يقول) أى لا تنفعهم حجة

ما تقول والافكيك لا ينهم كلامه وهو خطيب الانبياء (وانا لترك فيناض غيضا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكرها (ولولا رهطك لرجدك) ولولا عشيته لقتلناك بالرحم وهو شر قتله وكان رهطه من اهل ملتهم فذلك اظهر والميل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزير) أي لا تعز علينا ولا تتكبر حتى نكبرك من القتل ونرفعك عن الرحمة وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النبي على ان الكلام واقع في الفاعل لافي الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الاعزة علينا وذلك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) ولوقيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه ٣٤٢ وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهونى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله

ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تدعى ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون (وانا لترك فيناض غيضا) قال ابن عباس وقادة كان أعمى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبوروق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعنى جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجدك) يعنى لقتلناك بالحجارة والرحم بالحجارة أسوء القتلات وشرها وقيل معناه لشتمناك وأعظمتناك القول (وما أنت علينا بعزير) يعنى بكم وقيل بمتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم يبنوا الشيعب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم اغما لم يقتلوه ولم يسموه بالكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالو الشيعب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهط عندكم فالأولى ان تحفظوني فى الله ولاجل الله لا رهطى لان الله أعز وأعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعنى وبنذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء الملقى الذى لا يلتفت اليه (ان ربي عما تعملون محيط) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بأحوالكم جميعا لا يخفى عليه من شئ فيجازيكم بها يوم القيامة (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) يعنى على تودتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدر من الشر (انى عامل) يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أي اذ الجانى على نفسه الخطيئة فى فعله يعرفان قلت أى فرق بين ادخال الفناء ونزعهما فى قوله سوف تعلمون وقيل لا ادخال الفناء فى قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعهما فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فابكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفناء وتارة بالاستئناف للتمتين فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكرر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه) يعنى بسبب عمله السيئ أو أينما الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) يعنى فيما يذيعه (وارتقبوا) يعنى وانتظروا العاقبة وما يؤل الله أمرى وأمركم (انى معكم رقيب) أى منتظر والرقب يعنى المراقب (ولما جاء أمرنا) يعنى بعدابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعنى بفضل منا بأن هديناهم للإيمان ووقفناهم على الطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بالشرك والجنس (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وما تواجيعا وقيل أتتهم صيحة

ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتهم وجعلتموه كالشيء المنبذ من وراء الظهر لا يعبا به والظاهر من منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس أمسى (ان ربي بما تعملون محيط) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكن اذا مكن من الشئ يعنى اعملوا قارين على جهتك التى أنت عليها من الشرك والشنائى واعملوا ممكنين من عداوق مطيعين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتى الله من النمرة والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) من استغفاهمية معقولة لفعل العلم عن عمله

فها كأنه قيل سوف تعلمون أي نيا يأتيه عذاب يخزيه أى يفضحه وأيناهو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعواكم وادخال الفناء فى سوف وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعهما فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فاذا يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون والأتين بالوجهين للتمتين فى البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر والرقب يعنى المراقب من رقبه كالضرب يعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير يعنى المعاشرة أو بمعنى المرتقب كالرفيع يعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا) نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل صيحة فلهذا كوا واغاذ كرفى آخر قصة عاد ومدين

والساجد في آخر قصة تهود لوط فلما جاء لانهم ما وقعوا بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فبحي بالفاء الذي هو للتسبيح كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخرى ان فقد وقعنا مبتدأ تين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فأصبحوا في ديارهم جائعين) الجائع المزمع له كانه لا يريد ان يجيريل صاحبهم صيحة فزهرق روح كل واحد منهم بحيث هو بعتة (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين (ألا بعد المدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشدا لا ترى الى قوله (كأبعدت ثود) وقرئ كأبعدت والمعنى في البناء واحد وهو تقيض القرب الا أنهم قرءوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما قرءوا بين ضمائي الخير والشر فقالوا وعدوا وعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها أبهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أي الملا (أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) ٣٤٣ هو تجهيل لتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه

ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله بمنزل عن الألوهية وفيه أنهم عابوا الآيات والسلطان المبين وعلموا ان مع موسى الرشدا والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشدا قط والمراد وما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيره وايضا حاي كيف يرشد أمر من هذه عاقبة والرشد يدس - تعمل في كل ما يحمد ويرضى كما استعمل النفي في كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فأوردتهم النار) أدخلهم وجى بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردتهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال

واحدة من السماء فتأججها (فأصبحوا في ديارهم جائعين) يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا فقد لوطا بالارض (كأن لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا عن غيره (ألا بعدا) يعني هلا (المدين كأبعدت ثود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناه الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومهزمة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمى السلطان سلطانا لانه حجة الله في الارض (الى فرعون وملئه) يعني أتباعه وأشرف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بآباءهم به موسى (وما أمر فرعون برشيد) يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسدولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير (يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار) يعني كما تقدم قومه فأدخلهم الجحيم في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوة لهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوة لهم وامامهم في النار (وبئس الورد المورود) يعني وبئس المدخل المدخل فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبهه أتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون وأتباعه فأوردتهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل القناعة (وأتبعوا في هذه) يعني في هذه الدنيا (لعنة) يعني طرد او بعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعني وأتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بئس الرفد المرفود) يعني بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة في الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعني من أخبار أهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني تخبرك به يا محمد لتخبر قومي أخبارا هم لعلمهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل منازلهم من العذاب (منها) يعني من القرى التي أهلها أهلها (قائم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الجيطان بغير سقف ومنها ما قد محى أثره بالكساية شهبها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد يعني المحصود (وما ظنناهم) يعني بالعداب والا هلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فأغنت عنهم آلهم التي يدعون من دون الله من

كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس الورد) المورود (المورود) الذي وردوه شبه بالقارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبهه أتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضدته (وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة) ويوم القيامة أي يلغنون في الدنيا ويلغنون في الآخرة (بئس الرفد المرفود) ردفهم أي بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أي بعضها باق وبعضها عاث الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظنناهم) باهلا كنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلها (فأغنت عنهم آلهم) فاقدرت ان ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من

شيئاً لما جاء أمر ربك) عذابه ولما منصوب عما أغنت (وما زادوهم غير تنبيغ) تخسير يقال تب اذا خسرت به غيره أو قعه في الخسران يعني وما أفادتهم عبادة غير الله شيئاً بل أهلكتهم (وكذلك) محل الكاف الرفع أي ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك اذا أخذ القرى) أي أهلها (وهي ظالمة) حال من القرى (ان أخذته أليم شديد) ٣٤٤ مؤلم شديد يصعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغير هافعلي

كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالمهال (ان في ذلك) فيما قصص الله من قصص الأمم الهالكة (لاية) لعبرة (لن خاف عذاب الآخرة) أي اعتقد صحتها ووجوده (ذلك) إشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله اذا قلت يجمع له الناس وانما أثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه أثبت أيضاً اسناد الجمع الى الناس وأنهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه فأتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وما تؤخره) اليوم المذكور الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهائها والعذاب هو المدة لا لغايتها ومنتهائها فاعني قوله وما تؤخره (الاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف أو ما تؤخره اليوم الى تنتهي المدة التي ضربت بها البقاء الدنيا (يوم يأت) وبالياء

شيئاً لما جاء أمر ربك) يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب (وما زادوهم غير تنبيغ) يعني غير تخسير وقيل غير تدبير (وكذلك أخذ ربك) يعني وهكذا أخذ ربك (اذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائذ على القرى والمراد أهلها (ان أخذته أليم شديد) (ق) عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملئ للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذته أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والالابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مختص بنظامي الأمم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله أعلم قوله عز وجل (ان في ذلك لاية) يعني ما ذكر من عذاب الأمم الخالية وأهلها لهم لعبرة وموعظة (لن خاف عذاب الآخرة) يعني ان أهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار في الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالاغواذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله (ذلك يوم مجموع له الناس) يعني يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني يشهده أهل السماء وأهل الأرض (وما تؤخره الا لاجل معدود) يعني وما تؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه أحد الا الله تعالى (يوم يأت) يعني ذلك اليوم (لا تكلم نفس الا باذنه) قيل ان جميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الا باذن الله تعالى * فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام في ذلك اليوم * قلت يوم القيامة يوم طويل وله أحوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة في بعض الاحوال لا يقدر ان يتكلم على الكلام لشدة الأهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فيسكتون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الأهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس شيئاً الا أن يأذن الله لها في الشفاعة (فمنهم) يعني فن أهل الموقف (شقي وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونته الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصالح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة أخرى وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة أخرى وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبق له الشقاوة في الازل والسعيد من سبق له السعادة في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقه فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقد وقعدنا حوله ومعه محصرة فدنس وجعل ينكت بمحصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعه من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعموا فكل ميسر لما خلق له أمان كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة وأمان كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فامان أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى الآية بقيع الغرقه مقبرة أهل المدينة الشريفة ومذقنهم والمحصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المحصرة أو باليد ونحو ذلك حتى يوترفيه واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان

مكي وافقه أبو عمرو ونافع وعلى في الوصل واثبات الباء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الباء والاجتزاء عنها شقي بالكسرة كثير في لغة هذيل وتظهر ما كناية عن واقع يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذ كر أو بقوله (لا تكلم) أي لا تكلم (نفس الا باذنه) أي لا يشفع أحد الا باذن الله من الذين يشفع عنده الا باذنه (فمنهم) الضمير لأهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (شقي) معذب (وسعيد) أي ومنهم سعيد أي منهم

(فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير) هو أول شهيق الحمار (وشهيق) هو آخره وأماخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار (خالد بن خازن) حال مقدرة (مادامت السموات والارض) ٣٤٥ في موضع النصب أي مدة دوام السموات

والارض والمراد سموات
الآخرة وأرضها وهي داعة
مخوفة للابد والدليل على ان
لها سموات وأرضاً قوله يوم
تبدل الارض غير الارض
والسموات وقيل مادام
فوق وتحت ولانه لا بد لاهل
الآخرة مما يقلمهم ويظلمهم
امامهم أو عرش وكل ما أظلم
فهو سماء أو هو عبارة عن
التأنيدي وفي الانقطاع كقول
العرب ملاح كوكب وغير
ذلك من كلمات التأنيدي (الا
ماشاء ربك) هو استثناء من
الخلود في عذاب النار وذلك
لان اهل النار لا يخلدون في
عذاب النار وحده بل يعذبون
بالزهرير وأنواع من العذاب
سوى عذاب النار أو ماشاء
بمعنى من شاء وهم قوم
يخرجون من النار ويدخلون
الجنة فيقال لهم الجنة
وهم المستثنون من اهل
الجنة أيضاً المقارنهم ايها
يكونهم في النار أياماً هؤلاء
لم يشقوا شقاء من يدخل
النار على التأنيدي ولا سعدوا
سعادة من لا تمسه النار
وهو مروى عن ابن عباس
والضحاك وقتادة رضي الله
عنهم (ان ربك فعال لما يريد)
بالشقي والسعيد (وأما الذين
سعدوا) سعدوا جزوة وعلى
وحقق سعد لازم وسعد
يسعد متعدي (في الجنة

شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من
استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات
فهو لا مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم عايشاء وتخصيص هذين القسمين
بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها) أي في النار من العذاب والهوان
(زفير وشهيق) أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الصلوة والشهيق رد النفس الى الصدر
أو الزفير مده وإخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديدي والشهيق الصوت الضعيف وقال
الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره إذا رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير في الخلق
والشهيق في الجوف (خالد بن خازن) يعني لاثنين مقيمين في النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك
يعني مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولا بد لاهل الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تقلمهم
فكل ماعلا فأظلم فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن
التأنيدي وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار
يريدون بذلك التأنيدي وقوله سبحانه وتعالى (الامامشاه ربك) اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال
ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار
بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في
الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشقافة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله
يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجنة في رواية ليصين
أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحمته فيقال لهم الجنة فيخرجون
(خ) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقافة محمد فيدخلون الجنة
يسمون الجنة فيقولون أما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل
دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالد بن خازن فيها
مادامت السموات والارض الامامشاه ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد) وأما
الذين سعدوا في الجنة خالد بن خازن فيها مادامت السموات والارض الامامشاه ربك ان يدخله النار أولاً ثم
يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم
في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوبا استوجبوا عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان
اجماع الأمة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبداً وقيل ان الاستثناءين يرجعان الى الفريقين السعداء
والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم
لحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى خالد بن خازن في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل
معناه الامامشاه ربك سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالد بن خازن فيها مادامت السموات والارض الامامشاه ربك
من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف ألفين أي سوى ألفين وقيل الابعنى الواديعنى وقد شاء
ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله سبحانه وتعالى لتلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين
ظلموا أي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لا يخرجهم منها ولا يمشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها قال
القراء هذا الاستثناء استثناء الله ولا يفعله كقوله والله لا ضرر بك الا أن ترى غير ذلك وعزمه أن يضربه فهذه

٤٤ خازن في خالد بن خازن فيها مادامت السموات والارض الامامشاه ربك هو استثناء من الخلود في نعم الجنة وذلك
ان لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو روية الله تعالى ورضوانه أو معناه الامن شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاستثناء في الآيةين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار

خالود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا
 الاحاديث المروية في هذا الباب وكفى به انما مبينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولو كنهه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون وهو
 نصب على المصدر أي أعطوا عطاء قيل كقرت الجنة باربع آيات عطاء غير مجذوذ أكلها دائم وما عند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص
 الله قصص عبدة الاوثان وذكرا ما أحل بهم من نعمة وما أعد لهم من عذاب قال (فلاتك في مرية عما بعد هولا) أي فلا تشك بعد ما أنزل
 عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتمقام منهم ووعيد لهم
 ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسيمثلون بهم مثله وهو
 استثناء في معنى تعليل النهي ٣٤٦ عن المرية وما في محاو كما مصدرية أو موصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو عما يعبدون

من الاوثان ومثله ما

الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك
 فعال لما يريد يعني من اخرج من النار وادخلهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين فأما على
 التفصيل فقوله الا ماشاء ربك في جانب الاشياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقديره ان يفيد حصول الزفير
 والشهيق مع خلوده اذ ادخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب
 السعداء يكون بمعنى الزيادة يعني الا ماشاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول
 في جانب الاشياء معناه الا ماشاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والمزهر يروى في جانب السعداء
 معناه الا ماشاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل
 على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامه مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها وقوله
 سبحانه وتعالى في جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعني غير مقطوع يعني غير ما يلتهون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه
 وتعالى بالذي يشاء لا هل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لا هل النار وروى عن ابن
 مسعود أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلتهون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه
 وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبي هريرة فجهنم عند أهل السنة على اخلاء أما كن المؤمنين الذين استحقوا
 النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخالود الكفار فيها
 أو يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد المزهر بل يزادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم قوله
 سبحانه وتعالى (فلاتك في مرية عما بعد هولا) يعني فلانك في شك في محمدي هذه الاصنام التي يعبدوها هولا
 الكفار فانها لا تضر ولا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعني انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام
 مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدها مثلهم (وانما فوهم نصيبهم غير منقوص) يعني وانما مع
 عبادتهم هذه الاصنام نزلهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية
 نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الآخرة كاملا موفرا غير ناقص قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى
 الكتاب) يعني التوراة (فاختلف فيه) يعني في الكتاب ففهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد
 بالقرآن ففهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني بتأخير العذاب عنهم الى يوم
 القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى
 (لقضى بينهم) يعني لعذبوا في الحال وفرض من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفي شك منه) يعني من القرآن
 ونزوله عليك يا محمد (مريب) يعني أنهم قد وقعوا في الريب والتهمة (وان كلا) يعني من الفريقين المختلفين
 المصدق والمكذب (لما يوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم في القيامة

يعبدون منها (وانما فوهم نصيبهم) حظهم من العذاب
 كما وقينا آباءهم انصباهم
 (غير منقوص) حال من
 نصيبهم أي كاملا (ولقد
 آتينا موسى الكتاب)
 التوراة (فاختلف فيه)
 آمن به قوم وكفر به قوم
 كما اختلف في القرآن وهو
 تسلية لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت
 من ربك) انه لا يعاجلهم
 بالعذاب (لقضى بينهم)
 بين قوم موسى أو قومك
 بالعذاب المستأصل (وانهم
 لفي شك منه) من القرآن
 أو من العذاب (مريب)
 من أرباب الرجل اذا كان
 ذاربه على الاسناد المجازي
 (وان كلا) التووين عوض
 عن المضاف اليه يعني وان
 كلهم أي وان جميع المختلفين
 فيه وان مشددة (لما)
 مخفف بصرى وعلى ما مر في
 جى به اليه فصل بها بين لا م

ان ولا م (لما يوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله
 ليوفينهم (ربك أعمالهم) أي جزاء أعمالهم من ايمان وحب ودوحسن وقيح بعكس الاولى أبو بكر خففان مكى ونافع على اعمال الخففة عمل
 النقلة اعتبار الاصلها الذي هو التثمين ولان ان تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبهة به مشددة تان
 غيرهم وهو مشكل وأحسن ما قيل فيه انه من لمت الشيء جمعه لما ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز أن يكون المشبهة
 مثل الدعوى والثرى وما فيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهري وان كلا لما بالتووين كقوله أ كلا لما هو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان
 كلا لم يؤمن أي مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الطرف وقد دخل
 في الكلام اختصار كأنه قيل وان كلا لما بعثوا اليهم فيهم ربك أعمالهم وقال الكسائي ليس لي بتشديد لما لم

فيجازي

(انه بما يعملون خبير فاستقيم كما أمرت) فاستقيم الاستقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقيم وجاز للفصل يعني فاستقيم أنت وليستقيم من تاب عن الكفر ورجع الى الله ٣٤٧ خلاصا (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما يعملون

بصير) فهو مجازيكم فاتقوه قبل ما تزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتي هو (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تملوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لا يتبع الكفرة أي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسك النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فمين ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لا عين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم وادلا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقيل لا فقيل له يموت قال دعه يموت (ومالك من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسك النار أي فتمسك النار

فيجازي المصديق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعملون خبير) يعني انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده وان دقت فتيه وعدله المحسنين المصدقين وفيه وعيد ووعده للمكذابين الكافرين قوله سبحانه وتعالى (فاستقيم كما أمرت) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقيم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر في فاستقيم للتأكد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم ينزل عليها فهو كقولك للقاتل قم حتى آتيتك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيتك (ومن تاب معك) يعني ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه وغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قول لا أسأل عنه أحد بعده ذلك قال قل آمنت بالله ثم استقيم (ولا تطغوا) يعني ولا تجاوزوا وأمرى الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين ف تجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما يعملون بصير) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتي هو وأخواتها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا أي أقصدوا والسداد من الامور وهو الصواب وقاربوا أي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلوف فيه ولا تقصير والغدوة والراح بكرة والراح الرجوع عشبوا المراد منه اعملوا أطراف النهار وقتا وقلنا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شيء من الدلجة إشارة الى تقامله وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا تملوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسك النار) يعني فتمسككم النار بحرها (ومالك من دون الله من أولياء) يعني أعوانا وأنصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة فتيه وعيد لمن ركن الى الظلمة أو رضى بأعمالهم أو أحبهم فكيف حال الظلمة في أنفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل (وأقم الصلاة طرفي النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تتباع تمرأفت ان في البيت تمرأه وأطيب منه فدخلت معي البيت فأهويت اليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استتر على نفسك وتب ولا تخبر أحد افلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استتر على نفسك وتب ولا تخبر أحد افلم أصبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تخني انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال أبو اليسر فأتيت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يا رسول الله ألهاذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيل ابن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله أتى هذه الآية قال لمن عمل بها من أمتي وفي رواية فقال رجل من القوم ياني الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرايت رجلا لي امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتى الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه

وأنت على هذه الحالة ومعناه ومالك من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هولاء حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة (وأقم الصلاة طرفي النهار) غدوة وعشية

(وزلفامن الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قرب به وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشيّة الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الطرفين لانهم مضافان الى الوقت كقولك أقيمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار ٣٤٨ وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (ان الحسنات يذهبن السيئات) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب أو الطاعات قال عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحها أو سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر (ذلك) إشارة الى فاستقم فابعده أو القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتقين نزلت في عمرو بن غزيرة الانصاري بائع التمر قال لامرأة في البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءها كيايا كيايا فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقبل له خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والانهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهو لا كان وهو موضوع للتحضيض وتخصيص بالفعل (أولوا بقبية) أو لفضل وخير من الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبق مما يخرج أجوده وأفضله فصار

لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله أهى له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتمصل لان عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ أما التفسير في قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام نضر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر أن الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الأول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لانها داخله تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعني وأقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاته واحدها زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن زادني رواية ما لم تغتسل الكاثر وزادني رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقول رأيتم لو ان نهر اياك أحدم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنة شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يحوي الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارى غمر على باب أحدم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن ومابقي من الدرر قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه في المستقبل فاذ حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاول أصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في إحدى الروايتين عنه والقرطبي والضحاك وجهه المفسرين (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو إشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني المصلين قوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعني فهل لا كان من القرون التي أهلها كانوا (من قبلكم) يعني بأمة محمد (أولوا بقبية) يعني أولو تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقبية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقبية من خير يقال فلان على بقبية من الخير اذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد في الارض) يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهي عن الفساد في الارض فلذلك أهلها كانوا (الا قليلا) هذا الاستثناء منقطع معناه لكن قليلا (من أنجيئنا منهم) يعني من آمن من الامم الماضية وهم

مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقبية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينهون عن أتعاف الفساد في الارض) عجب محمد عليه السلام وأتمته أن لم يكن في الامم التي ذكر الله أهلها كلهم في هذه السورة جماعة من أولى العقول والدين يهون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الا قليلا من أنجيئنا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا من أنجيئنا من القرون نهوا عن الفساد

وسأثرهم تاركون للنهي ومن في عن أنجينا للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للناس وحدهم بدليل قوله أنجينا الذين يمهون عن السوء وأخذنا
الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن التذكير وهو عطف على مضمراً أي الأقلين من أنجينا منهم فهو عن الفساد واتبع
الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (ما ترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التمتع ٣٤٩ والترفة من حب الرياسة والثروة وطالب

أسباب العيش الهنيء عورفضوا
الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ونذوه وراء ظهورهم
(وكانوا مجرمين) اعتراض
وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون
(وما كان ربك ليهلك القرى)
اللام لتأكيد النفي (يظلم)
حال من الفاعل أي لا يصح
أن يهلك الله القرى ظالماتها
(وأهلها) قوم (مصلحون)
تتبره الذاته عن الظلم وقيل
الظلم الشرك أي لا يهلك
القرى بسبب شرك أهلها
وهم مصلحون في المعاملات
فيما بينهم لا يضمنون إلى
شركهم فساداً آخر (ولو)
شاء ربك لجعل الناس
أمة واحدة) أي متفقين
على الإيمان والطاعات عن
اختيار ولكن لم يشأ ذلك
وقالت المعتزلة هي مشيئة
قسر وذلك رافع للابتلاء فلا
يجوز (ولا يزالون مختلفين)
في الكفر والإيمان أي
ولكن شاء أن يكونوا مختلفين
لما علم منهم اختيار ذلك
(الامن رحم ربك) الاناس
عصمهم الله عن الاختلاف
فاتفقوا على دين الحق غير
مختلفين فيه (ولذلك خلقهم)
أي ولما هم عليه من
الاختلاف فعندنا خلقهم
لذي علم انهم يصيرون اليه

أتباع الانبياء كانوا يمهون عن الفساد في الارض (واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه) يعني واتبع الذين ظلموا
أنفسهم بالكفر والمعاصي ما تنعموا فيه والترفة التمتع والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم واشار للذات
على الآخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعني كافرين (وما كان ربك ليهلك القرى) يعني وما كان ربك يا محمد (لهلك القرى
بظلم) يعني لا يهلكهم بظلم منه (وأهلها مصلحون) يعني في أعمالهم ولا يمكن هلاكهم بكفرهم وركوبهم
السيئات وقيل في معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجر دسركهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل
بعضهم بعضاً بالصالح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال في الدنيا أمعذاب الآخرة فهو لازم
لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على
التضييق والتشديد قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعني كلهم على دين واحد وشريعة
واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعني على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشركي ومسلم فكل
أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضاً اختلافاً كثيراً لا ينضبط عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتفرق اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل
ذلك وستتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذي بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الأمة
ستتفرق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة أخرجه أبو داود قال
الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستتفرق أمتي فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين
اذ جعلهم من أمة وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهر وابعده
كانوا راجعاً والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هي فرقة السنة
والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وقوله سبحانه وتعالى (الامن رحم ربك)
يعني لكن من رحم ربك فن علمه بالهداية والتوفيق إلى الحق وهداه إلى الدين القويم والصراط المستقيم
فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء ولا اختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس
عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتلة
والضحاك والرحمة خلقهم يعني الذين يرجعهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف
للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق
الجنة وخلق لها أهلها وخلق النار وخلق لها أهلها فاصل الآية أن الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين
وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم إلى النار وحكم على بعضهم
بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم إلى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك
وتعالى (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق
أقواماً للجنة وللرحمة فهداهم وفقهم لأعمال أهل الجنة وخلق أقواماً للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من
الهداية قوله سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى
في هذه السورة الكريمة قصص الأمم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى
الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل يعني من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم
ما نثبت به فؤادك يعني ما نقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع أتباعهم هكذا سهل عليه

من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون اليه كذا في شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهي قوله للملائكة (لا أملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبا وهو منصوب
بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا

تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (في هذه الحق) اختفوا في هذا الضمير الى
 ماذا يعود فقبل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجز للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل
 في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الأكثرين * فان قلت قد جاء الحق في سور
 القرآن فلم يخص هذه السورة بالذكر * قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر أن لا يكون قد جاء
 الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها (وموعظة وذكري
 للمؤمنين) أي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما تزل بهم (وقل
 للذين لا يؤمنون اعمالوا على مكانتكم) فيه وعيد وتهديد يعني اعمالوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك
 العمل فهو كقوله اعمالوا ما شئتم (انا عاملون) يعني ما أمرنا به ربنا (وانظروا) يعني ما يعدكم به الشيطان
 (انا منتظرون) يعني ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الآخرة (ولله غيب السموات
 والارض) يعني يعلم ما غاب عن العباد فيه ما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها
 وجاها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء (واليسه يرجع الامر كله)
 يعني الى الله يرجع امر الخلق كله في الدنيا والآخرة (فاعبده) يعني ان من كان كذلك كان
 مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعني وثق به في
 جميع أمورك فانه يكفيك (ومار بك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم
 والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى
 عليه من هائلي فيجزى المحسن باحسانه والمسيء
 باسائه قال كعب الاحبار خاتمة التوراة
 خاتمة سورة هود والله أعلم
 بمراده وأسرار
 كتابه

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله سورة يوسف عليه السلام

(وجاءك في هذه الحق) أي
 في هذه السورة أو في هذه
 الانباء المقتصة ما هو حق
 (وموعظة وذكري للمؤمنين)
 ومعنى تثبيت فؤاده زيادة
 يقينه لان تكرار الأدلة
 أثبت للقلب (وقل للذين
 لا يؤمنون) من أهل مكة
 وغيرهم (اعمالوا على مكانتكم)
 على حالكم وجهتكم التي أنتم
 عليها (انا عاملون) على مكانتنا
 (وانظروا) بنا الدوائر (انا
 منتظرون) أن ينزل بكم نحو
 ما اقتض الله تعالى من النقم
 النازلة بأشباهم (ولله غيب
 السموات والارض) لا تخفى
 عليه خافية مما يجري فيهما
 فلا تخفى عليه أعمالكم (واليسه
 يرجع الامر كله) فلا بد أن
 يرجع اليه أمرهم وأمرك
 فينتقم لك منهم يرجع نافع
 وحفص (فاعبده وتوكل
 عليه) فانه كافيك وكافلك
 (ومار بك بغافل عما تعملون)
 وبالثناء مدني وشامي وحفص
 أي أنت وهما على تغليب
 الخطاب قيل خاتمة التوراة
 هذه الآية وفي الحديث
 من أحب أن يكون أقوى
 الناس فليتوكل على الله تعالى

حقيقة

حقيقة

هذه السورة	٢	(تفسير سورة الانعام)
فصل قد يشوهم متوهم ان في بعض علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل الخ	٢٧	ذكر قصة مولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين غرود
فصل في بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الاخراج	٣٢	فصل احتج العلماء بقوله تعالى فبهذا هم اقتده على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ذكر سياق حديث الهجرة	٤٠	فصل يتعلق بقوله تعالى لا تدركه الابصار
فصل في الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه الخ الدالة على فضل سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه	٤٨	فصل اختاف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكر اسم الله عليها
فصل استدل بقوله تعالى عفا الله عنك الخ من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك	٦٣	فصل في احتجاج القدرية والمعتزلة بقوله تعالى سمعوا قول الذين أشركوا الوشاء الله ما أشركنا ولا آبائنا الخ
فصل في بيان حكم قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الخ وفيه مسائل	٧١	(تفسير سورة الاعراف)
فصل فتوقع في هذه الاحاديث التي تضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن سلول المتناقض صورة اختلاف في الروايات الخ	٧٩	فصل في الاستدلال على صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عنه
(تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام)	١٠٢	ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير والخبار
فصل في الكلام على هذا الحديث أى قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنتم الخ لانه في الظاهر مشكل	١٠٦	ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق الخ
فصل في وجه اشكال الحديث المذكور	١١٦	فصل في بيان المجزأة وكونها دليلا على صدق الرسل
ذكر قصة قوم يونس عليه السلام	١٢٦	فصل في احتجاج من نفى الرؤية بظاهر قوله تعالى ان تراني والرد عليهم في ذلك
(تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام)	١٣٦	شرح غريب ألفاظ الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة
فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول انى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام	١٥٠	ذكر أسماء الله الحسنى
فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام	١٥٨	فصل في احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول انى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام	١٦١	(تفسير سورة الانفال)
فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام	١٧١	فصل في حكم الفرار عند الزحف
فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام	١٩٥	فصل في استدلال من يدعي في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والرد عليهم في ذلك
فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام	١٩٨	(تفسير سورة التوبة)
غير صالح الخ	١٩٨	فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول